•(تمت)•

الجزء الثالث من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي
ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه
الله

وبهامشه التاريخ المسمى باخبار الدول وآثار الاول للعلامة الفاضل
أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني وغيره

(الباب الحادي عشر) في ذكر دولة بني طباطبا بالكوفة واليمن منبع الصفات الحميدة والمنن

ذكر السيوطي في تاريخه ان أول من قام بالخلافة من بني طباطبا العلوية الحسنية (ابو عبد الله) محمد بن ابراهيم طباطبا في جمادى الاولى سنة تسع وتسعين ومائة وسبب تلقيب جد هذه الطائفة بطباطبا انه كان يلثغ بالقاف فيجعلها طاء فطلب يوما من الجارية ملبوسا فقالت له تريد دراعة ام قباء فقال لها بل طباطبا يريد قباقبا فلقب بذلك لذلك وقام باليمن في هذا العصر (الهادي يحيى بن الحسين بن قاسم بن ابراهيم طباطبا) ودعي له بامرة المؤمنين ومات في ذي الحجة سنة ثمان ومائتين وقام مكانه ابنه (المرتضى محمد) مدة في سيرة حسنة وتوفي في سنة عشرين وثلثمائة وقام مكانه أخوه (الناصر احمد) ومات في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وقام بالامر بعده ولده (المنتخب الحسين) وسار سيرة أبيه في العدل وكانت مدة خلافته ست سنين



ثم دخلت سنة احدى وعشرين

(ذكر وقعة نهاوند)

قيل فيها كانت وقعة نهاوند وقيل كانت سنة ثمان عشرة وقيل سنة تسع عشرة وكان الذي هيج أمر نهاوند أن المسلمين لما خلصوا جند العلاء من بلاد فارس وفتحوا الاهواز كاتبت الفرس ملكهم وهو يومئذ يزدجرد وكاتب الملوك بين الباب والسند وخراسان وحلوان فتحركوا وتكاتبوا واجتمعوا الى نهاوند ولما وصلها أوائلهم بلغ سعدا الخبر فكتب الى عمر وثار بسعد قوم سعوا به وألبوا عليه ولم يشغلهم ما نزل بالناس وكان ممن تحرك في أمره الجراح بن سنان الاسدي في نفر فقال لهم عمر والله ما يمنعني ما نزل بكم من النظر فيما لديكم فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس في الاستعداد للفرس وكان محمد صاحب العمال يقتص آثار من شكى زمان عمر فطاف بسعد على أهل الكوفة يسأل عنه فما سأل عنه جماعة الا اثنوا عليه خيرا سوى من مالأ الجراح الاسدي فانهم سكتوا ولم يقولوا سوأ ولا يسوغ لهم حتى انتهوا الى بني عبس فسألهم فقال أسامة بن قتادة اللهم انه لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية ولا يغزو في السرية فقال سعد اللهم ان كان قالها رياء وكذبا وسمعة فأعم بصره وأكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن فعمي واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسها فاذا عثر عليها قال دعوة سعد الرجل المبارك ثم دعا سعد على أولئك النفر فقال اللهم ان كانوا خرجوا أشرا وبطرا ورياء فاجهد بلاءهم فجهدوا وقطع الجراح بالسيوف يوم بادر الحسن بن علي عليه السلام ليغتاله بساباط وشدخ قبيصة بالحجارة وقتل اربد بالوجء ونعال السيوف وقال سعد اني أول رجل

اهراق دما من المشركين ولقد جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه وما جمعهما لاحد قبلى ولقد رأيتنى خمس الاسلام وبنو أسد تزعم انى لا أحسن أصلى وان الصيد يلهينى وخرج محمد بسعد وبهم معه الى المدينة فقدموا على عمر فاخبروه الخبر فقال كيف تصلى ياسعد قال اطيل الاوليين واحذف الاخريين فقال هكذا الظن بك يا ابا اسحق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بينا وقال من خليفتك ياسعد على الكوفة فقال عبد الله بن عبد الله بن عتبان فأقره فكان سبب نهاوند وبعثها زمن سعد واما الوقعة فهى زمن عبد الله فنفرت الاعاجم بكتاب يزدجرد فاجتمعوا بنهاوند على الفيرزان فى خمسين ألفا ومائة ألف مقاتل وكان سعد كتب الى عمر بالخبر ثم شافهه به لما قدم عليه وقال له ان أهل الكوفة يستأذنونك فى الانسياح وان يبدؤهم بالشدة ليكون أهيب لهم على عدوهم فجمع عمر الناس واستشارهم وقال لهم هذا يوم له ما بعده وقد هممت ان اسير فيمن قبلى ومن قدرت عليه فانزل منزلا وسطا بين هذين المصرين ثم استنفرهم واكون لهم ردأ حتى يفتح الله عليهم ويقضى ما أحب فان فتح الله عليهم صببتهم فى بلدانهم فقال طلحة بن عبيد الله يا أمير المؤمنين قد أحكمتك الامور وعجمتك البلابل واحتنكتك التجارب وأنت وشأنك ورأيك لا ننبو فى يديك ولا نكل عليك اليك هذا الامر فمرنا نطع وادعنا نجب واحملنا نركب وقدنا ننقد فانك ولى هذا الامر وقد بلوت وجربت واحتربت فلم ينكشف شئ من عواقب قضاء الله لك الا عن خيار ثم جلس فعاد عمر فقام عثمان فقال أرى يا امير المؤمنين ان تكتب الى أهل الشام فيسيروا من شامهم والى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثم تسير أنت بأهل الحرمين الى الكوفة والبصرة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فانك اذا سرت قل عندك ماقد تكاثر من عدد القوم وكنت أعز عزا وأكثر يا أمير المؤمنين انك لا تستبقى بعد نفسك من العرب باقية ولا تمتع من الدنيا بعزيز ولا تلوذ منها بحريز ان هذا يوم له ما بعده من الايام فاشهده برأيك واعوانك ولا تغب عنه وجلس فعاد عمر فقام اليه على بن أبى طالب فقال اما بعد يا أمير المؤمنين فانك ان أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم وان أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذراريهم وانك ان أشخصت من هذه الارض انتقضت عليك العرب من أطرافها واقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم اليك مما بين يديك من العورات والعيالات اقرر هؤلاء فى امصارهم واكتب الى أهل البصرة فليتفرقوا ثلاث فرق فرقة فى حرمهم وذراريهم وفرقة فى أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا ولتسر فرقة الى اخوانهم بالكوفة مددا لهم ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا قالوا هذا امير المؤمنين امير العرب واصلها فكان ذلك اشد لكلبهم عليك وأما ما ذكرت من مسير القوم فان الله هو أكره لمسيرهم منك وهو اقدر على تغيير ما يكره وأما عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر فقال عمر هذا هو الرأى كنت احب ان اتابع عليه فأشيروا على برجل اوليه وقيل ان طلحة وعثمان وغيرهما أشاروا عليه بالمقام والله اعلم فلما قال عمر اشيروا على برجل أوليه ذلك الثغر وليكن عراقيا فقالوا أنت أعلم بجندك وقد وفدوا عليك فقال والله لاولين أمرهم رجلا يكون أول الاسنة اذا لقيها غدا فقيل من هو فقال هو النعمان بن مقرن المزنى فقالوا هو لها وكان النعمان يومئذ معه جمع من أهل الكوفة قد اقتحموا جنديسابور والسوس فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى

فلما مات قام مكانه أخوه (المختار القاسم) وكان وقورا مهيبا أديبا لبيبا مؤيدا موفقا فكانت مدة خلافته الى ان مات خمس عشرة سنة ولما توفى تولى مكانه أخوه (الهادى محمد) مدة فلما مات تولى مكانه الرشيد العباس وبه انقرضت دولتهم وانطوت خلافتهم

الباب الثانى عشر فى ذكر دولة الطبرستانية من الدوحة الحسنية والحسينية

ذكر السيوطى فى تاريخه انه تداولها ستة رجال ثلاثة من بنى الحسن ثم ثلاثة من بنى الحسين فأول من قام منهم داعيا الى الحق والى الطريق القويم (الحسن ابن زيد) بن محمد بن اسمعيل ابن الحسن بن زيد الجواد ابن الحسن بن على بن أبى طالب سنة خمس وخمسين ومائتين بالرى والديلم ثم قام أخوه (القائم بالحق محمد) وقتل سنة ثمان وثمانين فقام حفيده (المهدى الحسن بن زيد بن القائم بالحق) وقام بعده (محمد بن الحسن)

الباب الثالث عشر فى ذكر جرهم بالحجاز وما سلك كل منهم من المحاسن وحاز

ذكر المسعودى فى مروج

ماء تجتمع الجيوش عليه فاذا اجتمعوا اليه سار بهم الى الفيرزان ومن معه وقيل بل كان
النعمان بكسكر فكتب الى عمر يسأله ان يعزله ويبعثه الى جيش من المسلمين فكتب اليه عمر
يأمره بنهاوند فسار فكتب عمر الى عبد الله بن عبد الله بن عتبان ليستنفر الناس مع النعمان
كذا وكذا ويجتمعوا عليه بماه فندب الناس فكان اسرعهم الى ذلك الروادف ليبلوا في الدين
وليدركوا حظا فخرج الناس منها وعليهم حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن حتى قدموا على
النعمان وتقدم عمر الى الجند الذين كانوا بالاهواز ليشغلوا فارس عن المسلمين وعليهم المقترب
وحرملة وزر فأقاموا بتخوم أصبهان وفارس وقطعوا امداد فارس عن أهل نهاوند واجتمع
الناس على النعمان وفيهم حذيفة بن اليمان وابن عمر وجرير بن عبد الله البجلي والمغيرة بن
شعبة وغيرهم وأرسل النعمان طليحة بن خويلد وعمرو بن معديكرب وعمرو بن ثني وهو ابن أبي
سلمى ليأتوه بخبرهم وخرجوا وساروا يوما الى الليل فرجع اليه عمرو بن ثني فقالوا ما رجعك فقال لم
أكن في أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضا عالمها ومضى طليحة وعمرو بن معديكرب
فلما كان آخر الليل رجع عمرو فقالوا ما رجعك قال سرنا يوما وليلة ولم نر شيأ فرجعت
ومضى طليحة حتى انتهى الى نهاوند وبين موضع المسلمين الذي هم به ونهاوند بضعة وعشرون
فرسخا فقال الناس ارتد طليحة الثانية فعلم كلام القوم ورجع فلما رأوه كبروا فقال ما شأنكم
فأعلموه بالذي خافوا عليه فقال والله لو لم يكن دين الا العربي ما كنت لاجزر العجم الطماطم هذه
العرب العادية فأعلم النعمان انه ليس بينهم وبين نهاوند شيء يكرهه ولا أحد فرحل النعمان
وعبى أصحابه وهم ثلاثون ألفا فجعل على مقدمته نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه حذيفة بن اليمان
وسويد بن مقرن وعلى المجردة القعقاع بن عمرو وعلى الساقة مجاشع بن مسعود وقد توافت اليه
أمداد المدينة فيهم المغيرة بن شعبة فانتهوا الى اسبيذهان والفرس وقوف على تعبيتهم وأميرهم
الفيرزان وعلى مجنبتيه الزردق وبهمن جاذويه الذي جعل مكان ذي الحاجب وقد توافى اليهم
الامداد بنهاوند كل من غاب عن القادسية ليسوا بدونهم فلما رآهم النعمان كبر وكبر معه الناس
فتزلزلت الاعاجم وحطت العرب الاثقال وضرب فسطاط النعمان فابتدر اشراف الكوفة
فضربوه منهم حذيفة بن اليمان وعقبة بن عامر والمغيرة بن شعبة وبشير بن الخصاصية وحنظلة
الكاتب وجرير بن عبد الله البجلي والاشعث بن قيس وسعيد بن قيس الهمداني ووائل بن حجر
وغيرهم فلم ير بناء فسطاط بالعراق كهؤلاء وانشب النعمان القتال بعد حط الاثقال فاقتتلوا يوم
الاربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم سجال وانهم انجحروا في خنادقهم يوم الجمعة وحصرهم
المسلمون وأقاموا عليهم ما شاء الله والفرس بالخيار لا يخرجون الا اذا أرادوا الخروج فخاف
المسلمون ان يطول أمرهم حتى اذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع تجمع أهل الرأي من
المسلمين وقالوا نراهم علينا بالخيار وأتوا النعمان في ذلك فوافوه وهو يروي في الذي رووا فيه
فأخبروه فبعث الى من بقي من أهل النجدات والرأي فأحضرهم فتكلم النعمان فقال قد ترون
المشركين واعتصامهم بخنادقهم ومدنهم وانهم لا يخرجون الينا الا اذا شاؤا ولا يقدر المسلمون
على اخراجهم وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق فما الرأي الذي به نستخرجهم الى
المناجزة وترك التطاول فتكلم عمرو بن ثني وكان أكبر الناس وكانوا يتكلمون على الاسنان

الذهب ان ابراهيم عليه
السلام لما أسكن ولده اسمعيل
مكة مع امه هاجر
واستودعهما شاقته أمر
ابراهيم عليه السلام هاجر اذ
تعذر عليه عريشا يكون
لهما مكانا وكان من ظما
اسمعيل وهاجر ما كان الى
ان انبع الله لهما زمزم
واقبل الشحر واليمن فتفرقت
العماليق وجرهم أمة يطلبون
الماء والمرعى والديار الخصبة
وأميرهم السميدع فأشرف
روادهم لطلب الماء على
الوادي فنظروا الى العريش
وفيه هاجر واسمعيل فنزلوا
مستبشرين بما اصابوا من
نور النبوة وموضع البيت
واستمروا الى ان وقع
التنازع بين قحطان وبين
جرهم بسبب انهم كثروا
وضاقت عليهم أرض اليمن
فطردوا جرهم فاقبلوا حتى
نزلوا بقرب مكة فارسلوا
الى العماليق وقالوا نحن
أحق منكم بهذا المكان
لانا أقرب قرابة من اسمعيل
وامس به رحما لانا نلتقي
نحن واياه الى هود عليه
السلام وأنتم لا تلتقون
معه الا الى سام بن نوح
عليه السلام فاخرجوا عن
هذا المكان فقال العماليق
عند ذلك ان هذا المكان

فقال

فقال الحصين عليهم أشد من المطاولة عليكم فدعهم وقاتل من أتاك منهم فردوا عليه رأيه
وتكلم عمرو بن معديكرب فقال ناهدهم وكابدهم ولا تخفهم فردوا جميعا عليه رأيه وقالوا انما
يناطح بنا الجدران وهي أعوان علينا وقال طليحة أرى ان نبعث خيلا لينشبوا القتال فاذا
اختلطوا بهم رجعوا الينا استطرادا فانا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم فاذا رأوا ذلك
طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضي الله فيهم وفينا ما أحب فأمر القعقاع بن عمرو وكان
على المجردة فانشب القتال فاخرجهم من خنادقهم كأنهم جبال حديد قد تواثقوا ان لا يفروا
وقد قرن بعضهم بعضا كل سبعة في قران والقوا حسك الحديد خلفهم لئلا ينهزموا فلما خرجوا
نكص ثم نكص واغتنمها الاعاجم ففعلوا كما ظن طليحة وقالوا هي هي فلم يبق احد الا من يقوم
على الابواب وركبوهم ولحق القعقاع بالناس وانقطع الفرس عن حصنهم بعض الانقطاع
والمسلمون على تعبية في يوم جمعة صدر النهار وقد عهد النعمان الى الناس عهده وأمرهم ان
يلزموا الارض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم ففعلوا واستتروا بالحجف من الرمي وأقبل المشركون
عليهم يرمونهم حتى أفشوا فيهم الجراح وشكا الناس وقالوا للنعمان ألا ترى ما نحن فيه فما تنتظر
بهم ائذن للناس في قتالهم فقال رويدا رويدا وانتظر النعمان بالقتال احب الساعات كانت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقى العدو فيها وذلك عند الزوال فلما كان قريبا من تلك
الساعة ركب فرسه وسار في الناس ووقف على كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر
وقال لهم اني مكبر ثلاثا فاذا كبرت الثالثة فاني حامل فاحملوا وان قتلت فالامير بعدي حذيفة
فان قتل ففلان حتى عد سبعة آخرهم المغيرة ثم قال اللهم اعزز دينك وانصر عبادك واجعل
النعمان أول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك وقيل بل قال اللهم اني أسألك ان تقر
عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الاسلام واقبضني شهيدا فبكى الناس ورجع الى موقفه فكبر
ثلاثا والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال وحمل النعمان والناس معه وانقضت رايته
انقضاض العقاب والنعمان معلم ببياض القباء والقلنسوة فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع
السامعون بوقعة كانت اشد منها وما كان يسمع الا وقع الحديد وصبر لهم المسلمون صبرا عظيما
وانهزم الاعاجم وقتل منهم ما بين الزوال والاعتام ما طبق ارض المعركة دما يزلق الناس
والدواب فلما اقر الله عين النعمان بالفتح استجاب له فقتل شهيدا ازلق به فرسه فصرع وقيل بل
رمي بسهم في خاصرته فقتله فسجاه أخوه نعيم بثوب وأخذ الراية وناولها حذيفة فأخذها
وتقدم الى موضع النعمان وترك نعيما مكانه وقال لهم المغيرة اكتموا مصاب أميركم حتى ننتظر
ما يصنع الله فينا وفيهم لئلا يهن الناس فاقتتلوا فلما أظلم الليل عليهم انهزم المشركون وذهبوا
ولزمهم المسلمون وعمي عليهم قصدهم فتركوه وأخذوا نحو اللهب الذي كانوا دونه فوقعوا فيه
فكان الواحد منهم يقع فيقع عليه ستة بعضهم على بعض في قياد واحد فيقتلون جميعا وجعل
يعقرهم حسك الحديد فمات منهم في اللهب مائة الف او يزيدون سوى من قتل في المعركة وقيل
قتل في اللهب ثمانون الفا وفي المعركة ثلاثون الفا سوى من قتل في الطلب ولم يفلت الا الشريد
ونجا الفيرزان من الصرعى فهرب نحو همذان فاتبعه نعيم بن مقرن وقدم القعقاع قدامه فادركه
بثنية همذان وهي اذ ذاك مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلا فحبسه الدواب على أجله فلما لم يجد

اورث لنا عن جد نا معاوية بن
بكر وهو أول من سكن هذا
المكان عند مهلك عاد بالريح
العقيم فلم يسلموا وتأهبوا
للحرب واقتتلوا قتالا
شديدا فغلبتهم جرهم
واحتووا عليه وقطنوه
ونفوا العماليق عنه وكان
رئيسهم مضاض بن عمرو
فرأسوا عليهم اسمعيل عليه
السلام وعرفوا فضله
وزوجوه امرأة من
أشرافهم ذكر صاحب
المختصر في أخبار البشر
ان المؤرخين قسمت العرب
الى ثلاثة أقسام بائدة
وعاربة ومستعربة (اما
البائدة) فهم العرب الاول
الذين ذهبت عنا تفاصيل
أخبارهم لتقادم عهدهم
وهم عاد وثمود وجرهم
الاولى وكانت على عهد عاد
فبادوا ودرست أخبارهم
واما جرهم الثانية فهم من
ولد قحطان وبهم اتصل
اسمعيل عليه السلام ولم يبق
من العرب البائدة الا
القليل (واما العرب
العاربة) فهم عرب اليمن
من ولد قحطان (واما العرب
المستعربة) فهم ولد اسمعيل
عليه السلام لان أصل لسان
اسمعيل كان عبرانيا فلذلك قيل
له ولولده العرب المستعربة

طار بقا نازل عن دابته وصعد فى الجبل فتبعه القعقاع راجلا فادركه فقتله والمسلمون على الثنية

وقالوا إن لله جنودا من عسل واستاقوا العسل وما معه من الاحمال وسميت الثنية ثنية العسل

ودخل المشركون همذان والمسلمون فى آثارهم فنزلوا عليها وأخذوا ما حولها فلما رأى ذلك

خسرشنوم استأمنهم ولما تم الظفر للمسلمين جعلوا يسألون عن أميرهم النعمان بن مقرن فقال

لهم أخوه معقل هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة فاتبعوا حذيفة ودخل

المسلمون نهاوند يوم الوقعة بعد الهزيمة واحتووا ما فيها من الامتعة وغيرها وما حولها من

الاسلاب والاثاث وجمعوا الى صاحب الاقباض السائب بن الاقرع وانتظروا من بنهاوند ما

يأتيهم من اخوانهم الذين على همذان مع القعقاع ونعيم فأتاهم الهربذ صاحب بيت النار على

أمان فابلغ حذيفة فقال اتؤمننى ومن شئت على ان أخرج لك ذخيرة اكسرى تركت عندى

لنوائب الزمان قال نعم فاحضر جوهرا نفيسا فى سفطين فارسلهما مع الاخماس الى عمر وكان

حذيفة قد نفلهم منها وأرسل الباقى مع السائب بن الاقرع الثقفى وكان كاتبا حاسبا ارسله عمر

اليهم وقال له ان فتح الله عليكم فاقسم على المسلمين فيئهم وخذ الخمس وان هلك هذا الجيش فاذهب

فبطن الارض خير من ظهرها قال السائب فلما فتح الله على المسلمين واحضر الفارسى السفطين

اللذين أودعهما عنده النخيرجان فاذا فيهما اللؤلؤ والزبرجد والياقوت فلما فرغت من القسمة

احتملتهما معى وقدمت على عمر وكان قد قدر الوقعة فبات يتململ ويخرج ويتوقع الاخبار فبينما

رجل من المسلمين قد خرج فى بعض حوائجه فرجع الى المدينة ليلا فمر به راكب فسأله من أين

اقبل فقال من نهاوند واخبره بالفتح وقتل النعمان فلما اصبح الرجل تحدث بذا بعد ثلاث من

الوقعة فبلغ الخبر عمر فسأله فاخبره فقال ذلك بريد الجن ثم قدم البريد بعد ذلك فاخبره بما يسره ولم

يخبره بقتل النعمان قال السائب فخرج عمر من الغد يتوقع الاخبار قال فأتيته فقال ما وراءك

فقلت خيرا يا أمير المؤمنين فتح الله عليك واعظم الفتح واستشهد النعمان بن مقرن فقال عمر انا لله

وانا اليه راجعون ثم بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه فوق كتده قال فلما رأيت ذلك ومالقى قلت

يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده رجل يعرف وجهه فقال أولئك المستضعفون من المسلمين ولكن

الذى أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وانسابهم وما يصنع أولئك بمعرفة عمر ثم أخبرته

بالسفطين فقال ادخلهما بيت المال حتى تنظر فى شأنهما والحق بجندك قال ففعلت وخرجت

سريعا الى الكوفة وبات عمر فلما أصبح بعث فى أثرى رسولا فما أدركنى حتى دخلت الكوفة

فانخت بعيرى وأناخ بعيره على عرقوبى بعيرى فقال الحق بأمير المؤمنين فقد بعثنى فى طلبك فلم

أقدر عليك الا الآن قال فركبت معه فقدمت على عمر فلما رآنى قال الى ومالى وللسائب قلت

ولماذا قال ويحك والله ما هو الا ان نمت الليلة التى خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبنى الى

السفطين يشتعلان نارا يقولون لنكوينك بهما فأقول انى ساقسمهما بين المسلمين فخذهما عنى

فبعهما فى اعطية المسلمين وارزاقهم قال فخرجت بهما ووضعتهما فى مسجد الكوفة فابتاعهما

منى عمرو بن حريث المخزومى بالفى ألف درهم ثم خرج بهما الى ارض الاعاجم فباعهما باربعة

آلاف ألف فما زال أكثر أهل الكوفة مالا وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف وسهم الراجل

الفين ولما قدم سبى نهاوند المدينة جعل ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لا يلقى منهم صغيرا الا مسح

أجمع النسابون على ان اليمن كلها من ولد قحطان وكان لقحطان من الولد أحد وثلاثون ولدا ذكورا وأمهم امرأة واحدة وكانوا نزولا ببعض بلاد الهند فلما هلكت عاد وبادت وقد بقى من عقبهم بمكة طائفة وهم عاد الاخرى هلكوا وفى الحديث انهم مسخوا نسناسا لكل نسناس منهم يد ورجل من شق واحد ينقرون كما ينقر الطائر ويرعون كما ترعى البهائم وقيل اولئك انقرضوا والموجود من النسناس خلق على حدة وليس منهم واختلف الناس فى قحطان فحكى هشام بن الكلبى عن أبيه ان قحطان بن الهميسع بن نابت بن اسمعيل الذبيح بن ابراهيم عليه السلام وكان جرهم الثانى اخا يعرب بن قحطان فملك (يعرب) اليمن وملك أخوه (جرهم) الحجاز ثم ملك بعده ابنه (عبد ياليل بن جرهم) ثم ابنه (جرشم) فلما هلك ملك ابنه (عبد المدان بن جرشم) ثم ابنه (نفيلة بن عبد المدان) ثم ابنه (عبد المسيح بن نفيلة) ثم ابنه (مضاض بن عبد المسيح) تولى الملك مائة سنة ثم ابنه

رأسه وبكى وقال له أكل عمر كبدي وكان من نهاوند فأسرته الروم وأسره المسلمون من الروم فنسب الى حيث سبي وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند فتح الفتوح لانه لم يكن للفرس بعده اجتماع وملك المسلمون بلادهم

﴿ ذكر فتح الدينور والصيمرة وغيرهما ﴾

لما انصرف أبو موسى من نهاوند وكان قد جاء مددا على بعث أهل البصرة مر بالدينور فأقام عليها خمسة أيام وصالحه أهلها على الجزية ومضى فصالحه أهل شيروان على مثل صلحهم وبعث السائب بن الاقرع الثقفي الى الصيمرة مدينة مهرجانقذف ففتحها صلحا وقيل انه وجه السائب من الاهواز ففتح ولاية مهرجانقذف

﴿ ذكر فتح همذان والماهين وغيرهما ﴾

لما انهزم المشركون دخل من سلم منهم همذان وحاصرهم نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو فلما رأى ذلك خسرشنوم استأمنهم وقبل منهم الجزية على ان يضمن منهم همذان ودستبى وأن لا يؤتى المسلمون منهم فاجابوه الى ذلك وامنوه ومن معه من الفرس واقبل كل من كان هرب وبلغ الخبر الماهين بفتح همذان وملكها ونزول نعيم والقعقاع بها فاقتدوا بخسرشنوم فراسلوا حذيفة فأجابهم الى ما طلبوا واجمعوا على القبول واجمعوا على اتيان حذيفة فخدعهم دينار وهو أحد أولئك الملوك وكان اشرفهم قارن وقال لا تلقوهم في جمالكم ففعلوا وخالفهم فأتاهم في الديباج والحلى فأعطاهم حاجتهم واحتمل المسلمون ما أرادوا وعاقدوه عليهم ولم يجد الآخرون بدا من متابعته والدخول في أمره فقيل ماه دينار لذلك وكان النعمان بن مقرن قد عاقد بهزاذان على مثل ذلك فنسب الى بهزاذان وكان قد وكل النسير بن ثور بقلعة قد لجأ اليها قوم فجاهدهم فافتتحها فنسبت الى النسير وهو تصغير نسر قيل دخل دينار الكوفة أيام معاوية فقال يا أهل الكوفة انكم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس فبقيتم كذلك زمن عمر وعثمان ثم تغيرتم وفشت فيكم خصال أربع بخل وخب وغدر وضيق ولم يكن فيكم واحدة منهن وقد رمقتكم فرأيت ذلك في مولديكم فعلمت من اين أتيتم فاذا الخب من قبل النبط والبخل من قبل فارس والغدر من قبل خراسان والضيق من قبل الاهواز

﴿ ذكر دخول المسلمين بلاد الاعاجم ﴾

وفيها امر عمر المسلمين بالانسياح في بلاد العجم وطلب الفرس اين كانوا وقيل كان ذلك سنة ثمان عشرة وقد تقدم ذكره وسبب ذلك انما كان من يزدجرد وبعثه الجنود مرة بعد أخرى فوجه الامراء من أهل البصرة وأهل الكوفة بعد فتح نهاوند وكان بين عمل سعد وعمل عمار اميران أحدهما عبد الله بن عبد الله بن عتبان وفي زمانه كانت وقعة نهاوند والآخر زياد بن حنظلة حليف بني عبد بن قصي وفي زمانه امر بالانسياح وعزل عبد الله وبعث في وجه آخر وولي زياد وكان من المهاجرين فعمل قليلا والح في الاستعفاء فاعفاه عمر وولى عمار بن ياسر وكتب معه الى أهل الكوفة اني بعثت عمارا أميرا وجعلت معه ابن مسعود معلما وكان ابن مسعود بحمص فسيره عمر الى الكوفة وأمد أهل البصرة بعبد الله بن عبد الله وأمد أهل الكوفة بأبي موسى وكان أهل همذان قد كفروا بعد الصلح فبعث عمر لواء الى نعيم بن مقرن وأمره بقصد همذان

(عمرو بن مضاض) ثم تولى أخوه (الحرث بن مضاض) مائتي سنة ثم ابنه (عمرو بن الحرث) مائة وعشرين سنة ثم أخوه (بشر بن الحرث) تولى الملك مدة ثم (مضاض الاصغر) مدة أربعين سنة وجرهم المذكورون هم الذين اتصل بهم اسمعيل عليه السلام ونزلوا عنده بمكة وتزوج منهم اسمعيل عليه السلام ولما بغت جرهم في الحرم وطغت بعث الله عليهم الرعاف والنمل وغير ذلك من الآفات فهلك كثير منهم وكثر ولد اسمعيل وصاروا ذوي قوة ومنعة فغلبوا على اخوالهم جرهم فاخرجوهم من مكة فلحقوا ببلاد جهينة فأتاهم في بعض الليالي السيل فذهب بأجمعهم وفي خروجهم من مكة يقول عمرو بن الحرث في قصيدته التي منها

وكنا ولاة البيت من عهد نابت ... نطوف بذاك البيت والامر ظاهر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود العواثر

وبانقراض جرهم انقرضت العرب العاربة ولم يبق من

فاذا فتحها سار الى ما وراء ذلك الى خراسان وبعث عتبة بن فرقد وبكير بن عبد الله الى اذربيجان يدخل أحدهما من حلوان والآخر من الموصل وبعث عبد الله بن عبد الله الى أصبهان واتى عمر مراته على البصرة

﴿ ذكر فتح أصبهان ﴾

وفيها بعث عمر اليها عبد الله بن عبد الله بن عتبان وكان شجاعا من أشراف الصحابة ومن وجوه الانصار حليفا لبنى الحبلى وأمده بابى موسى وجعل على مجنبتيه عبد الله بن ورقاء الرياحى وعصمة بن عبد الله فساروا الى نهاوند ورجع حذيفة الى عمله على ما سقت دجلة وما وراءها وسار عبد الله فيمن كان معه ومن تبعه من جند النعمان بنهاوند نحو أصبهان وعلى جندها الاسبيدان وعلى مقدمته شهريار بن جاذويه شيخ كبير فى جمع عظيم ومقدمة المشركين برستاق لاصبهان فاقتتلوا قتالا شديدا ودعا الشيخ الى البراز فبرز له عبد الله بن ورقاء الرياحى فقتله وانهزم أهل أصبهان فسمى ذلك الرستاق رستاق الشيخ الى اليوم وصالحهم الاسبيدان على رستاق الشيخ وهو أول رستاق أخذ من أصبهان ثم سار عبد الله الى مدينة جى وهى مدينة أصبهان فانتهى اليها والملك بأصبهان الفاذوسفان فنزل بالناس على جى وحاصرها وقاتلها ثم صالحه الفاذوسفان على أصبهان وان على من أقام الجزية وأقام على ماله وان يجرى من أخذت أرضه عنوة مجراهم ومن أبى وذهب كان لكم أرضه وقدم أبو موسى على عبد الله من ناحية الاهواز وقد صالح خرج القوم من جى ودخلوا فى الذمة الا ثلاثين رجلا من أهل أصبهان لحقوا بكرمان ودخل عبد الله وأبو موسى جيا وكتب بذلك الى عمر فقدم كتاب عمر الى عبد الله أن سر حتى تقدم على سهيل بن عدى فتكون معه على قتال من بكرمان فسار واستخلف على اصبهان السائب بن الاقرع ولحق بسهيل قبل ان يصل الى كرمان قيل وقد روى عن معقل بن يسار ان الامير كان على الجند الذين فتحوا أصبهان النعمان بن مقرن وان عمر ارسله من المدينة الى اصبهان وكتب الى أهل الكوفة ان يمدوه فساروا الى اصبهان وبها الكهاذ وذو الحاجبين فأرسل اليه المغيرة بن شعبة وعاد من عنده فقاتلهم وقتل النعمان ووقع ذو الحاجبين عن دابته فانشقت بطنه وانهزم أصحابه قال معقل فأتيت النعمان وهو صريع فجعلت عليه علما فلما انهزم المشركون أتيته ومعى اداوة فيها ماء فغسلت عن وجهه التراب فقال ما فعل الناس فقلت فتح الله عليهم قال الحمد لله ومات هكذا فى هذه الرواية والصحيح ان النعمان قتل بنهاوند وافتتح أبو موسى قم وقاشان

﴿ ذكر ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة ﴾

وفيها ولى عمر عمار بن ياسر على الكوفة وابن مسعود على بيت المال فشكا أهل الكوفة عمارا فاستعفى عمار عمر بن الخطاب فولى عمر جبير بن مطعم الكوفة وقال له لا تذكره لاحد فسمع المغيرة بن شعبة ان عمر خلا بجبير فأرسل امرأته الى امرأة جبير بن مطعم لتعرض عليها طعام السفر ففعلت فقالت نعم ما جئتنى به فلما علم المغيرة جاء الى عمر فقال له بارك الله لك فيمن وليت واخبره الخبر فعزله وولى المغيرة بن شعبة الكوفة فلم يزل عليها حتى مات عمر وقيل ان عمارا عزل سنة اثنتين وعشرين وولى بعده ابو موسى وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

العرب الامن كان من عدنان وقحطان

﴿ الباب الرابع عشر فى ذكر دولة الحسنية والدوحة الزكية الهاشمية بمكة المشرفة والمدينة المنورة ﴾

ذكر القلقشندى فى نهاية الارب فى معرفة قبائل العرب ان المهدى بن محمد ابن عبد الله الكامل بويع له بالخلافة بمكة فى آخر الدولة الاموية ثم ظهر بالحجاز بنو الاخيضر فى سنة احدى وخمسين ومائتين فاستقرت بايديهم الى ان غلب عليهم القرامطة سنة سبع عشرة وثلثمائة وفى عمدة الطالب ان يوسف الاخيضر بن ابراهيم بن موسى الجون اعقب ثلاثة أولاد منهم (اسمعيل بن يوسف) ظهر بالحجاز وتسمى بالسفاك سنة احدى وخمسين ومائتين ثم قصد مكة وغلب عليها أيام المستعين وغور العيون واعترض الحاج فقتل منهم جمعا كثيرا ونهبهم ثم مات على فراشه مجأة فى ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين ومائتين ولا عقب له ثم قام أخوه (محمد بن يوسف) بعد وفاته وسار فى سيرته فى السفك والنهب فارسل المعتز السفاح الاشترفى عسكر ضخم فهرب منه محمد

قيل وفيها بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهري فافتتح زويلة صلحا وما بين برقة وزويلة سلم للمسلمين وقيل سنة عشرين كان الامراء في هذه السنة عمير بن سعد على دمشق وحوران وحمص وقنسرين والجزيرة ومعاوية على البلقاء والاردن وفلسطين والسواحل وانطاكية وقلقية ومعرة مصرين وعند ذلك صالح ابوهاشم بن عتبة بن ربيعة على قلقية وانطاكية ومعرة مصرين وفيها ولد الحسن البصري والشعبي وحج بالناس عمر بن الخطاب واستخلف على المدينة زيد بن ثابت وكان عامله على مكة والطائف واليمن واليمامة ومصر والبصرة من كان قبل ذلك وكان على الكوفة عمار بن ياسر وشريح على القضاء وفيها بعث عثمان بن أبي العاص بعثا الى ساحل فارس فحاربوهم ومعهم الجارود العبدى فقتل الجارود بعقبة تعرف بعقبة الجارود وقيل بل قتل بنهاوند مع النعمان وفيها مات جمعة وهو من الصحابة بأصبهان بعد فتحها والعلاء ابن الحضرمي وهو على البحرين فاستعمل عمر مكانه أبا هريرة وفيها مات خالد بن الوليد بحمص وأوصى الى عمر بن الخطاب وقيل مات سنة ثلاث وعشرين وقيل مات بالمدينة والاول اصح

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين﴾

في هذه السنة افتتحت اذربيجان وقيل سنة ثمان عشرة بعد فتح همذان والرى وجرجان فنبدأ بذكر فتح هذه البلاد ثم نذكر اذربيجان بعدها

﴿ذكر فتح همذان ثانيا﴾

قد تقدم مسير نعيم بن مقرن الى همذان وفتحها على يده وبيد القعقاع بن عمرو فلما رجعا عنها كفر أهلها مع خسرشنوم فلما قدم عهد نعيم من عند عمر ودع حذيفة وسار يريد همذان وعاد حذيفة الى الكوفة فخرج نعيم بن مقرن على تعبية الى همذان فاستولى على بلادها جميعا وحاصرها فلما رأى أهلها ذلك سألوا الصلح ففعل وقبل منهم الجزية وقد قيل ان فتحها كان سنة أربع وعشرين بعد مقتل عمر بستة أشهر فبينما نعيم بهمذان في اثنى عشر ألفا من الجند كاتب الديلم وأهل الرى اذربيجان اذ خرج موتا في الديلم حتى نزل بواج روذ وأقبل الزينبي أبو الفرخان في أهل الرى وأقبل اسفنديار أخو رستم في أهل اذربيجان فاجتمعوا وتحصن منهم أمراء المسالح وبعثوا الى نعيم بالخبر فاستخلف يزيد بن قيس الهمداني وخرج اليهم فاقتتلوا بواج روذ قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند فانهزم الفرس هزيمة قبيحة وقتل منهم مقتلة كبيرة لا يحصون فأرسلوا الى عمر مبشرا فأمر عمر نعيما بقصد الرى وقتال من بها والمقام بها بعد فتحها وقيل ان المغيرة بن شعبة وهو عامل على الكوفة أرسل جرير بن عبد الله الى همذان فقاتله أهلها وأصيبت عينه بسهم فقال احتسبتها عند الله الذى زين بها وجهي ونور لي ما شاء ثم سلبنيها في سبيله ثم فتحها على مثل صلح نهاوند وغلب على أرضها قسرا وقيل كان فتحها على يد المغيرة بنفسه وكان جرير على مقدمته وقيل فتحها قرظة بن كعب الانصاري

﴿ذكر فتح قزوين وزنجان﴾

لما سير المغيرة جريرا الى همذان ففتحها سير البراء بن عازب في جيش الى قزوين وأمره أن يسير اليها فان فتحها غزا الديلم منها وانما كان مغزاهم قبل من دستبى فسار البراء حتى أتى أبهر وهو حصن فقاتلوه ثم طلبوا الامان فآمنهم وصالحهم ثم غزا قزوين فلما بلغ أهلها الخبر أرسلوا الى

وسار الى اليمامة فملكها وملك أولاده بعده فيقال لهم الاخيضريون وبنو يوسف أيضا وتولى الامرة بعده (محمد بن الحسن بن يوسف) ثم ولده (أبو جعفر أحمد بن الحسن) ثم تولى بعده ولده (أبو عبد الله محمد ابن أحمد) ولم تزل بيده الى أن غلب عليها القرامطة وتولى أيضا (صالح بن اسمعيل بن يوسف) ثم استقل بملك مكة بعد نواب بني العباس بنو سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط وملك بعض من هؤلاء معها المدينة وجمعوا الحرمين ثم انقرض الملك منهم لان آخرهم شكر لم يعقب وغلب عليها بنو هاشم وكانت وفاة شكر في سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وله شعر حسن منه

قوض خيامك عن أرض تضام بها
وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان في الاوطان منقصة
فالمندل الرطب في أوطانه حطب

ثم استقل بملك مكة الهواشم وأول من ملك منهم (أبو هاشم محمد) العلوى الحسنى ثم توفى محمد المذكور سنة

الديلم يطلبون النصرة فوعدوهم ووصل المسلمون اليهم فخرجوا لقتالهم والديلم وقوف على الجبل لا يعدون يدا فلما رأى اهل قزوين ذلك طلبوا الصلح على صلح أبهر وقال بعض المسلمين

قد علم الديلم اذ تحارب • حين أتى في جيشه ابن عازب
بأن ظن المشركين كاذب • فكم قطعنا في دجى الغياهب
من جبل وعر ومن سباسب

وغزا البراء الديلم حتى أدوا اليه الاتاوة وغزا جيلان والطيلسان وفتح زنجان عنوة ولما ولي الوليد بن عقبة الكوفة غزا الديلم وجيلان وموقان والبير والطيلسان ثم انصرف

(ذكر فتح الري)

ثم انصرف نعيم من واج روذ حتى قدم الري وخرج الزينبي أبو الفرخان من الري فلقي نعيما طالبا الصلح ومسالما ومخالفا لملك الري وهو سياوخش بن مهران بن بهرام جوبين فاستمد سياوخش أهل دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان فامدوه وخافوا من المسلمين فالتقوا مع المسلمين في سفح جبل الري الى جنب مدينتها فاقتتلوا به وكان الزينبي قال لنعيم ان القوم كثير وأنت في قلة فابعث معي خيلا ادخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به وناهدهم أنت فانهم اذا خرجنا عليهم لم يثبتوا لك فبعث معه نعيم خيلا من الليل عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو فادخلهم الزينبي المدينة ولا يشعر القوم وبيتهم نعيم بياتا فشغلهم عن مدينتهم فاقتتلوا وصبروا له حتى سمعوا التكبير من ورائهم فانهزموا فقتلوا مقتلة عدوا بالقصب فيها وأفاء الله على المسلمين بالري نحوا مما في المدائن وصالحه الزينبي على الري ومرزبه عليهم نعيم فلم يزل شرف الري في اهل الزينبي وأخرب نعيم مدينتهم وهي التي تقال العتيقة وأمر الزينبي فبنى مدينة الري الحدثى وكتب نعيم الى عمر بالفتح وأنفذ الاخماس وكان البشير المضارب العجلي وراسله المصمغان في الصلح على شيء يفتدي به منه على دنباوند فأجابه الى ذلك وقد قيل ان فتح الري كان على يد قرظة بن كعب وقيل كان فتحها سنة احدى وعشرين وقيل غير ذلك والله أعلم

(ذكر فتح قومس وجرجان وطبرستان)

لما ارسل نعيم الى عمر بالبشارة واخماس الري كتب اليه عمر يأمره بارسال أخيه سويد بن مقرن ومعه هند بن عمرو الجملي وغيره الى قومس فسار سويد نحو قومس فلم يقم له أحد فأخذها سلما وعسكر بها وكاتبه الذين لجؤا الى طبرستان منهم والذين أخذوا المفاوز فأجابهم الى الصلح والجزية وكتب لهم بذلك ثم سار سويد الى جرجان فعسكر بها ببسطام وكتب الى ملك جرجان وهو رزبان صول وكاتبه رزبان صول وصالحه على جرجان على الجزية وكفاية حرب جرجان وان يعينه سويد ان غلب فأجابه سويد الى ذلك وتلقاه رزبان صول قبل دخوله جرجان فدخل معه وعسكر بها حتى جبي الخراج وسمى فروجها فسدها بترك دهستان ورفع الجزية عمن قام بمنعها وأخذها من الباقين وقيل كان فتحها سنة ثمان عشرة وقيل سنة ثلاثين زمن عثمان قيل وراسل الاصبهبذ صاحب طبرستان سويدا في الصلح على أن يتوادعا ويجعل له شيئا على غير نصر ولا معونة على أحد فقبل ذلك منه وكتب له كتابا

(ذكر فتح طرابلس الغرب وبرقة)

لسبع وثمانين وأربعمائة عن نيف وتسعين سنة وملك بعده ابنه (قاسم بن أبي هاشم محمد) وتوفي في سنة سبع عشرة وخمسمائة وولي بعده ابنه (فليتة بن قاسم) وتوفي في سنة سبع وعشرين وخمسمائة وولي مكانه ابنه (قاسم بن فليتة) فلما قرب الحاج من مكة أحس بالشر فصادر المجاورين وأعيان مكة وأخذ أموالهم وهرب الى البرية فلما وصل الحاج الى مكة رتب أمير الحاج مكانه عمه (عيسى بن قاسم ابن أبي هاشم) فبقي الى شهر رمضان ثم ان قاسما المذكور جمع العرب وقصد عمه عيسى فلما قارب مكة رحل عنها عيسى وعاد قاسم فملكها ولم يكن معه ما يرضي به العرب فكاتبوا عمه عيسى وصاروا معه فقدم عيسى اليهم فهرب قاسم وصعد الى جبل أبي قبيس فسقط عن فرسه فأخذه اصحاب عمه فقتلوه ودفن بالمعلاة عند أبيه واستقرت امرة مكة لعيسى ثم توفي عيسى وولي مكانه ابنه (داود بن عيسى) وفي سنة سبع وثمانين وخمسمائة اخذ داود المذكور اموال الكعبة حتى انتزع طوقا من فضة كان على دائرة

في هذه السنة سار عمرو بن العاص من مصر الى برقة فصالحه أهلها على الجزية وان يبيعوا من أبنائهم من أرادوا بيعه فلما فرغ من برقة سار الى طرابلس الغرب فحاصرها شهرا فلم يظفر بها وكان قد نزل شرقيها فخرج رجل من بني مدلج يتصيد في سبعة نفر وسلكوا غرب المدينة فلما رجعوا اشتد عليهم الحر فأخذوا على جانب البحر ولم يكن السور متصلا بالبحر وكانت سفن الروم في مرساها مقابل بيوتهم فرأى المدلجي وأصحابه مسلكا بين البحر والبلد فدخلوا منه وكبروا فلم يكن للروم ملجأ الا سفنهم لانهم ظنوا ان المسلمين قد دخلوا البلد ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف في المدينة وسمعوا الصياح فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد فلم يفلت الروم الا بما خف معهم في مراكبهم وكان أهل حصن سبرة قد تحصنوا لما نزل عمرو على طرابلس فلما امتنعوا عليه بطرابلس امنوا واطمأنوا فلما فتحت طرابلس جند عمرو عسكرا كثيفا وسيره الى سبرة فصبحوها وقد فتح أهلها الباب وأخرجوا مواشيهم لتسرح لانهم لم يكن بلغهم خبر طرابلس فوقع المسلمون عليهم ودخلوا البلد مكابرة وغنموا ما فيه وعادوا الى عمرو ثم سار عمرو بن العاص الى برقة وبها لواتة وهم من البربر وكان سبب مسير البربر اليها والى غيرها من الغرب انهم كانوا بنواحي فلسطين من الشام وكان ملكهم جالوت فلما قتل سارت البرابر وطلبوا الغرب حتى اذا انتهوا الى لوبية ومراقية وهما كورتان من كور مصر الغربية تفرقوا فسارت زناتة ومغيلة وهما قبيلتان من البربر الى الغرب فسكنوا الجبال وسكنت لواتة أرض برقة وتعرف قديما بانطابلس وانتشروا فيها حتى بلغوا السوس ونزلت هوارة مدينة لبدة ونزلت نفوسة الى مدينة سبرة وجلا من كان بها من الروم لذلك وقام الافارق وهم خدم الروم على صلح يؤدونه الى من غلب على بلادهم وسار عمرو بن العاص كما ذكرنا فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها جزية وشرطوا ان يبيعوا من أرادوا من أولادهم في جزيتهم

ذكر فتح اذربيجان

قال فلما افتتح نعيم الري بعث سماك بن خرشة الانصاري وليس بأبي دجانة مددا لبكير بن عبد الله باذربيجان أمره عمر بذلك فسار سماك نحو بكير وكان بكير حين بعث اليها سار حتى اذا طلع بجبال جرميذان طلع عليهم اسفنديار بن فرخزاد مهزوما من واج روذ فكان أول قتال لقيه باذربيجان فاقتتلوا فهزم الفرس وأخذ بكير اسفنديار أسيرا فقال له اسفنديار الصلح احب اليك أم الحرب قال بل الصلح قال امسكني عندك فان أهل اذربيجان ان لم أصالح عليهم أو أجيء اليهم لم يقوموا لك وجلوا الى الجبال التي حولها ومن كان على التحصن تحصن الى يوم ما فامسكه عنده وصارت البلاد اليه الا ما كان من حصن وقدم عليه سماك بن خرشة مددا واسفنديار في اساره وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه وكتب بكير الى عمر يستأذنه في التقدم فأذن له أن يتقدم نحو الباب وان يستخلف على ما افتتحه فاستخلف عليه عتبة بن فرقد فأقر عتبة سماك بن خرشة على عمل بكير الذي كان افتتحه وجمع عمر اذربيجان كلها لعتبة بن فرقد وكان بهرام بن فرخزاد قد قصد طريق عتبة وأقام به في عسكره حتى قدم عليه عتبة فاقتتلوا فانهزم بهرام فلما بلغ خبره اسفنديار وهو في الاسر عند بكير قال الآن تم الصلح وطفئت الحرب فصالحه وأجاب الى ذلك أهل اذربيجان كلهم وعادت اذربيجان سلما وكتب بذلك بكير وعتبة الى عمر وبعثا بما خمسا ولما جمع

الحجر الاسود وكان ذلك قد لم شعثه حين ضرب به القرمطي بالدبوس وكان اخوه مكثر قد بنى على جبل ابي قبيس قلعة تحصن بها عند انهزامه من اخيه داود فلما بلغ صاحب مصر خبر داود عزله وولى مكانه اخاه (مكثرا) وامر بنقض القلعة التي على جبل ابي قبيس وما زالت امارة مكة له تارة ولاخيه مكثر تارة ثم غلب على الملك بنو قتادة الذين منهم امراء مكة والمدينة المنورة وينبع الآن وهؤلاء غير الثعالبة التي بالينبع فانهم بنو صرحة بن ادريس وكان من امر قتادة ان قتادة بن ادريس كان شيخا طويلا مهيبا جليلا شهما شجاعا وكانت له قلعة الينبع فلما رأى ضعف الهواشم غلب عليهم واقتلع مكة من يد مكثر المذكور وهو آخر امراء الهواشم بمكة في سنة تسع وتسعين وخمسمائة واستكثر جنده وخافته العرب في تلك البلاد خوفا عظيما وكانت ولايته قد اتسعت من حدود اليمن الى المدينة المنورة وكان قتادة لا يخاف من احد من الخلفاء والملوك ويرى انه احق بالامر منهم وكتب اليه الناصر لدين

عمر لعتبة على بكير كتب لاهل اذربيجان كتابا بالصلح وفيها قدم عتبة على عمر بالخبيص الذي كان أهدى له وكان عمر يأخذ عماله بموافاة الموسم كل سنة يمنعهم بذلك من الظلم

(ذكر فتح الباب)

في هذه السنة كان فتح الباب وكان عمر ردّ أبا موسى الى البصرة وبعث سراقة بن عمرو وكان يدعى ذا النور الى الباب وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة وكان أيضا يدعى ذا النور وجعل على احدى مجنبتيه حذيفة بن أسيد الغفاري وعلى الاخرى بكير بن عبد الله الليثي وكان بكير سبقه الى الباب وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة الباهلي فسار سراقة فلما خرج من اذربيجان قدم بكير الى الباب وكان عمر قد أمد سراقة بحبيب بن مسلمة من الجزيرة وجعل مكانه زياد بن حنظلة ولما أطل عبد الرحمن بن ربيعة على الباب والملك بها يومئذ شهربراز وهو من ولد شهريار الذي أفسد بني اسرائيل وأغزى الشام بهم فكاتبه شهربراز واستأمنه على أن يأتيه ففعل فأتاه فقال اني بازاء عدو كلب وأمم مختلفة ليست لهم احساب ولا ينبغي لذي الحسب والعقل ان يعينهم على ذي الحسب ولست من القبج ولا الارمن في شيء وانكم قد غلبتم على بلادي وأمتي فأنا منكم ويدي مع أيديكم وجزيتي اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون فلا تسوموننا الجزية فتوهنونا بعدوكم قال فسيره عبد الرحمن الى سراقة فلقيه بمثل ذلك فقبل منه سراقة ذلك وقال لا بد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو فأجابه الى ذلك وكتب سراقة في ذلك الى عمر فأجازه عمر واستحسنه

(ذكر فتح موقان)

لما فرغ سراقة من الباب أرسل بكير بن عبد الله وحبيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد وسلمان بن ربيعة الى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية فوجه بكيرا الى موقان وحبيبا الى تفليس وحذيفة الى جبال اللان وسلمان الى الوجه الآخر وكتب سراقة بالفتح الى عمر وبارسال هؤلاء النفر الى الجهات المذكورة فأتى عمر أمر لم يظن أن يستتم له بغير مؤنة لانه فرج عظيم وجند عظيم فلما استوسقوا واستحلوا الاسلام وعدله مات سراقة واستخلف عبد الرحمن بن ربيعة ولم يفتح أحد من أولئك القواد الا بكير فانه فض أهل موقان ثم تراجعوا على الجزية عن كل حالم دينار وكان فتحها سنة احدى وعشرين ولما بلغ عمر موت سراقة واستخلافه عبد الرحمن بن ربيعة أقر عبد الرحمن على فرج الباب وأمره بغزو الترك (أسيد في هذه التراجم بفتح الهمزة وكسر السين والنور في الموضعين بالراء)

(ذكر غزو الترك)

لما أمر عمر عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك خرج بالناس حتى قطع الباب فقال له شهربراز ما تريد ان تصنع قال أريد غزو بلنجر والترك قال انا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب قال عبد الرحمن لكنا لا نرضى حتى نغزوهم في ديارهم وبالله ان معنا أقواما لو يأذن لهم أميرنا في الامعان لبلغت بهم الروم قال وما هم قال أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا في هذا الامر بنية ولا يزال هذا الامر لهم دائما ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم فغزا بلنجر غزاة في زمن عمر فقالوا ما اجترأ علينا الا ومعه الملائكة تمنعهم من

الموت

الله صاحب مصر كتابا يستدعيه فكتب اليه هذه الابيات

ولي كف ضرغام أصول ببطشها
وأشري بها عز الورى وأبيع
وكل ملوك الارض تلثم ظهرها
وفي وسطها للمجدبين ربيع
أأجعلها تحت الرحا وأبتغي
خلاصا لها اني اذا لرقيع
وما انا الا المسك في كل بقعة
يضوع واما عندكم فيضيع

وكان عادلا منصفا ذا نعمة ثم عكس هذا الامر في آخر عمره واحدث المكوس ونهب الحاج غير مرة فقتله ابنه الحسن وكان له من العمر نحو تسعين سنة فلما استقر الملك (للحسن) المذكور ارسل الى اخيه الذي بقلعة ينبع على لسان ابيه يستدعيه فلما حضر اخوه عنده قتله ايضا وارتكب امرا عظيما بقتل ابيه وعمه واخيه فلا جرم ان الله تعالى سلبه ملكه ولم يمهله وكان لقتادة ابن آخر يقال له راجح وكان مقيما عند العرب بظاهر مكة ينازع اخاه الحسن في امرة مكة فلما قدم الملك مسعود ابن قيس مكة في رابع ربيع الاول سنة ست وعشرين وستمائة لقيه حسن بن قتادة في

الموت فهربوا منه وتحصنوا فرجع بالغنيمة والظفر وقد بلغت خيله البيضاء على رأس مائتى فرسخ من بلنجر وعادوا ولم يقتل منهم أحد ثم غزاهم أيام عثمان بن عفان غزوات فظفر كما كان يظفر حتى تبدل أهل الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتد استصلاحا لهم فزادهم فسادا فغزا عبد الرحمن بن ربيعة بعد ذلك فتذامرت الترك واجتمعوا فى الغياض فرمى رجل منهم رجلا من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه اصحابه فخرجوا عليه عند ذلك فاقتتلوا واشتد قتالهم ونادى مناد من الجو صبرا عبد الرحمن وموعدكم الجنة فقاتل عبد الرحمن حتى قتل وانكشف اصحابه واخذ الراية سلمان بن ربيعة اخوه فقاتل بها ونادى مناد من الجو صبرا آل سلمان فقال سلمان اوترى جزعا وخرج سلمان بالناس معه ابو هريرة الدوسى على جيلان فقطعوها الى جرجان ولم يمنعهم ذلك من اتخاذ جسد عبد الرحمن فهم يستسقون به الى الآن

﴿ ذكر تعديل الفتوح بين اهل الكوفة والبصرة ﴾

فى هذه السنة عدل عمر فتوح اهل الكوفة والبصرة بينهم وسبب ذلك ان عمر بن سراقة كتب الى عمر بن الخطاب يذكر له كثرة اهل البصرة وعجز خراجهم عنهم وسأله ان يزيدهم احد الماهين أو ماسبذان وبلغ أهل الكوفة ذلك وقالوا لعمار بن ياسر وكان على الكوفة أميرا سنة وبعض أخرى اكتب الى عمر ان رامهرمز وايذج لنا دونهم لم يعينونا عليهما ولم يلحقونا حتى افتتحناهما فلم يفعل عمار فقال له عطارد أيها العبد الاجدع فعلام ندع فيئنا فقال لقد سببت أحب أذنى الىّ فأبغضوه لذلك واختصم أهل الكوفة وأهل البصرة وادعى أهل البصرة قرى افتتحها أبو موسى دون أصبهان أيام أمدّه عمر بن الخطاب أهل الكوفة فقال لهم أهل الكوفة أتيتمونا مددا وقد افتتحنا البلاد فآسيناكم فى المغانم والذمة ذمتنا والارض أرضنا فقال عمر صدقوا فقال اهل الايام والقادسية ممن سكن البصرة فليعطونا نصيبنا مما نحن شركاؤكم فيه من سوادهم وحواشيهم فاعطاهم عمر مائة دينار برضا أهل الكوفة أخذها من شهد الايام والقادسية ولما ولى معاوية وكان هو الذى جند قنسرين ممن أتاه من اهل العراقين أيام علىّ وانما كان قنسرين رستاقا من رساتيق حمص فأخذ لهم معاوية حين ولى بنصيبهم من فتوح العراق واذربيجان والموصل والباب لانه من فتوح أهل الكوفة وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقلة انتقل اليها كل من نزل بهجرته من أهل البلدين أيام علىّ فاعطاهم معاوية من ذلك نصيبا وكفر اهل ارمينية أيام معاوية وقد أمّر حبيب بن مسلمة على الباب وحبيب يومئذ بجرزان وكاتب أهل تفليس وتلك الجبال من جرزان فاستجابوا له

﴿ ذكر عزل عمار بن ياسر عن الكوفة وولاية أبى موسى والمغيرة بن شعبة ﴾

وفيها عزل عمر بن الخطاب عمار بن ياسر عن الكوفة واستعمل أبا موسى وسبب ذلك ان أهل الكوفة شكوه وقالوا له انه لا يحتمل ما هو فيه وانه ليس بأمين وبرأ به اهل الكوفة فدعاه عمر فخرج معه وفد فكانوا أشد عليه ممن تخلف عنه وقالوا انه غير كاف وعالم بالسياسة ولا يدرى على ما استعملته وكان منهم سعد بن مسعود الثقفى عم المختار وجرير بن عبد الله فسعيا به فعزله عمر وقال عمر له ما ساءك العزل قال ما سرّنى حين استعملت ولقد ساءنى حين عزلت فقال له قد علمت ما انت بصاحب عمل ولكنى تأولت ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض

المسعى وقاتله بيلان مكة فانهزم الحسن وملك (المعواد) مكة واستولى عليها وذاق الحسن وبال امره بقتل ابيه وعمه واخيه وولى (اقسيس) بمكة واليامن قبله وعاد الى اليمن ومضى الحسن الى دمشق فلم يربها وجها ثم مضى الى بغداد فلم ير بها ايضا قبولا بل أرادوا قتله ولم تزل مكة فى ولاية اقسيس حتى مات سنة ست وعشرين وستمائة ولما تغلب على اليمن الملك المنصور عمر بن على بن رسول جهز العساكر الى مكة المكرمة ووليها (الشريف راجح بن قتادة) واستمر اميرا الى عام سبع وأربعين وستمائة فولى امرة مكة المشرفة (ابو سعد حسن بن على بن قتادة) واستمر أبو سعد المذكور ذلك الى ان قتل فى شوال سنة احدى وخمسين وستمائة قتله جماعة واستقر فى الامرة (جماز بن حسن بن قتادة) ثم عاد اليه راجح بن قتادة ثم أخذها من راجح ولده (غانم ابن راجح) ولم تزل مكة مع غانم بن راجح حتى اخذها منه (ادريس بن حسن بن قتادة) وأبو نمى محمد بن حسن ابن على بن قتادة) فى الخامس والعشرين من شوال عام

وجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ثم اقبل عمر على اهل الكوفة فقال من تريدون قالوا ابا موسى فأمره عليهم بعد عمار فأقام عليهم سنة فباع غلامه العلف فشكاه الوليد بن عبد شمس وجماعة معه وقالوا ان غلامه يتجر في جسرنا فعزله عنهم وصرفه الى البصرة وصرف عمر بن سراقة الى الجزيرة وخلا عمر في ناحية المسجد فنام فأتاه المغيرة بن شعبة فحرسه حتى استيقظ فقال ما فعلت هذا يا أمير المؤمنين الا من عظيم فقال وأى شئ اعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير واجتمعت الكوفة على مائة ألف مقاتل وأتاه اصحابه فقالوا ما شأنك فقال ان اهل الكوفة قد عضلوني واستشارهم فيمن يوليه وقال ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوى مسدد فقال المغيرة أما الضعيف المسلم فان اسلامه لنفسه وضعفه عليك واما القوى المسدد فان سداده لنفسه وقوته للمسلمين فولى المغيرة الكوفة فبقى عليها حتى مات عمر وذلك نحو سنتين وزيادة وقال له حين بعثه يا مغيرة ليأمنك الأبرار وليخفك الفجار ثم اراد عمر ان يبعث سعدا على عمل المغيرة فقتل عمر قبل ذلك فأوصى به

(ذكر فتح خراسان)

وفي هذه السنة غزا الاحنف بن قيس خراسان في قول بعضهم وقيل سنة ثمان عشرة وسبب ذلك ان يزدجرد لما سار الى الرى بعد هزيمة اهل جلولاء وانتهى اليها وعليها ابان جاذويه وثب عليه فأخذه فقال يزدجرد يا ابان تغدر بى قال لا ولكن قد تركت ملكك وصار في يد غيرك فأحببت ان أكتب على ما كان لى من شئ وأخذ خاتم يزدجرد واكتتب الصكاك بكل ما اعجبه ثم ختم عليها ورد الخاتم ثم أتى بعد سعدا فرد عليه كل شئ في كتابه وسار يزدجرد من الرى الى اصبهان ثم منها الى كرمان والنار معه ثم قصد خراسان فأتى مرو فنزلها وبنى للنار بيتا واطمأن وأمن من ان يؤتى ودان له من بقى من الاعاجم وكاتب الهرمزان وأثار اهل فارس فنكثوا وأثار اهل الجبال والفيرزان فنكثوا فأذن عمر للمسلمين فدخلوا بلاد الفرس فسار الاحنف الى خراسان فدخلها من الطبسين فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدى ثم سار نحو مرو الشاهجان فأرسل الى نيسابور مطرف بن عبد الله بن الشخير والى سرخس الحرث بن حسان فلما دنا الاحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد الى مرو الروذ حتى نزلها ونزل الاحنف مرو الشاهجان وكتب يزدجرد وهو بمرو الروذ الى خاقان والى ملك الصغد والى ملك الصين يستمدهم وخرج الاحنف من مرو الشاهجان واستخلف عليها حارثة بن النعمان الباهلى بعد ما لحقت به امداد اهل الكوفة وسار نحو مرو الروذ فلما سمع يزدجرد سار عنها الى بلخ ونزل الاحنف مرو الروذ وقدم اهل الكوفة الى يزدجرد واتبعهم الاحنف فالتقى اهل الكوفة ويزدجرد ببلخ فانهزم يزدجرد وعبر النهر ولحق الاحنف بأهل الكوفة وقد فتح الله عليهم فبلخ من فتوحهم وتتابع اهل خراسان من هرب وشذ على الصلح فيما بين نيسابور الى طخارستان وعاد الاحنف الى مرو الروذ فنزلها واستخلف على طخارستان ربعى بن عامر وكتب الاحنف الى عمر بالفتح فقال عمر وددت ان بيننا وبينها بحرا من نار فقال على لم يا امير المؤمنين قال لان اهلها سينتقضون منها ثلاث مرات فيجتاحون (٣) في الثالثة فكان ذلك بأهلها احب الى من ان يكون بالمسلمين وكتب عمر الى الاحنف ان يقتصر على ما دون النهر ولا يجوزه ولما عبر يزدجرد النهر

اثنين وخمسين وستمائة ثم أخذها من المذكورين برطاش قاصد صاحب اليمن فى ذى القعدة من السنة المذكورة ثم أخرجه منها الشريف بشان المذكوران ادريس وأبو نمى ثم أخرج ابو نمى ادريس من مكة واستقل بالامر ثم حصلت المشاركة بينهما ثم قتل ابو نمى ادريس فى حرب كان بينهما بخليص وانفرد أبو نمى بالامر حتى أخرجه منها (جماز بن شيحة الحسينى) صاحب المدينة (وغانم بن ادريس بن حسن بن قتادة) صاحب ينبع فى صفر سنة سبعين وستمائة ثم عاد (أبو نمى) الى مكة المكرمة بعد أربعين يوما واستمر الى ان أخرجه ثانيا (جماز بن شيحة) بمعاونة امير المنصور قلاوون صاحب مصر والشام وخطب لجماز المذكور وضربت السكة باسمه وبطل ذلك بعد مدة يسيرة من السنة المذكورة وعاد الشريف ابو نمى الى مكة ولم يزل بها حتى تركها لولديه (حميضة ورميثة) قبل وفاته بيومين وكانت وفاته فى رابع ثم صفر عام احدى وسبعمائة ثم ملكه قريبا من خمسين سنة واستقر حميضة ورميثة

مهزوما انجده خاقان فى الترك واهل فرغانة والصغد فرجع يزدجرد وخاقان الى خراسان فنزلا
بلخ ورجع اهل الكوفة الى الاحنف بمرو الروذ ونزل المشركون عليه بمرو أيضا وكان الاحنف
لما بلغه خبر عبور يزدجرد وخاقان النهر اليه خرج ليلا يتسمع هل يسمع برأى ينتفع به فمر برجلين
ينقيان علفا واحدهما يقول لصاحبه لو أسندنا الامير الى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا
خندقا وكان الجبل فى ظهورنا فلا يأتونا من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد رجوت ان
ينصرنا الله فرجع فلما أصبح جمع الناس ورحل بهم الى سفح الجبل وكان معه من اهل البصرة
عشرة آلاف ومن أهل الكوفة نحو منهم واقبلت الترك ومن معها فنزلت وجعلوا يغادونهم
القتال ويراوحونهم وفى الليل يتنحون عنهم فخرج الاحنف ليلة طليعة لاصحابه حتى اذا كان
قريبا من عسكر خاقان وقف فلما كان فى وجه الصبح خرج فارس الترك بطوقه فضرب بطبله
ثم وقف من العسكر موقفا يقفه مثله فحمل عليه الاحنف فتقاتلا فطعنه الاحنف فقتله وأخذ
طوق التركى ووقف فخرج آخر من الترك ففعل فعل صاحبه فحمل عليه الاحنف فتقاتلا
فطعنه فقتله وأخذ طوقه ووقف ثم خرج الثالث من الترك ففعل فعل الرجلين فحمل عليه
الاحنف فقتله ثم انصرف الاحنف الى عسكره وكانت عادة الترك انهم لا يخرجون حتى يخرج
ثلاثة من فرسانهم اكفاء كلهم يضرب بطبله ثم يخرجون بعد خروج الثالث فلما خرجوا تلك
الليلة بعد الثالث فأتوا على فرسانهم مقتلين تشاءم خاقان وتطير فقال قد طال مقامنا وقد أصيب
فرساننا ما لنا فى قتال هؤلاء القوم خير فرجعوا وارتفع النهار للمسلمين ولم يروا منهم احدا وأتاهم
الخبر بانصراف خاقان والترك الى بلخ وقد كان يزدجرد ترك خاقان مقابل المسلمين بمرو الروذ
وانصرف الى مرو الشاهجان فحصر حارثة بن النعمان ومن معه فحصرهم واستخرج خزائنه
من موضعها وخاقان مقيم ببلخ فلما جمع يزدجرد خزائنه وكانت كبيرة عظيمة وأراد ان يلحق بخاقان
قال له اهل فارس اى شئ تريد ان تصنع قال اريد اللحاق بخاقان فأكون معه او بالصين قالوا انه
ان هذا رأى سوء ارجع بنا الى هؤلاء القوم فنصالحهم فانهم أوفياء وهم اهل دين وان عدوا
يلينا فى بلادنا أحب الينا مملكة من عدو يلينا فى بلاده ولا دين لهم ولا ندرى ما وفاؤهم فأبى
عليهم فقالوا دع خزائننا نردها الى بلادنا ومن يلينا لا تخرجها من بلادنا فأبى فاعتزلوه وقاتلوه
فهزموه واخذوا الخزائن واستولوا عليها وانهزم منهم ولحق بخاقان وعبر النهر من بلخ الى فرغانة
واقام يزدجرد ببلاد الترك فلم يزل مقيما زمن عمر كله الى ان كفر اهل خراسان زمن عثمان وكان
يكاتبهم ويكاتبونه وسيرد ذكر ذلك فى موضعه ثم اقبل اهل فارس بعد رحيل يزدجرد على
الاحنف فصالحوه ودفعوا اليه تلك الخزائن والاموال وتراجعوا الى بلادهم وأموالهم على
أفضل ما كانوا عليه زمن الاكاسرة واغتبطوا بملك المسلمين وأصاب الفارس يوم يزدجرد
كسهمه يوم قادسية وسار الاحنف الى بلخ فنزلها بعد عبور خاقان النهر منها ونزل أهل الكوفة
فى كورها الاربع ثم رجع الى مرو الروذ فنزلها وكتب بفتح خاقان ويزدجرد الى عمر ولما عبر
خاقان ويزدجرد النهر لقيا رسول يزدجرد الذى أرسله الى ملك الصين فاخبرهما ان ملك الصين
قال له صف لى هؤلاء القوم الذين اخرجوكم من بلادكم فانى اراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم
ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم الا بخير عندهم وشر فيكم فقلت سلنى عما

فى الامرة حتى صرفهما أخواهما (أبو الغيث وعطيفة) ثم عادا وأظهرا عدلا وانبسطا المكوس ثم
ترل المخاصمة والمنازعة فى
الامرة بين الاخوين حميضة
ورميثة وأبو الغيث وعطيفة
فمنهم من قتل ومنهم من مات
حتى انتقلت امرة مكة الى
(عجلان بن رميثة) فى سنة
ثمان وأربعين وسبعمائة ثم
شاركه أخوه ثقبة بن رميثة
فمات عجلان وولى مكانه ولده
(أحمد بن عجلان) ولم يزل
أحمد اميرا بمكة المكرمة
حتى مات فى العشرين من
شعبان سنة ثمان وثمانين
وسبعمائة وولى بعده ابنه
(محمد بن احمد بن عجلان)
وكان قوى النفس عالى
الهمة شجاعا ولما توفى تولى
عمه (كبيش بن عجلان)
فقتل وتولى مكانه (على بن
عجلان) وشريكه (عنان بن
مغامس بن عجلان) ثم انهما
توجها الى مصر واعطى
الملك الظاهر عليا الاوخيلا
ورجع الى مكة وسار سيرة
حسنة واقام عنان بمصر معزولا
مسجونا فى القلعة حتى مات
بها وكانت مدته ثمان سنين
وشهرين وقرر مكانه اخاه
(حسن بن عجلان) وخطب
له على منبر المدينة المنورة
وفى سنة اثنتين وثمانمائة فى
عاشر جمادى الاولى حصل
بمكة فى الليلة العاشرة مطر
عظيم حتى هجم السيل
وبلغ الماء الى الباب ودخل البيت الشريف وخرب منازل كثيرة ومات فى السيل جماعة وفى هذه السنة فى شوال وقع بالحرم

أحييت فقال أيوفون بالعهد قلت نعم قال وما يقولون لكم قبل القتال قلت يدعوننا الى
واحدة من ثلاث اما دينهم فان أجبنا اجرونا مجراهم او الجزية والمنعة او المنابذة قال فكيف
طاعتهم امراءهم قلت أطوع قوم وأرشدهم قال عما يحلون وما يحرمون فاخبرته قال هل يحلون
ما حرم عليهم او يحرمون ما حلل لهم قلت لا قال فان هؤلاء القوم لا يزالون على ظفر حتى يحلوا
حرامهم او يحرموا حلالهم ثم قال اخبرنى عن لباسهم فاخبرته وعن مطاياهم فقلت الخيل
العراب ووصفتها له فقال نعمت الحصون ووصفت له الابل وبروكها وقيامها بحملها فقال
هذه صفة دواب طوال الاعناق وكتب معه الى يزدجرد انه لم يمنعنى ان ابعث اليك بجند أوله
بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق على ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لى رسولك لو
يحاولون الجبال لهدوها ولو خلا لهم سربهم أزالونى ما داموا على وصف فسالمهم وارض منهم
بالمسالمة ولا تهجهم ما لم يهيجوك فاقام يزدجرد بفرغانة ومعه آل كسرى بعهد من خاقان ولما
وصل خبر الفتح الى عمر بن الخطاب جمع الناس وخطبهم وقرأ عليهم كتاب الفتح وحمد الله فى
خطبته على انجاز وعده ثم قال الا وان ملك المجوسية قد هلك فليسوا يملكون من بلادهم شبرا
يضر بمسلم الا وان الله قد أورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وابناءهم لينظر كيف تعملون فلا
تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم فانى لا أخاف على هذه الامة ان تؤتى الا من قبلكم وقيل ان فتح
خراسان كان زمن عثمان وسيرد هنالك

(ذكر فتح شهرزور والصامغان)

لما استعمل عمر عزرة بن قيس على حلوان حاول فتح شهرزور فلم يقدر عليها فغزاها عتبة بن فرقد
ففتحها بعد قتال على مثل صلح حلوان فكانت العقارب تصيب الرجل من المسلمين فيموت وصالح
اهل الصامغان ودارا باذ على الجزية والخراج وقتل خلقا كثيرا من الاكراد وكتب الى عمر ان
فتوحى قد بلغ اذربيجان فولاه اياها وولى هرثمة بن عرفجة الموصل ولم تزل شهرزور واعمالها
مضمومة الى الموصل حتى أفردت عنها آخر خلافة الرشيد

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة غزا معاوية بلاد الروم ودخلها فى عشرة آلاف فارس من المسلمين وفيهم يزيد
ابن معاوية وعبد الملك بن مروان وحج بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب وكان عماله على
الامصار فيها عماله فى السنة قبلها الا الكوفة فان عامله كان عليها المغيرة بن شعبة والا البصرة
فان عامله عليها صار أبا موسى الاشعرى

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين)

قال بعضهم كان فتح اصطخر سنة ثلاث وعشرين وقيل كان فتحها بعد توج الآخرة

(ذكر الخبر عن فتح توج)

لما خرج أهل البصرة الذين توجهوا الى فارس امراء عليها وكان معهم سارية بن زنيم الكنانى
فساروا وأهل فارس مجتمعون بتوج فلم يقصدهم المسلمون بل توجه كل امير الى الجهة التى أمر بها
وبلغ ذلك اهل فارس فافترقوا الى بلدانهم كما افترق المسلمون فكانت تلك هزيمتهم وتشتت

امورهم

الشريف المكى حريق عظيم احترق ثلث الحرم واحترق مائة وثلاثون عمودا فصارت كا[illegible] واستمر الى سنة اثنتى عشرة
وثمانمائة فعزله السلطان وعين مكانه (على بن مبارك بن رميثة) ولم يتم أمره ومات وعاد الى الملك (حسن بن عجلان) المقدم ذكره وفى ربيع الاول سنة ثمان عشرة وثمانمائة عزل الشريف حسن وولى مكانه ابن أخيه (رميثة بن محمد بن عجلان) فلما بلغ حسنا خبر العزل أخذ من التجار المقيمين بمكة اموالا عظيمة وعاد الى الامرة وعزل رميثة فوقع الحرب بين حسن وبين رميثة وغلب حسن واستمر فى الامرة شريكا مع ولده (بركات) وفى سنة سبع وعشرين صرف الحسن عن الامرة وولى عوضه (على بن عنان بن مغامس) وفى أواخر سنة تسع وعشرين اعيد الحسن الى امرة مكة فاتفق انه مات يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة من هذه السنة وقدم ولده الشريف بركات من مكة الى القاهرة والتزم كل سنة بأن يحمل عشرة آلاف دينار وان يكون مكس جدة له وما يحصل من مراكب الهند يكون لصاحب مصر فتولى (بركات) واليا على مكة وكان حسن السيرة فى الناس ولما مات الاشرف واستقر الظاهر جقمق بمصر

أمورهم فقصد مجاشع بن مسعود لسابور واردشير خره فالتقى هو والفرس بتوج فاقتتلوا ماشاء الله ثم انهزم الفرس وقتلهم المسلمون كيف شاؤا كل قتلة وغنموا ما في عسكرهم وحصروا توج فافتتحوها وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا ما فيها وهذه توج الآخرة والاولى هي التي استنقذتها جنود العلاء بن الحضرمي أيام طاوس ثم دعوا الى الجزية فرجعوا وأقروا بها وارسل مجاشع ابن مسعود السلمي بالبشارة والاخماس الى عمر بن الخطاب

(ذكر فتح اصطخر وجور وغيرهما)

وقصد عثمان بن ابي العاص الثقفي لاصطخر فالتقى هو وأهل اصطخر بجور فاقتتلوا وانهزم الفرس وفتح المسلمون جور ثم اصطخر وقتلوا ماشاء الله ثم فر منهم من فر فدعاهم عثمان الى الجزية والذمة فأجابه الهربذ اليها فتراجعوا وكان عثمان قد جمع الغنائم لما هزمهم فبعث بخمسها الى عمر وقسم الباقي في الناس وفتح عثمان كازرون والنوبندجان وغلب على أرضها وفتح هو وأبو موسى مدينة شيراز وأرجان وفتحا سينيز على الجزية والخراج وقصد عثمان أيضا جنابا ففتحها ولقيه بجمع الفرس بناحية جهرم فهزمهم وفتحها ثم ان شهرك خلع في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان فوجه اليه عثمان بن أبي العاص ابنه وأتته الامداد من البصرة وأميرهم عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد فالتقوا بأرض فارس فقال شهرك لابنه وهما في المعركة وبينهما وبين قرية لهما تدعى شهرك ثلاثة فراسخ يابني أين يكون غداؤنا ههنا أم بشهرك قال له يا أبت ان تركونا فلا يكون غداؤنا ههنا ولا بشهرك ولا نكون الا في المنزل وما أراهم يتركوننا فما فرغا من كلامهما حتى نشب المسلمون الحرب فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل شهرك وابنه وخلق عظيم والذي قتل شهرك الحكم بن أبي العاص أخو عثمان وقيل قتله سوار بن همام العبدي حمل عليه فطعنه فقتله وحمل ابن شهرك على سوار فقتله وقيل ان اصطخر كانت سنة ثمان وعشرين وكانت فارس الآخرة سنة تسع وعشرين وقيل ان عثمان بن أبي العاص أرسل أخاه الحكم من البحرين في ألفين الى فارس ففتح جزيرة بركاوان في طريقه ثم سار الى توج وكان كسرى أرسل شهرك فالتقوا مع شهرك وكان الجارود وأبو صفرة على مجنبتي المسلمين وأبو صفرة هذا هو والد المهلب فحمل الفرس على المسلمين فهزموهم فقال الجارود أيها الامير ذهب الجند فقال سترى أمرك قال فما لبثوا حتى رجعت خيل لهم ليس عليها فرسانها والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم فنثرت الرؤس فرأى المكعبر رأسا ضخما فقال أيها الامير هذا رأس الازدهاق يعني شهرك وحوصر الفرس بمدينة سابور فصالح عليها ملكها ازرنبان فاستعان به الحكم على قتال أهل اصطخر ومات عمر وبعث عثمان ابن عفان عبيد الله بن معمر مكانه فبلغ عبيد الله ان ازرنبان يريد الغدر به فقال له أحب ان تتخذ لاصحابي طعاما وتذبح لهم بقرة وتجعل عظامها في الجفنة التي تليني فاني أحب أن أتمشش العظام ففعل وجعل يأخذ العظم الذي لا يكسر الا بالفؤس فيكسره بيده ويأخذ مخه وكان من أشد الناس فقام ازرنبان فأخذ برجله وقال هذا مقام العائذ بك وأعطاه عهدا وأصابت عبيد الله منجنيق فأوصاهم وقال انكم ستفتحون هذه المدينة ان شاء الله فاقتلوهم بي ساعة فيها ففعلوا فقتلوا منهم بشرا كثيرا ومات عبيد الله بن معمر وقيل ان قتله كان سنة تسع وعشرين

(ذكر فتح فسا ودارابجرد)

عزله وولى مكانه أخاه (عليا) أميرا على مكة عوضا عن أخيه بركات وفي سنة خمسين وثمانمائة توجه السيد محمد بن بركات الى القاهرة لاعادة الامرة لابيه الشريف (بركات) فأجيب لذلك وأعيد وكان ملكا شهما عارفا بالامور واستمر متوليا على مكة المكرمة الى عام تسعة وخمسين وثمانمائة فمات وتولى مكانه (محمد بن بركات) وحصل للناس في أيامه الامن الزائد وكان عاقلا بشوشا عفيفا أديبا شجاعا وفوض اليه نيابة السلطنة بالاقطار الحجازية والاستنابة في المدينة المنورة وينبع من يختاره وصرح باسمه على منابر الحرمين بعد السلطان وتوفي في شهر محرم سنة ثلاث وتسعمائة وخلف ستة عشر ولدا ذكرا وتولى مكانه الشريف (بركات بن محمد بن بركات) وكان قائم الناموس وافر الحرمة والحشمة واستمر في الامارة الى أن وقعت كائنة في موسم عام ست وتسعمائة حصل بسببها استيلاء الشريف (هزاع بن محمد بن بركات) على مكة المشرفة ثم مكث بها مدة وتولى مكانه الشريف (جازان بن محمد) في أوائل سنة ثمان وتسعمائة ولم يزل

وقصد سارية بن زنيم الدئلى فسا ودارابجرد حتى انتهى الى عسكرهم فنزل عليهم وحاصرهم ماشاء الله ثم انهم استمدوا وتجمعوا وتجمعت اليهم اكراد فارس فدهم المسلمين أمر عظيم وجمع كثير وأتاهم الفرس من كل جانب فرأى عمر فيما يرى النائم تلك الليلة معركتهم وعددهم فى ساعة من النهار فنادى من الغد الصلاة جامعة حتى اذا كان فى الساعة التى رأى فيها ما رأى خرج اليهم وكان ابن زنيم والمسلمون بصحراء ان أقاموا فيها أحيط بهم وان استندوا الى جبل من خلفهم لم يؤتوا الا من وجه واحد فقام فقال يا ايها الناس انى رأيت هذين الجمعين واخبر بحالهما وصاح عمر وهو يخطب يا سارية بن زنيم الجبل الجبل ثم اقبل عليهم وقال ان لله جنودا ولعل بعضها ان تبلغهم فسمع سارية ومن معه الصوت فلجؤا الى الجبل ثم قاتلوهم فهزمهم الله واصاب المسلمون مغانمهم واصابوا فى الغنائم سفطا فيه جوهر فاستوهبه منهم سارية وبعث به وبالفتح مع رجل الى عمر فقدم على عمر وهو يطعم الطعام فأمره فجلس وأكل فلما انصرف عمر تبعه الرسول فظن عمر انه لم يشبع فأمره فدخل بيته فلما جلس أتى عمر بغدائه خبز وزيت وملح جريش فأكلا فلما فرغا قال الرجل أنا رسول سارية يا أمير المؤمنين قال مرحبا وأهلا ثم أدناه حتى مس ركبته وسأله عن المسلمين فأخبره بقصة الدرج فنظر اليه وصاح به لا ولا كرامة حتى يقدم على ذلك الجند فيقسمه بينهم فطرده فقال يا أمير المؤمنين انى قد أنضيت جملى واستقرضت فى جائزتى فأعطنى ما أتبلغ به فما زال به حتى أبدله بعيرا من ابل الصدقة وجعل بعيره فى ابل الصدقة ورجع الرسول مغضوبا عليه محروما وسأل أهل المدينة الرسول هل سمعوا شيأ يوم الوقعة قال نعم سمعنا يا سارية الجبل الجبل وقد كدنا نهلك فلجأنا اليه ففتح الله علينا

(ذكر فتح كرمان)

ثم قصد سهيل بن عدى كرمان ولحقه أيضا عبد الله بن عبد الله بن عتبان وحشد لهم أهل كرمان واستعانوا عليهم بالقفص فاقتتلوا فى أدانى أرضهم ففض الله تعالى المشركين وأخذ المسلمون عليهم الطريق وقتل النسير بن عمرو العجلى مرزبانها فدخل النسير من قبل طريق القرى اليوم الى جيرفت وعبد الله بن عبد الله من مفازة شير فأصابوا ما أرادوا من بعير أو شاء فقوموا الابل والغنم فتحاصوها بالاثمان لعظم البخت على العرب وكرهوا ان يزيدوا وكتبوا الى عمر بذلك فأجابهم اذا رأيتم ان فى البخت فضلا فزيدوا وقيل ان الذى فتح كرمان عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى فى خلافة عمر ثم أتى الطبسين من كرمان ثم قدم على عمر فقال أقطعنى الطبسين فأراد أن يفعل فقيل انهما رستاقان فامتنع عمر من ذلك

(ذكر فتح سجستان)

وقصد عاصم بن عمرو سجستان ولحقه عبد الله بن عمير فاستقبلهم أهلها فالتقوا هم وأهل سجستان فى أدانى أرضهم فهزمهم المسلمون ثم اتبعوهم حتى حصروهم بزرنج ومخروا أرض سجستان ما شاؤا ثم انهم طلبوا الصلح على زرنج وما احتازوا من الارضين فأعطوا وكانوا قد اشترطوا فى صلحهم ان فدافدها حمى فكان المسلمون يتجنبونها خشية ان يصيبوا منها شيأ فيخفروا وأقيم أهل سجستان على الخراج وكانت سجستان أعظم من خراسان وأبعد فروجا يقاتلون القندهار والترك وامما كثيرة فلم يزل كذلك حتى كان زمن معاوية فهرب الشاه من اخيه رتبيل الى بلد

بها الى أن قتل فى شهر رجب وأقيم عوضه الشريف (حميضة) واستمر مقبلها الى ان وصل الخبر بتفويض الامر الى الشريف بركات المشار اليه وان يختاره فاختار تقديم اخيه الشريف (قايتباى) فى امرة مكة المشرفة واشرك معه ولده الشريف (على ابن بركات) تابعه وكان يدبر جميع الامور بنفسه ولما توفى ولده الشريف على استقر عوضه فى النيابة عن عمه اخو الشريف (محمد) الثانى واستمر الى أن توفى واستقر عوضه اخوه الشريف (ابونمى بن بركات) واستقرت الاحوال على أحسن نظام الى ان قدر الله وفاة الشريف قايتباى فعين للشريف بركات ان يقدم نجله السعيد الشريف ابانمى فجهزه الى القاهرة وافدا على السلطان الملك الاشرف قانصوه الغورى فأعاده مجبورا منصورا واستقر فى النيابة عن والده واستمر والده فى امرة مكة والمدينة وينبع وسائر الاقطار الحجازية يتصرف فيها كيف يشاء وهذا ما وجد فى التواريخ المستفادة ممن ولى مكة من آل قتادة وفى سنة احدى وثلاثين وتسعمائة توفى

فيها يدعى آمل ودان اسلم بن زياد وهو يومئذ على سجستان وعقدلهم وأنزلهم البلاد وكتب الى معاوية بذلك يرى انه فتح عليه فقال معاوية ان ابن أخى ليفرح بامارته ليحزننى قال ولم ياأمير المؤمنين قال ان آمل بلدة بينها وبين زرنج صعوبة وتضايق وهؤلاء قوم غدر فاذا اضطرب الجبل غدرا فأهون ما يجئ منهم انهم يغلبون على بلاد آمل بأسرها وأقرهم على عهد سلم بن زياد فلما وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه وغلب على آمل واعتصم منه رتبيل بمكانه ولم يرضه ذلك حين تشاغل عنه الناس حتى طمع فى زرنج فغزاها وحصر من بها حتى أتتهم الامداد من البصرة وصار رتبيل والذين معه عصبة وكانت تلك البلاد مذللة الى ان مات معاوية وقيل فى فتح سجستان غير هذا وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر فتح مكران ﴾

وقصد الحكم بن عمرو التغلبى مكران حتى انتهى اليها ولحق به شهاب بن المخارق وسهيل بن عدى وعبد الله بن عبد الله بن عتبان فانتهوا الى دوين النهر وأهل مكران على شاطئه فاستمد ملكهم ملك السند فأمده بجيش كثيف فالتقوا مع المسلمين فانهزموا وقتل منهم فى المعركة مقتلة عظيمة واتبعهم المسلمون يقتلونهم أياما حتى انتهوا الى النهر ورجع المسلمون الى مكران فأقاموا بها وكتب الحكم الى عمر بالفتح وبعث اليه بالاخماس مع صحار العبدى فلما قدم المدينة سأله عمر عن مكران فقال يا أمير المؤمنين هى أرض سهلها جبل وماؤها وشل وتمرها دقل وعدوها بطل وخيرها قليل وشرها طويل والكثير بها قليل والقليل فيها ضائع وما وراءها شر منها فقال اسجاع أنت أم مخبر لا والله لا يغزوها جيش لى أبدا وكتب الى سهيل والحكم بن عمرو أن لا يجوزن مكران أحد من جنودكما وأمرهما ببيع الفيلة التى غنمها المسلمون ببلاد الاسلام وقسم أثمانها على الغانمين (مكران بضم الميم وسكون الكاف)

﴿ ذكر خبر بيروذ من الاهواز ﴾

ولما فصلت الخيول الى الكور اجتمع ببيروذ جمع عظيم من الاكراد وغيرهم وكان عمر قد عهد الى أبى موسى ان يسير الى أقصى ذمة البصرة حتى لا يؤتى المسلمون من خلفهم وخشى أن يهلك بعض جنوده أو يخلفوا فى أعقابهم فاجتمع الاكراد ببيروذ وأبطأ أبو موسى حتى تجمعوا ثم سار فنزل بهم ببيروذ فالتقوا فى رمضان بين نهر تيرى ومناذر فقام المهاجر بن زياد وقد تحنط واستقبل وعزم أبو موسى على الناس فأفطروا وتقدم المهاجر فقاتل قتالا شديدا حتى قتل ووهن الله المشركين حتى تحصنوا فى قلة وذلة واشتد جزع الربيع بن زياد على أخيه المهاجر وعظم عليه فقده فرق له أبو موسى فاستخلفه عليهم فى جند وخرج أبو موسى حتى بلغ أصبهان واجتمع بها بالمسلمين الذين يحاصرون جيا فلما فتحت رجع أبو موسى الى البصرة وفتح الربيع بن زياد الحارثى بيروذ من نهر تيرى وغنم ما معهم ووفد أبو موسى وفدا معهم الاخماس فطلب ضبة بن محصن العنزى ان يكون فى الوفد فلم يجبه أبو موسى وكان أبو موسى قد اختار من سبى بيروذ ستين غلاما فانطلق ضبة الى عمر شاكيا وكتب أبو موسى الى عمر يخبره فلما قدم ضبة على عمر سلم عليه فقال من انت فأخبره فقال لا مرحبا ولا اهلا فقال اما المرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل ثم سأله عمر عن حاله فقال ان اباموسى انتقى ستين غلاما من ابناء الدهاقين لنفسه وله جارية تغدى بجفنة وتعشى

الشريف بركات والدابى نمى ودفن بالمعلاة واستقل بالامرة بعده ولده الشريف (ابونمى) وعاش مدة مديدة حتى توفى فى الحرم سنة احدى وتسعين وتسعمائة وعمره اثنان وثمانون سنة وقد رايته سنة ثمان وسبعين وهو محرم وهو فى غاية القوة والصلابة بهذا العمر وتولى مكانه ولده الشريف (حسن) وهو الآن امير بمكة فى الدولة المؤيدة العثمانية واستناب ولده الشريف (حسينا) على الاقطار الحجازية على قاعدة اسلافه الزكية وكان فى غاية اللطف والملاءمة فمات وولى مكانه ولده الشريف (مسعود) وكان ظالما جائرا فلم تطل مدته ومات فولى مكانه اخوه (ابو طالب بن حسن بن ابى نمى) وهو الآن امير يرجى منه الخير توفى الحسن والد المذكور فى ثالث جمادى الآخرة سنة عشر والف ولابى طالب المشار اليه سيرة حسنة لاسيما بقتله عبد الرحمن بن عتيق عليه ما يستحق توفى ابو طالب فى تاسع عشر جمادى الثانية سنة اثنتى عشرة بعد الالف وتولى مكانه اخوه (ادريس) بن الشريف حسن بن ابى نمى والسيد

بحقنة تدعى عقيلة وله قفيزان وله خاتمان وفوض الى زياد بن ابى سفيان امور البصرة واجاز الحطيئة بألف فاستدعى عمر أباموسى فلما قدم عليه حجبه أياما ثم استدعاه فسأل عمر ضبة عما قال فقال أخذ ستين غلاما لنفسه فقال أبوموسى دللت عليهم وكان لهم فداء ففديتهم وقسمته بين المسلمين فقال ضبة ما كذب ولا كذبت فقال له قفيزان فقال أبوموسى قفيز لاهلى أقوتهم به وقفيز للمسلمين فى أيديهم يأخذون به أرزاقهم فقال ضبة ما كذب ولا كذبت فلما ذكر عقيلة سكت ابوموسى ولم يعتذر فعلم ان ضبة قد صدقه قال وولى زيادا قال رايت له رايا ونبلا فأسندت اليه عملى قال واجاز الحطيئة بألف قال سددت فمه بمالى ان يشتمنى فرده عمر وامره ان يرسل اليه زيادا وعقيلة ففعل فلما قدم عليه زياد سأله عن حاله وعطائه والفرائض والسنن والقرآن فرآه فقيها فرده وامر امراء البصرة ان يسيروا برأيه وحبس عقيلة بالمدينة وقال عمر الا ان ضبة غضب على ابى موسى وفارقه مراغما أن فاته امر من امر الدنيا فصدق عليه وكذب فأفسد كذبه صدقه فاياكم والكذب فانه يهدى الى النار (بيروذ بفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وضم الراء وسكون الواو وآخره ذال معجمة)

(ذكر خبر سلمة بن قيس الاشجعى والاكراد)

كان عمر اذا اجتمع اليه جيش من المسلمين امر عليهم اميرا من اهل العلم والفقه فاجتمع اليه جيش من المسلمين فبعث عليهم سلمة بن قيس الاشجعى فقال سر باسم الله قاتل فى سبيل الله من كفر بالله فاذا لقيتم عدوكم فادعوهم الى الاسلام فان اجابوا واقاموا بدارهم فعليهم الزكاة وليس لهم من الفىء نصيب وان ساروا معكم فلهم مثل الذى لكم وعليهم مثل الذى عليكم وان ابوا فادعوهم الى الجزية فان اجابوا فاقبلوا منهم وان ابوا فقاتلوهم وان تحصنوا منكم وسألوكم ان ينزلوا على حكم الله ورسوله او ذمة الله ورسوله فلا تجيبوهم فانكم لا تدرون اتصيبون حكم الله ورسوله وذمتهما ام لا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا ولا تمثلوا قال فسار واحتى لقوا عدوا من الاكراد المشركين فدعوهم الى الاسلام او الجزية فلم يجيبوا فقاتلوهم فهزموهم وقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية فقسمه بينهم ورأى سلمة جوهرا فى سفط فاسترضى عنه المسلمين وبعث به الى عمر فقدم الرسول بالبشارة وبالسفط على عمر فسأله عن امور الناس وهو يخبره حتى اخبره بالسفط فغضب غضبا شديدا وامر به فوجئ به فى عنقه ثم انه قال ان تفرق الناس قبل ان تقدم عليهم ويقسمه سلمة فيهم لأسوءنك فسار حتى قدم على سلمة فباعه وقسمه فى الناس وكان الفص يباع بخمسة دراهم وقيمته عشرون الفا وحج بالناس هذه السنة عمر بن الخطاب وحج معه ازواج النبى صلى الله عليه وسلم وهى آخر حجة حجها وفيها قتل عمر رضى الله عنه

(ذكر الخبر عن مقتل عمر رضى الله عنه)

قال المسور بن مخرمة خرج عمر بن الخطاب يطوف يوما فى السوق فلقيه ابو لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة وكان نصرانيا فقال يا امير المؤمنين أعدنى على المغيرة بن شعبة فان على خراجا كثيرا قال وكم خراجك قال درهمان كل يوم قال وايش صناعتك قال نجار نقاش حداد قال فما ارى خراجك كثيرا على ما تصنع من الاعمال قد بلغنى انك تقول لو أردت ان اصنع رحى تطحن بالريح لفعلت قال نعم قال فاعمل لى رحى قال لئن سلمت لاعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب

الباب الخامس عشر فى ذكر اقبال اليمن ولمع من اخبار الاسكندر وسيف بن ذى يزن

قال المسعودى تنازع الناس فى اليمن وتسميته يمنا فمنهم من زعم انه انما سمى يمنا لانه عن يمين الكعبة واول من تولى الملك والرياسة باليمن (يعرب بن قحطان) جمع اخوته واستولى على جميع اليمن سنين متطاولة وهو اول من نطق بالعربية واول من حياه ولده بتحية الملك ابيت اللعن وأنعم صباحا وذكر السيوطى ان اول من كتب بالعربية حرب ابن امية قيل له من أين تعلمته قال من عبد الله بن جدعان وهو اخذه من طريق كاتب الوحى لهود عليه السلام فلما هلك يعرب ملك بعده ابنه (يشجب بن يعرب) تولى الملك بعد والده سنين كثيرة ثم ملك بعده ابنه (عبد شمس) ولما ملك اكثر الغزو فى اقطار البلاد وسبى خلقا كثيرا وهو اول من فعل ذلك من ولد قحطان فسمى سبا وهو الذى بنى السد بأرض مأرب باليمن وجر اليه سبعين نهرا وساق اليه السيول من أمد بعيدة على بعض الاقوال وكان

ثم انصرف عنه فقال عمر لقد اوعدني العبد الآن ثم انصرف عمر الى منزله فلما كان الغد جاءه
كعب الاحبار فقال له يا أمير المؤمنين اعهد فانك ميت في ثلاث ليال قال وما يدريك قال أجده
في كتاب التوراة قال عمر اتجد عمر بن الخطاب في التوراة قال اللهم لا ولكني اجد حليتك
وصفتك وانك قد فني أجلك قال وعمر لا يحس وجعا فلما كان الغد جاءه كعب فقال بقي يومان
فلما كان الغد جاءه كعب فقال مضى يومان وبقي يوم فلما اصبح خرج عمر الى الصلاة وكان يوكل
بالصفوف رجالا فاذا استوت كبر ودخل أبو لؤلؤة في الناس وبيده خنجر له رأسان نصابه في وسطه
فضرب عمر ست ضربات احداهن تحت سرته وهي التي قتلته وقتل معه كليب بن ابي البكير الليثي
وهو خلفه وقتل جماعة غيره فلما وجد عمر حر السلاح سقط وأمر عبد الرحمن بن عوف فصلى
بالناس وعمر طريح فاحتمل فادخل بيته ودعا عبد الرحمن فقال له اني أريد ان أعهد اليك
قال اتشير علي بذلك قال اللهم لا قال والله لا ادخل فيه ابدا قال فهبني صمتا حتى اعهد الى
النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ثم دعا عليا وعثمان والزبير وسعدا
فقال انتظروا أخاكم طلحة ثلاثا فان جاء والا فاقضوا امركم انشدك الله يا علي ان وليت من أمور
الناس شيأ أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس أنشدك الله يا عثمان ان وليت من امور الناس
شيأ أن تحمل بني ابي معيط على رقاب الناس أنشدك الله يا سعد ان وليت من أمور الناس شيأ
أن تحمل أقاربك على رقاب الناس قوموا فتشاوروا ثم اقضوا امركم وليصل بالناس صهيب ثم
دعا أبا طلحة الانصاري فقال قم على بابهم فلا تدع أحدا يدخل اليهم وأوصي الخليفة من بعدي
بالانصار الذين تبوؤا الدار والايمان ان يحسن الى محسنهم ويعفو عن مسيئهم وأوصي الخليفة
بالعرب فانهم مادة الاسلام ان يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في فقرائهم وأوصي الخليفة
بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوفي لهم بعهدهم اللهم هل بلغت لقد تركت الخليفة
من بعدي على أنقى من الراحة يا عبد الله بن عمر اخرج فانظر من قتلني قال يا امير المؤمنين قتلك أبو
لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة
يا عبد الله بن عمر اذهب الى عائشة فسلها ان تأذن لي ان أدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي
بكر يا عبد الله ان اختلف القوم فكن مع الاكثر فان تشاوروا فكن مع الحزب الذي فيه عبد
الرحمن بن عوف يا عبد الله ائذن للناس فجعل يدخل عليه المهاجرون والانصار فيسلمون عليه
ويقول لهم اهذا عن ملا منكم فيقولون معاذ الله قال ودخل كعب الاحبار مع الناس فلما
رآه عمر قال

توعدني كعب ثلاثا اعدها * ولا شك ان القول ما قال لي كعب
وما بي حذار الموت اني لميت * ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

ودخل عليه علي يعوده فقعد عند رأسه وجاء ابن عباس فاثنى عليه فقال له عمر انت لي بهذا يا ابن
عباس فاومأ الى علي أن قل نعم فقال ابن عباس نعم فقال عمر لا تغرني أنت وأصحابك ثم قال يا عبد
الله خذ رأسي عن الوسادة فضعه في التراب لعل الله جل ذكره ينظر الي فيرحمني والله لو ان لي
ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع ودعي له طبيب من بني الحرث بن كعب فسقاه
نبيذا فخرج غير متغير فسقاه لبنا فخرج كذلك ايضا فقال له اعهد يا أمير المؤمنين قال قد فرغت

فرسخا في فرسخ وكانت مدة
ملكه أربعمائة سنة وهو
المذكور في قوله تعالى لقد
كان لسبأ في مسكنهم آية
جنتان عن يمين وشمال
كلوا من رزق ربكم
واشكروا له بلدة طيبة
ورب غفور الآية ومدينة
سبا كانت على ثلاث فراسخ
من صنعاء ومن جملة طيبتها
اثنتا عشرة طيبة (الاولى) لا
عقرب فيها ولا حية ولا نملة ولا
جراد ولا براغيث ولا بعوضة
ولا بق ولا فار (والثانية) ان
الرجل اذا مر ببلادهم وفي
ثوبه القمل والبراغيث فتموت
من طيب الهواء (والثالثة)
لم يكن فيها مريض واذا أتى
المريض من مسيرة ألف
فرسخ يشفيه الله تعالى من
مرضه لانه كان يهب فيها
نسيم الجنة متى يصل الى
جسد المريض يبرأ من
مرضه (والرابعة) اذا أتوا
بذي العاهات الذي لم يوجد
لمرضه دواء فاذا دخلوا به في
تلك المدينة يشفيه الله تعالى
من ساعته بفضله
(والخامسة) لم يكن فيها
اعمى ولا أعور ولا احول
ولا اخرس ولا زمن ولا
أعرج ولا مجنون وما أشبه
ذلك (والسادسة) اذا اتي
بالمجنون من البلدان ودخل
في حدود البلد واغتسل
من مائها يبريه الله من

ولما احتضر ورأسه في حجر ولده عبدالله قال

ظلوم لنفسي غير اني مسلم * أصلي الصلاة كلها واصوم

ولم يزل يذكر الله تعالى ويديم الشهادة الى ان توفي ليلة الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وقيل طعن يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة ودفن يوم الاحد هلال محرم سنة أربع وعشرين وكانت ولايته عشر سنين وستة اشهر وثمانية أيام وبويع عثمان لثلاث مضين من المحرم وقيل كانت وفاته لاربع بقين من ذي الحجة وبويع عثمان لليلة بقيت من ذي الحجة واستقبل بخلافته هلال محرم سنة أربع وعشرين وكانت خلافة عمر على هذا القول عشر سنين وستة اشهر وأربعة أيام وصلى عليه صهيب وحمل الى بيت عائشة ودفن عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ونزل في قبره عثمان وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وعبدالله بن عمر

﴿ ذكر نسب عمر وصفته وعمره ﴾

فاما نسبه فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي وكنيته أبو حفص وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهي ابنة عم ابي جهل وقد زعم من لا معرفة له انها أخت أبي جهل وليس بشيء وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاروق وقيل بل سماه أهل الكتاب واما صفته فكان طوالا آدم اصلع اعسر يسر يعني يعمل بيديه وكان لطوله كأنه راكب وقيل كان أبيض أمهق يعني شديد البياض تعلوه حمرة طوالا اصلع أشيب وكان يصفر لحيته ويرجل رأسه وكان مولده قبل الفجار بأربع سنين وكان عمره خمسا وخمسين سنة وقيل ابن ستين سنة وقيل ابن ثلاث وستين سنة وأشهر وهو الصحيح وقيل ابن احدى وستين سنة (رياح بكسر الراء وبالياء تحتها نقطتان)

﴿ ذكر أسماء ولده ونسائه ﴾

تزوج عمر في الجاهلية زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح فولدت له عبدالله وعبد الرحمن الاكبر وحفصة وتزوج مليكة بنت جرول الخزاعي في الجاهلية فولدت له عبيدالله بن عمر ففارقها في الهدنة فخلفه عليها أبو جهم بن حذيفة وقتل عبيدالله بصفين مع معاوية وقيل كانت أمه ام زيد الاصغر ام كلثوم بنت جرول الخزاعي وكان الاسلام فرق بينها وبين عمر وتزوج قريبة بنت أبي أمية المخزومي في الجاهلية ففارقها في الهدنة ايضا فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فكانا سلفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لان قريبة أخت ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وتزوج ام حكيم بنت الحرث بن هشام المخزومي في الاسلام فولدت له فاطمة فطلقها وقيل لم يطلقها وتزوج جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الافلح الاوسي الانصاري في الاسلام فولدت له عاصما فطلقها ثم تزوج ام كلثوم بنت علي بن أبي طالب وامها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واصدقها اربعين ألفا فولدت له رقية وزيدا وتزوج فكيهة امرأة من اليمن فولدت له عبد الرحمن الاوسط وقيل الاصغر وقيل كانت عنده فكيهة ام ولد فولدت له زينب وهي أصغر ولد عمر وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قبله عند عبد الله بن ابي بكر الصديق فقتل عنها فلما مات عمر تزوجها الزبير

ابن

ساعة (والسابعة) اذا زرعوا وادرك الحصاد وحصدوه وجمعوه في البيدر ودقوه فعند ذلك يرسل الله تعالى ريحا فيخلص الحبة من التبن (والثامنة) الثياب التي يلبسونها في الصيف لا يزيدون عليها في الشتاء ولا ينقصون في الصيف (والتاسعة) لم يكن فيها حر الشمس مثل حر سائر البلدان حتى يحتاجوا الى البرودة (والعاشرة) اذا تزوج الرجل امرأة وجدها بكرا كلما يأتيها (والحادية عشرة) اذا ارادت المرأة ان تضع حملها لم تجد الالم والوجع مثل ما تجد في زماننا بان يرسل الله تبارك وتعالى النوم على المرأة ثم تستيقظ من نومها فتجد الولد قد انفصل منها مقطوع السرة وقد طهرت من تمامها في الحال (والثانية عشرة) اذا البست المرأة ولدها قميصا ولو كان صغيرا فكلما كبر الولد كبر القميص معه وكان الله تعالى قد أعطى لهم النعمة على هذه الصورة فطلب منهم الطاعة على لسان نبيهم الذي بعث اليهم كان اسمه اثنيا على نبينا وعليه السلام ولم يطيعوه فارسل الله عليهم سيل العرم فلما رأوا ذلك جمعوا الحدادين والصناعين وبنوا حول المدينة سورا

ابن العوام فقتل عنها ايضا فخطبها علي فقالت لا أفعل انى آضن بك عن القتل فانك بقية الناس فتركها وخطب ام كلثوم ابنة أبي بكر الصديق الى عائشة فقالت ام كلثوم لا حاجة لي فيه انه خشن العيش شديد على النساء فارسلت عائشة الى عمرو بن العاص فقال انا اكفيك فاتى عمر فقال بلغني خبرا اعيذك بالله منه قال ماهو قال خطبت ام كلثوم بنت ابي بكر قال نعم أفرغبت بي عنها ام رغبت بها عني قال ولا واحدة ولكنها احدثة نشأت تحت كنف امير المؤمنين في لين ورفق وفيك غلظة ونحن نهابك وما نقدر ان نردك عن خلق من اخلاقك فكيف بها ان خالفتك في شئ فسطوت بها كنت قد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق عليك وقال فكيف بعائشة وقد كلمتها قال أنا لك بها وأدلك على خير منها ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب تعلق منها بسبب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب ام أبان بنت عتبة بن ربيعة فكرهته وقالت يغلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابسا ويخرج عابسا

﴿ ذكر بعض سيرته رضي الله عنه ﴾

قال عمر انما مثل العرب مثل جمل انف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده فاما انا فورب الكعبة لاحملنهم على الطريق قال نافع العبسي دخلت سر الصدقة مع عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب قال فجلس عثمان في الظل يكتب وقام علي على رأسه يملي عليه ما يقول عمر وعمر قائم في الشمس في يوم شديد الحر عليه بردان اسودان أتزر بأحدهما ولف الآخر على رأسه يعد ابل الصدقة يكتب ألوانها واسنانها فقال علي لعثمان في كتاب الله يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين ثم اشار علي بيده الى عمر وقال هذا القوي الامين وقال عبد الله بن عامر ابن ربيعة رأيت عمر أخذ تبنة من الارض فقال ياليتني هذه التبنة ويا ليتني لم أك شيأ ياليت أمي لم تلدني ياليتني كنت نسيا منسيا وقال الحسن قال عمر لئن عشت ان شاء الله لاسيرن في الرعية حولا فاني أعلم ان للناس حوائج تقطع دوني اما عمالهم فلا يرفعونها الي واما هم فلا يصلون الي فاسير الى الشام فأقيم شهرين وبالجزيرة شهرين وبمصر شهرين وبالبحرين شهرين وبالكوفة شهرين وبالبصرة شهرين والله لنعم الحول هذا وقيل لعمر ان ههنا رجلا من الانبار له بصر بالديوان لو اتخذته كاتبا فقال لقد اتخذت اذن بطانة من دون المؤمنين قيل خطب عمر الناس فقال والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لو ان جملا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت ان يسأل الله عنه وقال أبو فراس خطب عمر الناس فقال أيها الناس اني ما أرسل اليكم عمالا ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم وانما ارسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به شئ سوى ذلك فليرفعه الي فوالذي نفس عمر بيده لاقصنه منه فوثب عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين ارأيتك ان كان رجل من المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته انك لتقصه منه قال اي والذي نفس عمر بيده اذن لاقصنه منه وكيف لا أقصه منه وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه الا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تحمدوهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم قال بكر بن عبد الله جاء عمر بن الخطاب الى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلي في بيته ليلا فقال له عبد الرحمن ما جاء بك في هذه الساعة قال رفقة نزلت في ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة فانطلق فلنحرسهم فاتيا السوق فقعدا

من الحديد والنحاس والرصاص فامهلهم الله تعالى مائة سنة حتى يكملوا بنيانهم فلما كمل ما بنوه وباتوا تلك الليلة وهم مسرورون آمنون فأمر الله تعالى الجرذ والفار كل واحد مثل الكلب ولهم اسنان كامشاط الحديد فلما اصبحوا ادخل الماء في المدينة من الانقاب التي نقبها الفار والجرذ وغرق جميع ما في المدينة من الخلق وغيره وقد جعل الله بساتينهم شوكا بقدرته وقيل ان مارب لقب للملك الذي كان على اليمن وقيل ان مارب هو قصر الملك والمدينة سبا ولما هلك سبا خلف عدة أولاد منهم حمير وعمرو وكهلان ولما مات سبا تولى الملك بعده ابنه (حمير بن سبا) وكان أشجع الناس في وقته وافرسهم وأكثرهم جمالا وكان اول من وضع التاج المذهب على رأسه من ملوك اليمن وانما سمي بحمير لكثرة لباسه الثياب الحمر وكان ملكه خمسمائة سنة ولما توفي ملك أخوه (كهلان بن سبا) فطالت مدته حتى قربت من ثلثمائة سنة ثم عاد الملك بعده الى ولد حمير وهو (وائل ابن حمير) ثم ملك بعده ابنه (السكسك بن وائل) ثم ملك بعده ابنه (يعفر بن السكسك)

على نشز من الارض يتحدثان نرفع لهما مصباح فقال عمر الم انه عن المصابيح بعد النوم
فانطلقنا فاذا قوم على شراب لهم قال انطلق فقد عرفته فلما أصبح أرسل اليه قال يا فلان كنت
وأصحابك البارحة على شراب قال وما علمك يا امير المؤمنين قال شئ شهدته قال اولم ينهك الله
عن التجسس فتجاوز عنه وانما نهى عمر عن المصابيح لان الفارة تأخذ الفتيلة فترمى بها فى سقف
البيت فتحرقه وكانت السقوف من جريد وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك
قبله وقال اسلم وخرج عمر الى حرة واقم وانا معه حتى اذا كنا بصرار اذا نار تسعر فقال انطلق بنا
اليهم فهرولنا حتى دنونا منهم فاذا بامرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على نار وصبيانها
يتضاغون فقال عمر السلام عليكم يا أصحاب الضوء وكره ان يقول يا أصحاب النار قالت وعليك
السلام قال ادنو قالت ادن بخير أو دع فدنا فقال ما بالكم قالت قصر بنا الليل والبرد قال فما بال
هؤلاء الصبية يتضاغون قالت من الجوع قال وأى شئ فى هذه القدر قالت مالى ما أسكتهم حتى
يناموا فانا اعللهم واوهمهم انى أصلح لهم شيأ حتى يناموا والله بيننا وبين عمر قال اى رحمك الله
ما يدرى بكم عمر قالت يتولى امرنا ويغفل عنا فاقبل على وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى
أتينا دار الدقيق فاخرج عدلا فيه كبة شحم فقال احمله على ظهرى قال اسلم فقلت أنا أحمله عنك
مرتين او ثلاثا فقال آخر ذلك أنت تحمل عنى وزرى يوم القيامة لا ام لك فحملته عليه فانطلق
وانطلقت معه نهرول حتى انتهينا اليها فالقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيأ فجعل يقول لها
ذرى على وانا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت انظر الى الدخان
من خلال لحيته حتى انضج ثم انزل القدر فاتته بصحفة فافرغها ثم قال اطعميهم وأنا اسطح لك فلم
يزل حتى شبعوا ثم خلى عندها فضل ذلك وقام وقمت معه فجعلت تقول جزاك الله خيرا انت
أولى بهذا الامر من امير المؤمنين فيقول قولى خيرا فانك اذا جئت امير المؤمنين وجدتنى
هناك ان شاء الله ثم تنحى ناحية ثم استقبلها وربض لا يكلمنى حتى رأى الصبية يضحكون
ويصطرعون ثم ناموا وهدأوا فقام وهو يحمد الله فقال يا أسلم الجوع اسهرهم وابكاهم فاحببت
ان لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم (صرار بكسر الصاد المهملة وراءين) قال سالم بن عبد الله
ابن عمر وكان عمر اذا نهى الناس عن شئ جمع اهله فقال انى نهيت الناس عن كذا وكذا وان
الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم واقسم بالله لا اجد أحدا فعله الا أضعفت عليه
العقوبة قال سلام بن مسكين وكان عمر اذا احتاج أتى صاحب بيت المال فاستقرضه فربما
أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه فيحتال له عمر وربما خرج عطاؤه فقضاه قال
وهو أول من دعى بأمير المؤمنين وذلك انه لما ولى قالوا له يا خليفة خليفة رسول الله فقال عمر هذا
امر يطول كلما جاء خليفة قالوا يا خليفة خليفة خليفة رسول الله بل انتم المؤمنون وانا اميركم
فسمى أمير المؤمنين وهو أول من كتب التاريخ وقد تقدم وهو أول من اتخذ بيت مال وأول من
عس الليل وأول من عاقب على الهجاء وأول من نهى عن بيع امهات الاولاد وأول من جمع
الناس فى صلاة الجنازة على أربع تكبيرات وكانوا قبل ذلك يصلون أربعا وخمسا وستا قال
الواقدى وهو أول من جمع الناس على امام يصلى بهم التراويح فى شهر رمضان وكتب به الى
البلدان وأمرهم به وهو أول من حمل الدرة وضرب بها وأول من دون فى الاسلام قال زاذان

قال

(ذو رياش) وهو عامر بن
مازن بن عوف بن حمير ثم
نهض من بنى وائل (نعمان
ابن يعفر) بن السكسك بن
وائل بن حمير واجتمع عليه
الناس ثم ملك بعده ابنه
(اسحم بن نعمان) المذكور
ثم ملك بعده على قول بعضهم
(عاد بن عوص) ثم ولده
الاكبر (شديد) ثم (شداد)
بن عاد وكان لعاد ابنان
أحدهما شديد والآخر
شداد وهو الذى بنى مدينة
ارم فى بعض صحارى عدن
فى خمسمائة سنة وكان عمره
تسعمائة سنة ثم ملك بعده
ابنه (مرثد بن شداد) وكان
آمن بهود عليه السلام
وكان يكتم ايمانه من قومه
خوفا من ان يخلعوه ولما مات
ملك بعده ابنه (عمرو بن
مرثد وكان هو ايضا مؤمنا
بالله تعالى يكتم ايمانه فكان
مدة ملكه مائة سنة ولما هلك
ملك بعده عم أبيه (لقمان
ابن عاد) عاش دهرا طويلا
ثم ملك بعده أخوه (ذو سدد
ابن عاد) ثم ملك بعده ابنه
(الحرث) ويقال له الحرث
الرايش وهو تبع الاول
وكان ملكه مائة وخمسا
وعشرين سنة وكان يسمى
الفيلسوف لعقله وادبه
فتزوج بامرأة من غسان
وكانت على دين الروم فولدت

قال عمر لسلمان أملك أنا أم خليفة قال له سلمان ان أنت جبيت من ارض المسلمين درهما او اقل او اكثر ووضعته فى غير حقه فأنت ملك غير خليفة فبكى عمر وقال أبو هريرة يرحم الله ابن حنتمة لقد رأيته عام الرمادة وانه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت فى يده وانه ليعتقب هو واسلم فلما رآنى قال من اين يا اباهريرة قلت قريبا فاخذت اعقبه فحملناه حتى انتهينا الى صرار فاذا نحو من عشرين بيتا من محارب فقال لهم ما اقدمكم قالوا الجهد واخرجوا لنا جلد الميتة مشويا كانوا يأكلونه ورمة العظام مسحوقة كانوا يستفونها فرأيت عمر طرح رداءه ثم اتزر فما زال يطبخ حتى اشبعهم ثم ارسل اسلم الى المدينة فجاء نا بابعرة فحملهم عليها حتى انزلهم الجبانة ثم كساهم وكان يختلف اليهم والى غيرهم حتى رفع الله ذلك قال أبو خيثمة رأت الشفاء بنت عبد الله فتيانا يقصدون فى المشى ويتكلمون رويدا فقالت ما هذا قالوا نساك فقالت كان والله عمر اذا تكلم اسمع واذا مشى أسرع واذا ضرب اوجع وهو والله ناسك حقا قال الحسن خطب عمر الناس وعليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة منها أدم قال ابو عثمان النهدى رأيت عمر يرمى الجمرة وعليه ازار مرقع بقطعة جراب وقال على رأيت عمر يطوف بالكعبة وعليه ازار فيه احدى وعشرون رقعة فيها أدم وقال الحسن كان عمر يمر بالآية من ورده فيسقط حتى يعاد كما يعاد المريض وقيل انه سمع قارئا يقرأ والطور فلما انتهى الى قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع سقط ثم تحامل الى منزله فمرض شهرا من ذلك قال الشعبى كان عمر يطوف فى الاسواق ويقرأ القرآن ويقضى بين الناس حيث ادركه الخصوم قال موسى بن عقبة أتى رهط الى عمر فقالوا له كثر العيال واشتدت المؤنة فزدنا فى عطائنا قال فعلتموها جمعتم بين الضرائر واتخذتم الخدم من مال الله لوددت أنى واياكم فى سفينة فى لجة البحر تذهب بنا شرقا وغربا فلن يعجز الناس ان يولوا رجلا منهم فان استقام اتبعوه وان جنف قتلوه فقال طلحة وما عليك لو قلت وان تعوج عزلوه قال لا القتل انكل لمن بعده احذروا فتى من قريش وابن كريمها الذى لا ينام الا على الرضا ويضحك عند الغضب وهو يتناول من فوقه ومن تحته قال مجاهد ذكر رجل عند عمر فقيل يا امير المؤمنين فاضل لا يعرف من الشر شيأ قال ذاك اوقع له فيه قال صالح بن كيسان قال المغيرة بن شعبة لما دفن عمر اتيت عليا وأنا احب ان اسمع منه فى عمر شيأ فخرج ينفض راسه ولحيته وقد اغتسل وهو ملتحف بثوب لا يشك ان الامر يصير اليه فقال يرحم الله ابن الخطاب لقد صدقت ابنة ابى حنتمة ذهب بخيرها ونجا من شرها او والله ما قالت ولكن قوّلت وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو فى عمر

فجعنى فيروز لا درّ درّه * بأبيض تال للكتاب منيب
رؤف على الادنى غليظ على العدا * أخى ثقة فى النائبات مجيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله * سريع الى الخيرات غير قطوب

وقالت ايضا

عين جودى بعبرة ونحيب * لا تملى على الامام النجيب
فجعتنى المنون بالفارس المعلم يوم الهياج والتلبيب
عصمة الناس والمعين على الدهر وغيث المنتاب والمحروب

ذا القرنين فسماه ابوه الاسكندر فلما هلك الحرث تولى مكانه ابنه (الاسكندر) فهو الاسكندر بن فيلسوف الحميرى وانما نسبته الروم الى اصبه لان اباه مات وهو صغير وكان رجلا طويل القامة رحب الجبين اختلف العلماء فى نبوته قال مقاتل نبى لان الله تبارك وتعالى اوحى اليه لقوله تعالى قلنا ياذا القرنين والوحى للانبياء وقال على بن أبى طالب كرّم الله وجهه انه ليس بنبى لكنه رجل صالح مطيع لاوامر الله تعالى قال ابو الحسن فى قصيدته

وذو القرنين لم يعرف نبيا
كذا لقمان فاحذر عن جدال

واختلفوا فى نسبه قال اهل التفسير هو ابن فيلقوس اليونانى وقال الدميرى فى حياة الحيوان انهما اثنان (أحدهما) على عهد ابراهيم عليه السلام وهو أول القياصرة وهو الذى بنى الاسكندرية قيل انه عاش الفا وستمائة سنة كذا فى المحاضرة (والثانى) قبل مولد المسيح بثلثمائة وثلاث سنين والغالب انه كان فى الفترة بين عيسى عليه السلام وبين نبينا صلى الله عليه وسلم وسبب تسميته بذى القرنين قيل كان فى مقدم رأسه شبه القرنين من لحم

وقيل كان له ذؤابتان حسنتان والذؤابة تسمى قرنا وقيل كان كريم الطرفين من أبيه وامه قال صاحب ابتلاء الاخبار كان أبو الاسكندر أعلم اهل الارض بالنجوم ولم يراقب احد الفلك ما راقبه وكان قد مد الله تعالى له الاجل فقال ذات ليلة لزوجته قد قتلني السهر فدعيني أرقد ساعة وانظري في السماء فاذا رأيت قد طلع في هذا المكان نجم وأشار الى موضع طلوعه فنبهيني حتى اطأك فتعلقين بولد يعيش الى آخر الدهر وكانت اختها تسمع كلامه ثم نام ابو الاسكندر فجعلت اخت زوجته تراقب النجم فلما طلع اعلمت زوجها بالقصة فوطئها فعلقت منه بالخضر عليه السلام فهو ابن خالة الاسكندر ووزيره فلما استيقظ ابو الاسكندر رأى النجم قد نزل في غير البرج الذي كان يرقبه فقال لزوجته لم لا نبهتيني فقالت استحييت والله فقال لها اما تعلمين اني اراقب هذا النجم منذ اربعين سنة والله لقد ضيعت عمري في غير شيء ولكن الساعة يطلع في أثره نجم فاطأك فتعلقين بولد يملك قرني الشمس ولكن لا يعيش كثيرا فلم يلبث أن طلع النجم فواقعها فعلقت بالاسكندر

قل لاهل الثراء والبؤس موتوا • قد سقته المنون كاس شعوب

قال ابن المسيب وحج عمر فلما كان بضجنان قال لا اله الا الله العظيم العلي المعطي ما شاء من شاء كنت ارعى ابل الخطاب في هذا الوادي في مدرعة صوف وكان فظا يتعبني اذا عملت ويضربني اذا قصرت وقد امسيت وليس بيني وبين الله احد ثم تمثل

لا شيء فيما ترى تبقى بشاشته • يبقى الاله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه • والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجري الرياح به • والانس والجن فيما بينها برد
أين الملوك التي كانت نوافلها • من كل اوب اليها راكب يفد
حوضا هنالك موردا بلا كذب • لا بد من ورده يوما كما وردوا

قال اسلم ان هند بنت عتبة استقرضت عمر من بيت المال اربعة آلاف تتجر فيها وتضمنها فاقرضها فخرجت فيها الى بلاد كلب فاشترت وباعت فبلغها ان ابا سفيان وابنه عمرا اتيا معاوية فعدلت اليه وكان ابو سفيان قد طلقها فقال لها معاوية ما أقدمك اي امه قالت النظر اليك اي بني انه عمر وانما يعمل لله وقد اتاك ابوك فخشيت ان تخرج اليه من كل شيء واهل ذلك هو ولا يعلم الناس من اين اعطيته فيؤنبوك ويؤنبك عمر فلا تستقيلها ابدا فبعث الى ابيه والى اخيه بمائة دينار وكساهما وحملهما فتسخطها عمرو فقال ابو سفيان لا تسخطها فان هذا عطاء لم تغب عنه هند ورجعوا جميعا فقال ابو سفيان لهند أربحت قالت الله اعلم فلما أتت المدينة وباعت شكت الوضيعة فقال لها عمر لو كان مالي لتركته لك ولكنه مال المسلمين وقال لابي سفيان بكم اجازك معاوية قال بمائة دينار (٣) قال ابن عباس بينما عمر بن الخطاب وأصحابه يتذاكرون الشعر فقال بعضهم فلان اشعر وقال بعضهم بل فلان اشعر قال فأقبلت فقال عمر قد جاءكم أعلم الناس بها من اشعر الشعراء قال قلت زهير بن أبي سلمى فقال هلم من شعره ما تستدل به على ما ذكرت فقلت امتدح قوما من غطفان فقال

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم • قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
قوم ابوهم سنان حين تنسبهم • طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
انس اذا أمنوا جن اذا فزعوا • مرزؤون بهاليل اذا جهدوا
محسدون على ما كان من نعم • لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

فقال عمر أحسن والله وما اعلم احدا أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشم لفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابتهم منه فقلت وفقت يا امير المؤمنين ولم تزل موفقا فقال يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد صلى الله عليه وسلم فكرهت ان أجيبه فقلت ان لم أكن ادري فان امير المؤمنين يدريني فقال عمر كرهوا ان يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحا بجحا فاختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت فقلت يا امير المؤمنين ان تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت قال تكلم قلت اما قولك يا امير المؤمنين اختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت فلو أن قريشا اختارت لانفسها حين اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود وأما قولك انهم ابوا ان تكون لنا النبوة والخلافة فان الله عز وجل

هامش الاصل من قوله فقال يا ابن عباس الى ذكر قصة الشورى زائد من قال الله واضعه اه

وصف

وصف قوما بالكراهة فقال ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم فقال عمر هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أقرك عليها فتزيل منزلتك مني فقلت ماهي يا أمير المؤمنين فان كانت حقا فما ينبغي ان تزيل منزلتي منك وان كانت باطلا فمثلي اماط الباطل عن نفسه فقال عمر بلغني انك تقول انما صرفوها عنا حسدا وبغيا وظلما فقلت اما قولك يا أمير المؤمنين ظلما فقد تبين للجاهل والحليم وأما قولك حسدا فان آدم حسد ونحن ولده المحسودون فقال عمر هيهات هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم الا حسدا لا يزول فقلت مهلا يا أمير المؤمنين لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا عن الحسد والغش فان قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلوب بني هاشم فقال عمر اليك عني يا ابن عباس فقلت افعل فلما ذهبت أقوم استحيا مني فقال يا ابن عباس مكانك فوالله اني لراع لحقك محب لما سرك فقلت يا أمير المؤمنين ان لي عليك حقا وعلى كل مسلم فمن حفظه فحظه اصاب ومن اضاعه فحظه أخطأ ثم قام فمضى

(ذكر قصة الشورى)

قال عمرو بن ميمون الاودي ان عمر بن الخطاب لما طعن قيل له يا أمير المؤمنين لو استخلفت فقال لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته وقلت لربي ان سألني سمعت نبيك يقول انه امين هذه الامة ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا استخلفته وقلت لربي ان سألني سمعت نبيك يقول ان سالما شديد الحب لله تعالى فقال له رجل ادلك على عبد الله بن عمر فقال قاتلك الله والله ما اردت الله بهذا ويحك كيف استخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته لا ارب لنا في أموركم فما حمدتها فارغب فيها لاحد من أهل بيتي ان كان خيرا فقد أصبنا منه وان كان شرا فقد صرف عنا بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسئل عن امر أمة محمد أما لقد جهدت نفسي وحرمت اهلي وان نجوت كفافا لا وزر ولا أجر اني لسعيد انظر فان أستخلف فقد استخلف من هو خير مني وان اترك فقد ترك من هو خير مني ولن يضيع الله دينه فخرجوا ثم راحوا فقالوا يا أمير المؤمنين لو عهدت عهدا فقال قد كنت أجمعت بعد مقالتي ان انظر فاولي رجلا أمركم هو احراكم ان يحملكم على الحق وأشار الى علي فرهقتني غشية فرأيت رجلا دخل جنة فجعل يقطف كل غضة ويانعة فيضمه اليه ويصيره تحته فعلمت ان الله غالب امره فما اردت ان اتقلدها حيا وميتا عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم من اهل الجنة وهم علي وعثمان وعبد الرحمن وسعد والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فليختاروا منهم رجلا فاذا ولوا واليا فأحسنوا موازرته وأعينوه فخرجوا فقال العباس لعلي لا تدخل معهم قال اني اكره الخلاف قال اذن ترى ما تكره فلما اصبح عمر دعا عليا وعثمان وسعدا وعبد الرحمن والزبير فقال لهم اني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الامر الا فيكم وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راض واني لا اخاف الناس عليكم ان استقمتم ولكني أخافكم فيما بينكم فيختلف الناس فانهضوا الى حجرة عائشة باذنها فتشاوروا فيها ووضع رأسه وقد نزفه الدم فدخلوا فتناجوا حتى ارتفعت اصواتهم فقال عبد الله بن عمر سبحان الله ان أمير المؤمنين لم يمت بعد فسمعه عمر فانتبه وقال اعرضوا عن هذا فاذا مت فتشاوروا ثلاثة ايام

وولد الاسكندر وابن خالته الخضر في ليلة واحدة وفي بلغة الغواص ان ذا القرنين نشأ يتيما في بني حمير واسمه صعب بن جبل وامه هيلانة فحملته امه الى بيت الصنائع في القسطنطينية فقالت اختر يا بني ما تريد منها فرأى صانعا يصلح تاج الملك فوضع يده عليه فانتهرته مرارا فلم ينته وكان يونان الحكيم يبصرهما فناداهما وقال لامه هيلانة انت هيلانة وهذا ابنك صعب بن جبل قالت نعم فأخذ منه العهد له ولذريته بالامان وقال له انت الملك الذي يصحب ذيله في مشارق الارض ومغاربها وامر امه بكتم امره فحملته الى ارض بابل فلما بلغ الحلم رأى ثلاث منامات في ثلاث ليال رأى ليلة كان الارض كلها خبز فأكله ورأى ليلة اخرى انه شرب البحار وأكل طينها ورأى في الليلة الثالثة انه قدر في السماء فقد نجومها ورماها الى الارض وركب الشمس وصحب بناصيته القمر فلما اصبح اجتمع بالخضر وقررها عليه فبشره بالملك الاعظم فعلت همته واشتدت شوكته وعظم في قومه والقى الله عليه الهيبة واجتمع مع ابراهيم عليه السلام في سفر بقرب مكة فاعطاه

وليصل بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع الا وعليكم امير منكم ويحضر عبد الله بن عمر مشيرا ولا شئ له من الامر وطلحة شريككم فى الامر فان قدم فى الايام الثلاثة فاحضروه امركم وان مضت الايام الثلاثة قبل قدومه فامضوا امركم ومن لى بطلحة فقال سعد بن ابى وقاص انا لك به ولا يخالف ان شاء الله تعالى فقال عمر أرجو ان لا يخالف ان شاء الله وما أظن يلى الا احد هذين الرجلين على أو عثمان فان ولى عثمان فرجل فيه لين وان ولى على ففيه دعابة واحرى به ان يحملهم على طريق الحق وان تولوا سعدا فأهله هو والا فليستعن به الوالى فانى لم اعزله عن ضعف ولا خيانة ونعم ذو الرأى عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا منه وأطيعوا وقال لابى طلحة الانصارى يا ابا طلحة ان الله طالما أعز بكم الاسلام فاختر خمسين رجلا من الانصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم وقال للمقداد بن الاسود اذا وضعتمونى فى حفرتى فاجمع هؤلاء الرهط فى بيت حتى يختاروا رجلا وقال لصهيب صل بالناس ثلاثة أيام وادخل هؤلاء الرهط بيتا وقم على رؤسهم فان اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤسهما وان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر فان لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع فيه الناس فخرجوا فقال على لقوم معه من بنى هاشم ان أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا ابدا وتلقاه عمه العباس فقال عدلت عنا فقال وما علمك قال قرن بى عثمان وقال كونوا مع الاكثر فان رضى رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن فسعد لا يخالف ابن عمه وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون فيوليها احدهما الآخر فلو كان الآخران معى لم ينفعانى فقال له العباس لم ارفعك فى شئ الا رجعت الى مستأخرا بما اكره اشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسأله فيمن هذا الامر فأبيت فأشرت عليك بعد وفاته ان تعاجل الامر فأبيت وأشرت عليك حين سماك عمر فى الشورى أن لا تدخل معهم فأبيت احفظ عنى واحدة كل ما عرض عليك القوم فقل لا الا ان يولوك واحذر هؤلاء الرهط فانهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الامر حتى يقوم به لنا غيرنا وايم الله لا يناله الا بشر لا ينفع معه خير فقال على اما لئن بقى عثمان لاذكرنه ما أتى ولئن مات ليتداولونها بينهم ولئن فعلوا ليجدنى حيث يكرهون ثم تمثل

حلفت برب الراقصات عشية ● غدون خفافا فابتدرن المحصبا
ليحتلبن رهط ابن يعمر قارسا ● نجيعا بنو الشداخ وردا مصلبا

والتفت فرأى ابا طلحة فكره مكانه فقال ابو طلحة لن تراع ابا الحسن فلما مات عمر وأخرجت جنازته صلى عليه صهيب فلما دفن عمر جمع المقداد اهل الشورى فى بيت المسور بن مخرمة وقيل فى بيت المال وقيل فى حجرة عائشة بإذنها وطلحة غائب وأمروا ابا طلحة ان يحجبهم وجاء عمرو بن العاص والمغيرة ابن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما وقال تريدان ان تقولا حضرنا وكنا فى اهل الشورى فتنافس القوم فى الامر وكثر بينهم الكلام فقال أبو طلحة انا كنت لان تدفعوها أخوف منى لان تتنافسوها والذى ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الايام الثلاثة التى أمرتم ثم أجلس فى بيتى فانظر ما تصنعون فقال عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه

ويتقلدها

الراية وعاتقه وقاتله وقبله بين عينيه وهو أول من لبس العمامة وكانوا يلبسون التيجان قبله وأول ما جمع عليه رأيه انه أسلم وحسن اسلامه واستولى الملك فهدم بيوت النيران ببلاد الفرس وبيوت الاوثان واحرق كتبهم ودعا الناس الى الاسلام وبنى اثنتى عشرة مدينة ثلاث مدائن بأعمال خراسان هراة ومرو واسكندر ومدينة بارض بابل ومدينة الاسكندرية بمصر والباقى متفرقة وذكر القرطبى فى تفسير قوله تعالى انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا أن الله تعالى سخر له السحاب ومد له الاسباب وسخر له الظلمة والنور فكانا جندا من اجناده يهديه النور من امامه وتحفظه الظلمة من ورائه واحصى عسكره فكانوا الف الف وستمائة الف رجل فلما بلغ مغرب الشمس وجد جموعا لا يحصيها الا الله تعالى أصحاب قوة وبأس فضرب حولهم جند الظلمة مثل الدخان فأحاط بهم من كل مكان حتى دخلت فى افواههم وانوفهم واعينهم فتحيروا وايقنوا بالهلاك فضجوا الى الله تعالى فجمعهم فى مكان واحد ودخل عليهم بالنور فدعاهم الى الله تعالى

و يتقلدها على ان يوليها أفضلكم فلم يجبه احد فقال فانا أنخلع منها فقال عثمان انا أول من رضي فقال القوم قد رضينا وعلي ساكت فقال ما تقول يا أبا الحسن قال أعطني موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألو الامة نصحا فقال أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معي على من بدل وغير وأن ترضوا من اخترت لكم وعلي ميثاق الله ان لا أخص ذا رحم لرحمه ولا آلو المسلمين فأخذ منهم ميثاقا وأعطاهم مثله فقال لعلي تقول اني أحق من حضر بهذا الامر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك في الدين ولم تبعد في نفسك ولكن ارأيت لو صرف هذا الامر عنك فلم تحضر من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق به قال عثمان وخلا بعثمان فقال تقول شيخ من بني عبد مناف وصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ولي سابقة وفضل فاين يصرف هذا الامر عني ولكن لو لم تحضر أي هؤلاء الرهط تراه أحق به قال علي ولقي عليا سعد فقال له اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام اسألك برحم ابني هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرحم عمي حمزة منك ان تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيرا ودار عبد الرحمن لياليه يلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وافى المدينة من امراء الاجناد واشراف الناس يشاورهم حتى اذا كان الليلة التي صبيحتها تستكمل الاجل أتى منزل المسور بن مخرمة فايقظه وقال له لم أذق في هذه الليلة كبير غمض انطلق فادع الزبير وسعدا فدعاهما فبدأ بالزبير فقال له خل بني عبد مناف وهذا الامر قال نصيبي لعلي وقال لسعد اجعل نصيبك لي فقال ان اخترت نفسك فنعم وان اخترت عثمان فعلي أحب الي أيها الرجل بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤسنا فقال له قد خلعت نفسي على ان اختار ولو لم أفعل لم أردها اني رأيت روضة خضراء كثيرة العشب فدخل فحل ما رأيت اكرم منه فمر كأنه سهم لم يلتفت الى شيء منها حتى قطعها لم يعرج ودخل بعير يتلوه فاتبع أثره حتى خرج منها ثم دخل فحل عبقري يجر خطامه ومضى قصد الاولين ثم دخل بعير رابع فرتع في الروضة ولا والله لا أكون الرابع ولا يقوم مقام أبي بكر وعمر بعدهما احد فيرضى الناس عنه قال وارسل المسور فاستدعى عليا فناجاه طويلا وهو لا يشك انه صاحب الامر ثم نهض ثم أرسل الى عثمان فتناجيا حتى فرق بينهما الصبح قال عمرو بن ميمون قال لي عبد الله بن عمر من أخبرك انه يعلم ما كلم به عبد الرحمن بن عوف عليا وعثمان فقد قال بغير علم فوقع قضاء ربك على عثمان فلما صلوا الصبح جمع الرهط وبعث الى من حضره من المهاجرين واهل السابقة والفضل من الانصار والى امراء الاجناد فاجتمعوا حتى التحم المسجد باهله فقال ايها الناس ان الناس قد أجمعوا ان يرجع اهل الامصار الى امصارهم فاشيروا علي فقال عمار ان اردت ان لا يختلف المسلمون فبايع عليا فقال المقداد بن الاسود صدق عمار ان بايعت عليا قلنا سمعنا وأطعنا وقال ابن ابي سرح ان اردت ان لا تختلف قريش فبايع عثمان فقال عبد الله بن ابي ربيعة صدقت ان بايعت عثمان قلنا سمعنا واطعنا فشتم ابن ابي سرح فقال عمار متى كنت تنصح المسلمين فتكلم بنو هاشم وبنو أمية فقال عمار ايها الناس ان الله اكرمنا بنبيه واعزنا بدينه فأنى تصرفون هذا الامر عن اهل بيت نبيكم فقال رجل من بني مخزوم لقد عدوت طورك يا ابن سمية وما أنت وتأمير قريش لانفسها فقال سعد بن ابي وقاص يا عبد الرحمن افرغ قبل ان يفتتن الناس فقال عبد الرحمن اني قد نظرت وشاورت فلا تجعلن ايها الرهط على أنفسكم

فآمنوا ودخلوا في طاعته وفعل مثل ذلك الى ان بلغ مطلع الشمس وكان اذا أتى بحرا او نهرا عظيما بنى سفنا من الواح تحمل معه فنظمها ثم حمل عليها جميع ما معه قال الطبري من حيله في حروبه انه لما تلاقاه ملك الهند بالفيلة نفرت منها خيل أصحابه فعاد عنه وامر باتخاذ فيلة من نحاس والبسها السلاح وجعلها امام الخيل حتى ألفتها ثم عاد الى الهند فخرج اليه ملكهم بمثل ما كره وفيله فامر الاسكندر فملئت بطون الفيلة من النفط والكبريت وركبت على العجل وجرت وسط العسكر ومعها جمع من أصحابه فلما نشب الحرب امر باشعال النار في تلك الفيلة فلما حميت انكشفت اصحابه عنها وغشيها فيلة الهند فضربتها بخراطيمها فاحترقت وولت هاربة راجعة على عسكر الهنود فانهزموا بين يديها فاهلكت غالب عسكرهم وقتل ملك الهند فور وانقاد اليه جميع ملوك الهند ويروى انه لما توجه نحو المشرق رأى مدنا خرابا فسأل عن سبب ذلك فقيل له أخربها يأجوج ومأجوج وشكوا اليه من شرهم وسألوه أن يجعل بينهم ما سدا ومكانه السهلة بين جبلين متقابلين

سبيلا ودعا عليا وقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين
من بعده قال أرجو ان أفعل فاعمل بمبلغ علمي وطاقتي ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي فقال
نعم نعمل فرفع رأسه الى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال اللهم اسمع واشهد اللهم اني قد
جعلت ما في رقبتي من ذاك في رقبة عثمان فبايعه فقال علي ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا
فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون والله ما وليت عثمان الا ليرد الامر اليك والله كل يوم
في شأن فقال عبد الرحمن يا علي لا تجعل على نفسك حجة وسبيلا فخرج علي وهو يقول سيبلغ
الكتاب أجله فقال المقداد يا عبد الرحمن أما والله لقد تركته وانه من الذين يقضون بالحق وبه
يعدلون فقال يا مقداد والله لقد اجتهدت للمسلمين قال ان كنت اردت الله فأثابك الله ثواب
المحسنين فقال المقداد ما رأيت مثل ما أتى الى اهل هذا البيت بعد نبيهم اني لاعجب من قريش
انهم تركوا رجلا ما أقول ولا اعلم أن رجلا أقضى بالعدل ولا أعلم منه اما والله لو اجد اعوانا
عليه فقال عبد الرحمن يا مقداد اتق الله فاني خائف عليك الفتنة فقال رجل للمقداد رحمك الله
من اهل هذا البيت ومن هذا الرجل قال اهل البيت بنو عبد المطلب والرجل علي بن ابي طالب
فقال علي ان الناس ينظرون الى قريش وقريش تنظر بيتها فتقول ان ولي عليكم بنو هاشم لم
تخرج منهم ابدا وما كانت في غيرهم تداولتموها بينكم وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه
لعثمان فقيل له بايعوا لعثمان فقال كل قريش راض به قالوا نعم فأتى عثمان فقال له عثمان أنت
على رأس أمرك وان أبيت رددتها قال اتردها قال نعم قال اكل الناس بايعوك قال نعم قال قد
رضيت لا ارغب عما اجمعوا عليه وبايعه وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن يا ابا محمد قد أصبت
أن بايعت عثمان وقال لعثمان ولو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا فقال عبد الرحمن كذبت
يا أعور لو بايعت غيره لبايعته ولقلت هذه المقالة قال وكان المسور يقول ما رأيت أحدا بذ قوما
فيما دخلوا فيه بمثل ما بذهم عبد الرحمن قلت قوله ان عبد الرحمن صهر عثمان يعني ان عبد
الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اخت عثمان لامه خلف عليها عقبة بعد
عثمان وقد ذكر أبو جعفر رواية اخرى في الشورى عن المسور بن مخرمة وهي تمام حديث
مقتل عمر وقد تقدم والذي ذكره ههنا قريب من الذي تقدم آنفا غير انه قال لما دفن عمر جمعهم
عبد الرحمن وخطبهم وأمرهم بالاجتماع وترك التفرق فتكلم عثمان فقال الحمد لله الذي اتخذ
محمدا نبيا وبعثه رسولا وصدقه وعده ووهب له نصره على كل من بعد نسبا أو قرب رحما صلى الله
عليه جعلنا الله له تابعين وبامره مهتدين فهو لنا نور ونحن بامره نقوم عند تفرق الاهواء
ومجادلة الاعداء جعلنا الله بفضله أئمة وبطاعته امراء لا يخرج امرنا منا ولا يدخل علينا غيرنا
الا من سفه الحق ونكل عن القصد وأحر بها يا ابن عوف ان تترك (٣) وأجدر بها ان يكون ان
خولف أمرك وترك دعاؤك فانا أول مجيب وداع اليك وكفيل بما أقول زعيم وأستغفر الله لي
ولكم ثم تكلم الزبير بعده فقال اما بعد فان داعي الله لا يجهل ومجيبه لا يخذل عند تفرق الاهواء
ولي الاعناق ولن يقصر عما قلت الا غوي ولن يترك ما دعوت اليه الا شقي ولولا حدود الله
فرضت وفرائض الله حدت (٣) تراح على اهلها وتحيا ولا تموت لكان الموت من الامارة نجاة
والفرار من الولاية عصمة ولكن لله علينا اجابة الدعوة واظهار السنة لئلا نموت موتة عمية

[illegible]

املس كالمخاط يزلق عنهما
كل شيء يرتقي فيهما فوجد
هناك معدنين فاستخرج
منهما ما كنا من الحديد
والنحاس ثم أمر بحفر الاساس
حتى بلغ الماء ثم جمع الحديد
والحطب وجعله صفوفا
بعضها فوق بعض صف
حطب وصف قطع الحديد
حتى ساوى بالبناء الجبلين ثم
اشعل النار في الحطب فحمي
الحديد وافرغ عليه النحاس
المذاب فصار موضع الحطب
النحاس والحديد واستقر
مكانه فبقي السد كأنه برد
مخطط بسواد الحديد وحمرة
النحاس وجعل ارتفاعه
مائتي ذراع وخمسين ذراعا
وطول السور ما بين الجبلين
مائة فرسخ وعرضه خمسون
فرسخا عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان
يأجوج ومأجوج يحفرون
السد كل يوم حتى اذا كادوا
يرون شعاع الشمس قال
الذي عليهم ارجعوا
فستحفرونه غدا فيعيده الله
تعالى كأشد ما يكون حتى
اذا اراد الله تعالى ان يبعثهم
على الناس حفروا حتى اذا
كادوا يرون شعاع الشمس
قال الذي عليهم ارجعوا
فستحفرونه غدا ان شاء الله
تعالى فيعودون اليه فيجدونه
كهيئته فيحفرونه ويخرجون
على الناس منهم بالشام

ولانعمى عمى الجاهلية فانا مجيبك الى مادعوت ومعينك على ماأمرت ولاحول ولاقوة الا بالله واستغفر الله لى ولكم ثم تكلم سعد فقال بعد حمد الله وبحمد صلى الله عليه وسلم انارت الطريق واستقامت السبل وظهر كل حق ومات كل باطل اياكم ايها النفر وقول الزور وأمنية أهل الغرور وقد سلبت الامانى قوما قبلكم ورثوا ماورثتم ونالوا مانلتم فاتخذهم الله عدوا ولعنهم لعنا كبيرا قال الله تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل الى قوله لبئس ما كانوا يفعلون انى مكتب قربى واخذت سهمى الفالج وأخذت لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيت لنفسى فأنا به كفيل وبما اعطيت عنه زعيم والامر اليك يا ابن عوف بجهد النفس وقصد النصح وعلى الله قصد السبيل واليه الرجوع وأستغفر الله لى ولكم وأعوذ بالله من مخالفتكم ثم تكلم على بن ابى طالب فقال الحمد لله الذى بعث محمدا منا نبيا وبعثه الينا رسولا فنحن بيت النبوة ومعدن الحكمة وأمان اهل الارض ونجاة لمن طلب لنا حق ان نعطه نأخذه وان نمنعه نركب اعجاز الابل ولو طال السرى لو عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا لانفذنا عهده ولو قال لنا قولا لجادلنا عليه حتى نموت ان يسرع أحد قبلى الى دعوة حق وصلة رحم لاحول ولاقوة الا بالله اسمعوا كلامى وعوا منطقى عسى ان تروا هذا الامر بعد هذا الجمع تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى تكونوا جماعة ويكون بعضهم أئمة لاهل الضلالة وشيعة لاهل الجهالة ثم قال

فان تك جاشم هلكت فانى * بما فعلت بنو عبد بن ضخم
مطيع فى الهواجر كل عى * بصير بالنوى من كل نجم

فقال عبد الرحمن أيكم يطيب نفسا ان يخرج نفسه من هذا الامر وذكر بيامما تقدم ثم جلس عثمان فى جانب المسجد بعد بيعته ودعا عبيد الله بن عمر بن الخطاب وكان قتل قاتل ابيه ابا لؤلؤة وقتل جفينة رجلا نصرانيا من اهل الحيرة كان ظهيرا لسعد بن مالك وقتل الهرمزان فلما ضربه بالسيف قال لا اله الا الله فلما قتل هؤلاء اخذه سعد بن ابى وقاص وحبسه فى داره واخذ سيفه واحضره عند عثمان وكان عبيد الله يقول والله لاقتلن رجالا ممن شرك فى دم ابى يعرض بالمهاجرين والانصار وانما قتل هؤلاء النفر لان عبد الرحمن بن ابى بكر قال غداة قتل عمر رأيت عشية امس الهرمزان وأبا لؤلؤة وجفينة وهم يتناجون فلما رأونى ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه وهو الخنجر الذى ضرب به عمر فقتلهم عبيد الله فلما أحضره عثمان قال اشيروا على فى هذا الرجل الذى فتق فى الاسلام ما فتق فقال على أرى ان تقتله فقال بعض المهاجرين قتل عمر امس ويقتل ابنه اليوم فقال عمرو بن العاص ان الله قد أعفاك ان يكون هذا الحدث ولك على المسلمين سلطان فقال عثمان انا وليه وقد جعلتها دية وأحتملها فى مالى وكان زياد بن لبيد البياضى الانصارى اذا رأى عبيد الله يقول

ألا يا عبيد الله مالك مهرب * ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر
أصبت دما والله فى غير حله * حراما وقتل الهرمزان له خطر
على غير شئ غير ان قال قائل * اتتهمون الهرمزان على عمر
فقال سفيه والحوادث جمة * نعم اتهمه قد أشار وقد امر

وساقتهم بخراسان ثم يهلكهم الله تعالى بالنغف فى رقابهم فلما فرغ الاسكندر ومن امر السد بلغه ان الله تعالى خلق فى الارض ظلمة لم يطأها انس ولاجان وفى تلك الظلمة عين الخلد تنبع من الفردوس من شرب من مائها لم يمت ابدا الى يوم القيامة فلما سمع ذلك تأهب لرؤيتها وكان مسيره مما يلى القطب الشمالى والشمس جنوبية فلهذا كان مظلما والاقليم فى الارض موضع لاتطلع الشمس عليه ابدا فلما بلغوا طرف الظلمة فاذا ظلمة تفور مثل الدخان ليست كظلمة الليل فعبر الخضر عليه السلام على مقدمته بالفى رجل ومعه اربعة آلاف رجل فصار الخضر يرتحل وذو القرنين ينزل مكانه فساروا فيها ثمانية عشر يوما فوصل الخضر واديا تحقق ان العين فيه فقال لاصحابه قفوا هنا ولا يبرح رجل من موضعه فمشى وحده حتى انتهى اليها فرأى ماء اشد بياضا من اللبن واحلى من الشهد فشرب منه واغتسل وتوضأ وصلى ركعتين ولبس ثيابه ثم رجع فاجتمع مع أصحابه واخطأ ذو القرنين الوادى فسلك فى الظلمة اربعين يوما ثم انصرفوا راجعين ورأوا فى طريقهم نملا كالجنانق فكانت النملة تخطف الفارس عن فرسه فوصلوا العراق ومات الاسكندر فى طريقه بشهرزور وقيل ببلاد نصيبين من بلاد ديار ربيعة بعلة الخوانيق

وكان سلاح العبد في جوف بيته * يقلبها والامر بالامر يعتبر

فشكا عبيد الله الى عثمان زياد بن لبيد فنهى عثمان زيادا فقال في عثمان

أبا عمرو عبيد الله رهن * فلا تشكك بقتل الهرمزان
فانك ان عفوت الجرم عنه * واسباب الخطا فرسا رهان
اتعفو اذ عفوت بغير حق * فمالك بالذي تحكي يدان

فدعا عثمان زيادا فنهاه وشذبه وقيل في فداء عبيد الله غير ذلك قال القماذبان بن الهرمزان كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها الى بعض فمر فيروز أبو لؤلؤة بالهرمزان ومعه خنجر له رأسان فتناوله منه وقال ما تصنع به قال آنس به فرآه رجل فلما أصيب عمر قال رأيت الهرمزان دفعه الى فيروز فاقبل عبيد الله فقتله فلما ولي عثمان امكنني منه فخرجت به وما في الارض أحد الا معي الا انهم يطلبون الي فيه فقلت لهم ألي قتله قالوا نعم وسبوا عبيد الله قلت لهم أفلكم منعه قالوا لا وسبوه فتركته لله ولهم فحملوني فوالله ما بلغت المنزل الا على رؤس الناس والاول أصح في اطلاق عبيد الله لان عليا لما ولي الخلافة اراد قتله فهرب منه الى معاوية بالشام ولو كان اطلاقه بامر ولي الدم لم يتعرض له علي

(ذكر عدة حوادث)

كان العمال فيها على مكة نافع بن عبد الحرث الخزاعي وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفي وعلى صنعاء يعلى بن أمية وعلى الجند عبد الله بن ابي ربيعة وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة وعلى البصرة ابو موسى الاشعري وعلى مصر عمرو بن العاص وعلى حمص عمير بن سعد وعلى دمشق معاوية وعلى البحرين وما والاها عثمان بن ابي العاص الثقفي وفيها غزا معاوية الصائفة ومعه عبادة بن الصامت وابو ايوب الانصاري وابو ذر وشداد بن اوس وفيها فتح معاوية عسقلان على صلح وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة كعب بن سور وقيل ان ابا بكر وعمر لم يكن لهما قاض وفي هذه السنة توفي قتادة بن النعمان الانصاري وهو الذي رد رسول الله صلى الله عليه وسلم عينه وصلى عليه عمر بن الخطاب وهو بدري وقيل توفي سنة أربع وعشرين وفي خلافة عمر توفي الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري وهو بدري وربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وهو أسن من العباس وعمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو وهو بدري وعمير بن وهب ابن خلف الجمحي شهد أحدا وعتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود وهو من مهاجرة الحبشة شهد أحدا وعدي بن أبي الزغباء الجهني وهو عين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وشهد غيرها ايضا وفيها مات عويم بن ساعدة الانصاري وهو عقبي بدري وقيل انه من بلي وله حلف في الانصار وفيها مات سهيل بن رافع الانصاري شهد بدرا ومسعود بن أوس بن زيد الانصاري وقيل بل عاش بعد ذلك وشهد صفين مع علي وفيها توفي واقد بن عبد الله التميمي حليف الخطاب وهو اول من قتل في سبيل الله في الاسلام وقتل عمرو بن الحضرمي وكان اسلامه قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم وفيها مات ابو جندل بن سهيل بن عمرو واخوه عبد الله وكان عبد الله بدريا ولم يشهدها ابو جندل لان اباه حبسه بمكة ومنعه من الهجرة الى يوم الحديبية وقد تقدم كيف خلص وفيها مات ابو خالد الحرث بن قيس بن خالد وكان اصابه جرح باليمامة

فلما اشتد مرضه قال له الحكماء انك لا تموت الا على ارض من حديد وسقف من ذهب فاخذه الرعاف وكان راكبا فسقط عن دابته فبسط درعه على الارض فنام فادركته الشمس فاظلوه بترس من ذهب فنظر وهو مضطجع على حديد وفوقه ذهب فايقن بالموت فلما توفي طلي جسمه بالاطلية الماسكة لاجزائه وحمل الى امه بالاسكندرية في تابوت من ذهب مرصع بالجوهر ودفن في أرض مصر وله قبر يعرف بقبر الاسكندر وللاسكندر في اسفاره وقطعه الاقاليم ومشاهدته الامم وملاقاته الحكماء مع تنائي ديارهم وبعد اوطانهم واختلاف لغاتهم وعجائب صورهم اخبار كثيرة من حروب ومكايد وفنون لا يسعها هذا المختصر وسنذكر شيأ من اخباره في ذكر ملوك اليونانيين وكان عمره ستا وثلاثين سنة ومدة ملكه اربع عشرة سنة ولما توفي الاسكندر ملك بعده ابنه (ذو المنار ابرهة) وانما سمي ذا المنار لانه أول من بنى المنار على طريقه في مغازيه ليهتدي بها اذا رجع وكان ملكه مائة وثلاثا وثمانين سنة ثم ملك بعده ولده (افريقس بن ابرهة) وهو الذي نقل البربر من ارض فلسطين ومصر والساحل الى مساكنهم اليوم وكانت البربر أهل [illegible] يوشع عليه السلام وافريقس هو الذي بنى افريقية

فاندمل ثم انتقض عليه فمات منه وهو عقبي بدري وفيها مات ابو خراش الهذلي الشاعر وخبر موته مشهور وفيها توفي غيلان بن سلمة الثقفي وهو الذي اسلم وتحته عشر نسوة وفيها في آخرها مات الصعب بن جثامة بن قيس الليثي

ثم دخلت سنة أربع وعشرين

ذكر بيعة عثمان بن عفان بالخلافة

في المحرم منها لثلاث مضين منه بويع عثمان بن عفان وقيل غير ذلك على ماتقدم وكان هذا العام يسمى عام الرعاف لكثرته فيه بالناس واجتمع أهل الشورى عليه وقد دخل وقت العصر فاذن مؤذن صهيب واجتمعوا بين الاذان والاقامة فخرج فصلى بالناس وزادهم مائة مائة ووفد أهل الامصار وهو أول من صنع ذلك وقصد المنبر وهو اشدهم كآبة فخطب الناس ووعظهم واقبلوا يبايعونه

ذكر عزل المغيرة عن الكوفة وولاية سعد بن أبي وقاص

وفيها عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة واستعمل سعد بن أبي وقاص عليها بوصية عمر فانه قال أوصي الخليفة بعدي ان يستعمل سعدا فاني لم أعزله عن سوء ولا خيانة فكان أول عامل بعثه عثمان فعمل عليها سعد سنة وبعض اخرى وقيل بل اقر عثمان عمال عمر جميعهم سنة لان عمر أوصى بذلك ثم عزل المغيرة بعد سنة واستعمل سعدا فعلى هذا القول تكون امارة سعد سنة خمس وعشرين وحج بالناس في هذه السنة عثمان وقيل عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان وقد تقدم ذكر الفتوح التي ذكر بعض العلماء انها كانت زمن عثمان وذكرت الخلاف هنالك * وفي هذه السنة مات عبد الرحمن بن كعب الانصاري وهو بدري وهو احد البكائين في غزوة تبوك وسراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وقيل مات بعد ذلك وهو الذي أدركه النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

ذكر خلاف اهل الاسكندرية

في هذه السنة خالف اهل الاسكندرية ونقضوا صلحهم وكان سبب ذلك ان الروم عظم عليهم فتح المسلمين الاسكندرية وظنوا انهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الاسكندرية عن ملكهم فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعوهم الى نقض الصلح فأجابوهم الى ذلك فسار اليهم من القسطنطينية جيش كثير وعليهم منويل الخصي فارسوا بها واتفق معهم من بها من الروم ولم يوافقهم المقوقس بل ثبت على صلحه فلما بلغ الخبر الى عمرو بن العاص سار اليهم وسار الروم اليه فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الروم وتبعهم المسلمون الى ان ادخلوهم الاسكندرية وقتلوا منهم في البلد مقتلة عظيمة منهم منويل الخصي وكان الروم لما خرجوا من الاسكندرية قد أخذوا أموال أهل تلك القرى من وافقهم ومن خالفهم فلما ظفر بهم المسلمون جاء اهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمرو بن العاص ان الروم أخذوا دوابنا وأموالنا ولم نخالف نحن عليكم وكنا على الطاعة فرد عليهم ما عرفوا من اموالهم بعد اقامة البينة وهدم عمرو سور الاسكندرية وتركها بغير سور * وفيها بلغ سعد بن أبي وقاص عن اهل الري عزم على نقض الهدنة والغدر

وبه سميت وكان مدة ملكه مائة وأربعا وستين سنة ثم ملك بعده أخوه (ذو الاذعار عمرو بن ذي المنار) وسمي بذي الاذعار لانه غزا بلاد النسناس فقتل منهم مقتلة عظيمة ورجع الى اليمن من سبيهم بقوم وجوههم في صدورهم فذعر الناس منهم فسمي بذي الاذعار وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده (شرحبيل بن عمرو) ثم ملك بعده (الهدهاد ابن شرحبيل) وهو أبو بلقيس زوجة سليمان عليه السلام وكان أبوه ملكا عظيم الشان قد ولد له اربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس أحد منكم كفوا لي وابى ان يتزوج منهم فخطب من الجن فزوجوه امرأة منهم يقال لها ريحانة بنت السكن وذكر في سبب وصوله الى الجن حتى خطب منهم انه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صور الظباء فيخلي عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها وقيل خرج متصيدا فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء

فارسل اليهم واصلحهم وغزا الديلم ثم انصرف

(ذكر عزل سعد عن الكوفة وولاية الوليد بن عقبة)

في هذه السنة عزل عثمان بن عفان سعد بن أبي وقاص عن الكوفة في قول بعضهم واستعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو واسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس وهو اخو عثمان لامه أمهما أروى بنت كريز وامها البيضاء بنت عبد المطلب وسبب ذلك ان سعدا اقترض من عبد الله بن مسعود من بيت المال قرضا فلما تقاضاه ابن مسعود لم يتيسر له قضاؤه فارتفع بينهما الكلام فقال له سعد ما اراك الا ستلقى شرا هل أنت الا ابن مسعود عبد من هذيل فقال اجل والله اني لابن مسعود وانك لابن حمنة وكان هاشم بن عتبة بن أبي وقاص حاضرا فقال انكما لصاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليكما فرفع سعد يده ليدعو على ابن مسعود وكان فيه حدة فقال اللهم رب السموات والارض فقال ابن مسعود ويلك قل خيرا ولا تلعن فقال سعد عند ذلك أما والله لولا اتقاء الله لدعوت عليك دعوة لا تخطئك فولى عبد الله سريعا حتى خرج ثم استعان عبد الله بأناس على استخراج المال واستعان سعد بأناس على انظاره فافترقوا وبعضهم يلوم بعضا يلوم هؤلاء سعدا وهؤلاء عبد الله فكان ذلك أول ما نزغ به بين اهل الكوفة واول مصر نزغ الشيطان بين أهله الكوفة وبلغ الخبر عثمان فغضب عليهما فعزل سعدا واقر عبد الله واستعمل الوليد بن عقبة بن ابي معيط مكان سعد وكان على عرب الجزيرة عاملا لعمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان بعده فقدم الكوفة واليا عليها واقام عليها خمس سنين وهو من أحب الناس الى اهلها فلما قدم قال له سعد أكست بعدنا ام حمقنا بعدك فقال لا تجزعن يا أبا اسحق كل ذلك لم يكن وانما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون فقال سعد أراكم جعلتموها ملكا وقال له ابن مسعود ما ادري اصلحت بعدنا ام فسد الناس

(ذكر صلح اهل ارمينية واذربيجان)

لما استعمل عثمان الوليد على الكوفة عزل عتبة بن فرقد عن اذربيجان فنقضوا فغزاهم الوليد سنة خمس وعشرين وعلى مقدمته عبد الله بن شبيل الاحمسي فاغار على اهل موقان والبير والطيلسان ففتح وغنم وسبى فطلب اهل كور اذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة وهو ثمان مائة الف درهم وقبض المال ثم بث سراياه وبعث سلمان بن ربيعة الباهلي الى اهل ارمينية في اثنى عشر الفا فسار في ارمينية يقتل ويسبي ويغنم ثم انصرف وقد ملأ يديه حتى اتى الوليد فعاد الوليد وقد ظفر وغنم وجعل طريقه على الموصل ثم اتى المدينة فنزلها فأتاه بها كتاب عثمان فيه ان معاوية بن ابي سفيان كتب الي يخبرني ان الروم قد اجلبت على المسلمين في جموع كثيرة وقد رأيت ان يمدهم اخوانهم من أهل الكوفة فابعث اليهم رجلا ذا نجدة وبأس في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه والسلام فقام الوليد في الناس واعلمهم الحال وندبهم مع سلمان بن ربيعة الباهلي فانتدب معه ثمانية آلاف فمضوا حتى دخلوا مع اهل الشام الى ارض الروم فشنوا الغارات على ارض الروم فاصاب الناس ما شاؤا وافتتحوا حصونا كثيرة وقيل ان الذي امد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص وكان سبب ذلك ان عثمان كتب الى معاوية يأمره ان يغزي حبيب بن مسلمة في أهل الشام ارمينية

على البيضاء فقتل السوداء واطلق البيضاء فاذا هو ملك الجن وكانت السوداء من عبيده قد عصت عليه ثم ظهرت البيضاء في صورة شاب جميل فعرض على الملك المال فاستعفى وقال ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس فلما توفي أبوها جلست مكان أبيها (بلقيس بنت هدهاد) فلما استولت على سرير الملك أطاعها الملوك فكانت تجلس من كل أسبوع يوما للحكومة وتحتجب عن الناس ترخي سترا رقيقة بحيث تراهم ولا يرونها والناس وقوف في حضرتها مطرقين رؤسهم من هيبتها واذا كان لاحد عندها حاجة يبعد اليها اولا ثم يعرض حاجته وقد مر بعض وصفها وصفة عرشها في ذكر سليمان عليه السلام وكانت مدة ملكها عشرين سنة وملك سليمان عليه السلام اليمن ثلاثا وعشرين سنة ثم عاد من بعده الملك الى حمير وتولى الملك بعده عم بلقيس (ناشر النعم بن شرحبيل) وكان اسمه مالكا وسمي ناشر النعم لانعامه على الناس وكان شديد السلطان وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة ثم

فوجهه اليها فاتى قاليقلا فحصرها وضيق على من بها فطلبوا الامان على الجلاء او الجزية فجلا
كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم واقام حبيب بها فيمن معه اشهرا وانما سميت قاليقلا لان امرأة
بطريق ارميناقس كان اسمها قالى بنت هذه المدينة فسمتها قالى قله تعنى احسان قالى فعربتها
العرب فقالت قاليقلا ثم بلغه ان بطريق ارميناقس وهى البلاد التى هى الآن بيد اولاد
السلطان قلج ارسلان وهى ملطية وسيواس واقصرا وقونية وما والاها من البلاد الى خليج
القسطنطينية واسمه الموريان قد توجه نحوه فى ثمانين الفا من الروم فكتب حبيب الى معاوية
يخبره فكتب معاوية الى عثمان فارسل عثمان الى سعيد بن العاص يأمره بامداد حبيب فأمده
بسلمان فى ستة آلاف واجمع حبيب على تبييت الروم فسمعته امرأته ام عبد الله بنت يزيد
الكلبية فقالت اين موعدك فقال سرادق الموريان ثم بيتهم فقتل من وقف له ثم اتى السرادق
فوجد امرأته قد سبقته اليه فكانت اول امرأة من العرب ضرب عليها حجاب سرادق ومات
عنها حبيب فخلف عليها الضحاك بن قيس فهى ام ولده ولما انهزمت الروم عاد حبيب الى قاليقلا
ثم سار منها فنزل مربالا فأتاه بطريق خلاط بكتاب عياض بن غنم بامانه فاجراه عليه وحمل
اليه البطريق ما عليه من المال ونزل حبيب خلاط ثم سار منها فلقيه صاحب مكس وهى من
البسفرجان فقاطعه على بلاده ثم سار منها الى ازدشاط وهى القرية التى يكون بها القرمز
الذى يصبغ به فنزل على نهر دبيل وسرح الخيول اليها فحصرها فتحصن اهلها فنصب عليهم
منجنيقا فطلبوا الامان فاجابهم اليه وبث السرايا فبلغت خيله ذات اللجم وانما سميت ذات اللجم
لان المسلمين اخذوا لجم خيولهم فكبسهم الروم قبل ان يلجموها ثم الجموها وقاتلوهم فظفروا بهم
ووجه سرية الى سراج طير وبغروند فصالحه بطريقها على اتاوة فقدم عليه بطريق البسفرجان
فصالحه على جميع بلاده واتى السيسجان فحاربه اهلها فهزمهم وغلب على حصونهم وسار الى
جرزان فأتاه رسول بطريقها يطلب الصلح فصالحه وسار الى تفليس فصالحه اهلها وهى من
جرزان وفتح عدة حصون ومدن تجاورها صلحا وسار سلمان بن ربيعة الباهلى الى اران ففتح
البيلقان صلحا على ان آمنهم على دمائهم واموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزية
والخراج ثم اتى سلمان مدينة برذعة فعسكر على الثرثور نهر بينه وبينها نحو فرسخ فقاتله اهلها
اياما وشن الغارات فى قراها فصالحوه على مثل صلح البيلقان ودخلها ووجه خيله ففتحت
رساتيق الولاية ودعا اكراد البلاشجان الى الاسلام فقاتلوه فظفر بهم فاقر بعضهم على الجزية
وادى بعضهم الصدقة وهم قليل ووجه سرية الى شمكور ففتحوها وهى مدينة قديمة ولم تزل
معمورة حتى اخربها السناوردية وهم قوم تجمعوا لما انصرف يزيد بن اسيد عن ارمينية
فعظم امرهم فعمرها بغا سنة اربعين ومائتين وسماها المتوكلية نسبة الى المتوكل وسار سلمان
الى مجمع ارس والكر ففتح قبلة وصالحه صاحب سكر وغيرها على الاتاوة وصالحه ملك شروان
وسائر ملوك الجبال واهل مسقط والشابران ومدينة الباب ثم امتنعت بعده

﴿ ذكر غزوة معاوية الروم ﴾

وفيها غزا معاوية الروم فبلغ عمورية فوجد الحصون التى بين انطاكية وطرسوس خالية فجعل
عندها جماعة كثيرة من اهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته ثم اغزى بعد ذلك يزيد بن

ملك بعده (شمر يرعش بن افريقس بن ابرهة ذى المنار) وسمى شمر يرعش لارتعاش كان به وخرج نحو العراق ثم توجه يريد الصين ودخل مدينة الصغد وهدمها فسميت شمركند اى شمر خربها او عربت بعده فقيل سمرقند وقيل الذى بناها شمر يرعش فقيل شمركند فعربت فقيل سمرقند ثم ملك بعده ابنه (ابو مالك بن شمر يرعش) ثم بعده ملك (عمران بن عامر الازدى) من نسل كهلان بن سبا ثم ملك بعده اخوه (عمرو بن عامر الازدى المزيقيا) وانما سمى مزيقيا لانه كان يلبس فى كل يوم حلة او حلتين فاذا امسى مزقهما لئلا يلبسهما احد غيره وهو الذى احس بسيل العرم المقدم ذكره وخرج من اليمن الى ارض عك وتوفى بها ثم تفرق اولاده فى البلاد وقد ذكر فى كتب السير والتفاسير ان ارض مارب كانت العمارة فيها اكثر من مسيرة شهرين للمجد وكانوا يقتبسون النار بعضهم من بعضهم مسيرة ستة اشهر وكانت المرأة اذا ارادت ان تجنى من ثمرها شيئا وضعت مكتلها على راسها وخرجت تمشى

الجزالعيني الصائفة وأمره ففعل مثل ذلك وباخراج هدم المهدود الى انطاكية

﴿ ذكر غزوة افريقية ﴾

في هذه السنة سير عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبي سرح الى اطراف افريقية غازيا بأمر عثمان وكان عبد الله من جند مصر فلما سار اليها امده عمرو بالجنود فغنم هو وجنده فلما عاد عبد الله كتب الى عثمان يستأذنه في غزو افريقية فأذن له في ذلك

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها ارسل عثمان عبد الله بن عامر الى كابل وهي عمالة سجستان فبلغها في قول فكانت أعظم من خراسان حتى مات معاوية وامتنع أهلها وفيها ولد يزيد بن معاوية وفيها كانت غزوة سابور الاولى وقيل سنة ست وعشرين وقد تقدم ذلك وحج بالناس عثمان

﴿ ثم دخلت سنة ست وعشرين ﴾

﴿ ذكر الزيادة في الحرم ﴾

في هذه السنة أمر عثمان بتجديد انصاب الحرم وفيها زاد عثمان في المسجد الحرام ووسعه وابتاع من قوم وأبى آخرون فهدم عليهم ووضع الاثمان في بيت المال فصاحوا بعثمان فأمر بهم فحبسوا وقال لهم قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به فكلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فاطلقهم (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين)

﴿ ذكر ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر وفتح افريقية ﴾

في هذه السنة عزل عمرو بن العاص عن خراج مصر واستعمل عليه عبد الله بن سعد بن ابي سرح وكان أخا عثمان من الرضاعة فتباغيا فكتب عبد الله الى عثمان يقول ان عمرا كسر علي الخراج وكتب عمرو يقول ان عبد الله قد كسر علي مكيدة الحرب فعزل عثمان عمرا واستقدمه واستعمل بدله عبد الله على حرب مصر وخراجها فقدم عمرو مغضبا فدخل على عثمان وعليه جبة محشوة فقال له ما حشو جبتك قال عمرو قال قد علمت ولم أرد هذا وكان عبد الله من جند مصر وكان قد أمره عثمان بغزو افريقية سنة خمس وعشرين وقال له عثمان ان فتح الله عليك فلك من الفيء خمس الخمس نفلا وأمر عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحرث على جند وسرحهما وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد على صاحب افريقية ثم يقيم عبد الله في عمله فخرجوا حتى قطعوا أرض مصر ووطئوا ارض افريقية وكانوا في جيش كثير عدتهم عشرة آلاف من شجعان المسلمين فصالحهم أهلها على مال يؤدونه ولم يقدموا على دخول افريقية والتوغل فيها لكثرة أهلها ثم ان عبد الله بن سعد لما ولي ارسل الى عثمان في غزو افريقية والاستكثار من الجموع عليها وقصدها فاستشار عثمان من عنده من الصحابة فأشار أكثرهم بذلك فجهز اليه العساكر من المدينة وفيهم جماعة من اعيان الصحابة منهم عبد الله بن عباس وغيره فسار بهم عبد الله بن سعد الى افريقية فلما وصلوا الى برقة لقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين وكانوا بها وساروا الى طرابلس الغرب فنهبوا من عندها من الروم وسار نحو افريقية وبث السرايا في كل ناحية وكان ملكهم اسمه جرجير وملكه من طرابلس الى طنجة وكان هرقل

تحت الانصار وهي تغزل او تعمل ما شاءت ولا ترجع حتى يمتلئ مكتلها مما شاءت من الثمار التي تتساقط عليها وكانوا لا يرون بها البعوض من حسن هوائها وكان متجرهم من اليمن الى الشام يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى ذات مياه واشجار لا يحتاجون الى حمل زاد اصلا قيل كانت قراهم اربعة آلاف وسبعمائة متصلة من سبا الى الشام ثم انهم بطروا النعمة وسئموا الراحة فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد فعجل الله لهم الاجابة فأخرب بلادهم ثم ملك اليمن من بعده اخوه (الاقرن) ثم ملك بعده ابنه (ذو حبشان) وهو الذي اوقع بطسم وجديس وذكر بعضهم ان الذي اوقع بجديس وطسم هو حسان بن تبع والله اعلم ثم ملك الامر بعد ذي حبشان اخوه (تبع الاكبر بن الاقرن) وكان غزا بلاد الروم حتى بلغ وادي الياقوت فمات قبل ان يدخله وكان ملكه مائة وخمسين سنة ثم ملك بعده (كليكرب) وطال زمانه حتى قيل انه ملك أكثر

ملك

ملك الروم قد ولاه افريقية فهو يحمل اليه الخراج كل سنة فلما بلغه خبر المسلمين تجهز وجمع العساكر وأهل البلاد فبلغ عسكره مائة ألف وعشرين ألف فارس والتقى هو والمسلمون بمكان بينه وبين مدينة سبيطلة يوم وليلة وهذه المدينة كانت ذلك الوقت دار الملك فأقاموا هنالك يقتتلون كل يوم وراسله عبد الله بن سعد يدعوه الى الاسلام او الجزية فامتنع منهما وتكبر عن قبول احدهما وانقطع خبر المسلمين عن عثمان فسير عبد الله بن الزبير في جماعة اليهم ليأتيه باخبارهم فسار مجدا ووصل اليهم واقام معهم ولما وصل كثر الصياح والتكبير في المسلمين فسأل جرجير عن الخبر فقيل قد أتاهم عسكر ففت ذلك في عضده ورأى عبد الله بن الزبير قتال المسلمين كل يوم من بكرة الى الظهر فاذا أذن بالظهر عاد كل فريق الى خيامه وشهد القتال من الغد فلم ير ابن ابي سرح معهم فسأل عنه فقيل انه سمع منادي جرجير يقول من قتل عبد الله بن سعد فله مائة الف دينار وأزوجه ابنتي وهو يخاف فحضر عنده فقال له تأمر مناديا ينادي من أتاني براس جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده ففعل ذلك فصار جرجير يخاف اشد من عبد الله ثم ان عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن سعد ان أمرنا يطول مع هؤلاء وهم في امداد متصلة وبلاد هي لهم ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم وقد رأيت ان نترك غدا جماعة صالحة من ابطال المسلمين في خيامهم متأهبين ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر الى ان يضجروا ويملوا فاذا رجعوا الى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونقصدهم على غرة فلعل الله ينصرنا عليهم فاحضر جماعة من أعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك فلما كان الغد فعل عبد الله ما اتفقوا عليه واقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم وخيولهم عندهم مسرجة ومضى الباقون فقاتلوا الروم الى الظهر قتالا شديدا فلما أذن بالظهر هم الروم بالانصراف على العادة فلم يمكنهم ابن الزبير وألح عليهم بالقتال حتى اتعبهم ثم عاد عنهم هو والمسلمون فكل من الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تعبا فعند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحا من شجعان المسلمين وقصد الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم وحملوا حملة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون وقتل جرجير قتله ابن الزبير وانهزم الروم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذت ابنة الملك جرجير سبية ونازل عبد الله بن سعد المدينة فحصرها حتى فتحها ورأى فيها من الاموال ما لم يكن في غيرها فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل الف دينار ولما فتح عبد الله مدينة سبيطلة بث جيوشه في البلاد فبلغت قفصة فسبوا وغنموا وسير عسكرا الى حصن الاجم وقد احتمى به اهل تلك البلاد فحصره وفتحه بالامان فصالحه اهل افريقية على ألفي الف وخمسمائة الف دينار ونفل عبد الله بن الزبير ابنة الملك وارسله الى عثمان بالبشارة بفتح افريقية وقيل ان ابنة الملك وقعت لرجل من الانصار فاركبها بعيرا وارتجز بها يقول

يا ابنة جرجير تمشي عقبتك ❊ ان عليك بالحجاز ربتك
❊ لتحملن من قباء قربتك ❊

ثم ان عبد الله بن سعد عاد من افريقية الى مصر وكان مقامه بافريقية سنة وثلاثة أشهر ولم يفقد

من ثلثمائة سنة ثم ملك بعده (ابو كرب اسعد بن كليكرب) وهو تبع الاوسط الذي ذكر الله تعالى في القرآن وكان آمن بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة عام وهو أول من كسا البيت الحرام وأوصى اهله بنظره وكان له باب ومفتاح وكان يدين بدين اليهودية فمن هنالك كان أصل اليهودية باليمن ثم قتل ابو كرب وتولى مكانه ابنه (حسان بن تبع) فتتبع قتلة ابيه فقتلهم عن آخرهم وهو الملك السائر من اليمن الى يثرب حتى نزل بين بيوتها واراد هدم الكعبة فمنعه من كان معه من احبار اليهود فكساها القصب اليماني وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ثم قتله أخوه وملك بعده وهو (عمرو بن تبع) فتوارثته الاسقام حتى كان لا يمضي الى الخلاء الا محمولا على نعش فسمي ذا الاعواد لذلك وكان ملكه اربعا وستين سنة وكان يتفحص كتب آبائه فوجد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في كتب جده افريقس ابن ابرهة فآمن به وقال في ذلك

فياليت ذا الاعواد ادرك أحمدا
فيعقل عنه كل من جار واعتدى
وياليت ذا الاعواد اخر يومه

من المسلمين الاثلاثة نفر قتل منهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر فدفن هنالك وحمل خمس افريقية الى المدينة فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان وكان هذا مما أخذ عليه وهذا أحسن ما قيل في خمس افريقية فان بعض الناس يقول اعطى عثمان خمس افريقية عبد الله بن سعد وبعضهم يقول اعطاه مروان بن الحكم وظهر بهذا انه اعطى عبد الله خمس الغزوة الاولى واعطى مروان خمس الغزوة الثانية التي افتتحت فيها جميع افريقية والله اعلم

﴿ ذكر انتقاض افريقية وفتحها ثانية ﴾

كان هرقل ملك القسطنطينية يؤدي اليه كل ملك من ملوك النصارى الخراج من مصر وافريقية والاندلس وغير ذلك فلما صالح اهل افريقية عبد الله بن سعد ارسل هرقل الى اهلها بطريقا له وامره ان يأخذ منهم مثل ما اخذ المسلمون فنزل البطريق في قرطاجنة وجمع اهل افريقية واخبرهم بما امره الملك فابوا عليه وقالوا نحن نؤدي ما كان يؤخذ منا وقد كان ينبغي له ان يساعدنا لما نالنا المسلمون منا وكان قد قام بأمر افريقية بعد قتل جرجير رجل آخر من الروم فطرده البطريق بعد فتن كثيرة فسار الى الشام وبه معاوية وقد استقر له الامر بعد قتل علي فوصف له افريقية وطلب ان يرسل معه جيشا فسير معه معاوية بن أبي سفيان معاوية ابن حديج السكوني فلما وصلوا الى الاسكندرية هلك الرومي ومضى ابن حديج فوصل الى افريقية وهي نار تضطرم وكان معه عسكر عظيم فنزل عند قونية وارسل البطريق اليه ثلاثين ألف مقاتل فلما سمع بهم معاوية سير اليهم جيشا من المسلمين فقاتلوهم فانهزمت الروم وحصر حصن جلولاء فلم يقدر عليه فانهدم سور الحصن فلكه المسلمون وغنموا ما فيه وبث السرايا فسكن الناس واطاعوا وعاد الى مصر (حديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم) ثم لم يزل أهل افريقية من اطوع أهل البلدان واسمعهم الى زمان هشام بن عبد الملك حتى دب اليهم اهل العراق فاستثاروهم وشقوا العصا وفرقوا بينهم الى اليوم وكانوا يقولون لا نخالف الائمة بما تجني العمال فقالوا لهم انما يعمل هؤلاء بأمر أولئك فقالوا حتى نختبرهم فخرج ميسرة في بضعة وعشرين رجلا فقدموا على هشام فلم يؤذن لهم فدخلوا على الابرش فقالوا ابلغ امير المؤمنين ان أميرنا يغزو بنا وبجنده فاذا غنمنا نفلهم ويقول هذا اخلص لجهادكم واذا حاصرنا مدينة قدمنا واخرهم ويقول هذا ازدياد في الاجر ومثلنا كفى اخوانه ثم انهم عمدوا الى ماشيتنا فجعلوا يبقرون بطونها عن سخالها يطلبون الفراء البيض لامير المؤمنين فيقتلون الف شاة في جلد فاحتملنا ذلك ثم انهم ساموننا ان يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون فاحببنا ان نعلم أعن رأي أمير المؤمنين هذا ام لا فطال عليهم المقام ونفدت نفقاتهم فكتبوا أسماءهم ودفعوها الى وزرائه وقالوا ان سأل عنا امير المؤمنين فاخبروه ثم رجعوا الى افريقية فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على افريقية وبلغ الخبر هشاما فسأل عن النفر فعرف أسماءهم فاذا هم الذين صنعوا ذلك

﴿ ذكر غزوة الاندلس ﴾

لما افتتحت افريقية امر عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس ان

الى ان دري ذا المكرمات محمدا
شهدت بان الله لا رب غيره
واني له اضحيت عبدا موحدا
وان الذي يعطيه صفقة كفه
على نصره يوما فقد فاز واهتدى
ثم ملك بعده (عبد كلال بن ذي الاعواد) ثم ملك بعده (تبع بن حسان بن كليكرب) وهو تبع الاصغر ثم ملك بعده ابن أخيه (الحرث بن عمرو) ثم ملك بعده (مرثد بن كلال) وكان ملكه أربعين سنة ثم تفرقت بعده ملوك حمير والذي اشتهر بعده انه ملك (وليعة بن مرثد) مدة تسع وثلاثين سنة ثم ملك بعده (ابرهة بن الصباح) فكان ملكه ثلاثا وتسعين سنة ثم ملك بعده (عمرو بن ذي قيفان) الذي كان له سيف عمرو بن معديكرب المعروف بالصمصامة وفي ذلك يقول
وسيف لابن ذي قيفان عندي
تخيرته من عهد عاد
وذكر ان ملك الروم اهدى الى الرشيد جملة سيوف قلعية فامر الرشيد باحضار صمصامة عمرو وليعرض عندهم سيوفهم فجعل يقطع بها السيوف سيفا سيفا كما يقطع الفجل في حضور رسل ملك الروم ثم اراهم حيث الصمصامة فاذا فيه قل

بسيرا الى الاندلس فأتياها من قبل البحر وكتب عثمان الى من انتدب معهما . أما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس فخرجوا ومعهم البربر ففتح الله على المسلمين وزاد في سلطان المسلمين مثل افريقية ولما عزل عثمان عبد الله بن سعد عن افريقية ترك في عمله عبد الله ابن نافع بن عبد القيس فكان عليها ورجع عبد الله الى مصر وبعث عبد الله الى عثمان مالا قد حشد فيه فدخل عمرو على عثمان فقال له يا عمرو هل تعلم ان تلك اللقاح درت بعدك قال عمرو ان فصالها قد هلكت

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة عثمان وفيها كان فتح اصطخر الثاني على يد عثمان بن ابي العاص وفيها اغزا معاوية بن ابي سفيان قنسرين وفيها مات ابو ذؤيب الهذلي الشاعر بمصر منصرفا من افريقية وقيل بل مات بطريق مكة في البادية وقيل مات ببلاد الروم وكلهم قالوا مات في خلافة عثمان وفيها مات ابو رمثة البلوي بافريقية له صحبة وفيها ماتت حفصة بنت عمر بن الخطاب زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ماتت سنة احدى وأربعين وقيل سنة خمس واربعين

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

(ذكر فتح قبرس)

قيل في سنة ثمان وعشرين كان فتح قبرس على يد معاوية وقيل سنة تسع وعشرين وقيل سنة ثلاث وثلاثين وقيل انما غزيت سنة ثلاث وثلاثين لان أهلها غدروا على ما نذكره فغزاها المسلمون ولما غزاها معاوية هذه السنة غزا معه جماعة من الصحابة فيهم ابو ذر وعبادة بن الصامت ومعه زوجته ام حرام وأبو الدرداء وشداد بن أوس وكان معاوية قد لج على عمر في غزو البحر وقرب الروم من حمص وقال ان قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم فكتب عمر الى عمرو بن العاص صف لي البحر وراكبه فكتب اليه عمرو بن العاص اني رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركد خرق القلوب وان تحرك ازاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود ان مال غرق وان نجا برق فلما قرأه كتب الى معاوية والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لا أحمل فيه مسلما ابدا وقد بلغني ان بحر الشام يشرف على اطول شئ من الارض فيستأذن الله في كل يوم وليلة في ان يغرق الارض فكيف احمل الجنود على هذا الكافر وبالله لمسلم احب الي مما حوت الروم واياك ان تعرض الي فقد علمت ما لقي العلاء مني قال وترك ملك الروم الغزو وكاتب عمر وقاربه وبعثت ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب زوج عمر بن الخطاب الى امرأة ملك الروم بطيب وشئ يصلح للنساء مع البريد فابلغه اليها فاهدت امرأة الملك اليها هدية منها عقد فاخر فلما رجع البريد أخذه عمر منه ونادى الصلاة جامعة فاجتمعوا واعلمهم الخبر فقال القائلون هو لها بالذي كان لها وليست امرأة الملك بذمة فتصانعك وقال آخرون قد كنا نهدي لنستثيب فقال عمر لكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم والمسلمون عظموها في صدرها فأمر بردها الى بيت المال واعطاها بقدر نفقتها فلما كان زمن عثمان كتب اليه معاوية يستأذنه في غزو البحر مرارا فاجابه عثمان بآخرة الى ذلك وقال له لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم خيرهم فمن

ولا أثر وكان مدة ملكه تسع عشرة سنة ثم ملك بعده (لخنيعة ذو الشناتر) لقب به لاصبع زائدة له ولم يكن من أهل بيت الملك وكان ينكح الاحداث من ابناء الملوك لئلا يملكوا لانهم لم يكونوا يملكون من نكح ولم يزل يظهر الفسق واللواط وعدل مع ذلك في الرعية وأنصف المظلوم وبعث الى يوسف ذي نواس وكان من ابناء الملوك فلما أتاه الرسول عرف ما يريده فأخذ سكينا لطيفا فاخفاه بين نعله وقدمه فلما خلا معه وثب اليه ذو نواس فقضى عليه ثم حز رأسه وكان في قصره كوة يشرف منها على عبيده اذا قضى حاجته من الغلام الذي يباضعه فوضع الرأس فيها ثم خرج على العبيد فقالوا له يا أبا نواس ارطب ام يباس فقال لهم سلوا الشيطان الخناس ولينزل ذو نواس اي سلوا الرأس التي في الكوة يخبركم واتركوا ذا نواس فلما رأوا ما فعل ذو نواس بلخنيعة قالوا ينبغي ان لا يملك علينا غيره الذي أراحنا منه فملكوا (ذا

اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه ففعل واستعمل عبد الله بن قيس الجاسي حليف بني فزارة وسار المسلمون من الشام الى قبرس وسار اليها عبد الله بن سعد من مصر فاجتمعوا عليها فصالحهم أهلها على جزية سبعة آلاف دينار كل سنة يؤدون الى الروم مثلها لا يمنعهم المسلمون عن ذلك وليس على المسلمين منعهم ممن أرادهم ممن وراءهم وعليهم ان يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم اليهم ويكون طريق المسلمين الى العدو عليهم قال جبير بن نفير ولما فتحت قبرس ونهب منها السبي نظرت الى ابي الدرداء يبكي فقلت ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله قال فضرب منكبي بيده وقال ما أهون الخلق على الله اذا تركوا امره بينما هي امة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك اذ تركوا امر الله فصاروا الى ما ترى فسلط عليهم السباء واذا سلط السباء على قوم فليس لله فيهم حاجة وفي هذه الغزاة ماتت ام حرام بنت ملحان الانصارية ألقتها بغلتها بجزيرة قبرس فاندقت عنقها فماتت تصديقا للنبي صلى الله عليه وسلم حيث اخبرها انها الى أول من يغزو في البحر وبقي عبد الله بن قيس الجاسي على البحر فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البر والبحر لم يغرق أحد ولم ينكب فكان يدعو الله ان يعافيه في جنده فأجابه فلما أراد الله ان يصيبه في جنده خرج في قارب طليعة فانتهى الى المرقا من أرض الروم وعليه سؤال يسألون فتصدق عليهم فرجعت امرأة منهم الى قريتها فقالت للرجال هذا عبد الله بن قيس في المرفا فثاروا اليه فهجموا عليه فقتلوه بعد ان قاتلهم فأصيب وحده ونجا الملاح حتى أتى أصحابه فجاؤا حتى ارسوا بالمرفا والخليفة عليهم سفيان بن عوف الازدي فخرج اليهم فقاتلهم فضجر فجعل يشتم أصحابه فقالت جارية عبد الله ما هكذا كان يقول حين يقاتل فقال سفيان فكيف كان يقول قالت الغمرات ثم ينجلينا فلزمها يقولها واصيب في المسلمين يومئذ وقيل لتلك المرأة بعد بأي شيء عرفتيه قالت كان كالتاجر فلما سألته اعطاني كالملك فعرفته بذا وفي هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من ارض الروم وفيها تزوج عثمان نائلة بنت الفرافصة وكانت نصرانية فأسلمت قبل ان يدخل بها وفيها بنى عثمان الزوراء ووسع بالناس عثمان هذه السنة (حرام بالحاء المهملة والراء والجاسي بالجيم والسين المهملة والفرافصة بفتح الفاء الا الفرافصة بن الاحوص الكلبي الذي من ولده نائلة زوج عثمان)

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين ﴾

﴿ ذكر عزل ابي موسى عن البصرة واستعمال ابن عامر عليها ﴾

قيل في هذه السنة عزل عثمان ابا موسى الاشعري عن البصرة واستعمل عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهو ابن خال عثمان وقيل كان ذلك لثلاث سنين مضت من خلافة عثمان وكان سبب عزله ان اهل ايذج والاكراد كفروا في السنة الثالثة من خلافة عثمان فنادى أبو موسى في الناس وحضهم على الجهاد وذكر من فضل الجهاد ماشيا فحمل نفر على دوابهم واجمعوا على ان يخرجوا رجالة وقال آخرون لا نعجل بشيء حتى ننظر ما يصنع فان اشبه قوله فعله فعلنا كما يفعل فلما خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلا فتعلقوا بعنانه وقالوا احملنا على بعض هذه الفضول وارغب في المشي كما رغبتنا فضرب القوم بسوطه فتركوا دابته فمضى واتوا عثمان فاستعفوه منه وقالوا ما كل ما نعلم نحب ان تسألنا عنه فأبدلنا به فقال

نواس) واسمه يوسف وكان يهود يا جبارا وهو صاحب الاخدود الذي ذكره الله تعالى في القرآن قال مقاتل كانت الاخاديد التي في الدنيا ثلاثة واحد بنجران ليوسف المذكور وكان في الفترة قبل البعثة بسبعين سنة والثاني بالشام لانطياقوس الرومي والثالث بفارس لبختنصر فأما الذي بالشام وفارس فلم يذكر في القرآن وانزل في الذي كان بنجران كذا في معالم التنزيل قيل أطيب البلاد نجران من الحجاز وصنعاء من اليمن ودمشق من الشام والري من خراسان ومرو من الروم ثم غلب ارياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا بعد حروب طويلة حتى قام من الغار فاقتحم البحر بفرسه فغرق وهو آخر من ملك من أهل اليمن وكان مدة ملكه ستا وستين سنة بحول زمان ولايتهم اليمن نحو ثلاثة آلاف سنة وسبب استيلاء الحبشة على اليمن ان النجاشي ملك الحبشة لما بلغه فعل ذي نواس باتباع المسيح وما يعذبهم به من أنواع العذاب

من تحبون فقالوا غيلان بن خرشة في كل احد عوض من هذا العبد الذي قد أكل ارضنا اما منكم خسيس فترفعونه أما منكم فقير فتجبرونه يا معشر قريش حتى متى يأكل هذا الشيخ الاشعري هذه البلاد فانتبه لها عثمان فعزل اباموسى وولى عبد الله بن عامر بن كريز فلما سمع ابو موسى قال يأتيكم غلام خراج ولاج كريم الجدات والخالات والعمات يجمع له الجندين وكان عمر ابن عامر خمسا وعشرين سنة وجمع له جند ابي موسى وجند عثمان بن ابي العاص الثقفي من عمان والبحرين واستعمل على خراسان عمير بن عثمان بن سعد وعلى سجستان عبد الله بن عمير الليثي وهو من ثعلبة فاثخن فيها الى كابل واثخن عمير في خراسان حتى بلغ فرغانة لم يدع دونها كورة الا أصلحها وبعث الى مكران عبيد الله بن معمر فاثخن فيها حتى بلغ النهر وبعث على كرمان عبد الرحمن بن عبيس وبعث الى الاهواز وفارس نفرا ثم عزل عبد الله بن عمير واستعمل عبد الله بن عامر فأقره عليها سنة ثم عزله واستعمل عاصم بن عمرو وعزل عبد الرحمن بن عبيس واعاد عدى بن سهيل بن عدى وصرف عبيد الله بن معمر الى فارس واستعمل مكانه عمير بن عثمان واستعمل على خراسان امير بن أحمر اليشكري واستعمل على سجستان سنة اربع عمران بن الفضيل البرجمي ومات عاصم بن عمرو بكرمان (عبيس بضم العين المهملة وفتح الباء الموحدة ثم الياء المثناة من تحتها وآخره سين مهملة وأمير بضم الهمزة وفتح الميم وآخره راء وكريز بن ربيعة بضم الكاف وفتح الراء)

(ذكر انتقاض أهل فارس)

ثم ان أهل فارس انتقضوا ونكثوا بعبيد الله بن معمر فسار اليهم فالتقوا على باب اصطخر فقتل عبيد الله وانهزم المسلمون وبلغ الخبر عبد الله بن عامر فاستنفر أهل البصرة وسار بالناس الى فارس فالتقوا باصطخر وكان على ميمنته ابو برزة الاسلمي وعلى ميسرته معقل بن يسار وعلى الخيل عمران بن الحصين ولكلهم صحبة فاشتد القتال فانهزم الفرس وقتل منهم مقتلة عظيمة وفتحت

مدينة جور وهي اردشير خره
كان هرم بن حيان محاصر الها
زون نواحي كانت تنتقض عليهم
نام يصلي ذات ليلة والى جانبه
ن مدخل لها خفي فلزم المسلمون
ر عاد الى اصطخر ففتحها عنوة
داقا كثيرا من الاعاجم وافنى
ل ان أهل اصطخر لما نكثوا
أتى دارابجرد فلكها وكانت
عثمان بالخبر فكتب اليه ان
العبدي والخريت بن راشد
خراسان على جماعة فجعل
الله بن زهير على هراة وأمير

والتحريق بالنيران عبر بالحبشة اليهم وغلبهم (ارياط ابن اصحمة) فملك اليمن عشرين سنة ثم وثب عليه (ابرهة الاشرم) أبو يكسوم فقتله وملك اليمن فلما بلغ النجاشي ذلك غضب وحلف بالمسيح ان يجز ناصيته ويريق دمه ويطأ تربته يعني ارض اليمن فبلغ ذلك ابرهة فجز ناصيته وجعلها في حق من عاج وجعل من دمه في قارورة وجعل من تربة اليمن في جراب وانفذ ذلك الى النجاشي ملك الحبشة وضم الى ذلك هدايا كثيرة والطافا وكتب اليه يعترف له بالعبودية ويحلف له بدين النصرانية انه في طاعته وانه بلغه ان الملك حلف بالمسيح ان يجز ناصيتي ويريق دمي ويطأ ارضي وقد انفذت الى الملك بناصيتي فليجزها بيده وبدمي في قارورة فليهرقه وبجراب من تربة بلادي فليطأها بقدمه وليطفئ الملك عن غضبه فلقد بررت يمينه وهو على سرير الملك فلما وصل ذلك الى النجاشي استصوب رأيه واستحسن عقله وصفح عنه وكان ذلك في ملك قباذ ملك فارس وابرهة أبو يكسوم هو الذي سار بأصحاب الفيل الى مكة لاخراب الكعبة

اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه ففعل واستعمل عبد الله بن قيس الجاسى حليف بنى فزارة وسار
المسلمون من الشام الى قبرس وسار اليها عبد الله بن سعد من مصر فاجتمعوا عليها فصالحهم
أهلها على جزية سبعة آلاف دينار كل سنة يؤدون الى الروم مثلها لا يمنعهم المسلمون من ذلك
وليس على المسلمين منعهم ممن أرادهم ممن وراءهم وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من
الروم اليهم ويكون طريق المسلمين الى العدو عليهم قال جبير بن نفير ولما فتحت قبرس ونهب منها
السبى نظرت الى أبى الدرداء يبكى فقلت ما يبكيك فى يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله قال فضرب
منكبى بيده وقال ما أهون الخلق على الله اذا تركوا أمره بينا هى أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم
الملك اذ تركوا أمر الله فصاروا الى ما ترى فسلط عليهم السباء واذا سلط السباء على قوم فليس
لله فيهم حاجة وفى هذه الغزاة ماتت أم حرام بنت ملحان الانصارية ألقتها بغلتها بجزيرة قبرس
فاندقت عنقها فماتت تصديقا للنبى صلى الله عليه وسلم حيث أخبرها أنها فى أول من يغزو فى
البحر وبقى عبد الله بن قيس الجاسى على البحر فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة فى البر
والبحر لم يغرق أحد ولم ينكب فكان يدعو الله أن يعافيه فى جنده فأجابه فلما أراد الله أن يصيبه
فى جنده خرج فى قارب طليعة فانتهى الى المرفا من أرض الروم وعليه مساكين يسألون
فتصدق عليهم فرجعت امرأة منهم الى قريتها فقالت للرجال هذا عبد الله بن قيس فى المرفا
فثاروا اليه فهجموا عليه فقتلوه بعد ان قاتلهم فأصيب وحده ونجا الملاح حتى أتى أصحابه
فجاؤوا حتى أرسوا بالمرفا والخليفة عليهم سفيان بن عوف الازدى فخرج اليهم فقاتلهم
فضجر وجعل يشتم أصحابه فقالت جارية عبد الله ما هكذا كان يقول حين يقاتل فقال سفيان
فكيف كان يقول قالت الغمرات ثم ينجلينا فلزمها يقولها وأصيب فى المسلمين يومئذ
وقيل لتلك المرأة بعد بأى شىء عرفتيه قالت كان كالتاجر فلما سألته أعطانى كالملك فعرفته بهذا
وفى هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم وفيها تزوج عثمان نائلة بنت
الفرافصة وكانت نصرانية فأسلمت قبل ان يدخل بها وفيها بنى عثمان الزوراء وحج بالناس عثمان
هذه السنة (حرام بالحاء المهملة والراء والجاسى بالجيم والسين المهملة والفرافصة بفتح الفاء
الا الفرافصة بن الاحوص الكلبى الذى من ولده نائلة زوج عثمان)

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

(ذكر عزل أبى موسى عن البصرة واستعمال ابن عامر عليها)

قيل فى هذه السنة عزل عثمان أبا موسى الاشعرى عن البصرة واستعمل عبد الله بن عامر بن
كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وهو ابن خال عثمان وقيل كان ذلك لثلاث سنين مضت
من خلافة عثمان وكان سبب عزله ان أهل ايذج والاكراد كفروا فى السنة الثالثة من خلافة
عثمان فنادى أبو موسى فى الناس وحضهم على الجهاد وذكر من فضل الجهاد ماشيا فحمل نفر
على دوابهم وأجمعوا على ان يخرجوا رجالة وقال آخرون لا نعجل بشىء حتى ننظر ما يصنع فان
أشبه قوله فعله فعلنا كما يقول فلما خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلا فتعلقوا بعنانه
وقالوا احملنا على بعض هذه الفضول وارغب فى المشى كما رغبتنا فضرب القوم بسوطه فتركوا
دابته فمضى وأتوا عثمان فاستعفوه منه وقالوا ما كل ما نعلم نحب ان نسألنا عنه فأبدلنا به فقال

نواس) واسمه يوسف وكان يهوديا جبارا وهو صاحب الاخدود الذى ذكره الله تعالى فى القرآن قال مقاتل كانت الاخاديد التى فى الدنيا ثلاثة واحد بنجران ليوسف المذكور وكان فى الفترة قبل البعثة بسبعين سنة والثانى بالشام لانطياقوس الرومى والثالث بفارس لبختنصر فاما الذى بالشام وفارس فلم يذكر فى القرآن وانزل فى الذى كان بنجران كذا فى معالم التنزيل قيل أطيب البلاد نجران من الحجاز وصنعاء من اليمن ودمشق من الشام والرى من خراسان وبروسا من الروم ثم غلب ارياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا بعد حروب طويلة خوفا من العار فاقتحم البحر بفرسه فغرق وهو آخر من ملك من أهل اليمن وكان مدة ملكه ستا وستين سنة فجملة زمان ولايتهم اليمن نحو ثلاثة آلاف سنة وسبب استيلاء الحبشة على اليمن ان النجاشى ملك الحبشة لما بلغه فعل ذى نواس باتباع المسيح وما يعذبهم به من أنواع العذاب

من

من تحبون فقالوا غيلان بن خرشة فى كل احد عوض من هذا العبد الذى قد أكل ارضنا اما منكم خسيس فترفعونه أما منكم فقير فتجبرونه يامعشر قريش حتى متى يأكل هذا الشيخ الاشعرى هذه البلاد فانتبه لها عثمان فعزل اباموسى وولى عبد الله بن عامر بن كريز فلما سمع ابو موسى قال يأتيكم غلام خراج ولاج كريم الجدات والخالات والعمات يجمع له الجندين وكان عمر ابن عامر خمسا وعشرين سنة وجمع له جند ابى موسى وجند عثمان بن ابى العاص الثقفى من عمان والبحرين واستعمل على خراسان عمير بن عثمان بن سعد وعلى سجستان عبد الله بن عمير الليثى وهو من ثعلبة فاثخن فيها الى كابل واثخن عمير فى خراسان حتى بلغ فرغانة لم يدع دونها كورة الا أصلحها وبعث الى مكران عبيد الله بن معمر فاثخن فيها حتى بلغ النهر وبعث على كرمان عبد الرحمن بن عبيس وبعث الى الاهواز وفارس نفرا ثم عزل عبد الله بن عمير واستعمل عبد الله بن عامر فأقره عليها سنة ثم عزله واستعمل عاصم بن عمرو وعزل عبد الرحمن بن عبيس واعاد عدى بن سهيل بن عدى وصرف عبيد الله بن معمر الى فارس واستعمل مكانه عمير بن عثمان واستعمل على خراسان امير بن أحمر اليشكرى واستعمل على سجستان سنة اربع عمران بن الفضيل البرجمى ومات عاصم بن عمرو بكرمان (عبيس بضم العين المهملة وفتح الباء الموحدة ثم الياء المثناة من تحتها وآخره سين مهملة وأمير بضم الهمزة وفتح الميم وآخره راء وكريز بن ربيعة بضم الكاف وفتح الراء)

﴿ذكر انتقاض أهل فارس﴾

ثم ان أهل فارس انتقضوا ونكثوا بعبيد الله بن معمر فسار اليهم فالتقوا على باب اصطخر فقتل عبيد الله وانهزم المسلمون وبلغ الخبر عبد الله بن عامر فاستنفر أهل البصرة وسار بالناس الى فارس فالتقوا باصطخر وكان على ميمنته ابو برزة الاسلمى وعلى ميسرته معقل بن يسار وعلى الخيل عمران بن الحصين ولكلهم صحبة واشتد القتال فانهزم الفرس وقتل منهم مقتلة عظيمة وفتحت اصطخر عنوة وأتى دارابجرد وقد غدر اهلها ففتحها وسار الى مدينة جور وهى اردشيرخره فانتقضت اصطخر فلم يرجع وتمم السير الى جور وحاصرها وكان هرم بن حيان محاصرا لها وكان المسلمون يحاصرونها وينصرفون عنها فيأتون اصطخر ويغزون نواحى كانت تنتقض عليهم فلما نزل ابن عامر عليها افتتحها وكان سبب فتحها ان بعض المسلمين قام يصلى ذات ليلة والى جانبه جراب له فيه خبز ولحم فجاء كلب فجره وعدا به حتى دخل المدينة من مدخل لها خفى فلزم المسلمون ذلك المدخل حتى دخلوها منه وفتحوها عنوة فلما فرغ منها ابن عامر عاد الى اصطخر ففتحها عنوة بعد ان حاصرها واشتد القتال عليها ورميت بالمجانيق فقتل بها خلقا كثيرا من الاعاجم وافنى أكثر اهل البيوتات ووجوه الاساورة وكانوا قد لجؤا اليها وقيل ان أهل اصطخر لما نكثوا عاد اليها ابن عامر قبل وصوله الى جور فملكها عنوة وعاد الى جور فأتى دارابجرد فملكها وكانت منتقضة ايضا ووطئ اهل فارس وطأة لم يزالوا منها فى ذل وكتب الى عثمان بالخبر فكتب اليه ان يستعمل على بلاد فارس هرم بن حيان اليشكرى وهرم بن حيان العبدى والخريت بن راشد والمنجاب بن راشد والترجمان الهجيمى وأمره ان يفرق كورخراسان على جماعة فجعل الاحنف على المروين وحبيب بن قرة اليربوعى على بلخ وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة وأمير

والتحريق بالنيران عبر بالحبشة اليهم وغلبهم (ارياط ابن اصحمة) فملك اليمن عشرين سنة ثم وثب عليه (ابرهة الاشرم) أبو يكسوم فقتله وملك اليمن فلما بلغ النجاشى ذلك غضب وحلف بالمسيح ان يجز ناصيته ويهريق دمه ويطأ تربته يعنى ارض اليمن فبلغ ذلك ابرهة فجز ناصيته وجعلها فى حق من عاج وجعل من دمه فى قارورة وجعل من تربة اليمن فى جراب وانفذ ذلك الى النجاشى ملك الحبشة وضم الى ذلك هدايا كثيرة والطافا وكتب اليه يعترف له بالعبودية ويحلف له بدين النصرانية انه فى طاعته وانه بلغه ان الملك حلف بالمسيح ان يجز ناصيتى ويريق دمى ويطأ ارضى وقد انفذت الى الملك بناصيتى فليجزها بيده وبدمى فى قارورة فليهرقه وبجراب من تربة بلادى فليطأها بقدمه وليطفئ الملك عنى غضبه فلقد بررت يمينه وهو على سرير الملك فلما وصل ذلك الى النجاشى استصوب رأيه واستحسن عقله وصفح عنه وكان ذلك فى ملك قباذ ملك فارس وابرهة أبو يكسوم هو الذى سار بأصحاب الفيل الى مكة لاخراب الكعبة

ابن أحمر على طوس وقيس بن هبيرة السلمي على نيسابور وبه تخرج عبد الله بن خازم وهو ابن عمه ثم جمعها عثمان قبل موته لقيس واستعمل امير بن أحمر على سجستان ثم جعل عليها عبد الرحمن ابن سمرة وهو من آل حبيب بن عبد شمس فمات عثمان وهو عليها ومات وعمران على مكران وعمير ابن عثمان بن سعد على فارس وابن كندير القشيري على كرمان ثم أوفد قيس بن هبيرة عبد الله بن خازم الى ابن عامر فى زمن عثمان وكان ابن عامر يكرمه فقال لابن عامر اكتب لى على خراسان عهدا ان خرج عنها قيس ففعل فرجع الى خراسان فلما قتل عثمان وجاش العدو قال ابن خازم لقيس الرأى ان تخلفنى وتمضى حتى تنظر فيما يتطرون فيه ففعل فاخرج ابن خازم بعده عهدا بخلافته وثبت على خراسان الى ان قام على بن أبى طالب وغضب قيس من صنيع ابن خازم *(الخريت بكسر الخاء المعجمة والراء المشددة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره تاء فوقها نقطتان)

(ذكر الزيادة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم)

فى هذه السنة زاد عثمان فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الاول وكان ينقل الجص من بطن نخل وبناه بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة فيها رصاص وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع وجعل أبوابه على ما كانت ايام عمر ستة ابواب

(ذكر اتمام عثمان الصلاة بجمع واول ما تكلم الناس فيه)

حج بالناس هذه السنة عثمان وضرب بفسطاطه بمنى وكان اول فسطاط ضربه عثمان بمنى واتم الصلاة بها وبعرفة فكان أول ما تكلم به الناس فى عثمان ظاهرا حين اتم الصلاة بمنى فعاب ذلك غير واحد من الصحابة وقال له على ما حدث امر ولا قدم عهد ولقد عهدت النبى صلى الله عليه وسلم وابابكر وعمر يصلون ركعتين وانت صدرا من خلافتك فما درى ما يرجع اليه وقال رأى رأيته وبلغ الخبر عبد الرحمن بن عوف وكان معه فجاء وقال له ألم تصل فى هذا المكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر ركعتين وصليتها أنت ركعتين قال بلى ولكنى أخبرت أن بعض من حج من اليمن وجفاة الناس قالوا ان الصلاة للمقيم ركعتان واحتجوا بصلاتى وقد اتخذت بمكة أهلا ولى بالطائف مال فقال عبد الرحمن ما فى هذا عذر اما قولك اتخذت بها أهلا فان زوجك بالمدينة تخرج بها اذا شئت وانما تسكن بسكناك واما مالك بالطائف فبينك وبينه مسيرة ثلاث ليال واما قولك عن حاج اليمن وغيرهم فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحى والاسلام قليل ثم أبو بكر وعمر فصلوا ركعتين وقد ضرب الاسلام بجرانه فقال عثمان هذا رأى رأيته فخرج عبد الرحمن فلقى ابن مسعود فقال أبا محمد غير ما تعلم قال فما اصنع قال اعمل بما ترى وتعلم فقال ابن مسعود الخلاف شر وقد صليت بأصحابى أربعا فقال عبد الرحمن قد صليت بأصحابى ركعتين واما الآن فسوف اصلى أربعا وقيل كان ذلك سنة ثلاثين

(ثم دخلت سنة ثلاثين)

(ذكر عزل الوليد عن الكوفة وولاية سعيد)

فى هذه السنة عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة وولاها سعيد بن العاص وقد تقدم سبب ولاية الوليد على الكوفة فى السنة الثانية من خلافة عثمان وانه كان محببا الى الناس فبقى

وذلك لاربعين سنة خلت من ملك أنوشروان فعدل الى الطائف فبعث معه ثقيف بأبى رغال ليدله على الطريق الموصل الى مكة فهلك ابو رغال بالطريق فى موضع يقال له المغمس بين الطائف ومكة فرجم قبره فلما قرب ابرهة مكة امر عبد المطلب قريشا ان تلحق بطون الاودية ورؤس الجبال من مضرة الحبشة وقلد الابل النعال وخلاها فى الحرم وهو يقول
يارب ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
ذكر العلامة ابو السعود فى تفسيره ان ابرهة بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس وأراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف فيل وكان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتى بعير التى كان خلاها فى الحرم فخرج اليه فى شأنها فلما رآه ابرهة عظم فى عينه واجلسه معه

كذلك

كذلك خمس سنين وليس لداره باب ثم ان شبابا من أهل الكوفة نقبوا على ابن الحيسمان الخزاعي وكابروه فنذر بهم وخرج عليهم بالسيف وصرخ فاشرف عليهم أبو شريح الخزاعي وكان قد انتقل من المدينة الى الكوفة للقرب من الجهاد فصاح بهم أبو شريح فلم يلتفتوا وقتلوا ابن الحيسمان وأخذهم الناس وفيهم زهير بن جندب الازدي ومورع بن أبي مورع الاسدي وشبيل بن أبي الازدي وغيرهم فشهد عليهم أبو شريح وابنه فكتب فيهم الوليد الى عثمان فكتب عثمان بقتلهم فقتلهم على باب القصر ولهذا السبب اخذ في القسامة بقول ولي المقتول عن ملا من الناس ليفطم الناس عن القتل وكان أبو زبيد الشاعر في الجاهلية والاسلام في بني تغلب وكانوا اخواله فظلموه دينا له فأخذ له الوليد حقه اذ كان عاملا عليهم فشكر أبو زبيد ذلك له وانقطع اليه وغشيه بالمدينة والكوفة وكان نصرانيا فاسلم عند الوليد وحسن اسلامه فبينما هو عنده أتى آت أبا زينب وأبا مورع وجندبا وكانوا يحقدون للوليد منذ قتل أبناءهم ويضعون له العيون فقال لهم ان الوليد وأبا زبيد يشربان الخمر فثاروا وأخذوا معهم نفرا من اهل الكوفة فاقتحموا عليه فلم يروا فانقلبوا يتلاومون وسبهم الناس وكتم الوليد ذلك عن عثمان وجاء جندب ورهط معه الى ابن مسعود فقالوا له ان الوليد معتكف على الخمر واذاعوا ذلك فقال ابن مسعود من استتر عنا لم نتبع عورته فعاتبه الوليد على قوله حتى تغاضبا ثم أتى الوليد بساحر فأرسل الى ابن مسعود يسأله عن حده واعترف الساحر عند ابن مسعود وكان يخيل الى الناس انه يدخل في دبر الحمار ويخرج من فيه فامره ابن مسعود بقتله فلما اراد الوليد قتله اقبل الناس ومعهم جندب فضرب الساحر فقتله فحبسه الوليد وكتب الى عثمان فيه وامره باطلاقه وتأديبه فغضب لجندب أصحابه وخرجوا الى عثمان يستعفون من الوليد فردهم خائبين فلما رجعوا اتاهم كل موتور فاجتمعوا معهم على رأيهم ودخل أبو زينب وابو مورع وغيرهما على الوليد فتحدثوا عنده فنام فأخذا خاتمه وسارا الى المدينة واستيقظ الوليد فلم ير خاتمه فسأل نساءه عن ذلك فأخبرنه أن آخر من بقي عنده رجلان صفتهما كذا وكذا فاتهمهما وقال هما أبو زينب وابو مورع وارسل يطلبهما فلم يوجدا افقصدا على عثمان ومعهما غيرهما واخبراه انه شرب الخمر فأرسل الى الوليد فقدم المدينة ودعاهما عثمان فقال أتشهدان أنكما رأيتماه يشرب فقالا لا قال فكيف قالا اعتصرناها من لحيته وهو يقيء الخمر فأمر سعيد بن العاص فجلده فاورث ذلك عداوة بين أهليهما فكان على الوليد خميصة فأمر علي بن ابي طالب بنزعها لما جلد هكذا في هذه الرواية والصحيح ان الذي جلده عبد الله بن جعفر بن ابي طالب لان عليا أمر ابنه الحسن ان يجلده فقال الحسن ول حارها من تولى قارها فأمر عبد الله بن جعفر فجلده أربعين فقال علي أمسك جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أربعين وجلد عمر ثمانين وكل سنة وهذا احب الي وقيل ان الوليد سكر وصلى الصبح بأهل الكوفة أربعا ثم التفت اليهم وقال أزيدكم فقال له ابن مسعود ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم وشهدوا عليه عند عثمان فامر عليا بجلده فامر علي عبد الله بن جعفر فجلده وقال الحطيئة

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ❊ ان الوليد احق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم ❊ أأزيدكم سكرا وما يدري

على سريره وقال اترجمانه قل له ما حاجتك فلماذا كرله المائتي بعير قال سقطت من عيني حيث جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك ولا تكلمني فيه الهالك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع عبد المطلب وأتى باب الكعبة وأخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فأرسل الله عليهم الطير الابابيل امثال اليعاسيب ترميهم بحجارة من سجيل وهو طين مختلط بحجارة خرجت من البحر مع كل طير ثلاثة أحجار فاتلفهم الله تعالى وجعلت الحبشة يومئذ تسأل عن دليلها على الرجوع وقد تاهوا وذكر في حدائق الاذهان ان ابرهة بعد ان رجع من الحرم سقطت أنامله وتقطعت أوصاله حتى بعث الله عليه الطير الابابيل فأهلكه وكانت مدة ملكه الى ان هلك نحو خمسين سنة وتولى مكانه ابنه (يكسوم بن ابرهة) فعم اذاه سائر اليمن وكان ملكه الى ان هلك سنتين ثم ملك بعده (مسروق بن ابرهة) فاشتدت وطأته على اليمن وعم اذاه سائر الناس وزاد على أبيه وأخيه في الاذى فسبب سيف بن ذي يزن وأباه وكان سيف يظن أنه ابن ابرهة

فأبوا أبا وهب ولو أدنوا * لقرنت بين الشفع والوتر
كفوا اعنانك اذ جريت ولو * تركوا اعنانك لم تزل تجزي

فلما علم عثمان من الوليد شرب الخمر عزله وولى سعيد بن العاص بن امية وكان سعيد قد ربي في حجر عمر فلما فتح الشام قدمه فاقام مع معاوية فذكره يوما قريشا فسأل عنه فأخبر انه بالشام فاستقدمه فقدم عليه فقال له قد بلغني عنك بلاء وصلاح فازدد يزدك الله خيرا وقال له هل لك من زوجة قال لا وجاء عمر بنات سفيان بن عويف ومعهن أمهن فقالت أمهن هلك رجالنا واذ هلك الرجال ضاع النساء فضعهن في أكفائهن فزوج سعيدا احداهن وزوج عبد الرحمن بن عوف اخرى وأتاه بنات مسعود بن نعيم النهشلي فقلن له قد هلك رجالنا وبقي الصبيان فضعنا في أكفائنا فزوج سعيدا احداهن وجبير بن مطعم الاخرى وكان عمر ومنه ذوي بلاء في الاسلام وسابقة فرجع سعيد وقد كان سعيد من رجال قريش فلما استعمله عثمان سار حتى أتى الكوفة أميرا وخرج معه الاشتر وأبو خشة الغفاري وجندب بن عبد الله وابن صعب بن جثامة وكانوا ممن شخص مع الوليد يعينونه فصاروا عليه فقال بعض شعراء الكوفة

فررت من الوليد الى سعيد * كاهل الحجر اذ جزعوا فباروا
يلينا من قريش كل عام * امير محدث او مستشار
لنا نار تحرقنا فنخشى * وليس لهم فلا يخشون نار

فلما وصل سعيد الكوفة صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال والله لقد بعثت اليكم واني لكاره ولكني لم أجد بدا اذا أمرت الا ان الفتنة قد أطلعت خطمها وعينيها والله لاضربن وجهها حتى أقمعها او تعييني واني لرائد نفسي اليوم ثم نزل وسأل عن اهل الكوفة فعرف حال أهلها فكتب الى عثمان ان أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والغالب على تلك البلاد روادف قدمت واعراب لحقت حتى لا ينظر الى ذي شرف وبلاء من نابتتها ولا نازلتها فكتب اليه عثمان أما بعد ففضل اهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن من نزلها من غيرهم تبعا لهم الا ان يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء واحفظ لكل منزلته واعطهم جميعا بقسطهم من الحق فان المعرفة بالناس بها يصاب العدل فارسل سعيد الى أهل الايام والقادسية فقال أنتم وجوه الناس والوجه ينبئ عن الجسد فابلغونا حاجة ذي الحاجة وادخل معهم من يحتمل من اللواحق والروادف وجعل القراء في سمره ففشت القالة في اهل الكوفة فكتب سعيد الى عثمان بذلك فجمع الناس واخبرهم بما كتب اليه فقالوا له أصبت لا تطمعهم فيما ليسوا له بأهل فانه اذا نهض في الامور من ليس بأهل لها لم يحتملها وافسدها فقال عثمان يا اهل المدينة استعدوا واستمسكوا فقد دبت اليكم الفتن واني والله لاتخلصن لكم الذي لكم حتى انقله اليكم ان رأيتم حتى يأتي من شهد مع اهل العراق سهمه فيقيم معه في بلاده فقالوا كيف تنقل المال مما من الارضين فقال يبيعها من شاء بما كان له بالحجاز واليمن وغيرهما من البلاد ففرحوا وفتح الله لهم أمرا لم يكن في حسابهم وفعلوا ذلك واشترى رجال من كل قبيلة بحيازاتهم عن تراض منهم ومن الناس واقرار بالحقوق

فاستعلم من امه أولادها ابرهة مسروق وكانت امه من آل ذي يزن وكان سيف بن ذي يزن الحميري يكنى بأبي مرة فركب البحار ومضى الى قيصر يستنجده فاقام ببابه سبع سنين فلم ينجده لبعد بلاده وقلة خيرها فمضى الى كسرى انوشروان يستنجده فوعده انوشروان بالنصرة واشتغل بحرب الروم وغيرها من الامم ومات سيف ابن ذي يزن فأتاه ابنه (معد يكرب بن سيف) فصاح على باب الملك فاستنطق عن حاله قال لي قبل الملك ميراث فوقف بين يدي انوشروان فسأله عن ميراثه فقال له انا ابن الشيخ الذي وعده الملك النصر على الحبشة قال مالي حاجة في بلادك ثم قال الا ان في سجوننا رجالا حبستهم للقتل نبعثهم معك فان هلكوا اهلكوا وان ظفروا فلك منا لك وازددت ملكا الى ملكي فبعثهم وهم ثمانمائة رجل واستعمل عليهم وهرز بن اصبهبد الديلمي وكان افضلهم حسبا ونسبا فحملوا في ثمان سفائن من دجلة ومعهم خيولهم وعلائقهم وعددهم حتى اتوا ابلة البصرة وهي فرج البحر ولم يكن يومئذ بصرة ولا كوفة وهذه مدن اسلامية فركبوا في سفن البحر وساروا حتى

ذكر غزو سعيد بن العاص طبرستان

في هذه السنة غزا سعيد بن العاص طبرستان فانه لم يغزها أحد الى هذه السنة وقد تقدم في أيام عمر الخلاف في ذلك وان اصبهبذها صالح سويد بن مقرن أيام عمر على مال بذله وأمّا على هذا القول فان سعيدا غزاها من الكوفة سنة ثلاثين ومعه الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر ابن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة بن اليمان وابن الزبير وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج ابن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيدا ونزل نيسابور ونزل سعيد قومس وهي صلح صالحهم حذيفة بعد نهاوند فأتى جرجان فصالحوه على مائتي ألف ثم أتى طميسة وهي كلها من طبرستان متاخمة جرجان على البحر فقاتله اهلها فصلى صلاة الخوف اعلمه حذيفة كيفيتها وهم يقتتلون وضرب سعيد يومئذ رجلا بالسيف على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه وحاصرهم فسألوا الامان فأعطاهم على ان لا يقتل منهم رجلا واحدا ففتحوا الحصن فقتلوا اجمعين الا رجلا واحدا وحوى ما في الحصن فأصاب رجل من بني نهد سفطا عليه قفل فظن ان فيه جوهرا وبلغ سعيدا فبعث الى النهدي فأتاه بالسفط فكسروا قفله فوجدوا فيه سفطا ففتحوه فوجدوا خرقة حمراء فنشروها فاذا خرقة صفراء وفيها أيران كميت وورد فقال شاعر يهجو بني نهد

آب الكرام بالسبايا وغنمه * وآب بنو نهد بأيرين في سفط
كميت وورد وافرين كلاهما * فظنوهما غنما فناهيك من غلط

وفتح سعيد نامية وليست بمدينة هي صحارى ومات مع سعيد محمد بن الحكم بن ابي عقيل جد يوسف بن عمر ثم رجع سعيد فمدحه كعب بن جعيل

فنعم الفتى اذ جال جيلان دونه * واذ هبطوا من دستبى وابهرا

في أبيات ولما صالح سعيد اهل جرجان كانوا يجبون احيانا مائة ألف واحيانا مائتي الف واحيانا ثلثمائة الف ويقولون هذا صلح صلحنا وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فانقطع طريق خراسان من ناحية قومس الا على خوف شديد منهم كان الطريق الى خراسان من فارس الى كرمان الى خراسان واول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولي خراسان وقدمها يزيد بن المهلب فصالح صولا وفتح البحيرة ودهستان وصالح أهل جرجان على صلح سعيد

ذكر غزو حذيفة الباب وامر المصاحف

وفيها انصرف حذيفة عن غزو الري الى غزو الباب مددا لعبد الرحمن بن ربيعة وخرج معه سعيد ابن العاص فبلغ معه اذربيجان وكانوا يجعلون الناس ردأ فاقام حتى عاد حذيفة ثم رجعا فلما عاد حذيفة قال لسعيد بن العاص لقد رأيت في سفرتي هذه امرا لئن ترك الناس ليختلفن في القرآن ثم لا يقومون عليه ابدا قال وماذاك قال رأيت اناسا من اهل حمص يزعمون ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم وانهم أخذوا القرآن عن المقداد ورأيت اهل دمشق يقولون ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وانهم قرؤا على ابن مسعود واهل البصرة يقولون مثل ذلك وانهم قرؤا على ابي موسى ويسمون مصحفه لباب القلوب فلما وصلوا الى الكوفة اخبر حذيفة الناس بذلك وحذرهم ما يخاف فوافقه أصحاب رسول الله صلى الله

اتوا ساحل حضرموت موضعا يقال له موت فخرجوا من السفن وقد كان اصيب بعضهم في البحر فأمرهم وهرزان يحرقوا السفن ويعلموا انه الموت ولا مفر منه فيجهدون انفسهم فنما خبرهم الى ملك اليمن مسروق ابن ابرهة فأتاهم في مائة الف من الحبشة وغيرهم فتصاف القوم وكان مسروق على فيل عظيم فقال وهرزان كان معه من الفرس اصدقوهم الجلد واستشعروا الصبر ثم تأمل ملكهم وقد نزل عن الفيل فركب جملا ثم نزل عن الجمل فركب فرسا ثم انف من محاربة الفرس على فرس استصغارا لاصحاب السفن فدعا بحمار فركبه فقال وهرز ذهب ملكه وتنقل عن كبير الى صغير وكان بين عيني مسروق ياقوتة حمراء معلقة في تاجه بعلاق من الذهب تضيء كالنار فرماه وهرز بسهم في جبهته فقتله وكان جيد الرمي لا يوتر قوسه غيره اشدتها ثم حملت الفرس عليهم فانهزموا فاقتتلوا منهم نحو ثلاثين الفا وقد كان انوشروان شرط على معديكرب شروطا منها ان الفرس تتزوج من اليمن ولا تتزوج اليمن منهم وخراجا يحمل اليه

عليه وسلم وكثير من التابعين وقال له أصحاب ابن مسعود ما تنكر الناس قرأه على قراءة ابن مسعود فغضب حذيفة ومن وافقه وقالوا انما أنتم اعراب فاسكتوا فانكم على خطأ وقال حذيفة والله لئن عشت لآتين أمير المؤمنين ولأشيرن عليه ان يحول بين الناس وبين ذلك فاغلظ له ابن مسعود فغضب سعيد وقام وتفرق الناس وغضب حذيفة وسار الى عثمان فأخبره بالذى رأى وقال أنا النذير العريان فادركوا الامة فجمع عثمان الصحابة واخبرهم الخبر فأعظموه ورأوا جميعا ما رأى حذيفة فارسل عثمان الى حفصة بنت عمر أن أرسلي الينا بالمصحف ننسخها وكانت هذه الصحف هى التى كتبت فى ايام ابى بكر فان القتل لما كثر فى الصحابة يوم اليمامة قال عمر لابى بكر ان القتل قد كثر واستحر بقراء القرآن يوم اليمامة وانى أخشى ان يستحر القتل بالقراء فيذهب من القرآن كثير وانى أرى ان تأمر بجمع القرآن فأمر أبو بكر زيد بن ثابت بجمعه من الرقاع والعسب وصدور الرجال فكانت الصحف عند أبى بكر ثم عند عمر فلما توفى عمر أخذتها حفصة فكانت عندها فأرسل عثمان اليها أخذها منها وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان اذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا فلما نسخوا الصحف ردها عثمان الى حفصة وارسل الى كل أفق بمصحف وحرق ما سوى ذلك وأمر ان يعتقدوا عليها ويدعوا ما سوى ذلك فكل الناس عرف فضل هذا العمل الا ما كان من اهل الكوفة فان المصحف لما قدم عليهم فرح به اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وان اصحاب عبد الله ومن وافقهم امتنعوا من ذلك وعابوا الناس فقام فيهم ابن مسعود وقال ولا كل ذلك فانكم والله قد سبقتم سبقا بينا فاربعوا على ظلعكم ولما قدم على الكوفة قام اليه رجل فعاب عثمان بجمع الناس على المصحف فصاح وقال اسكت فعن ملأ منا فعل ذلك فلو وليت منه ما ولى عثمان لسلكت سبيله

﴿ذكر سقوط خاتم النبى صلى الله عليه وسلم فى بئر أريس﴾

وفيها وقع خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من يد عثمان فى بئر أريس وهى على ميلين من المدينة وكانت قليلة الماء فما أدرك قعرها بعد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذه لما أراد ان يكاتب الاعاجم يدعوهم الى الله تعالى فقيل له انهم لا يقبلون كتابا الا مختوما فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعمل له خاتم من حديد فلما عمل جعله فى اصبعه فأتاه جبريل فقال انبذه فنبذه وامر فعمل له خاتم من نحاس وجعله فى اصبعه فقال جبريل انبذه فنبذه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاتم من فضة فصنع له فجعله فى اصبعه فأمره جبريل ان يقره فأقره وكان نقشه ثلاثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر فختم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى ثم ختم به ابو بكر حتى توفى ثم عمر حتى توفى ثم تختم به عثمان ست سنين فحفروا بئرا بالمدينة شربا للمسلمين فقعد على رأس البئر فجعل يعبث بالخاتم فسقط من يده فى البئر فطلبوه فيها ونزحوا ما فيها من الماء فلم يقدروا عليه فجعل فيه مالا عظيما لمن جاء به واغتم لذلك غما شديدا فلما يئس منه صنع خاتما آخر على مثاله ونقشه فبقى فى اصبعه حتى هلك فلما قتل ذهب الخاتم فلم يدر من أخذه

﴿ذكر تسيير ابى ذر الى الربذة﴾

ذو يزن وهرز معديكرب بتاج كان معه وبدلة من الفضة البسه اياها وكتب الى انوشروان بالفتح واخرجت الحبشة من اليمن وكانت مدة ملكهم اثنتين وسبعين سنة ثم عاد ملك اليمن الى حمير وكان مدة مسروق الى ان قتل ثلاث سنين وكان معديكرب بعد ان جلس على سرير الملك وأتته الوفود من العرب ثم تنبه بعود الملك اليهم قد اصطفى جماعة من الحبشان وجعلهم من خاصته فاغتالوه وقتلوه وبه انقطع الملك باليمن عن أولاد سبا وكان وهرز والى معديكرب فاعلم ملك الفرس بذلك فسيره من البرابعة آلاف من الاساورة وأمره باصلاح اليمن وان لا يبقى أحدا من الحبشة فأتى (وهرز) اليمن ونزل صنعاء فلم يترك أحدا من السودان ولا من انسابهم وملك انوشروان وهرز على اليمن الى ان هلك بصنعاء ثم ملك بعده ولده (مرزبان ابن وهرز) الى ان هلك فولى كسرى مكانه رجلا من فارس يقال له (سيحان) ثم مات سيحان فأمر كسرى ابنه (خرخسره) ثم عزله وامّر (باذان بن ساسان) فلم يزل عليها حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم باذان

وفي هذه السنة كان ما ذكر في أمر أبي ذر واشخاص معاوية اياه من الشام الى المدينة وقد ذكر في سبب ذلك امور كثيرة من سب معاوية اياه وتهديده بالقتل وحمله الى المدينة من الشام بغير وطاء ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصح النقل به ولو صح لكان ينبغي ان يعتذر عن عثمان فان للامام ان يؤدب رعيته وغير ذلك من الاعذار لا ان يجعل ذلك سببا للطعن عليه كرهت ذكرها واما العاذرون فانهم قالوا لما ورد ابن السوداء الى الشام لقي اباذر فقال يا اباذر الا تعجب من معاوية يقول المال مال الله الا ان كل شيء لله كانه يريد ان يحتجنه دون الناس ويمحو اسم المسلمين فاتاه ابوذر فقال ما يدعوك الى ان تسمي مال المسلمين مال الله قال يرحمك الله يا اباذر السنا عباد الله والمال ماله قال فلا تقله قال ساقول مال المسلمين وأتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له مثل ذلك فقال أظنك يهوديا فأتى عبادة بن الصامت فتعلق به عبادة وأتى به معاوية فقال هذا والله الذي بعث عليك أباذر وكان أبوذر يذهب الى ان المسلم لا ينبغي له ان يكون في ملكه أكثر من قوت يومه وليلته أو شيء ينفقه في سبيل الله أو يعده لكريم ويأخذ بظاهر القرآن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم فكان يقوم بالشام ويقول يا معشر الاغنياء واسوا الفقراء بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك واوجبوه على الاغنياء وشكا الاغنياء ما يلقون منهم فأرسل معاوية اليه بالف دينار في جنح الليل فانفقها فلما صلى معاوية الصبح دعا رسوله الذي أرسله اليه فقال اذهب الى ابي ذر فقل له انقذ جسدي من عذاب معاوية فانه ارسلني الى غيرك واني أخطأت بك ففعل ذلك فقال له ابوذر يا بني قل له والله ما اصبح عندنا من دنانيرك دينار ولكن أخرنا ثلاثة أيام حتى نجمعها فلما رأى معاوية ان فعله يصدق قوله كتب الى عثمان ان اباذر قد ضيق علي وقد كان كذا وكذا للذي يقوله الفقراء فكتب اليه عثمان ان الفتنة قد اخرجت خطمها وعينيها ولم يبق الا ان تثب فلا تنكا القرح وجهز اباذر الي وابعث معه دليلا وكفكف الناس ونفسك ما استطعت وبعث اليه بأبي ذر فلما قدم المدينة ورأى المجالس في اصل جبل سلع قال بشر اهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار ودخل على عثمان فقال له ما لاهل الشام يشكون ذرب لسانك فاخبره فقال يا اباذر علي ان اقضي ما علي وان ادعو الرعية الى الاجتهاد والاقتصاد وما علي ان اجبرهم على الزهد فقال ابوذر لا ترضوا من الاغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا الى الجيران والاخوان ويصلوا القرابات فقال كعب الاحبار وكان حاضرا من ادى الفريضة فقد قضى ما عليه فضربه ابوذر فشجه وقال له يا ابن اليهودية ما أنت وما ههنا فاستوهب عثمان كعبا شجته فوهبه فقال ابوذر لعثمان تأذن لي في الخروج من المدينة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني بالخروج منها اذا بلغ البناء سلعا فأذن له فنزل الربذة وبنى بها مسجدا وأقطعه عثمان صرمة من الابل واعطاه مملوكين واجرى عليه كل يوم عطاء وكذلك على رافع بن خديج وكان قد خرج ايضا عن المدينة لشيء سمعه وكان ابوذر يتعاهد المدينة مخافة ان يعود اعرابيا واخرج معاوية اليه اهله فخرجوا ومعهم جراب مثقل يد الرجل فقال انظروا الى هذا الذي يزهد في الدنيا ما عنده فقالت امرأته والله ما هو دينار ولا درهم ولكنها فلوس

المذكور وكان سبب اسلامه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ارسل كتابا لكسرى يدعوه الى الاسلام مزقه وأمر باذان المذكور وهو ملك اليمن ان أرسل الى رأس هذا الذي يدعي انه نبي فارسل باذان قاصده الى المدينة لينظر حيلة في قتل النبي صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى الى نبيه ما أضمر باذان وقاصده فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم القاصد ان كسرى قتل في يوم كذا في شهر كذا فرجع القاصد خائبا خاسرا فما لبث ان جاء الخبر بقتله فاسلم باذان ومن معه وحسن اسلامه وتوفي باذان في السنة العاشرة من الهجرة وعين رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضا من اليمن الى ابنه شهر بن باذان وهو أول أمير ولي باليمن في الاسلام وقد ذكرنا جوامع من أخبار اليمن وملوكها فلنذكر الآن ملوك الحيرة من بني نصر وغيرهم للحوقهم باليمن ثم نعقب ذلك بملوك الشام من اليمن وغيرهم ان شاء الله تعالى وتعاظم

(الباب السادس عشر في ذكر ملوك الحيرة وما سلكوه من السيرة)

وكانت دولتهم من أعظم دول

كان اذا خرج عطاؤه ابتاع منه غنما وسائمة وانجنا ولما نزل الربذة أقيمت الصلاة وعليها رجل يلي الصدقة فقال تقدم يا اباذر فقال لا تقدم أنت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي اسمع واطع وان كان عليك عبد مجدع فأنت عبد ولست بأجدع وكان من رقيق الصدقة اسمه مجاشع

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء وفيها مات حاطب بن ابي بلتعة اللخمي وهو من اهل بدر (حاطب بالحاء المهملة وبلتعة بالباء الموحدة ثم التاء المثناة من فوق بوزن مقرعة) وفيها مات عمرو بن ابي سرح الفهري وكان بدريا وفيها مات مسعود بن الربيع وقيل ابن ربيعة بن عمرو القاري من القارة اسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وشهد بدرا وكان عمره قد جاوز الستين وفيها مات عبد الله بن كعب بن عمرو الانصاري شهد بدرا وكان على غنائم النبي صلى الله عليه وسلم فيها وفي غيرها وفيها مات عبد الله بن مظعون أخو عثمان وكان بدريا وجبار بن صخر وهو بدري ايضا (جبار بالجيم وآخره راء)

﴿ ثم دخلت سنة احدى وثلاثين ﴾

﴿ ذكر غزوة الصواري ﴾

قيل وفي هذه السنة كانت غزوة الصواري وقيل كانت سنة اربع وثلاثين وقيل في سنة احدى وثلاثين كانت غزوة الاساورة وقيل كانتا معا سنة احدى وثلاثين وكان على المسلمين معاوية وكان قد جمع الشام له أيام عثمان وسبب جمعه له ان أبا عبيدة بن الجراح لما حضر استخلف على عمله عياض بن غنم وكان خاله وابن عمه وكان جوادا مشهورا وقيل استخلف معاذ بن جبل على ما تقدم فمات عياض واستخلف عمر بعده سعيد بن حذيم الجمحي ومات سعيد وأمر عمر مكانه عمير ابن سعد الانصاري ومات عمر وعمير على حمص وقنسرين ومات يزيد بن ابي سفيان فجعل عمر مكانه اخاه معاوية فاجتمعت لمعاوية الاردن ودمشق ومرض عمير بن سعد فاستعفى عثمان واستأذنه في الرجوع الى اهله فأذن له وضم عثمان حمص وقنسرين الى معاوية ومات عبد الرحمن بن علقمة وكان على فلسطين فضم عثمان عمله الى معاوية فاجتمع الشام لمعاوية لسنتين من امارة عثمان فهذا كان سبب اجتماع الشام له واما سبب هذه الغزوة فان المسلمين لما اصابوا من أهل افريقية وقتلوهم وسبوهم خرج قسطنطين بن هرقل في جمع له لم تجمع الروم مثله مذ كان الاسلام فخرجوا في خمسمائة مركب أو ستمائة وخرج المسلمون وعلى أهل الشام معاوية بن ابي سفيان وعلى البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم فأرسى المسلمون والروم وسكنت الريح فقال المسلمون الامان بيننا وبينكم فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرؤن القرآن ويصلون ويدعون والروم يضربون بالنواقيس وقربوا من الغد سفنهم وقرب المسلمون سفنهم فربطوا بعضها مع بعض واقتتلوا بالسيوف والخناجر وقتل من المسلمين بشر كثير وقتل من الروم ما لا يحصى وصبروا يومئذ صبرا لم يصبروا في موطن قط مثله ثم أنزل الله نصره على المسلمين فانهزم قسطنطين جريحا ولم ينج من الروم الا الشريد وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري بعد الهزيمة أياما ورجع فكان أول ما تكلم به محمد بن أبي

ملوك العرب اولهم (مالك ابن فهم الازدي) وكان يخرج مع عمرو بن عامر سيل العرم باليمن نزل بالحيرة وكان ملكا على مشارف الشام الى الفرات من قبل الروم وكانت داره بالموضع المعروف بالمضيق من بلاد الانبار وقرقيسيا وكان ملكه في أيام ملوك الطوائف وكانت مدة ملكه على الحيرة عشرين سنة ثم ملك بعده أخوه (عمرو بن فهم الازدي) ثم ملك بعده ابن أخيه (جذيمة الوضاح) وكان يقال له الابرش لبرص كان به وهو أول من عمل له المنجنيق من ملوك العرب واول من حذيت له النعال واول من رفع بين يديه الشمع وكان من تجبره لا ينادم أحدا من الناس وكان ينادم الفرقدين واذا شرب قدحا صب لهما قدحا ولهذا قدحا وكان جذيمة جمع غلمانا من ابناء الملوك يخدمونه منهم عدي بن نصر بن ربيعة من ولد لخم بن عمرو بن سبا وكان جميلا فعشقته رقاش اخت جذيمة فقالت له اذا سقيت الملك فسكر اخطبني اليه فانه يزوجك وأشهد القوم عليه فلما سقى عدي جذيمة وسكر قال له سلني ما أحببت قال زوجني اختك رقاش

حذيفة ومحمد بن أبي بكر في أمر عثمان في هذه الغزوة واظهرا عيبه وما غير وما خالف به أبا بكر وعمر ويقولان استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أباح دمه ونزل القرآن بكفره واخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما أدخلهم ونزع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعمل سعيد بن العاص وابن عامر فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال لا تركبا معنا فركبا في مركب ما معهما الا القبط فلقوا العدو فكانا أقل المسلمين نكاية وقتالا فقيل لهما في ذلك فقالا كيف نقاتل مع عبد الله بن سعد استعمله عثمان وعثمان فعل كذا وكذا فأرسل اليهما عبد الله ينهاهما ويتهددهما ففسد الناس بقولهما وتكلموا ما لم يكونوا ينطقون به وأما قسطنطين فانه سار في مركبه الى صقلية فسأله أهلها عن حاله فاخبرهم فقالوا أهلكت النصرانية وافنيت رجالها لو أتانا العرب لم يكن عندنا من يمنعهم ثم أدخلوه الحمام وقتلوه وتركوا من كان معه في المركب وأذنوا لهم في المسير الى القسطنطينية * وقيل في هذه السنة فتحت ارمينية على يد حبيب بن مسلمة وقد تقدم ذكر ذلك

(ذكر مقتل يزدجرد بن شهريار)

في هذه السنة هرب يزدجرد من فارس الى خراسان في قول بعضهم وقد تقدم الخلاف فيه وكان ابن عامر قد خرج من البصرة حين وليها الى فارس فافتتحها وهرب يزدجرد من جور وهي اردشير خره في سنة ثلاثين فوجه ابن عامر في اثره مجاشع بن مسعود وقيل هرم بن حيان العبدي وقيل هرم بن حيان اليشكري فاتبعه الى كرمان فهرب يزدجرد الى خراسان وأصاب مجاشع بن مسعود ومن معه الثلج والدمق واشتد البرد وكان الثلج قيد رمح فهلك الجند وسلم مجاشع ورجل معه جارية فشق بطن بعير وأدخلها فيه وهرب فلما كان الغد جاء فوجدها حية فحملها فسمي ذلك القصر قصر مجاشع لان جيشه هلكوا فيه وهو على خمسة فراسخ أو ستة من السيرجان من أعمال كرمان هذا على قول من يقول ان هرب يزدجرد من فارس كان هذه السنة وأما سبب قتله على ما تقدم ذكره من فتح فارس وخراسان فقد اختلف الناس في سبب قتله فقيل انه هرب من كرمان في جماعة الى مرو ومعه خرزاذ اخو رستم فرجع عنه الى العراق ووصى به ماهويه مرزبان مرو فسأله يزدجرد مالا فمنعه فخافه أهل مرو على أنفسهم فأرسلوا الى الترك يستنصرونهم عليه فأتوه فبيتوه فقتلوا أصحابه فهرب يزدجرد ماشيا الى شط المرغاب فأوى الى بيت رجل ينقر الارحاء فلما نام قتله وقيل بل بيته اهل مرو ولم يستنصروا بالترك فقتلوا أصحابه وهرب منهم فقتله النقار وتبعوا أثره الى بيت الذي ينقر الارحاء فأخذوه وضربوه فأقر بقتله فقتلوه وأهله وكان يزدجرد قد وطئ امرأة بمرو فولدت له غلاما ذاهب الشق ولدته بعد قتله فسمي المخدج فولد له اولاد بخراسان فوجد قتيبة بن مسلم حين افتتح الصغد وغيرها جاريتين من ولد المخدج فبعث بهما او باحداهما الى الحجاج فبعث بها الى الوليد بن عبد الملك فولدت للوليد يزيد بن الوليد الناقص وأخرج يزدجرد من النهر وجعل في تابوت وحمل الى اصطخر فوضع في ناووس هناك وقيل ان يزدجرد هرب بعد وقعة نهاوند الى أرض اصبهان وبها رجل يقال له مطيار كان قد أصاب من العرب شيأ يسيرا فصار له بها محل كبير فأتى مطيار يزدجرد ذات يوم فحجبه بوابه ليستأذن له فضربه وشجه فدخل البواب على يزدجرد مدمى فرحل عن أصبهان من

قال قد فعلت فخطبها وأشهد القوم عليه فعلمت رقاش انه سينكر اذا أفاق فقالت ادخل علي فقعل فلما أصبح جذيمة وعلم بذلك عظم عليه فهرب عدي المذكور ولحق بقومه وقيل انه ظفر به وقتله وحبلت رقاش فقال لها جذيمة

حدثيني وأنت غير كذوب
أبحر زنيت ام بهجين
ام بعبد وأنت اهل لعبد
ام بدون وأنت اهل لدون

(فاجابته رقاش تقول)

أنت زوجتني وما كنت أدري
وأتاني النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا
وتماديك في الصبا والمجون

فنقلها جذيمة اليه وحصنها في قصره وجاءت بولد وسمته عمرا وتبناه جذيمة وأحبه حبا شديدا وكان لا يولد له ولد ثم عدم الغلام وتزعم العرب ان الجن اختطفته ثم وجده رجلان يقال لاحدهما مالك وللآخر عقيل بوادي سماوة فحملاه الى جذيمة وذلك بعد ان بالغ جذيمة في السؤال عنه في الآفاق فعرفه وضمه اليه وقال لهما اطلبا ما شئتما فقالا له نطلب منادمتك ما بقيت وبقينا وهما اللذان يضرب بهما المثل فيقال كندماني جذيمة ويقال انهما نادماه أربعين

ساعته فأتى الري فخرج اليه صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده وأخبره بحصانتها فلم يجبه
وقيل مضى من فوره ذلك الى سجستان ثم سار الى مرو في ألف فارس وقيل بل قصد فارس فأقام
بها أربع سنين ثم أتى كرمان فأقام بها سنتين أو ثلاثا فطلب اليه دهقانها شيأ فلم يجبه فجره برجله
وطرده عن بلاده فسار الى سجستان فأقام بها نحوا من خمس سنين ثم عزم على قصد خراسان
ليجمع الجموع ويسير بهم الى العرب فسار الى مرو ومعه الرهن من أولاد الدهاقين ومعه
فرخزاد فلما قدم مرو كاتب ملوك الصين وملك فرغانة وملك كابل وملك الخزر يستمدهم وكان
الدهقان يومئذ بمرو ماهويه أبو براز وكل ماهويه بمرو ابنه براز ليحفظها ويمنع عنها يزدجرد
خوفا من مكره فركب يزدجرد يوما وطاف بالمدينة وأراد دخولها من بعض أبوابها فمنعه براز
فصاح به أبوه ليفتح الباب فلم يفعل وأومأ اليه أبوه ان لا يفعل ففطن له رجل من أصحاب يزدجرد
فأعلمه بذلك واستأذنه في قتله فلم يأذن له وقيل أراد يزدجرد صرف الدهقنة عن ماهويه الى
سنجان ابن أخيه فبلغ ذلك ماهويه فعمل في هلاك يزدجرد فكتب الى نيزك طرخان يدعوه الى
القدوم عليه ليتفقا على قتله ومصالحة العرب عليه وضمن له ان فعل ان يعطيه كل يوم ألف درهم
فكتب نيزك الى يزدجرد يعده المساعدة على العرب وانه يقدم عليه بنفسه ان أبعد عسكره
وفرخزاد عنه فاستشار يزدجرد أصحابه فقال له سنجان لست أرى ان تبعد عنك أصحابك
وفرخزاد وقال أبو براز أرى ان تتألف نيزك وتجيبه الى ما سأل فقبل رأيه وفرق عنه جنده
فصاح فرخزاد وشق جيبه وقال اقتلكم قاتلي هذا ولم يبرح فرخزاد حتى كتب له يزدجرد بخط
يده انه آمن وانه قد أسلم يزدجرد وأهله وما معه الى ماهويه وأشهد بذلك وأقبل نيزك فأمر
يزدجرد بالمزامير والملاهي أشار عليه بذلك أبو براز فلما التقيا تأخر عنه أبو براز فاستقبله نيزك
ماشيا فأمر له يزدجرد بجنيبة من جنائبه فركبها فلما توسط عسكره تواقفا فقال له نيزك مما يقول
زوجني احدى بناتك حتى أناصحك في قتال عدوك فسبه يزدجرد فضرب نيزك بمقرعته وصاح
يزدجرد وركض منهزما وقتل أصحاب نيزك أصحاب يزدجرد وانتهى يزدجرد الى بيت طحان
فمكث فيه ثلاثة ايام لم يأكل طعاما فقال له الطحان اخرج أيها الشقي فكل طعاما فقد جعت
فقال لست أصل الى ذلك الا بزمزمة وكان عند الطحان رجل يزمزم فكلمه الطحان في ذلك
ففعل وزمزم له فأكل فلما رجع المزمزم سمع بذكر يزدجرد فسأل عن حليته فوصفوه له فأخبرهم
به وبحليته فأرسل اليه أبو براز رجلا من الاساورة وأمره بخنقه والقائه في النهر وأتى الطحان
فضربه ليدله عليه فلم يفعل وجحده فلما أراد الانصراف عنه قال له بعض أصحابه اني لأجد
ريح مسك ونظر الى طرف ثوبه من ديباج في الماء فجذبه فاذا هو يزدجرد فسأله ان لا يقتله ولا
يدل عليه ويجعل له خاتمه ومنطقته وسواره فقال له اعطني أربعة دراهم وأخلي عنك فلم يكن
معه وقال ان خاتمي لا يحصى ثمنه فخذه فأبى عليه فقال له يزدجرد قد كنت أخبر انى سأحتاج الى
أربعة دراهم فقد رأيت ذلك ثم نزع أحد قرطيه فأعطاه الطحان ليستر عليه وارادوا قتله
فقال ويحكم انا نجد في كتبنا انه من قتل الملوك عاقبه الله بالحريق في الدنيا فلا تقتلوني واحملوني
الى الدهقان او الى العرب فانهم يستحيون مثلي فأخذوا ما عليه وخنقوه بوتر القوس والقوه في
الماء فأخذه اسقف مرو وجعله في تابوت ودفنه وسأل ابو براز عن أحد القرطين وأخذ الذي

سنة ولم يعد اعلمه حفيد شابر
(وفي أيامه) كان قد ملك
البارزية وأعمال الفرات
ومشارف الشام رجل من
العمالقة يقال له عمرو بن
الظرب بن حسان العمليقي
فجرى بينه وبين جذيمة
حروب فانتصر جذيمة عليه
وقتل عمرو وكانت لعمرو بنت
تدعى الزباء واسمها نائلة
فملكت بعده وبنت مدينتين
متقابلتين على شاطئ الفرات
من الجانب الشرقي والغربي
وهما اليوم خراب وكان
فيما ذكر قد أسقفت الفرات
وجعلته طريقا بين مدينتيها
وأخذت في الحيلة على جذيمة
وأطمعته بنفسها حتى اغتر
جذيمة وكانت بكرا فجمع
جذيمة أصحابه فاستشارهم
فأشاروا عليه بالمضي اليها
وخالفهم قصير بن سعد تابع
كان له من لخم وقال له لا تفعل
فخالفه وقدم اليها فظفرت
به وقتلته وأخذت بثأر أبيها
فلما قتل جذيمة ملك بعده
ابن أخته (عمرو بن عدى)
وأخذ في الحيلة فاتفق عمرو
مع قصير وجدع أنف قصير
فضربه بالسياط وهرب
قصير على تلك الحالة الى الزباء
على انه مغاضب لعمرو فلما
رأته على تلك الحالة أنعمت
عليه وقربته وصار من
أخصائها وكان قصير يتجر
للزباء ويأخذ المال من مولاه

دل عليه فضرب به حتى اتى على نفسه وقيل بل سار يزدجرد من كرمان قبل ورود العرب اليها فضى
مرو على الطبسين وقهستان فى أربعة آلاف فلما قارب مرو لقيه قائدان يقال لاحدهما براز
وللآخر سنجان وكانا متباغضين فسعى براز بسنجان حتى هم يزدجرد بقتله وافشى ذلك الى
امرأة من نسائه ففشا الحديث فجمع سنجان أصحابه وقصد قصر يزدجرد فهرب براز وخاف
يزدجرد فهرب ايضا الى رحا على فرسخين من مرو فدخل بيت نقار الرحا فاطعمه الطحان وطلب
منه شيأ فاعطاه منطقته فقال انما يكفيني أربعة دراهم فلم يكن معه ثم نام يزدجرد فقتله الطحان
بفاس كان معه وأخذ ما عليه والقى جيفته فى الماء وشق بطنه وثقله وسمع بقتله مطران كان
بمرو فجمع النصارى وقال قتل ابن شهريار وانما شهريار ابن شيرين المؤمنة التى قد عرفتم حقها
واحسانها الى اهل ملتها مع ما نال النصارى فى ملك جده انوشروان من الشرف فينبغى ان
نحزن لقتله ونبنى له ناووسا فاجابوه الى ذلك وبنوا له ناووسا واخرجوا جثته وكفنوها ودفنوها فى
الناووس وكان ملكه عشرين سنة منها أربع سنين فى دعة وست عشرة سنة فى تعب من محاربة
العرب اياه وغلظهم عليه وكان آخر من ملك من آل اردشير بن بابك وصفا الملك بعده للعرب

﴿ ذكر مسير ابن عامر الى خراسان وفتحها ﴾

لما قتل عمر بن الخطاب نقض أهل خراسان وغدروا فلما افتتح ابن عامر فارس قام اليه حبيب بن
أوس التميمى فقال له ايها الامير ان الارض بين يديك ولم يفتح منها الا القليل فسر فان الله
ناصرك قال أولم نؤمر بالمسير وكره ان يظهر انه قبل رأيه وقيل ان ابن عامر لما فتح فارس عاد الى
البصرة واستخلف على اصطخر شريك بن الاعور الحارثى فبنى شريك مسجد اصطخر فلما دخل
البصرة أتاه الاحنف بن قيس وقيل غيره فقال له ان عدوك منك هارب ولك هائب والبلاد
واسعة فسر فان الله ناصرك ومعز دينه فتجهز وسار واستخلف على البصرة زيادا وسار الى كرمان
فاستعمل عليها مجاشع بن مسعود السلمى وله صحبة وأمره بمحاربة أهلها وكانوا قد نكثوا ايضا
واستعمل على سجستان الربيع بن زياد الحارثى وكانوا ايضا قد غدروا ونقضوا الصلح وسار ابن
عامر الى نيسابور وجعل على مقدمته الاحنف بن قيس فأتى الطبسين وهما حصنان وهما بابا
خراسان فصالحه أهلهما وسار الى قهستان فلقيه اهلها وقاتلهم حتى الجأهم الى حصنهم وقدم
عليها ابن عامر فصالحه اهلها على ستمائة ألف درهم وقيل كان المتوجه الى قهستان أمير بن
أحمر اليشكرى وهى بلاد بكر بن وائل وبعث ابن عامر سرية الى رستاق زام من أعمال
نيسابور ففتحه عنوة وفتح باخرز من أعمال نيسابور ايضا وفتح جوين من أعمال نيسابور ايضا
ووجه ابن عامر الاسود بن كلثوم العدوى من عدى الرباب وكان ناسكا الى بيهق من أعمالها
أيضا فقصد قصبته ودخل حيطان البلد من ثلمة كانت فيه ودخلت معه طائفة من المسلمين فأخذ
العدو عليهم تلك الثلمة فقاتل الاسود حتى قتل هو وطائفة ممن معه وقام بأمر الناس بعده أخوه
أدهم بن كلثوم فظفر وفتح بيهق وكان الاسود يدعو الله ان يحشره من بطون السباع والطير فلم
يواره أخوه ودفن من استشهد من اصحابه وفتح ابن عامر بشت من نيسابور (وهذه بشت بالشين
المعجمة وليست ببست التى بالسين المهملة تلك من بلاد الداون وهذه من خراسان من نيسابور)
وافتتح خواف واسفراين وارغيان ثم قصد نيسابور بعد ما استولى على أعمالها وافتتحها فحصر

ويعطيه الى الزباء على انه
كسب متجرها مرة بعد اخرى
حتى أتى بثقل نحو ألف جمل
من الصناديق واقفالها من
داخل وفيها رجال مستعدون
للحرب فلما شاهدت الزباء
ثقل تلك الاحمال ارتابت
منها وقالت

ما للجمال مشيها وئيدا
اجندلا يحملن ام حديدا
ام صرفانا باردا شديدا
ام الرجال جثما قعودا

فلما دخلت الابل الى حصن
الزباء خرجت الرجال من
الصناديق وأخذوا المدينة
عنوة فخرجت الزباء هاربة
من قصرها الى السرب
الذى اتخذته تحت الفرات
الى حصن أختها فى الجانب
الآخر وكان قصير قد وقف
على طريق السرب فابصرت
قصيرا ومعه عمرو وبيده
السيف فمصت خاتما كان
فى يدها فيه سم ساعة وقالت
بيدى لا بيد عمرو فذهبت
مثلا وخربت المدينة
وسبيت الذرارى وأخذ عمرو
بثار خاله جذيمة وطال ملكه
الى ان بلغ مائة سنة ثم ملك
بعده ابنه (امرؤ القيس
بن عمرو) مدة ستين سنة ثم
ملك بعده (عمرو بن امرئ
القيس) خمسا وعشرين
سنة وكان ملكه فى أيام
سابور ذى الاكتاف وكانت
امه مارية التى يضرب المثل

اهلها أشهرا وكان على كل ربع منها مرزبان للفرس يحفظه فطلب صاحب ربع من تلك الارباع الامان على ان يدخل المسلمين المدينة فاجيب الى ذلك فادخلهم ليلا ففتحوا الباب وتحصن مرزبانها الاكبر في حصنها ومعه جماعة وطلب الامان والصلح على جميع نيسابور فصالحه على ألف الف درهم وولى نيسابور قيس بن الهيثم السلمي وسير جيشا الى نسا وأبيورد فافتتحوهما صلحا وسير سرية اخرى الى سرخس مع عبد الله بن خازم السلمي فقاتلوا أهلها ثم طلبوا الامان والصلح على امان مائة رجل فاجيبوا الى ذلك فصالحهم مرزبانها على ذلك وسمى مائة رجل ولم يذكر نفسه فقتله ودخل سرخس عنوة وأتى مرزبان طوس الى ابن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة درهم وسير جيشا الى هراة عليهم عبد الله بن خازم وقيل غيره فبلغ مرزبان هراة ذلك فسار الى ابن عامر فصالحه عن هراة وباذغيس وبوشنج وقيل بل سار ابن عامر في الجيش الى هراة فقاتله أهلها ثم صالحه مرزبانها على الف الف درهم ولما غلب ابن عامر على هذه البلاد أرسل اليه مرزبان مرو فصالحه على ألفي ألف ومائتي الف درهم وقيل غير ذلك وأرسل ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي الى مرزبانها وكانت مرو كلها صلحا الا قرية منها يقال لها سنج فانها أخذت عنوة (وهي بكسر السين المهملة والنون الساكنة وآخرها جيم) ووجه ابن عامر الاحنف بن قيس الى طخارستان فمر برستاق يعرف برستاق الاحنف ويدعى سوانجرد فحصرها اهلها فصالحوه على ثلثمائة الف درهم فقال الاحنف أصالحكم على ان يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه ويقيم فيكم حتى ينصرف فرضوا بذلك ومضى الاحنف الى مرو الروذ فقاتله اهلها فقتلهم وهزمهم وحصرهم وكان مرزبانها من أقارب باذان صاحب اليمن فكتب الى الاحنف انه دعاني الى الصلح اسلام باذان فصالحه على ستمائة الف وسير الاحنف سرية فاستولت على رستاق بلخ واستاقت منه مواشي ثم صالحوا أهله وجمع له أهل طخارستان فاجتمع اهل الجوزجان والطالقان والفارياب ومن حولهم في خلق كثير فالتقوا واقتتلوا وحمل ملك الصغانيان على الاحنف فانتزع الاحنف الرمح من يده وقاتل قتالا شديدا فانهزم المشركون وقتلهم المسلمون قتلا ذريعا كيف شاؤا وعاد الى مرو الروذ ولحق بعض العدو بالجوزجان فوجه اليهم الاحنف الاقرع بن حابس التميمي في خيل وقال يا بني تميم تحابوا وتباذلوا تعتدل اموركم وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم فسار الاقرع فلقي العدو بالجوزجان فكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا فهزموا المشركين وفتحوا الجوزجان عنوة فقال ابن الغريزة النهشلي

سقى صوب السحاب اذا استهلت ۞ مصارع فتية بالجوزجان
الى القصرين من رستاق خوت ۞ اقادهم هناك الاقرعان

وفتح الاحنف الطالقان صلحا وفتح الفارياب وقيل بل فتحها أمير بن أحمر ثم سار الاحنف الى بلخ وهي مدينة طخارستان فصالحه اهلها على أربعمائة الف وقيل سبعمائة ألف واستعمل على بلخ أسيد بن المتشمس ثم سار الى خوارزم وهي على نهر جيحون فلم يقدر عليها فاستشار أصحابه فقال له حضين بن المنذر قال عمرو بن معديكرب

اذا لم تستطع امرا فدعه ۞ وجاوزه الى ما تستطيع

بقرطها انتقال قرطها ارية ثم ملك بعده من العمالقة (أوس بن قلام العمليقي) ثم ملك آخر من العماليق ثم رجع الملك الى بني عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخميين المذكورين وملك منهم (امرؤ القيس الثاني) المعروف بالمحرق لانه أول من عاقب بالنار ثم ملك بعده (النعمان الاعور بن امرئ القيس) وهو الذي بنى الخورنق وكردس الكراديس وبقي في الملك ثلاثين سنة ويقال انه أشرف يوما على جانب الخورنق فقال أكل ما أراه الى نفاد فقيل له نعم فتزهد وخرج عن الملك فقال اي خير في ملك آخره الى نفاد وكان ذلك في زمن بهرام جور ولما تزهد ملك بعده ابنه (المنذر بن النعمان) ثم ملك بعده ابنه (الاسود ابن المنذر) فتلته غسان واستمرت عليه ثم ملك بعده اخوه (المنذر بن المنذر بن النعمان) ثم ملك بعده (علقمة الذميلي) وذميل بطن من لخم ثم ملك بعده (امرؤ القيس بن النعمان) وهو الذي قتل سنمار الذي بنى لامرئ القيس قصرا لئلا يبني لغيره مثله فالقاه من اعلاه وقيل انه كان واقفا يوما بين يدي الملك وذكر القصر وحسن بنائه فاغتر

فعاد الى بلخ وقد قبض أسيد صلحها ووافق وهو يجبيهم المهرجان فأهدوا له هدايا كثيرة من
دراهم ودنانير ودواب وأواني وثياب وغير ذلك فقال لهم ما صالحناكم على هذا فقالوا لا ولكن
هذا شيء نفعله في هذا اليوم بأمرائنا فقال ما أدري ما هذا ولعله من حقي ولكن أقبضه حتى
أنظر فقبضه حتى قدم الأحنف فأخبره فسألهم عنه فقالوا ما قالوا لأسيد فحمله الى ابن عامر
وأخبره عنه فقال خذه يا أبا بحر قال لا حاجة لي فيه فأخذه ابن عامر قال الحسن البصري فضمه
القرشي وكان مضماً ولما تم لابن عامر هذا الفتح قال له الناس ما فتح لأحد ما فتح عليك فارس
وكرمان وسجستان وخراسان فقال لا جرم لأجعلن شكري لله على ذلك أن أخرج محرماً من
موقفي هذا فأحرم بعمرة من نيسابور وقدم على عثمان واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم
فسار قيس بعد شخوصه في أرض طخارستان فلم يأت بلداً منها الا صالحه أهله وأذعنوا حتى
أتى سمنجان فامتنعوا عليه فحصرهم حتى فتحها عنوة (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين حضين بن
المنذر بالضاد المعجمة)

(ذكر فتح كرمان)

لما سار ابن عامر عن كرمان الى خراسان واستعمل مجاشع بن مسعود السلمي على كرمان على
ما ذكرناه قبل أمره أن يفتحها وكان أهلها قد نكثوا وغدروا وافتتح هميد عنوة واستبقى أهلها
وأعطاهم أماناً وبنى بها قصراً يعرف بقصر مجاشع وأتى السيرجان وهي مدينة كرمان فأقام
عليها أياماً يسيرة وأهلها متحصنون فقاتلهم وفتحها عنوة فجلا كثير من أهلها عنها وفتح جيرفت
عنوة وسار في كرمان فدوخ أهلها وأتى القفص وقد تجمع له خلق كثير من الأعاجم الذين جلوا
فقاتلهم فظفر بهم وظهر عليهم وهرب كثير من أهل كرمان فركبوا البحر ولحق بعضهم بمكران
وبعضهم بسجستان فأقطعت العرب منازلهم وأراضيهم فعمروها واحتفروا لها القني في
مواضع منها وأدوا العشر منها

(ذكر فتح سجستان وكابل وغيرهما)

قد تقدم ذكر فتح سجستان أيام عمر بن الخطاب ثم إن أهلها نقضوا بعده فلما توجه ابن عامر الى
خراسان سير اليها من كرمان الربيع بن زياد الحارثي فقطع المفازة حتى أتى حصن زالق فأغار
على أهله يوم مهرجان وأخذ الدهقان فافتدى نفسه بأن غرز عنزة وغمرها ذهباً وفضة وصالحه على
صلح فارس ثم أتى بلدة يقال لها كركويه فصالحه أهلها وسار الى زرنج فنزل على مدينة روشت
بقرب زرنج فقاتله أهلها وأصيب رجال من المسلمين ثم انهزم المشركون وقتل منهم مقتلة عظيمة
وأتى الربيع ناشروذ ففتحها ثم أتى شرواذ فغلب عليها وسار منها الى زرنج فنازلها وقاتله أهلها
فهزمهم وحصرهم فأرسل اليه مرزبانهم ليصالحه واستأمنه على نفسه ليحضر عنده فأمنه
وجلس له الربيع على جسد من أجساد القتلى واتكأ على آخر وأمر أصحابه ففعلوا مثله فلما
رآهم المرزبان هاله ذلك فصالحه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب ودخل المسلمون
المدينة ثم سار منها الى سناروذ وهي واد فعبره وأتى القرية التي بها مربط فرس رستم الشديد فقاتله
أهلها فظفر بهم ثم عاد الى زرنج وأقام بها نحو سنة وعاد الى ابن عامر واستخلف عليها عاملاً
فأخرج أهلها العامل وامتنعوا فكانت ولاية الربيع سنة ونصفاً وسبى فيها أربعين ألف رأس

وقال والله أقدر أن أبني
قصراً يدبها كلما مضت
ساعة من النهار تلون بلون
الشمس فغضب امرؤ القيس
وقال قصرت في حقي فأمر
به فألقى من أعلى القصر
فمات قال الشاعر

ومن يفعل المعروف مع غير أهله
يجازى الذي جوزي قديماً سنمار

ثم ملك بعده ابنه (المنذر
ابن امرئ القيس) ويقال
لأمه ماء السماء لحسنها
وجمالها واسمها مارية وقيل
لولدها بنو ماء السماء وطرد
كسرى قباذ المنذر المذكور
عن ملك الحيرة وولى مكانه
(الحرث بن عمرو بن حجر
الكندي) ثم لما تمكن
كسرى أنوشروان في الملك
طرد الحرث وأعاد (المنذر)
المذكور ثم ملك بعده (عمرو
ابن المنذر) أربعاً وعشرين
سنة ولثمان سنين مضت من
ملكه كان مولد النبي صلى
الله عليه وسلم ثم ملك بعده أخوه
(قابوس بن المنذر) ثم ملك
بعده أخوهما (المنذر بن المنذر
ابن امرئ القيس) ثم ملك
بعده (النعمان بن المنذر
ابن المنذر بن ماء السماء)
ملك اثنتين وعشرين سنة
وقتله كسرى ابرويز وهذا
هو الذي ينسب اليه الزهر
المعروف بشقائق النعمان
ولقد أحسن من قال في

وكان كاتبه الحسن البصري فاستعمل ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس على سجستان فسار اليها فحصر زرنج فصالحه مرزبانها على ألفي ألف درهم وألفي وصيف وغلب عبد الرحمن على ما بين زرنج والكش من ناحية الهند وغلب من ناحية الرخج على ما بينه وبين الداور فلما انتهى الى بلد الداور حصرهم في جبل الزور ثم صالحهم ودخل على الزور وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان فقطع يده وأخذ الياقوتتين ثم قال للمرزبان دونك الذهب والجوهر وانما اردت ان أعلمك انه لا يضر ولا ينفع وفتح كابل وزابلستان وهي ولاية غزنة ثم عاد الى زرنج فأقام بها حتى اضطرب أمر عثمان فاستخلف عليها امير بن أحمر اليشكري وانصرف فاخرج اهلها امير بن احمر وامتنعوا ولامير يقول زياد بن الاعجم

لولا أمير هلكت يشكر * ويشكر هلكى على كل حال

ذكر عدة حوادث

وحج بالناس هذه السنة عثمان وفيها مات ابو الدرداء الانصاري وهو بدري وقيل سنة اثنتين وثلاثين وفيها مات ابو طلحة الانصاري وهو بدري وقيل سنة اثنتين وثلاثين وقيل سنة احدى وخمسين وفيها مات ابو أسيد الساعدي وقيل مات سنة ستين وهو على هذا القول آخر من مات من البدريين (أسيد بضم الهمزة) وفيها مات ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم وأخوه الطفيل وابو سفيان بن حرب بن امية وهو ابن ثمان وثمانين سنة

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين

قيل في هذه السنة غزا معاوية بن أبي سفيان مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة بنت قرظة وقيل فاختة

ذكر ظفر الترك وقتل عبد الرحمن بن ربيعة

في هذه السنة انتصرت الخزر والترك على المسلمين وسببه ان الغزوات لما تتابعت عليهم تذامروا وقالوا كنا لا يقرن بنا احد حتى جاءت هذه الامة القليلة فصرنا لا نقوم لها فقال بعضهم ان هؤلاء لا يموتون وما أصيب منهم احد في غزوهم وقد كان المسلمون غزوهم قبل ذلك فلم يقتل منهم احد فلهذا ظنوا انهم لا يموتون فقال بعضهم افلا تجربون فكمنوا لهم في الغياض فمر بالكمين نفر من الجند فرموهم منها فقتلوهم فتواعدوا رؤسهم الى حربهم ثم اتعدوا يوما وكان عثمان قد كتب الى عبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب ان الرعية قد ابطرها البطنة فلا تقتحم بالمسلمين فاني اخشى ان يقتلوا فلم يرجع عبد الرحمن عن مقصده فغزا نحو بلنجر وكان الترك قد اجتمعت مع الخزر فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا وقتل عبد الرحمن وكان يقال له ذو النور وهو اسم سيفه فأخذ اهل بلنجر جسده وجعلوه في تابوت فهم يستسقون به فلما قتل انهزم الناس وافترقوا فرقتين فرقة نحو الباب فلقوا سلمان بن ربيعة اخا عبد الرحمن كان قد سيره سعيد بن العاص مددا للمسلمين بأمر عثمان فلما لقوه نجوا معه وفرقة نحو جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة وكان في ذلك العسكر يزيد بن معاوية النخعي وعلقمة بن قيس ومعضد الشيباني وأبو مفزر التميمي في خباء واحد وعمرو بن عتبة وخالد بن ربيعة والحجل بن زرى والقرثع في خباء فكانوا متجاورين في ذلك العسكر وكان القرثع يقول ما أحسن لمع الدماء على

حق أبي حنيفة رحمه الله تعالى

ايا جبلي نعمان ان حصاكما لمحصى وما تحصى مناقب نعمان

بجلائل كتب الفقه طالع تجدلها شقائق نعمان شقائق نعمان

(حكى) انه كان له نديمان يقال لاحدهما عمرو بن سعد وللآخر عمرو بن الملك فسكر النعمان ذات ليلة فامر بدفنهما حيين فلما أصبح سأل عنهما فأخبر بخبرهما فبنى عليهما بناء وجعل لنفسه يوم بؤس ويوم نعيم فاذا لقيه أحد يوم بؤسه قتله وطلى بدمه ذلك البناء وهو موضع معروف بالكوفة وكان اذا لقيه أحد يوم نعيمه اغناه فاستقبله في يوم بؤسه أعرابي من طيء فاراد قتله فقال حيا الله الملك ان لي صبية صغارا ولم اوص بهم احدا فان رأى الملك ان يأذن لي في اتيانهم واعطيه عهد الله ان أرجع اليه اذا أوصيت بهم فرق له النعمان وقال له لا الا ان يضمنك رجل معنا فان لم تأت قتلناه وكان مع النعمان وزيره شريك ابن عمرو فنظر اليه الطائي فقال

يا شريكا يا ابن عمرو
هل من الموت محاله
يا أخا كل مصاب

الشباب وكان عمرو بن عتبة يقول لقباء عليه ما أحسن حمرة الدماء على بياضك ورأى يزيد بن معاوية أن غزا لاجى به لم ير أحسن منه فلف فى ملحفة ثم دفن فى قبر لم ير أحسن منه عليه ثلاثة نفر قعود فلما استيقظوا اقتتل الناس رمى بحجر فهشم رأسه فمات فكأنما زين ثوبه بالدماء وليس بتلطيخ فدفن فى قبر على الصورة التى رأى وقال معضد لعلقمة أعرنى بردك أعصب به رأسى ففعل فأتى برج بالحجر الذى أصيب فيه يزيد فرماهم فقتل منهم وأتاه حجر عرادة ففضخ هامته فأخذه أصحابه فدفنوه الى جنب يزيد وأخذ علقمة البرد فكان يغسله فلا يخرج أثر الدم منه وكان يشهد فيه الجمعة ويقول يحملنى على هذا أن دم معضد فيه وأصاب عمرو بن عتبة جراحة فرأى قباءه كما اشتهى ثم قتل وأما القرثع فانه قاتل حتى خرق بالحراب فبلغ الخبر بذلك عثمان فقال انا لله أتنكث أهل الكوفة اللهم تب عليهم واقبل بهم وكان عثمان قد كتب الى سعيد بن العاص ان ينفذ سلمان الى الباب للغزو فسيره فلقى المهزومين على ما تقدم فنجاهم الله به فلما أصيب عبد الرحمن استعمل سعيد سلمان بن ربيعة على الباب واستعمل على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان وأمدهم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة فتأمر عليهم سلمان وأبى حبيب حتى قال اهل الشام لقد هممنا بضرب سلمان فقال الكوفيون اذن والله نضرب حبيبا ونحبسه وان ابيتم كثرت القتلى فينا وفيكم وقال أوس بن مغراء فى ذلك

ان تضربوا سلمان نضرب حبيبكم * وان ترحلوا نحو ابن عفان نرحل
وان تقسطوا فالثغر ثغر أميرنا * وهذا أمير فى الكتائب مقبل
ونحن ولاة الامر كنا حماته * ليالى نرمى كل ثغر وننكل

واراد حبيب ان يتأمر على صاحب الباب كما يتأمر أمير الجيش اذا جاء من الكوفة فكان ذلك اول اختلاف وقع بين أهل الكوفة والشام وغزا حذيفة ثلاث غزوات فقتل عثمان فى الثالثة ولقيهم مقتل عثمان فقال حذيفة بن اليمان اللهم العن قتلته وشتامه اللهم انا كنا نعاتبه ويعاتبنا فاتخذوا ذلك سلما الى الفتنة اللهم لا تمتهم الا بالسيوف

(ذكر وفاة أبى ذر)

وفيها مات أبو ذر وكان قد قال لابنته استشرفى يا بنية هل ترين احدا قالت لا قال فما جاءت ساعتى بعد ثم أمرها فذبحت شاة ثم طبختها ثم قال اذا جاءك الذين يدفنونى فانه سيشهدنى قوم صالحون فقولى لهم يقسم عليكم أبو ذر أن لا تركبوا حتى تأكلوا فلما نضجت قدرها قال لها انظرى هل ترين أحدا قالت نعم هؤلاء ركب قال استقبلى بى الكعبة ففعلت فقال بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مات فخرجت ابنته فتلقتهم وقالت رحمكم الله اشهدوا اباذر قالوا وأين هو فأشارت اليه قالوا نعم ونعمة عين لقد اكرمنا الله بذلك وكان فيهم ابن مسعود فبكى وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت وحده ويبعث وحده فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه وقالت لهم ابنته ان اباذر يقرأ عليكم السلام وأقسم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا ففعلوا وحملوا اهله معهم حتى اقدموهم مكة ونعوه الى عثمان فضم ابنته الى عياله وقال يرحم الله أباذر ويغفر له نزوله الربذة ولما حضر واشتد من الخبار جى مسك فسألوها عنه فقالت انه لما حضر قال ان الميت يحضره شهود يجدون الريح لا يأكلون فدوفى لهم مسكا بماء ورشى به

يا أخا النعمان فيك الـ
ـيوم عن شيخ علاله
ابن شيبان قتيل
أحسن الله فعاله

فقال شريك هو على أصلح الله الملك فضى الطائى وأجل أجلا يأتى فيه فلما كان ذلك اليوم أحضر النعمان شريكا وجعل يقول له ان صدر هذا اليوم قد ولى وشريك يقول ليس لك على سبيل حتى يمسى فلما أمسى اقبل شخص من بعيد والنعمان ينظر اليه والى شريك فقال له ليس لك على سبيل حتى يدنو الشخص فلعله صاحبى فبيناهم كذلك اذ اقبل الطائى فقال النعمان والله ما رأيت اكرم منكما وما أدرى أيكما اكرم اهذا الذى ضمنك فى الموت ام انت اذ رجعت الى القتل ثم قال لشريك الوزير ما حملك على ضمانه مع علمك انه الموت قال لئلا يقال ذهب الكرم من الوزراء وقال للطائى ما حملك على الرجوع وفيه تلافك قال لئلا يقال ذهب الوفاء من الناس ويكون عارا فى عقبى وفى قبيلتى قال النعمان فوالله لا كون الام الثلاثة فيقال ذهب العفو من الملوك فعفا عنه وأمر برفع يوم بؤسه

الخلفاء وكان النفر الذين شهدوا ابن مسعود وأبا ذر زر وبكر بن عبد الله التميمي والاسود بن
يزيد وعلقمة بن قيس ومالك الاشتر النخعي والحطال الضبي والحرث بن سويد التيمي وعمرو بن
عتبة السلمي وابن ربيعة السلمي وأبا رافع المزني وسويد بن شعبة التميمي وزيد بن معاوية النخعي
واخا القرثع الضبي وأخا معضد الشيباني وقيل كان موته سنة احدى وثلاثين وقيل ان ابن
مسعود لم يصل أهل أبي ذر معه انما تركهم حتى قدم على عثمان بمكة فاعلمه بموته فجعل عثمان
طريقه عليهم فحملهم معه

(ذكر خروج قارن)

ثم جمع قارن جمعا كثيرا من ناحية الطبسين وأهل باذغيس وهراة وقهستان واقبل في أربعين
الفا فقال قيس لابن خازم ما ترى قال ارى ان تخلي البلاد فاني اميرها ومعي عهد من ابن عامر اذا
كانت حرب بخراسان فانا أميرها وأخرج كتابا كان قد افتعله عهدا فكره قيس منازعته
وخلاه والبلاد واقبل الى ابن عامر فلامه ابن عامر وقال قد تركت البلاد حربا واقبلت قال
جاءني بعهد منك قال فسار ابن خازم الى قارن في أربعة آلاف وأمر الناس فحملوا الودك فلما
قرب من قارن أمر الناس ان يدرج كل رجل منهم على زج رمحه خرقة أو قطنا ثم يكثر دهنه
ثم سار حتى امسى فقدم مقدمته ستمائة ثم اتبعهم وأمر الناس فاشعلوا النيران في اطراف
الرماح فانتهت مقدمته الى معسكر قارن نصف الليل فناوشوهم وهاج الناس على دهش وكانوا
آمنين من البيات ودنا ابن خازم منهم فرأوا النيران يمنة ويسرة تتقدم وتتأخر وتنخفض وترتفع
فهالهم ذلك ومقدمة ابن خازم يقاتلونهم ثم غشيهم ابن خازم بالمسلمين فقتل قارن فانهزم
المشركون واتبعوهم يقتلونهم كيف شاؤا وأصابوا سبيا كثيرا وكتب ابن خازم بالفتح الى ابن
عامر فرضي واقره على خراسان فلبث عليها حتى انقضى امر الجمل وأقبل الى البصرة فشهد
وقعة ابن الحضرمي وكان معه في دار سنبيل وقيل لما جمع قارن استشار قيس بن الهيثم عبد الله
ابن خازم فيما يصنع فقال ارى انك لا تطيق كثرة من قد اتانا فاخرج بنفسك الى ابن عامر فتخبره
بكثرة العدو ونقيم نحن في الحصون ونطاولهم حتى يأتينا مددكم فخرج قيس فلما امعن أظهر ابن
خازم عهدا وقال قد ولاني ابن عامر خراسان وسار الى قارن فظفر به وكتب بالفتح الى ابن عامر
فأقره على خراسان ولم يزل أهل البصرة يغزون من لم يكن صالح من اهل خراسان فاذا عادوا
تركوا اربعة آلاف نجدة

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة مات العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمره يوم مات ثمانيا وثمانين سنة
كان اسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وفيها مات عبد الرحمن بن عوف وعمره
خمس وسبعون سنة وعبد الله بن مسعود وصلى عليه عمار بن ياسر وقيل عثمان وتوفي عبد الله بن
زيد بن عبد ربه الذي أرى الاذان

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

في هذه السنة كانت غزوة معاوية حصن المرأة من أرض الروم بناحية ملطية وفيها كانت غزوة
عبد الله بن سعد افريقية الثانية حين نقض أهلها العهد وفيها كان مسير الاحنف الى خراسان

ورجع

وانشد الطائي
ولقد عنى لخلاف جماعة
فأتت عند تجهم الاقوال
الى امرئ من الوفاء مخلفة
ونعال كل مهذب بذال
فقال له النعمان ما حملك
على الوفاء مع ما ذكرت قال
أيها الملك ديني قال وما دينك
قال النصرانية قال اعرضها
على فعرضها عليه فتنصر
النعمان ويقال انه قتله
كسرى بعد مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم بست سنين
وثمانية أشهر ثم انتقل الملك
في الحيرة الى (اياس بن قبيصة
الطائي) وكان ملكه تسع
سنين ثم استبد (زادويه
ابن ماهان) الهمداني ثم
عاد الملك الى اللخميين فملك
بعد زادويه المذكور
(المنذر بن النعمان) وسمته
العرب المغرور واستقر ملكا
بالحيرة الى ان قدم اليها (خالد
ابن الوليد) واستولى على
الحيرة وكانت مدة ملكهم
ستمائة سنة واثنين وعشرين
سنة وثمانية أشهر ولم يزل
عمرانها يتناقص من الوقت
الذي ذكرنا الى أيام المعتضد
وانه استولى عليها الخراب
وقد كان جماعة من الخلفاء
العباسية ينزلونها لطيب
هوائها وصحة تربتها وقرب
الخورنق والنجف منها
وكانت آل نصر بن ربيعة
عمالا للاكاسرة على عرب

وفتح المروين ومسير ابن عامر الى نيسابور وفتحها فى قول بعضهم وقد تقدم ذكر ذلك وفيها كانت غزوة قبرس فى قول بعضهم وقد تقدم ذكرها مستوفى وقيل ان فتحها كان سنة ثمان وعشرين فلما كان سنة اثنتين وثلاثين أعان اهلها الروم على الغزاة فى البحر بمراكب اعطوهم اياها فغزاهم معاوية سنة ثلاث وثلاثين ففتحها عنوة فقتل وسبى ثم اقرهم على صلحهم وبعث اليهم اثنى عشر ألفا فبنوا المساجد وبنى مدينة وقيل كانت غزوته الثانية سنة خمس وثلاثين

(ذكر تسيير من سير من اهل الكوفة الى الشام)

وفى هذه السنة سير عثمان نفرا من اهل الكوفة الى الشام وكان السبب فى ذلك ان سعيد بن العاص لما ولاه عثمان الكوفة حين شهد على الوليد بشرب الخمر أمره ان يسير الوليد اليه فقدم سعيد الكوفة وسير الوليد وغسل المنبر فنهاه رجال من بنى أمية كانوا قد خرجوا معه عن ذلك فلم يجبهم واختار سعيد وجوه الناس وأهل القادسية وقراء أهل الكوفة فكان هؤلاء دخلته داخلا وأما اذا خرج فكل الناس يدخل عليه فدخلوا عليه يوما فبيناهم يتحدثون قال حبيش ابن فلان الاسدى ما اجود طلحة بن عبيد الله فقال سعيد ان من له مثل النشاستج لحقيق ان يكون جوادا والله لو ان لى مثله لاعاشكم الله به عيشا رغدا فقال عبد الرحمن بن حبيش وهو حدث والله لوددت أن هذا الملطاط لك يعنى لسعيد وهو ما كان لآل كسرة على جانب الفرات الذى يلى الكوفة فقالوا فض الله فاك والله لقد هممنا بك فقال ابوه غلام فلا تجازوه فقالوا يتمنى له سوادنا قال ويتمنى لكم أضعافه فثار به الاشتر وجندب وابن ذى الحبكة وصعصعة وابن الكواء وكميل وعمير بن ضابئ فأخذوه فثار ابوه ليمنع عنه فضربوهما حتى غشى عليهما وجعل سعيد يناشدهم ويأبون حتى قضوا منهما وطرا فسمعت بذلك بنو اسد فجاؤا وفيهم طلحة فأحاطوا بالقصر وركبت القبائل فعاذوا بسعيد فخرج سعيد الى الناس فقال ايها الناس قوم تنازعوا وقد رزق الله العافية فردهم فتراجعوا وافاق الرجلان فقالا قتلنا غاشيتك فقال لا يغشونى ابدا فكفا ألسنتكما ولا تجرئا الناس ففعلا وقعد أولئك النفر فى بيوتهم واقبلوا يقعون فى عثمان وقيل بل كان السبب فى ذلك انه كان يسمر عند سعيد بن العاص وجوه أهل الكوفة منهم مالك بن كعب الارحبى والاسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان ومالك الاشتر وغيرهم فقال سعيد انما هذا السواد بستان قريش فقال الاشتر اتزعم ان السواد الذى افاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك وتكلم القوم معه فقال عبد الرحمن الاسدى وكان على شرطة سعيد اتردون على الامير مقالته واغلظ لهم فقال الاشتر من ههنا لا يفوتنكم الرجل فوثبوا عليه فوطؤه وطأ شديدا حتى غشى عليه ثم جروا برجله فنضح بماء فافاق فقال قتلنى من انتخبت فقال والله لا يسمر عندى أحد ابدا فجعلوا يجلسون فى مجالسهم يشتمون عثمان وسعيدا واجتمع اليهم الناس حتى كثروا فكتب سعيد واشراف اهل الكوفة الى عثمان فى اخراجهم فكتب اليهم ان يلحقوهم بمعاوية وكتب الى معاوية ان نفرا قد خلقوا للفتنة فاقم عليهم وانههم فان آنست منهم رشدا فاقبل وان اعيوك فارددهم على فلما قدموا على معاوية أنزلهم كنيسة مريم واجرى عليهم ما كان لهم بالعراق بأمر عثمان وكان يتغدى ويتعشى معهم فقال لهم يوما انكم قوم من العرب لكم اسنان والسنة وقد أدركتم بالاسلام شرفا وغلبتم الامم وحويتم

العراق مثل ما كان ملوك غسان عمال القياصرة على عرب الشام

(الباب السابع عشر فى ذكر ملوك الشام من آل غسان ولمع من سيرهم فيما ملكوه من الزمان)

ذكر صاحب البحر الزخار والعلم التيار ان أصل غسان من اليمن من بنى الازد من أولاد سبأ تفرقوا من اليمن بسيل العرم ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان فنسبوا اليه وكان قبلهم بالشام عرب يقال لهم الضجاعمة فأخرجهم غسان عن ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم وأول من ملك من غسان (جفنة ابن عمرو) وكان ابتداء ملكهم قبل الاسلام بما يزيد على أربعمائة سنة وقيل أكثر من ذلك وبنى بالشام عدة مصانع ثم هلك وملك بعده ابنه (عمرو بن جفنة) وبنى بالشام عدة ديورة منها دير حالى ودير أيوب ودير هند ثم هلك وملك ابنه (ثعلبة بن عمرو) وهو الذى صرح الغدير فى اطراف حوران مما يلى البلقاء ثم ملك بعده ابنه (الحرث بن ثعلبة) ثم ملك بعده ابنه (جبلة بن الحرث) وهو الذى بنى القناطر وادرج القسطل ثم ملك

موازيتهم وقد بلغني انكم نقمتم قريشا ولو لم تكن قريش كنتم اذلة ان أئمتكم لكم جنة فلا
تفترقوا عن جنتكم وان أئمتكم يصبرون لكم على الجور ويحملون منكم المؤنة والله لتنتهن أو
ليبتلينكم الله بمن يسومكم السوء ولا يحمدكم على الصبر ثم تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعية
في حياتكم وبعد وفاتكم فقال رجل منهم وهو صعصعة اما ما ذكرت من قريش فانها لم تكن
أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا واما ما ذكرت من الجنة فان الجنة اذا اخترقت
خلص الينا فقال معاوية عرفتكم الآن وعلمت ان الذي اغراكم على هذا قلة العقول وانت
خطيبهم ولا ارى لك عقلا اعظم عليك امر الاسلام وتذكرني بالجاهلية اخزى الله قوما عظموا
أمركم افقهوا عني ولا اظنكم تفقهون ان قريشا لم تعز في جاهلية ولا اسلام الا بالله لم تكن
باكثر العرب ولا أشدها ولكنهم كانوا اكرمهم احسابا وامحضهم انسابا وأكملهم مروءة ولم
يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا الا بالله فبوأهم حرما آمنا يتخطف الناس من
حولهم هل تعرفون عربا أو عجما أو سودا أو حمرا الا قد أصابه الدهر في بلده وحرمته الا ما كان
من قريش فانهم لم يردهم احد من الناس بكيد الا جعل الله خده الاسفل حتى أراد الله ان ينتقذ
من أكرم واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة فارتضى لذلك خير خلقه ثم ارتضى له
أصحابا فكان خيارهم قريشا ثم بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم فلا يصلح ذلك الا
عليهم فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه اف لك
ولاصحابك اما أنت يا صعصعة فان قريتك شر القرى أنتنها نبتا واعمقها واديا واعرفها بالشر
وألأمها جيرانا لم يسكنها شريف قط ولا وضيع الا سب بها ثم كانوا ألأم العرب ألقابا وألأمه أصهارا
نزاع الامم وأنتم جيران الخط وفعلة فارس حتى أصابتكم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم
لم تسكن البحرين فتشركهم في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فانت شر قومك حتى اذا ابرزك
الاسلام وخلطك بالناس اقبلت تبغي دين الله عوجا وتنزع الى الذلة ولا يضر ذلك قريشا ولا يضعهم
ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم ان الشيطان عنكم غير غافل قد عرفكم بالشر فاغرى بكم الناس
وهو صارعكم ولا تدركون بالشر امرا ابدا الا فتح الله عليكم شرا منه واخزى ثم قام وتركهم
فتقاصرت اليهم انفسهم فلما كان بعد ذلك أتاهم فقال اني قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم
لا ينفع الله بكم احدا ابدا ولا يضره ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرة فان اردتم النجاة فالزموا
جماعتكم ولا يبطرنكم الانعام فان البطر لا يعتري الخيار اذهبوا حيث شئتم فسأكتب الى أمير
المؤمنين فيكم فلما خرجوا دعاهم وقال لهم اني معيد عليكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان معصوما فولاني وادخلني في أمره ثم استخلف أبو بكر فولاني ثم استخلف عمر فولاني ثم
استخلف عثمان فولاني ولم يولني أحد الا وهو عني راض وانما طلب رسول الله صلى الله عليه
وسلم للاعمال اهل الجزاء من المسلمين والغنى وان الله ذو سطوات ونقمات يمكر بمن مكر به فلا
تعرضوا الامر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون فان الله غير تارككم حتى يختبركم ويبدي
للناس سرائركم وكتب معاوية الى عثمان انه قدم على اقوام ليست لهم عقول ولا اديان
أضجرهم العدل لا يريدون الله بشيء ولا يتكلمون بحجة انما همهم الفتنة وأموال اهل الذمة
والله مبتليهم ومختبرهم ثم فاضحهم ومخزيهم وليسوا بالذين ينكون احدا الا مع غيرهم فانه

أخوه (النعمان بن الحرث)
وهو الذي بنى دير ضخم ودير
النبوة ثم ملك (عمرو بن
الحرث) ثم ملك (جفنة
الاصغر بن المنذر الاكبر)
وهو الذي أحرق الحيرة
وبذلك سموا آل محرق ثم
ملك اخوه (النعمان
الاصغر ابن المنذر الاكبر)
ثم ملك (النعمان بن عمرو
ابن المنذر) وبنى قصر
السويدا ثم انخلع وملك
ابنه (جبلة) وهو الذي قاتل
المنذر بن ماء السماء وكان
جبلة ينزل بصفين ثم ملك
بعده (النعمان بن الايهم)
ابن الحرث ثم ملك بعده اخوه
(الحرث بن الايهم) ثم ملك
بعده (النعمان بن الحرث)
وهو الذي اصلح صهاريج
الرصافة وكان قد خربها
بعض ملوك الحيرة من
اللخميين ثم ملك بعده ابنه
(المنذر بن النعمان) ثم
ملك بعده اخوه (عمرو بن
النعمان) ثم ملك اخوهما
(حجر بن النعمان) ثم ملك
بعده ابنه (الحرث بن حجر)
وكنيته ابو كرب ولقبه قطام
ثم ملك بعده (الايهم بن
جبلة بن الحرث) وهو صاحب
تدمر وبنى له بالبرية
قصرا عظيما ومصانع ثم ملك
بعده اخوه (عمرو بن جبلة)
ثم ملك بعده (جبلة
ابن الحرث بن جبلة) ثم ملك

سعيدا ومن عنده عنهم فانهم ابوا الا كثرمن شغب ونكير فخرجوا من دمشق فقالوا لا ترجعوا
بنا الى الكوفة فانهم يشمتون بنا ولكن ميلوا الى الجزيرة فسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن
الوليد وكان على حمص فدعاهم فقال يا آلة الشيطان لا مرحبا بكم ولا أهلا قد رجع الشيطان
محسورا وأنتم بعد نشاط خسر الله عبد الرحمن ان لم يؤدبكم يا معشر من لا ادرى أعرب هم أم
عجم لا تقولوا لى ما بلغنى انكم قلتم لمعاوية أنا ابن خالد بن الوليد أنا ابن من قد عجمته العاجمات
انا ابن فاقئ الردة والله لئن بلغنى يا صعصعة ان احدا ممن معى دق انفك ثم غمصك لاطيرن بك طيرة
بعيدة المهوى فأقامهم شهرا كلما ركب امشاهم فاذا مر به صعصعة قال يا ابن الخطيئة اعلمت ان
من لم يصلحه الخير أصلحه الشر مالك لا تقول كما بلغنى انك قلت لسعيد ومعاوية فيقولون نتوب
الى الله أقلنا اقالك الله فما زالوا به حتى قال تاب الله عليكم وسرح الاشتر الى عثمان فقدم اليه
تائبا فقال له عثمان احلل حيث شئت فقال مع عبد الرحمن بن خالد فقال ذلك اليك فرجع اليه
قيل وقد روى أيضا نحو ما تقدم وزادوا فيه ان معاوية لما عاد اليهم من القابلة وذكرهم كان مما
قال لهم واني والله لا آمركم بشئ الا وقد بدأت فيه بنفسي وأهل بيتي وقد عرفت قريش ان ابا
سفيان كان اكرمها وابن اكرمها الا ما جعل الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فانه انتجبه واكرمه
واني لاظن ان ابا سفيان لو ولد الناس لم يلد الا حازما فقال صعصعة قد كذبت قد ولدهم خير من ابي
سفيان من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وامر الملائكة فسجدوا له وكان فيهم البر
والفاجر والاحمق والكيس فخرج تلك الليلة من عندهم ثم أتاهم القابلة فتحدث عندهم طويلا
ثم قال ايها القوم ردوا خيرا واسكتوا وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم وينفع اهاليكم
والمسلمين فاطلبوه فقال صعصعة لست بأهل ذلك ولا كرامة لك ان تطاع في معصية الله فقال
اليس أول ما ابتدأتكم به ان امرتكم بتقوى الله وطاعة نبيه وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا
تفرقوا قالوا بل امرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فقال انى آمركم الآن
ان كنت فعلت فاتوب الى الله وآمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ولزوم
الجماعة وان توقروا أئمتكم وتدلوهم على احسن ما قدرتم عليه فقال صعصعة فانا نأمرك ان
تعتزل عملك فان في المسلمين من هو أحق به منك من كان ابوه احسن قدما في الاسلام من ابيك
وهو احسن في الاسلام قدما منك فقال والله ان لى في الاسلام قدما ولغيرى كان احسن قدما
منى ولكنه ليس في زماني احد اقوى على ما انا فيه منى ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب فلو كان
غيرى اقوى منى لم تكن عند عمر هوادة لى ولا لغيرى ولم أحدث من الحدث ما ينبغى لى ان اعتزل
عملى ولو رأى ذلك امير المؤمنين لكتب الى فاعتزلت عمله فهلا فان في ذلك واشباهه ما يتمنى
الشيطان ويأمر ولعمرى لو كانت الامور تقضى على رأيكم وامانيكم ما استقامت لاهل
الاسلام يوما ولا ليلة فعاودوا الخير وقولوه وان لله لسطوات واني لخائف عليكم ان تتابعوا الى
مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن فيحلكم ذلك دار الهوان في العاجل والآجل فوثبوا عليه
واخذوا رأسه ولحيته فقال مه ان هذه ليست بأرض الكوفة والله لو رأى اهل الشام ما صنعتم
بي ما ملكت ان انهاهم عنكم حتى يقتلوكم فلعمرى ان صنيعكم ليشبه بعضه بعضا ثم قام من
عندهم وكتب الى عثمان نحو الكتاب المتقدم فكتب اليه عثمان يأمره ان يردهم الى سعيد بن

بعده (جبلة بن الايهم بن جبلة) وهو آخر ملوك غسان وهو الذى اسلم فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ثم عاد الى الروم فتنصر وسبب ذلك انه خرج الى الحج مع عمر فبينما هو يطوف بالبيت اذ وطئ رجل من فزارة على ازاره فلطمه جبلة فهشم انفه فاقبل الفزارى الى عمر رضى الله عنه فشكا فاحضره عمر وقال افتد نفسك والا امرت الفزارى ان يلطمك فانف من ذلك جبلة وقال امهلنى هذه الليلة حتى انظر فى أمرى فلما جاء الليل سار جبلة بخيله ورجله الى الشام ثم سار الى القسطنطينية وتبعه خمسمائة رجل من قومه فتنصروا عن آخرهم وفرح هرقل بهم واكرمه واقطعه الاموال وغيرها فلما بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه رسولا الى هرقل يدعوه الى الاسلام او الى الجزية فأجاب الى الجزية اجتمع الرسول بجبلة فوجده فى نعيم لا يوصف وقال له ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله قال ان كنت تضمن لى ان يزوجنى عمر ابنته ويولينى الامر من بعده رجعت الى الاسلام قال فضمنت له التزويج ولم

العاص بالكوفة فردهم وما طالوا ألسنتهم فضج سعيد منهم الى عثمان فكتب اليه عثمان ان يسيرهم الى عبد الرحمن بن خالد بحمص فسيرهم اليه فانزلهم عبد الرحمن واجرى عليهم رزقا وكانوا الاشتر وثابت بن قيس الهمداني وكميل بن زياد وزيد بن صوحان وأخاه صعصعة وجندب ابن زهير الغامدي وجندب بن كعب الازدي وعروة بن الجعد وعمرو بن الحمق الخزاعي وابن الكواء فسأل معاوية ابن الكواء عن نفسه فقال انت بعيد الثرى كثير المرعى طيب البديهة بعيد الغور الغالب عليك الحلم ركن من أركان الاسلام سدت بك فرجة مخوفة قال فأخبرني عن اهل الاحداث من الامصار فانك اعقل اصحابك قال اما اهل المدينة فهم احرص الامة على الشر واعجزهم عنه وأما اهل الكوفة فانهم يردون جميعا ويصدرون شتى واما اهل مصر فهم أوفى الناس بشر واسرعهم ندامة واما أهل الشام فهم اطوع الناس لمرشدهم واعصاهم لغويهم

﴿ذكر تسيير من سير من اهل البصرة الى الشام﴾

ولما مضت ثلاث سنين من امارة عبد الله بن عامر بلغه ان رجلا نزل على حكيم بن جبلة العبدي وكان عبد الله بن سبا المعروف بابن السوداء هو الرجل النازل عليه واجتمع اليه نفر فطرح اليهم ابن السوداء ولم يصرح فقبلوا منه فارسل اليه ابن عامر فسأله من انت فقال رجل من اهل الكتاب رغبت في الاسلام وفي جوارك فقال ما يبلغني ذلك اخرج عني فخرج حتى اتى الكوفة فاخرج منها فقصد مصر فاستقر بها وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ويختلف الرجال بينهم وكان حمران بن ابان قد تزوج امرأة في عدتها ففرق عثمان بينهما وضربه وسيره الى البصرة فلزم ابن عامر فتذاكروا يوما المرور بعامر بن عبد القيس فقال حمران الا اسبقكم فاخبره فخرج فدخل عليه وهو يقرأ في المصحف فقال الامير يريد المرور بك فاحببت ان اعلمك فلم يقطع قراءته فقام من عنده فلما انتهى الى الباب لقيه ابن عامر فقال انه لا يرى لآل ابراهيم عليه فضلا ودخل عليه ابن عامر فاطبق المصحف وحدثه فقال له ابن عامر ألا تغشانا فقال سعد بن ابي الفرحاء يحب الشرف فقال ألا نستعملك فقال حصين بن الحر يحب العمل فقال الا نزوجك فقال ربيعة بن عسل يعجبه النساء فقال ان هذا يزعم انك لا ترى لآل ابراهيم عليك فضلا ففتح المصحف فكان اول ما وقع عليه ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين فسعى به حمران واقام حمران بالبصرة ما شاء الله واذن له عثمان فقدم المدينة ومعه قوم فسعوا بعامر بن عبد القيس انه لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة فالحقه بمعاوية فلما قدم عليه رأى عنده ثريدا فاكل أكلا عربيا فعرف ان الرجل مكذوب عليه فعرفه معاوية سبب اخراجه فقال اما الجمعة فاني اشهدها في مؤخر المسجد ثم ارجع في اوائل الناس وأما التزويج فاني خرجت وانا يخطب علي وأما اللحم فقد رأيت ولكني لا آكل ذبائح القصابين منذ رأيت قصابا يجر شاة الى مذبحها ثم وضع السكين على حلقها فما زال يقول النفاق النفاق حتى ذبحها قال فارجع قال لا ارجع الى بلد استحل اهله مني ما استحلوا فكان يكون في السواحل فكان يلقى معاوية فيكثر معاوية ان يقول ما حاجتك فيقول لا حاجة لي فلما أكثر عليه قال ترد علي من حر البصرة شيا لعل الصوم ان يشتد علي فانه يخف علي في بلادكم

أمن له الامر فلما أخبرت عمر بخبره وما اشترط علي وما ضمنت له قال تهلا ضمنت له الامر فاذا اتى الله به مضى علينا بحكمه ثم جهزني عمر الى هرقل ثانية وأمرني ان اضمن له ما اشترط فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت ان الشقاء غلب عليه في ام الكتاب وكان ندم على تنصره وقال

تنصرت الاشراف من عار لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكنفني منها لجاج ونخوة ... فبعت لها العين الصحيحة بالعور

فياليت امي لم تلدني وليتني ... رجعت الى الامر الذي قاله عمر

ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة ... وكنت أسيرا في ربيعة او مضر

ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة ... اجالس قومي ذاهب السمع والبصر

وقد اختلف في مدة ملك الغسانية فقيل أربعمائة سنة وقيل ستمائة سنة وكانت ديار ملوك غسان اليرموك والجولان وغيرهما من غوطة دمشق وأعمالها ومنهم من نزل الاردن من أرض الشام وجميع من ملك الشام من آل غسان احد وعشرون

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس عثمان وفيها مات المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الاسود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى ان يصلي عليه الزبير وفيها توفي الطفيل والحصين ابنا الحرث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف شهدا بدرا وأحدا وقيل ماتا سنة احدى وثلاثين وقيل اثنتين وثلاثين

﴿ثم دخلت سنة اربع وثلاثين﴾

قيل فيها كانت غزوة الصواري في قول بعضهم وقد تقدم ذكرها وفيها تكاتب المنحرفون عن عثمان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون انهم نقموا عليه

﴿ذكر الخبر عن ذلك وعن يوم الجرعة﴾

قد ذكرنا خبر المسيرين من الكوفة ومقامهم عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ووفد سعيد بن العاص الى عثمان سنة احدى عشرة من خلافة عثمان وكان سعيد قد ولى قبل مخرجه الى عثمان بسنة وبعض أخرى الاشعث بن قيس اذربيجان وسعيد بن قيس الري والنسير العجلي همذان والسائب بن الاقرع أصبهان ومالك بن حبيب ماه وحكيم بن سلام الحزامي الموصل وجرير بن عبد الله قرقيسيا وسلمان بن ربيعة الباب وجعل القعقاع بن عمرو على الحرب وعلى حلوان عتيبة بن النهاس وخلت الكوفة من الرؤساء فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان ومعه الذين كان ابن السوداء يكاتبهم فأخذه القعقاع بن عمرو فقال انما نستعفي من سعيد فقال اما هذا فنعم فتركه وكاتب يزيد المسيرين في القدوم عليه فسار الاشتر والذين عند عبد الرحمن بن خالد فسبقهم الاشتر فلم يفجأ الناس يوم الجمعة الا والاشتر على باب المسجد يقول جئتكم من عند امير المؤمنين عثمان وتركت سعيدا يريده على نقصان نسائكم على مائة درهم ورد اولي البلاء منكم الى الفين ويزعم ان فيئكم بستان قريش فاستخف الناس وجعل اهل الرأي ينهونهم فلا يسمع منهم فخرج يزيد وأمر مناديا ينادي من شاء ان يلحق بيزيد لرد سعيد فليفعل فبقي اشراف الناس وحلماؤهم في المسجد وعمرو بن حريث يومئذ خليفة سعيد فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وامرهم بالاجتماع والطاعة فقال له القعقاع اترد السيل عن ادراجه هيهات لا والله لا يسكن الغوغاء الا المشرفية ويوشك ان تنتضى ويعجون عجيج العبدان ويتمنون ماهم فيه اليوم فلا يرده الله عليهم ابدا فاصبر فقال أصبر وتحول الى منزله وخرج يزيد بن قيس فنزل الجرعة وهي قريب من القادسية ومعه الاشتر فوصل اليهم سعيد بن العاص فقالوا لا حاجة لنا بك قال انما كان يكفيكم ان تبعثوا الى امير المؤمنين رجلا والي رجلا وهل يخرج الالف لهم عقول الى رجل واحد ثم انصرف عنهم واستوا مولى له على بعير قد حسر فقال والله ما كان ينبغي لسعيد ان يرجع فقتله الاشتر ومضى سعيد حتى قدم على عثمان فأخبره بما فعلوا وانهم يريدون البدل وانهم يختارون ابا موسى فجعل ابا موسى الاشعري اميرا وكتب اليهم اما بعد فقد أمرت عليكم من اخترتم واعفيتكم من سعيد والله لأفرضنكم عرضي ولأبذلن لكم صبري ولأستصلحنكم بجهدي فلا تدعوا شيأ احببتموه لا يعصى الله فيه الا سألتموه ولا شيأ كرهتموه لا يعصى الله فيه الا استعفيتم منه انزل فيه عندما احببتم حتى لا يكون لكم على الله حجة ولنصبرن كما أمرنا

ملكا وقد كان بالشام ملوك ببلاد مارب من ارض البلقاء من بلاد دمشق وكذلك بمدائن قوم لوط من ارض الاردن وبلاد فلسطين وقد كان لكندة وغيرها من العرب من قحطان ملوك لم نذكر الا من اشتهر ملكه وعرفت مملكته وسائر الامم الخالية والممالك الباقية لم نذكرها الا الى الاختصار

(الباب الثامن عشر في ذكر ملوك كندة ذي سطوة ونجدة في أرض بكر بن وائل أحسن العشائر والقبائل)

ذكر صاحب البحر الزخار ان أول ملوكهم (حجر) بضم الحاء المهملة وهو من أولاد سبا وكانت كندة قبل ان يملك حجر عليهم بغير ملك فأكل القوي الضعيف فلما ملك حجر سدد امورهم وساسهم وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل ثم ملك بعده ابنه (عمرو بن حجر) ويقال له عمرو المذكور المقصور لانه اقتصر على ملك أبيه ثم ملك بعده ابنه (الحرث بن عمرو) فلما عاد المنذر الى ملك ابيه زمن انوشروان هرب الحرث الى ديار كلب وبقي بها حتى عدم وملك بعده ابنه (حجر ابن الحرث) على بني أسد بن خزيمة بن مدركة وملك باق

حتى تبلغوا ما تريدون ورجع من الامراء من قرب من الكوفة فرجع جرير من قرقيسيا وعتيبة بن النهاس من حلوان وخطبهم ابو موسى وامرهم بلزوم الجماعة وطاعة عثمان فأجابوا الى ذلك وقالوا صل بنا فقال لا الا على السمع والطاعة لعثمان قالوا نعم فصلى بهم وأتاه ولايته
فولاهم وقيل سبب يوم الجرعة انه كان قد اجتمع ناس من المسلمين فتذاكروا اعمال عثمان فاجمع رأيهم فارسلوا اليه عامر بن عبد الله التميمي ثم العنبري وهو الذى يدعى عامر بن عبد القيس فأتاه فدخل عليه فقال له ان ناسا من المسلمين اجتمعوا ونظروا فى أعمالك فوجدوك قد ركبت امورا عظاما فاتق الله وتب اليه فقال عثمان انظروا الى هذا فان الناس يزعمون انه قارئ ثم هو يجيء يكلمني فى المحقرات والله مايدري اين الله فقال عامر بلى والله انى لادرى ان الله لبالمرصاد فأرسل عثمان الى معاوية وعبد الله بن سعد والى سعيد بن العاص وعمرو بن العاص وعبد الله بن عامر فجمعهم فشاورهم وقال لهم ان لكل امرئ وزراء ونصحاء وانكم وزرائى ونصحائى وأهل ثقتى وقد صنع الناس ما قد رأيتم وطلبوا الى ان أعزل عمالى وان ارجع عن جميع ما يكرهون الى ما يحبون فاجتهدوا رأيكم فقال له ابن عامر أرى لك يا امير المؤمنين ان تشغلهم بالجهاد عنك حتى يذلوا لك ولا يكون همة احدهم الا فى نفسه وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروته وقال سعيد احسم عنك الداء فاقطع عنك الذى تخاف ان لكل قوم قادة متى تهلك يتفرقوا ولا يجتمع لهم امر فقال عثمان ان هذا هو الرأى لولا ما فيه وقال معاوية اشير عليك ان تأمر امراء الاجناد فيكفيك كل رجل منهم ما قبله واكفيك انا اهل الشام وقال عبد الله بن سعد ان الناس اهل طمع فاعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم ثم قام عمرو بن العاص فقال يا امير المؤمنين انك قد ركبت الناس بمثل بنى أمية فقلت وقالوا وزغت وزاغوا فاعتدل أو اعتزل فان ابيت فاعتزم عزما وامض قدما فقال له عثمان مالك قمل فروك أهذا الجد منك فسكت عمرو حتى تفرقوا فقال والله يا امير المؤمنين لانت اكرم علي من ذلك ولكنى علمت ان بالباب من يبلغ الناس قول كل رجل منا فأردت ان يبلغهم قولى فيثقوا بى فأقود اليك خيرا وادفع عنك شرا فرد عثمان عماله الى اعمالهم وامرهم بتجهيز الناس فى البعوث وعزم على تحريم اعطياتهم ليطيعوه ورد سعيدا الى الكوفة فلقيه الناس من الجرعة وردوه كما سبق ذكره قال أبو ثور الحداني جلست الى حذيفة وأبى مسعود الانصارى بمسجد الكوفة يوم الجرعة فقال أبو مسعود ما أرى ان ترد على عقبيها حتى يكون فيها دماء فقال حذيفة والله لتردن على عقبيها ولا يكون فيها محجمة دم وما ارى اليوم شيأ الا قد علمته والنبى صلى الله عليه وسلم حى فرجع سعيد الى عثمان ولم يسفك دم وجاء أبو موسى أميرا وامر عثمان حذيفة بن اليمان ان يغزو الباب فسار نحوه

﴿ذكر ابتداء قتل عثمان﴾

فى هذه السنة تكاتب نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم بعضهم الى بعض ان اقدموا فان الجهاد عندنا وعظم الناس على عثمان ونالوا منه وليس احد من الصحابة ينهى ولا يذب الا نفر منهم زيد بن ثابت وابو اسيد الساعدى وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فاجتمع الناس فكلموا على بن ابى طالب فدخل على عثمان فقال له الناس ورائى وقد كلمونى فيك والله

بنيه على قبائل العرب فملك ابنه شراحيل بن الحرث على بكر بن وائل وملك ابنه معد يكرب على قيس بن عيلان وملك ابنه سلمة على تغلب أما حجر المذكور وهو أبو امرئ القيس الشاعر فبقى أبوه متملكا فى بنى اسد مدة ثم تنكروا عليه فقاتلهم وقهرهم وبالغ فى نكايتهم وحلوا تحت طاعته ثم هجموا عليه بغتة وقتلوه غيلة ولما بلغ امرأ القيس قتل ابيه وكان فى شربه مع أصحابه فقال ضيعنى أبى صغيرا وحملنى ثقل الثار كبيرا اليوم خمر وغدا امر اليوم خمر وغدا امر فارسل ذلك مثلا وكان أبوه طرده حين قال الشعر وثم حرمه وقال الملوك لاقدح واعما هى تقدح ثم استنجد امرؤ القيس لاخذ ثار أبيه ببكر وتغلب على بنى اسد فانجدوه وهربت بنو أسد منهم وتبعهم فلم يظفر بهم فأوقع ببنى كنانة ظنا منه انهم بنو أسد فقتلهم قتلا ذريعا فقالت عجوز والله أيها الملك ما نحن بثارك وانما ثارك بنو اسد وقد ارتحلوا من قبل الليل حين استشعروا بك ثم صار يدخل قبائل العرب وينتقل من اناس الى اناس حتى دخل على قيصر فاستنصره فأجابه

ما أدري ما اقول لك ولا أعرف شيأ تجهله ولا ادلك على امر لا تعرفه انك لتعلم ما اعلم ما سبقناك
الى شئ فنخبرك عنه ولا خلونا بشئ فنبلغكه وما خصصنا بأمر دونك وقد رأيت وصحبت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسمعت منه ونلت صهره وما ابن ابى قحافة باولى بالعمل منك بالحق ولا ابن
الخطاب باولى بشئ من الخير منك وأنت اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رحما ولقد
نلت من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم ينالاه وما سبقاك الى شئ فالله الله فى نفسك فانك
والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهالة وان الطريق لواضح بين وان اعلام الدين لقائمة اعلم
يا عثمان ان أفضل عباد الله امام عادل هدى وهدى فأقام سنة معلومة وامات بدعة متروكة فوالله
ان كلا لبين وان السنن لقائمة لها اعلام وان البدع لقائمة لها اعلام وان شر الناس عند الله امام
جائر ضل وأضل فامات سنة معلومة واحيا بدعة متروكة وانى احذرك الله وسطواته ونقماته
فان عذابه شديد اليم واحذرك أن تكون امام هذه الامة الذى يقتل فيفتح عليها القتل والقتال
الى يوم القيامة ويلبس امورها عليها ويتركها شيعا لا يبصرون الحق لعلو الباطل يموجون
فيها موجا ويمرجون فيها مرجا فقال عثمان قد علمت والله ليقولن الذى قلت اما والله لو كنت
مكانى ما عنفتك ولا أسلمتك ولا عبت عليك ولا جئت منكرا أن وصلت رحما وسددت خلة
وآويت ضائعا ووليت شبيها بمن كان عمر يولى انشدك الله يا على هل تعلم ان المغيرة بن شعبة ليس
هناك قال نعم قال فتعلم ان عمر ولاه قال نعم قال فلم تلومنى ان وليت ابن عامر فى رحمه وقرابته قال
على ان عمر كان يطأ على صماخ من ولى ان بلغه عنه بحرف جلبه ثم بلغ به اقصى العقوبة وأنت
لا تفعل ضعفت ورققت على اقربائك قال عثمان وهم اقرباؤك ايضا قال اجل ان رحمهم منى
لقريبة ولكن الفضل فى غيرهم قال عثمان هل تعلم ان عمر ولى معاوية فقد وليته فقال على
انشدك الله هل تعلم ان معاوية كان اخوف لعمر من يرفأ غلام عمر له قال نعم قال على فان
معاوية يقتطع الامور دونك ويقول للناس هذا امر عثمان وانت تعلم ذلك فلا تغير عليه ثم خرج
على من عنده وخرج عثمان على أثره فجلس على المنبر ثم قال اما بعد فان لكل شئ آفة ولكل
أمر عاهة وان آفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسترون
عنكم ما تكرهون يقولون لكم ويقولون امثال النعام يتبعون اول ناعق احب مواردهم
اليهم البعيد لا يشربون الا نغصا ولا يردون الا عكرا يقوم لهم رائد وقد اعيتهم الامور ألا فقد
والله عبتم على ما اقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه
فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم ولنت لكم وأوطأتكم كتفى وكففت يدى ولسانى عنكم
فاجترأتم على اما والله لانا أعز نفرا واقرب ناصرا واكثر عددا واحرى ان قلت هلم أتى الى ولقد
عددت لكم اقرانا وأفضلت عليكم فضولا وكشرت لكم عن نابى واخرجتم منى خلقا لم اكن
أحسنه ومنطقا لم أنطق به فكفوا عنى السنتكم وعيبكم وطعنكم على ولاتكم فانى كففت
عنكم من لو كان هو الذى يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقى هذا الا فما تفقدون من حقكم والله
ما قصرت عن بلوغ ما بلغ من كان قبلى ولم تكونوا تختلفون عليه فقام مروان بن الحكم فقال ان
شئتم حكمنا والله ما بيننا وبينكم السيف نحن وانتم والله كما قال الشاعر

فرشنا لكم اعراضنا فنبت بكم * مغارسكم تبنون فى دمن الثرى

وكان بنو اسد بعثوا من
عندهم رجلا الى الروم
ليفسد الامر على امرئ
القيس يقال له الطماح
فوشى به الى قيصر ان يقتله
فوجه معه جيشا ثم اتبعه
رجلا ومعه حلة مسمومة
فقال له أقرئه السلام وقل له
ان الملك قد بعث اليك هذه
ليكرمك بها وأدخله الحمام
فاذا خرج فالبسه اياها
ففعل ذلك الرجل فلما لبسها
تفطر بدنه فكان يحمل فى
محفة وذلك قوله

لقد طمح الطماح من بعد أرضه
ليلبسنى من دائه ما تلبسا
فبدلت قرحا داميا بعد صحة
فيالك من نعمى تحولن أبؤسا

ثم نزل الى جنب جبل يقال
له عسيب بقرب مدينة
انكورية الروم وفى سفحه
قبره فقال

اجارتنا ان الخطوب تنوب
وانى مقيم ما اقام عسيب
اجارتنا انا مقيمان ههنا
وكل غريب للغريب نسيب
فان تصلينا فالقرابة بيننا
وان تصرمينا فالغريب غريب

* ولنذكر بعد هذا خبر عمرو
بن عامر وخبر سيل العرم
وتفرقهم فى البلاد وبعض
اخبار العرب وكان أول
من خرج من اليمن فى أيام
تمزيقهم عمرو بن عامر
و يقال له مزيقيا لانه كان

فقال عثمان اسكت لاسكت دعني وأصحابي ما منطقك في هذا ألم اتقدم اليك أن لا تنطق فسكت مروان ونزل عثمان عن المنبر فاشتد قوله على الناس وعظم وزاد تألبهم عليه

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج هذه السنة بالناس عثمان وفي هذه السنة توفي كعب الاحبار وهو كعب بن ماتع واسلم أيام عمر وفيها مات أبو عبس عبد الرحمن بن جبر الانصاري شهد بدرا وفيها مات مسطح بن أثاثة المطلبي وهو ابن ست وخمسين سنة وقيل بل عاش وشهد صفين مع علي وهو الاكثر وكان بدريا وفيها توفي عبادة بن الصامت الانصاري وهو ممن شهد العقبة وكان نقيبا بدريا وعاقل بن البكير وهو بدري أيضا

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ﴾

﴿ ذكر مسير من سار الى حصر عثمان ﴾

قيل في هذه السنة كان مسير من سار من اهل مصر الى ذي خشب ومسير من سار من اهل العراق الى ذي المروة وكان سبب ذلك ان عبد الله بن سبا كان يهوديا واسلم ايام عثمان ثم تنقل في الحجاز ثم بالبصرة ثم بالكوفة ثم بالشام يريد اضلال الناس فلم يقدر منهم على ذلك فاخرجه اهل الشام فاتى مصر فاقام فيهم وقال لهم العجب ممن يصدق ان عيسى يرجع ويكذب ان محمدا يرجع فوضع لهم الرجعة فقبلت منه ثم قال لهم بعد ذلك انه كان لكل نبي وصي وعلي وصي محمد فمن اظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصيه وان عثمان أخذها بغير حق فانهضوا في هذا الامر وابدؤا بالطعن على امرائكم واظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس وبث دعاته وكاتب من استفسد في الامصار وكاتبوه ودعوا في السر الى ما عليه رأيهم وصاروا يكتبون الى الامصار بكتب يضعونها في عيب ولاتهم ويكتب لهل كل مصر منهم الى مصر آخر بما يصنعون حتى تناولوا بذلك المدينة واوسعوا بذلك الارض اذاعة فيقول اهل كل مصر انا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء الا اهل المدينة فانهم جاءهم ذلك عن جميع الامصار فقالوا انا في عافية مما فيه الناس فاتوا عثمان فقالوا يا امير المؤمنين اياتيك عن الناس الذي ياتينا فقال ما جاءني الا السلامة وانتم شركائي وشهود المؤمنين فاشيروا علي قالوا نشير عليك ان تبعث رجالا ممن تثق بهم الى الامصار حتى يرجعوا اليك باخبارهم فدعا محمد بن مسلمة فارسله الى الكوفة وأرسل أسامة بن زيد الى البصرة وارسل عمار ابن ياسر الى مصر وارسل عبد الله بن عمر الى الشام وفرق رجالا سواهم فرجعوا جميعا قبل عمار فقالوا ما انكرنا شيأ أيها الناس ولا انكره اعلام المسلمين ولا عوامهم وتأخر عمار حتى ظنوا انه قد اغتيل فوصل كتاب من عبد الله بن أبي سرح يذكر ان عمارا قد استماله قوم وانقطعوا اليه منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر فكتب عثمان الى اهل الامصار اني آخذ عمالي بموافاتي كل موسم وقد رفع الى اهل المدينة ان اقواما يشتمون ويضربون فمن ادعى شيأ من ذلك فليواف الموسم يأخذ حقه حيث كان مني او من عمالي او تصدقوا فان الله يجزي المتصدقين فلما قرئ في الامصار بكى الناس ودعوا لعثمان وبعث الى عمال الامصار فقدموا عليه في الموسم عبد الله بن عامر وعبد الله بن سعد ومعاوية وادخل

يزد في كل يوم مثلين فلا يلبسها أحد بعده كما تر وسبب خروجه من اليمن انه كانت له زوجة كاهنة يقال طريفة وكانت رأت في منامها ان سحابة غشيت ارضهم فارعدت وابرقت ثم اصعقت فاحرقت كل ما وقعت عليه ففزعت طريفة فزعا شديدا فاتت زوجها وهي تقول ارأيت ما ازال عني النوم رأيت غيما أرعد وأبرق طويلا ثم اصعق فما وقع على شئ الا احترق فلما رأى ما داخلها من الفزع سكنها ثم انهما دخلا حديقة كانت لهما فرأيا الشجر تتحرك من غير ريح قال عمرو وما ترين في ذلك قالت أجل ان فيه الويل ومالك فيه من قيل وان الويل فيما يجئ به السيل قال وما علامات ما تذكرين قالت اذهب الى السد فاذا رأيت جرذا يكثر في السد يديه الحفر ويقلب برجليه جلاميد الصخر فاعلم ان العقر عقر وانه قد وقع الامر قال وما هذا الذي تذكرين قالت وعد من الله نزل وباطل حل ونكال نكل فانطلق عمرو الى السد يحرسه فاذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون رجلا فرجع الى زوجته فاخبرها بذلك وقال انها متى يكون

معهم سعيد بن العاص وعمرا فقال ويحكم ما هذه الشكاية والاذاعة انى والله لخائف أن تكونوا مصدوقا عليكم وما يعصب هذا الابى فقالوا له ألم تبعث ألم يرجع اليك الخبر عن العوام ألم يرجع رسلك ولم يشافههم أحد بشئ والله ما صدقوا ولا برّوا ولا نعلم لهذا الامر أصلا ولا يحل الاخذ بهذه الاذاعة فقال أشيروا علىّ فقال سعيد هذا أمر مصنوع يلقى فى السر فيتحدث به الناس ودواء ذلك طلب هؤلاء وقتل الذين يخرج هذا من عندهم وقال عبد الله بن سعد خذ من الناس الذى عليهم اذا أعطيتهم الذى لهم فانه خير من ان تدعهم وقال معاوية قد وليتنى فوليت قوما ولا يأتيك عنهم الا الخير والرجلان أعلم بناحيتهما والرأى حسن الادب وقال عمرو أرى أنك قد لنت لهم ورخيت عليهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأرى ان تلزم طريقة صاحبيك فتشد فى موضع الشدة وتلين فى موضع اللين فقال عثمان قد سمعت كل ما أشرتم به علىّ ولكل أمر باب يؤتى منه ان هذا الامر الذى يخاف على هذه الامة كائن وان بابه الذى يغلق عليه ليفتحن فنكفكفه باللين والمواتاة الا فى حدود الله فان فتح فلا يكون لاحد على حجة وقد علم الله انى لم آل الناس خيرا وان رحى الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان ان مات ولم يحركها سكنوا الناس وهبوا لهم حقوقهم فاذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها فلما نفر عثمان وشخص معاوية والامراء معه واستقل على الطريق رجز به الحادى فقال

قد علمت ضوامر المطىّ * وضمرات عوج القسىّ

ان الامير بعده علىّ * وفى الزبير خلف رضىّ

فقال كعب كذبت بل يلى بعده صاحب البغلة الشهباء يعنى معاوية فطمع فيها من يومئذ فلما قدم عثمان المدينة دعا عليا وطلحة والزبير وعنده معاوية فحمد الله معاوية ثم قال أنتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرته من خلقه وولاة أمر هذه الامة لا يطمع فيه احد غيركم اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع وقد كبر وولى عمره ولو انتظرتم به الهرم لكان قريبا مع انى ارجو ان يكون اكرم على الله ان يبلغه ذلك وقد فشت مقالة خفتها عليكم فما عتبتم فيه من شئ فهذه يدى لكم به ولا تطمعوا الناس فى امركم فوالله ان طمعوا فيه لا رأيتم منها ابدا الا ادبارا قال علىّ مالك ولذلك لا ام لك قال دع امى فانها ليست بشر امهاتكم قد اسلمت وبايعت النبى صلى الله عليه وسلم واجبنى عما اقول لك فقال عثمان صدق ابن اخى انا أخبركم عنى وعما وليت ان صاحبى اللذين كانا قبلى ظلما انفسهما ومن كان منهما بسبيل احتسابا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى قرابته وانا فى رهط اهل عيلة وقلة معاش فبسطت يدى فى شئ من ذلك لما اقوم به فيه فان رأيتم ذلك خطأ فردوه فأمرى لامركم تبع فقالوا له قد اصبت واحسنت قد اعطيت عبد الله بن خالد بن اسيد خمسين الفا واعطيت مروان خمسة عشر الفا فأخذ منهما ذلك فرضوا وخرجوا راضين وقال معاوية لعثمان اخرج معى الى الشأم فانهم على الطاعة قبل ان يهجم عليك ما لا قبل لك به فقال لا ابيع جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ وان كان فيه خيط عنقى قال فان بعثت اليك جندا منهم يقيم معك لنائبة ان نابت قال لا اضيق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لتغتالن ولتغزين فقال حسبى الله ونعم الوكيل ثم خرج معاوية فمر على نفر من المهاجرين فيهم علىّ وطلحة والزبير وعليه ثياب السفر فقام عليهم وقال

هلاك السد قالت لا يعلم ذلك الا الله عز وجل فعلم ان ذلك واقع وان بلادهم ستخرب فكتم ذلك واخفاه واجمع على بيع كل شئ له بارض مارب ولما خرج عمرو من اليمن خرج لخروجه منها خلق كثير فنزلوا أرض عك ابن عدنان وبقوا بها حتى مات عمرو فكان عمره ثمانمائة سنة وكان معه أربعمائة ملك وتفرقوا الى البلاد فمنهم من سار الى الشأم وهم أولاد جفنة ومنهم من سار الى يثرب وهم أبناء قيلة الاوس والخزرج وسارت ازد الى الشراة وعمان وسار مالك بن فهم الى العراق ونزلت ربيعة تهامة وسموا خزاعة لانخزاعهم وتمزقوا فى البلاد كل ممزق ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه وهو سيل العرم الذى ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز وكان لربيعة المذكور ولد اسمه كليب الذى يقال فيه أعز من كليب وائل وبلغ من عزه فى قومه أنه كان لا توقد نار مع ناره ولا يرد ابل مع ابله ويقول وحش الفلاة فى جوارى فلا تهاج فاجتمعت عليه معد كلها حتى بلغ من بغيه وعزه ما قد ذكرناه وقتله جساس بن مرة وهو صهره وابن عمه وكان سبب قتله

انكم قد علمتم ان هذا الامر كان الناس يتغالبون عليه حتى بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وكانوا يتفاضلون بالسابقة والقدمة والاجتهاد فان اخذوا بذلك فالامر امرهم والناس لهم تبع وان طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك ورده الله الى غيرهم وان الله على البدل لقادر وانى قد خفت فيكم شيئا فاستوصوا به خيرا وكانوا فوة كونوا اسعد منه بذلك ثم ودعهم ومضى فقال على كنت ارى فى هذا خيرا فقال الزبير والله ما كان قط اعظم فى صدرك وصدورنا منه اليوم وانعد المنحرفون عن عثمان تو ما يضربون فيه بالامصار جميعها اذا سار عنها الامراء فلم يتهيأ لهم ذلك ولما رجع الامراء ولم يتم لهم الوثوب صاروا يكاتبون فى القدوم الى المدينة لينظروا فيما يريدون ويسألوا عثمان عن اشياء لتطير فى الناس وكان بمصر محمد بن ابى بكر ومحمد بن ابى حذيفة يحرضان على عثمان فلما خرج المصريون خرج فيهم عبد الرحمن بن عديس البلوى فى خمسمائة وقيل فى الف وفيهم كنانة بن بشر الليثى وسودان بن حمران السكونى وقتيرة بن فلان السكونى وعليهم جميعا الغافقى بن حرب العكى وخرج اهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العبدى والاشتر النخعى وزياد بن النضر الحارثى وعبد الله بن الاصم العامرى وهم فى عداد اهل مصر وخرج اهل البصرة فيهم حكيم بن جبلة العبدى وذريح بن عباد وبشر بن شريح القيسى وابن المحرش وهم بعداد اهل مصر وامرهم حرقوص بن زهير السعدى فخرجوا جميعا فى شوال واظهروا انهم يريدون الحج فلما كانوا من المدينة على ثلاث تقدم ناس من اهل البصرة فنزلوا ذا خشب وكان هواهم فى طلحة وتقدم ناس من اهل الكوفة وكان هواهم فى الزبير ونزلوا الاعوص وجاءهم ناس من اهل مصر وكان هواهم فى على ونزلوا عامتهم بذى المروة ومشى فيما بين اهل مصر واهل البصرة زياد بن النضر وعبد الله بن الاصم وقالا لهم لا تعجلوا حتى ندخل المدينة ونرتاد لكم فقد بلغنا انهم عسكروا لنا فوالله ان كان هذا حقا استحلوا قتالنا بعد علم حالنا ان امرنا باطل وان كان الذى بلغنا باطلا رجعنا اليكم بالخبر قالوا اذهبا فذهبا فدخلا المدينة فلقيا ازواج النبى صلى الله عليه وسلم وعليا وطلحة والزبير فقالا انما نريد هذا البيت ونستعفى من بعض عمالنا واستأذناهم فى الدخول فكلهم ابى ونهاهما فرجعا الى اصحابهما فاجتمع نفر من اهل مصر فاتوا عليا ونفر من اهل البصرة فاتوا طلحة ونفر من اهل الكوفة فاتوا الزبير وقال كل فريق منهم ان بايعنا صاحبنا والا كدناهم وفرقنا جماعتهم ثم رجعنا عليهم حتى نبغتهم فاتى المصريون عليا وهو فى عسكر عند احجار الزيت متقلدا سيفه وقد ارسل ابنه الحسن الى عثمان فيمن اجتمع اليه فسلموا عليه وعرضوا عليه فصاح بهم وطردهم وقال لقد علم الصالحون ان جيش ذى المروة وجيش ذى خشب والاعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فانصرفوا عنه واتى البصريون طلحة فقال لهم مثل ذلك وكان قد ارسل ابنيه الى عثمان واتى الكوفيون الزبير فقال لهم مثل ذلك وكان قد ارسل ابنه عبد الله الى عثمان فرجعوا وتفرقوا عن ذى خشب وذى المروة والاعوص الى عسكرهم ليتفرق اهل المدينة ثم يرجعوا اليهم فلما بلغوا عسكرهم تفرق اهل المدينة فرجعوا اليهم فلم يشعر اهل المدينة الا والتكبير فى نواحيها ونزلوها واحاطوا بعثمان وقالوا من كف يده فهو آمن وصلى عثمان بالناس اياما ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا الناس من كلامه واتاهم اهل المدينة وفيهم على فقال لهم ما ردكم بعد ذهابكم فقالوا اخذنا مع بريد كتابا بقتلنا

انه كانت لجساس جارة يقال لها البسوس وكانت لها ناقة يقال لها السراب وبها تضرب العرب المثل فى الشؤم فيقال اشأم من البسوس واشأم من السراب وذلك لاجل ما جرى بين ابنى وائل بسببها فانه يقال ان الحرب دامت بينهما اربعين سنة وكانت هذه الناقة معقولة بفناء بيت البسوس يوما من الايام فمرت ابل كليب فقطعت السراب عقالها وتبعت ابل كليب فلما انتهت الى كليب انكرها فرمى السراب بسهم فاصاب ضرعها فنفرت الناقة وقيل ان سبب رميه اياها وهى ناقة البسوس انه كان كليب فى بعض الايام يمشى فى حماه فوجد قنبرة قد باضت فى ذلك الحمى فقال كليب هذه القنبرة فى جوارى وكان يسمى تلك الارض بحماه المعمر وكان يخاطبها فقال

يالك من قبرة بمعمر
خلا لك الجو فبيضى واصفرى
قد رفع الفخ فماذا تحذرى
ونقرى ما شئت ان تنقرى
قد ذهب الصياد عنك فابشرى
لابد من أخذك يوما فاحذرى

فدخلت ناقة البسوس ذلك الحمى فوطئت على بيض القنبرة فكسرت بيضها فلما

وأتى طلحة الكوفيين فسألهم عن عددهم فقالوا مثل ذلك وأتى الزبير البصريين فقالوا مثل ذلك وكل منهم يقول نحن نجمع اخواننا وننصرهم كأنما كانوا على ميعاد فقال لهم علي كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر وقد سرتم مراحل حتى رجعتم علينا هذا والله أمر أبرم بليل فقالوا ضعوه كيف شئتم لا حاجة لنا في هذا الرجل ليعتزل عنا وعثمان يصلي بهم وهم يصلون خلفه وهم أدق في عينه من التراب وكانوا يمنعون الناس من الاجتماع وكتب عثمان الى أهل الامصار يستنجدهم ويأمرهم بالحث للمنع عنه ويعرفهم ما الناس فيه فخرج أهل الامصار على الصعب والذلول فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حديج وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو وقام بالكوفة نفر يحضون على اعانة أهل المدينة منهم عقبة بن عامر وعبد الله بن أبي أوفى وحنظلة الكاتب وغيرهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن التابعين مسروق والاسود وشريح وعبد الله بن حكيم وغيرهم وقام بالبصرة عمران بن حصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر وغيرهم من الصحابة ومن التابعين كعب بن سور وهرم بن حيان وغيرهما وقام بالشام جماعة من الصحابة والتابعين وكذلك بمصر ولما جاءت الجمعة التي على أثر دخولهم المدينة خرج عثمان فصلى بالناس ثم قام على المنبر فقال ياهؤلاء الله الله فوالله ان أهل المدينة ليعلمون انكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فامحوا الخطأ بالصواب فقام محمد بن مسلمة فقال أنا أشهد بذلك فاقعده حكيم بن جبلة وقام زيد ابن ثابت فاقعده محمد بن أبي قتيرة وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشيا عليه فادخل داره واستقتل نفر من أهل المدينة مع عثمان منهم سعد بن أبي وقاص والحسين بن علي وزيد بن ثابت وأبو هريرة فأرسل اليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف فانصرفوا وأقبل علي وطلحة والزبير فدخلوا على عثمان يعودونه من صرعته ويشكون اليه ما يجدون وكان عند عثمان نفر من بني أمية فيهم مروان بن الحكم فقالوا كلهم لعلي أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع والله لئن بلغت الذي تريد لتمرن عليك الدنيا فقام مغضبا وعاد هو والجماعة الى منازلهم وصلى عثمان بالناس بعدما نزلوا به في المسجد ثلاثين يوما ثم منعوه الصلاة وصلى بالناس أميرهم الغافقي وتفرق أهل المدينة في حيطانهم ولزموا بيوتهم لا يجلس أحد ولا يخرج الا بسيفه ليمتنع به وكان الحصار أربعين يوما ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح وقد قيل ان محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة كانا بمصر يحرضان على عثمان وسار محمد بن أبي بكر مع من سار الى عثمان وأقام ابن أبي حذيفة بمصر وغلب عليها لما سار عنها عبد الله بن سعد على ما يأتي فلما خرج المصريون الى قصد عثمان أظهروا انهم يريدون العمرة وخرجوا في رجب وعليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي وبعث عبد الله بن سعد رسولا الى عثمان يخبره بحالهم وانهم قد اظهروا العمرة وقصدهم خلعه أو قتله فخطب عثمان الناس واعلمهم حالهم وقال لهم انهم قد اسرعوا الى الفتنة واستطالوا عمري والله لئن فارقتهم ليتمنون ان عمري كان عليهم مكان كل يوم سنة بما يرون من الدماء المسفوكة والاحن والاثرة الظاهرة والاحكام المغيرة وكان عبد الله بن سعد خرج الى عثمان في آثار المصريين باذنه له فلما كان بأيلة بلغه ان المصريين رجعوا الى عثمان فحصروه وان محمد بن أبي حذيفة غلب على مصر

علم كليب ان السراب صنعت ذلك رماها بسهم فخرم ضرعها فلما رأتها البسوس ألقت خمارها وصاحت واذلاه واجاراه فلما سمعها جساس وعلم بذلك ركب فرسا له وأخذ رمحه بيده وركب معه عمرو بن الحرث على فرس له حتى دخلا على كليب في حماه فطعنه جساس فقصم صلبه وطعنه عمرو فوقع كليب يفحص برجله حتى مات ولما قتل جساس كليبا وقعت الحرب بين بكر وتغلب وشمر مهلهل أخو كليب لحرب بكر وسمي مهلهلا لانه أول من هلهل الشعر أي رققه وهو خال امرئ القيس الشاعر فاستعد مهلهل لحرب بني تغلب وترك النساء والغزل وحرم القمار والخمر وأرسل رجالا من تغلب الى بكر وعرض عليهم أربع خصال فأتت رسله الى مرة أبي جساس وهو في نادي قومه فقالوا لهم انكم أتيتم عظيما في قتلكم كليبا لاجل ناقة وقطعتم بيننا وبينكم الرحم ونريد أن نعرض عليكم خصالا أربعا فقال مرة وما هي قال تحيي لنا كليبا أو تدفع لنا جساسا فنقتله أو هماما أخاه وتمكنا من نفسك فان فيك وفاء من دمه فقال اما احياء كليب

واستجابوا له فعاد عبد الله الى مصر فمنع عنها فأتى فلسطين فأقام بها حتى قتل عثمان فلما نزل القوم
ذا خشب يريدون قتل عثمان ان لم ينزع عما يكرهون ولما رأى عثمان ذلك جاء الى على فدخل
عليه بيته فقال له يا ابن عم ان قرابتى قريبة ولى عليك حق عظيم وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم
وهم مصبحى ولك عند الناس قدر وهم يسمعون منك وأحب ان تركب اليهم فتردهم عنى فان فى
دخولهم على توهينا لامرى وجراءة على فقال على على أى شئ أردهم عنك قال على ان أصير الى
ما أشرت اليه ورأيته لى فقال على انى قد كلمتك مرة بعد أخرى فكل ذلك نخرج ونقول ثم ترجع
عنه وهذا من فعل مروان وابن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد فانك أطعتهم وعصيتنى قال
عثمان فانا أعصيهم وأطيعك فأمر الناس فركب معه من المهاجرين والانصار ثلاثون رجلا فيهم
سعيد بن زيد وأبو جهم العدوى وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان وسعيد بن العاص
وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ومن الانصار أبو أسيد الساعدى وأبو حميد وزيد بن ثابت
وحسان بن ثابت وكعب بن مالك ومن العرب نيار بن مكرز فأتوا المصريين فكلموهم وكان
الذى يكلمهم على ومحمد بن مسلمة فسمعوا مقالتهما ورجعوا الى مصر فقال ابن عديس لمحمد بن
مسلمة أتوصينا بحاجة قال نعم تتقى الله وترد من قبلك عن امامهم فانه قد وعدنا ان يرجع وينزع
قال ابن عديس افعل ان شاء الله ورجع على ومن معه الى المدينة فدخل على عثمان فأخبره
برجوعهم وكلمه بما فى نفسه ثم خرج من عنده فمكث عثمان ذلك اليوم وجاء مروان بكرة الغد
فقال له تكلم واعلم الناس ان اهل مصر قد رجعوا وان ما بلغهم عن امامهم كان باطلا قبل ان
يجىء الناس اليك من أمصارهم ويأتيك ما لا تستطيع دفعه ففعل عثمان فلما خطب الناس
قال له عمرو بن العاص اتق الله يا عثمان فانك قد ركبت امورا وركبناها معك فتب الى الله نتب
فناداه عثمان وانك هناك يا ابن النابغة قملت والله جبتك منذ عزلتك عن العمل فنودى من
ناحية أخرى تب الى الله فرفع يديه وقال اللهم انى اول تائب وخرج عمرو بن العاص الى منزله
بفلسطين وكان يقول والله انى كنت لالقى الراعى فأحرضه على عثمان وانى على على وطلحة والزبير
فحرضهم على عثمان فبينا هو بقصره بفلسطين ومعه ابناه محمد وعبد الله وسلامة بن روح
الجذامى اذ مر به راكب من المدينة فسأله عمرو عن عثمان فقال هو محصور قال عمرو أنا أبو عبد
الله قد يضرط العير والمكواة فى النار ثم مر به راكب آخر فسأله فقال قتل عثمان فقال عمرو أنا
أبو عبد الله اذا حككت قرحة نكأتها فقال له سلامة بن روح يا معشر قريش كان بينكم وبين
العرب باب فكسرتموه فقال اردنا ان نخرج الحق من حافرة الباطل ليكون الناس فى الحق
شرعا سواء وقيل ان عليا لما رجع من عند المصريين بعد رجوعهم الى عثمان فقال له تكلم كلاما
يسمعه الناس منك و يشهدون عليك ويشهد الله على ما فى قلبك من النزوع والانابة فان البلاد
قد تمخضت عليك فلا آمن ان يجىء ركب آخر من الكوفة والبصرة فتقول يا على اركب اليهم
فان لم افعل رأيتنى قد قطعت رحمك واستخففت بحقك فخرج عثمان فخطب الخطبة التى نزع فيها
واعطى الناس من نفسه التوبة وقال انا اول من اتعظ أستغفر الله عما فعلت وأتوب اليه فمثلى
نزع وتاب فاذا نزلت فليأتنى اشرافكم فليروا فى رأيهم فوالله لئن ردنى الحق عبدا لاستن بسنة
العبد ولاذلن ذل العبد وما عن الله مذهب الا اليه والله لاعطينكم الرضا ولانحين مروان

ذلا سبيل اليه وأما جاس
فانه غلام طعن طعنة على
عجل ثم ركب فرسه فلا أدرى
أى البلاد استوت عليه
وأما أخوه همام فانه أبو
عشرة وأخو عشرة وعم
عشرة كلهم فرسان قومهم
وان يسلموه الى فادفعه اليكم
ليقتل بجريرة غيره وأما أنا
فهو الآن يجول الخيل
غدا جولة فأكون أول
قتيل بينهم فما أتعجل من
الموت ولكن عندى
خصلتان اما احداهما
فهؤلاء بنى الباقون وهم
تسعة فضعوا فى عنق من
شئتم منهم فانطلقوا به الى
رحالكم فاذبحوه ذبح
الخروف والا فألف ناقة
سوداء المقل أقيم لكم
فغضب القوم وقالوا لقد
أسأت تبذل لنا صغار ولدك
وتسومنا اللبن من دم كليب
ووقعت الحرب بينهم فقال
المهلهل يرثى كليبا
كليب لا خير فى الدنيا ومن فيها
اذ أنت خليتها فى من يخليها
نعى النعاة كليبا لى فقلت لهم
مالت بنا الارض أو زالت
رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنائعه
ما كل آلائه يا قوم أحصيها
ليت السماء على من تحتها
وقعت
وانشقت الارض فانجابت

وذويه ولا احتجب عنكم فرق الناس وبكوا حتى اخضلوا لحاهم وبكى هو ايضا فلما نزل عثمان
وجد مروان وسعيدا ونفرا من بنى امية فى منزله لم يكونوا شهدوا خطبته فلما جلس قال مروان
يا امير المؤمنين أتكلم ام اسكت فقالت نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان لا بل اصمت فانهم
والله قاتلوه ومؤثموه انه قد قال مقالة لا ينبغى له أن ينزع عنها فقال لها مروان ما أنت وذاك
فوالله قد مات ابوك وما يحسن يتوضأ فقالت مهلا يا مروان عن ذكر الآباء تخبر عن ابى وهو
غائب تكذب عليه وان اباك لا يستطيع ان يدفع عن نفسه اما والله لولا انه عمه وانه يناله غمه
لاخبرتك عنه ما لن اكذب عليه قالت فأعرض عنها مروان فقال يا أمير المؤمنين أتكلم أم
أسكت قال تكلم فقال مروان بأبى أنت وأمى والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع
فكنت أول من رضى بها وأعان عليها ولكنك قلت ما قلت وقد بلغ الحزام الطبيين وبلغ
السيل الزبى وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل والله لاقامة على خطيئة يستغفر منها أجمل من
توبة يخوف عليها وأنت ان شئت تقربت بالتوبة ولم تقربت بالخطيئة وقد اجتمع بالباب أمثال
الجبال من الناس فقال عثمان فاخرج اليهم فكلمهم فانى أستحى أن أكلمهم فخرج مروان الى
الباب والناس يركب بعضهم بعضا فقال ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب شاهت
الوجوه الا من أريد جئتم تريدون ان تنزعوا ملكنا من ايدينا اخرجوا عنا والله لئن رمتمونا ليمرن
عليكم منا امر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا الى منازلكم فانا والله ما نحن مغلوبين
على ما فى ايدينا فرجع الناس واتى بعضهم عليا فأخبره الخبر فأقبل علىّ على عبد الرحمن بن
الاسود بن عبد يغوث فقال احضرت خطبة عثمان قال نعم قال افحضرت مقالة مروان للناس
قال نعم فقال على أى عباد الله يا للمسلمين انى ان قعدت فى بيتى قال لى تركتنى وقرابتى وحقى وانى
ان تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سيقة له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام مغضبا حتى دخل على عثمان فقال له اما رضيت من مروان
ولا رضى منك الا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به والله
ما مروان بذى رأى فى دينه ولا نفسه وايم الله انى لاراه يوردك ولا يصدرك وما أنا عائد بعد
مقامى هذا المعاتبتك أذهبت شرفك وغلبت على رأيك فلما خرج علىّ دخلت عليه امرأته نائلة
ابنة الفرافصة فقالت قد سمعت قول علىّ لك وليس يعاودك وقد اطعت مروان يقودك حيث
شاء قال فما اصنع قالت تتقى الله وتتبع سنة صاحبيك فانك متى اطعت مروان قتلك ومروان
ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة وانما تركك الناس لمكانه فأرسل الى علىّ فاستصلحه
فان له قرابة وهو لا يعصى فأرسل عثمان الى علىّ فلم يأته وقال قد أعلمته انى غير عائد فبلغ مروان
مقالة نائلة فيه فجلس بين يدى عثمان فقال يا ابنة الفرافصة فقال عثمان لا تذكرنها بحرف فأسود
وجهك فهى والله أنصح لى فكف مروان وأتى عثمان الى علىّ بمنزله ليلا وقال له انى غير عائد
وانى فاعل فقال له علىّ بعد ما تكلمت على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطيت من نفسك
ثم دخلت بيتك فخرج مروان الى الناس يشتمهم على بابك ويؤذيهم ثم خرج عثمان من عنده وهو
يقول خذلتنى وجرأت الناس علىّ فقال علىّ والله انى لاكثر الناس ذبا عنك ولكنى كلما جئت
بشئ اظنه لك رضا جاء مروان بأخرى فسمعت قوله وتركت قولى ولم يعد علىّ يعمل ما كان

ولم يزل المهلهل يطلب بثأر كليب ولا يبالى بمن يقتل من بكر واستمر الحرب بين بكر وتغلب زمانا الى أن قتل همام بن مرة اخو جساس واصطلحت بكر وتغلب فقر المهلهل بنفسه فنزل بمذحج فى قوم يقال لهم جنب فأجاره معاوية الخير وتزوج ابنة المهلهل واستمر عندهم الى أن قتل وكان سبب قتل المهلهل انه لما نزل من مذحج اشترى عبدين يغزوان معه فغزا بهما حتى طال عليهما فأحبا الراحة منه فأجمعا على قتله بموضع قفر فلما شعر بهما ولم ير لنفسه ملجأ قال لهما اذا قتلتمانى وعدتما فأبلغا عنى هذه الرسالة لاهلى فقالا له هات رسالتك فأنشدهما

من مبلغ عنى بأن مهلهلا … لله دركما ودر أبيكما

فلما قتلاه وانصرفا نحو بنيه قالوا لهما ما فعل سيدكما قالا مات بأرض كذا فدفناه بها سالما فقيل لهما افما أوصى بشئ حين مات قالا اوصانا بكيت وكيت فلم يدر احد ما أراد وقالوا ما هذا بشعر مهلهل فقالت ابنته والله ما كان ابى ردىء الشعر ولا سفساف الكلام وانما اراد ان يخبركم ان العبدين قتلاه وانما معنى هذا البيت

من مبلغ عنى بأن مهلهلا

بعمل الى ان منع عثمان الماء فقال على لطلحة أريد أن تدخل عليه الروايا وغضب غضبا شديدا
حتى دخلت الروايا على عثمان قال وقد قيل ان عليا كان عند حصر عثمان بخيبر فقدم المدينة
والناس مجتمعون عند طلحة وكان ممن له فيه أثر فلما قدم على أتاه عثمان وقال له اما بعد فان لى حق
الاسلام وحق الاخاء والقرابة والصهر ولو لم يكن من ذلك شئ وكنا فى الجاهلية لكان عارا على بنى
عبد مناف ان ينتزع أخو بنى تيم يعنى طلحة أمرهم فقال له على سيأتيك الخبر ثم خرج الى المسجد
فرأى أسامة فتوكأ على يده حتى دخل دار طلحة وهو فى خلوة من الناس فقال له يا طلحة ما هذا
الامر الذى وقعت فيه فقال يا أبا الحسن بعدما مس الحزام الطبيين فانصرف على حتى أتى بيت
المال فقال افتحوه فلم يجدوا المفاتيح فكسر الباب وأعطى الناس فانصرفوا من عند طلحة حتى
بقى وحده وسر بذلك عثمان وجاء طلحة فدخل على عثمان وقال له يا أمير المؤمنين أردت أمرا فحال
الله بينى وبينه فقال عثمان والله ما جئت تائبا ولكن جئت مغلوبا الله حسيبك يا طلحة

(ذكر مقتل عثمان)

قد ذكرنا سبب مسير الناس الى قتل عثمان وقد تركنا كثيرا من الاسباب التى جعلها الناس
ذريعة الى قتله لعلل دعت الى ذلك ونذكر الآن كيف قتل وما كان بدء ذلك وابتداء الجرأة عليه
قبل قتله فكان من ذلك ان ابلا من ابل الصدقة قدم بها على عثمان فوهبها لبعض بنى الحكم فبلغ
ذلك عبد الرحمن بن عوف فأخذها وقسمها بين الناس وعثمان فى الدار وقيل وكان أول من اجترأ
على عثمان بالمنطق جبلة بن عمرو الساعدى مر به عثمان وهو فى نادى قومه وبيده جامعة فلم يرد
القوم فقال جبلة لم تردون على رجل فعل كذا وكذا ثم قال لعثمان والله لاطرحن هذه الجامعة
فى عنقك أو لتتركن بطانتك هذه الخبيثة مروان وابن عامر وابن سعد منهم من نزل القرآن بذمه
وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فاجترأ الناس عليه وقد تقدم قول عمرو بن العاص له
فى خطبته قيل وخطب يوما وبيده عصا كان النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر يخطبون
عليها فأخذها جهجاه الغفارى من يده وكسرها على ركبته فرمى فى ذلك المكان بأكلة وقيل
كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم الى من بالآفاق منهم ان أردتم الجهاد فهلموا
اليه فان دين محمد صلى الله عليه وسلم قد أفسده خليفتكم فأقيموه فاختلفت قلوب الناس على
ما تقدم ذكره وجاء المصريون كما ذكرنا الى المدينة فخرج اليهم على ومحمد بن مسلمة كما تقدم فكلماهم
فعادوا ثم رجعوا فلما رجعوا انطلق اليهم محمد بن مسلمة يسألهم عن سبب عودهم فأخرجوا
صحيفة فى أنبوبة رصاص وقالوا وجدنا غلام عثمان بالبويب على بعير من ابل الصدقة ففتشنا
متاعه فوجدنا فيه هذه الصحيفة يأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عديس وعمرو بن الحمق وعروة بن
البياع وحبسهم وحلق رؤسهم ولحاهم وصلب بعضهم وقيل ان الذى أخذت منه الصحيفة أبو
الاعور السلمى فلما رأوه سألوه عن مسيره وهل معه كتاب فقال لا فسألوه فى أى شئ هو فتغير كلامه
فأنكروه وفتشوه وأخذوا الكتاب منه وعادوا وعاد الكوفيون والبصريون فلما عاد أهل مصر
أخبروا بذلك محمد بن مسلمة وقالوا انه قد كلمنا عليا ووعدنا أن يكلمه وكلمنا سعد بن أبى وقاص
وسعيد بن زيد فقالا لا ندخل فى أمركم وقالوا لمحمد بن مسلمة لتحضر مع على عند عثمان بعد الظهر
فوعدهم بذلك فدخل على ومحمد بن مسلمة على عثمان فاستأذنا للمصريين عليه وعنده مروان

فقال

أخفى قتيلا بالفلاة مجندلا
قد دركا ودر أبيكا
لا يبرح العبدان حتى يقتلا
فقتل العبدان بعد أن أقرا
بذلك وانهما ما أحبا الراحة
منه لطول ما أتعبهما من العرو
والسهر

• (الباب التاسع عشر فى ذكر ملوك اليمن من بنى زياد القامعين حزب الاشراك والالحاد) •

وكان ابتداء ملكهم فى سنة ثلاث ومائتين أولهم (محمد بن زياد) وقيل ابراهيم بن عبد الله بن زياد وكان المأمون سيره وجماعة من بنى أمية الى الفضل بن سهل ذى الرياستين وبلغ المأمون اختلاف أمر اليمن فأثنى ابن سهل على محمد بن زياد المذكور فأمر المأمون بارساله الى اليمن فسار ابن زياد المذكور ومعه جماعة وفتح تهامة بعد حروب جرت بينه وبين العرب واستقرت قدم ابن زياد باليمن وبنى مدينة زبيد فى سنة أربع ومائتين وملك أقاليم اليمن بأسرها وبه كملت دولة بنى زياد حتى قتل ابن زياد وبقى محمد بن زياد كذلك حتى توفى ثم ملك بعده ابنه (ابراهيم بن زياد بن محمد) ثم ملك بعده ابنه (زياد بن ابراهيم) ولم تطل مدته ثم ملك بعده

فقال دعني اكلمهم فقال عثمان اسكت فض الله فاك ما انت وهذا الامر اخرج عني فخرج
مروان وقال علي ومحمد لعثمان ما قال المصريون فأقسم بالله ما كتبه ولا علم لي به فقال محمد صدق
هذا من عمل مروان ودخل عليه المصريون فلم يسلموا عليه بالخلافة فعرفوا الشر فيهم وتكلموا
فذكر ابن عديس ما فعل عبد الله بن سعد بالمسلمين واهل الذمة والاستئثار في الغنائم فاذا قيل له في
ذلك قال هذا كتاب أمير المؤمنين وذكروا اشياء مما أحدث بالمدينة وقال له وخرجنا من مصر ونحن
نريد قتلك فردنا علي ومحمد بن مسلمة وضمنا لنا النزوع عن كل ما تكلمنا فيه فرجعنا الى بلادنا
فرأينا غلامك وكتابك وعليه خاتمك تأمر عبد الله بجلدنا والمثلة بنا وطول الحبس فحلف عثمان
انه ما كتب ولا أمر ولا علم فقال علي ومحمد صدق عثمان قال المصريون فمن كتبه قال لا أدري
قالوا افيجترأ عليك ويبعث غلامك وجمل من الصدقة وينقش على خاتمك ويبعث الى عاملك
بهذه الامور العظيمة وأنت لا تعلم قال نعم قال ما أنت الا صادق أو كاذب فان كنت كاذبا فقد
استحققت الخلع لما أمرت به من قتلنا بغير حق وان كنت صادقا فقد استحققت أن تخلع
نفسك لضعفك عن هذا الامر وغفلتك وخبث بطانتك ولا ينبغي لنا أن نترك هذا الامر بيد من
تقطع الامور دونه لضعفه وغفلته فاخلع نفسك منه كما خلعك الله فقال لا أنزع قميصا ألبسنيه
الله ولكني أتوب وأنزع قالوا لو كان هذا أول ذنب تبت منه قبلنا ولكنا رأيناك تتوب ثم تعود
ولسنا منصرفين حتى نخلعك أو نقتلك أو تلحق أرواحنا بالله تعالى وان منعك اصحابك وأهلك
قاتلناهم حتى نخلص اليك فقال أما أن أتبرأ من خلافة الله فالقتل احب الي من ذلك وأما
قولكم تقاتلون من منعني فاني لا آمر احدا بقتالكم فمن قاتلكم فبغير امري قاتل ولو أردت
قتالكم لكتبت الى الاجناد فقدموا علي او لحقت ببعض أطرافي وكثرت الاصوات واللغط
فقام علي فخرج وأخرج المصريين ومضى علي الى منزله وحصر المصريون عثمان وكتب الى
معاوية وابن عامر وامراء الاجناد يستنجدهم ويأمرهم بالعجل وارسال الجنود اليه فتربص به
معاوية فقام في اهل الشأم يزيد بن اسد القسري جد خالد بن عبد الله القسري فتبعه خلق كثير
فسار بهم الى عثمان فلما كانوا بوادي القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا وقيل بل سار من الشأم
حبيب بن مسلمة الفهري وسار من البصرة مجاشع بن مسعود السلمي فلما وصلوا الربذة ونزلت
مقدمتهم صرارا بناحية المدينة اتاهم قتل عثمان فرجعوا وكان عثمان قد استشار نصحاءه في
امره فأشاروا عليه ان يرسل الى علي يطلب اليه ان يردهم ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى
يأتيه امداده فقال انهم لا يقبلون التعلل وقد كان مني في المرة الاولى ما كان فقال مروان
اعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك فانهم قوم بغوا عليك ولا عهد لهم فدعا عليا فقال له قد
ترى ما كان من الناس ولست آمنهم على دمي فارددهم عني فاني اعطيهم ما يريدون من الحق من
نفسي وغيري فقال علي الناس الى عدلك احوج منهم الى قتلك ولا يرضون الا بالرضا وقد كنت
أعطيتهم أولا عهدا فلم تف به فلا تغررني هذه المرة فاني معطيهم عليك الحق فقال اعطهم فوالله
لافين لهم فخرج علي الى الناس فقال لهم انما طلبتم الحق وقد أعطيتموه وقد زعم انه منصفكم
من نفسه فقال الناس قبلنا فاستوثق منه لنا فانا لا نرضى بقول دون فعل فدخل عليه علي فأعلمه
فقال اضرب بيني وبينهم أجلا فاني لا أقدر على أن ارد ما كرهوا في يوم واحد فقال علي اما ما كان

آخوه (ابو الجيش اسحق بن ابراهيم) وطالت مدته وتوفي في سنة احدى وسبعين وثلثمائة وخلف في الملك طفلا اسمه (زياد) وبقي في الملك مدة ثم توفي وانتقل ملك اليمن الى طفل آخر من آل زياد اسمه (ابراهيم) فقتل وهو آخر ملوك اليمن من بني زياد فتكون مدة ملك بني زياد باليمن مائتي سنة واربع سنين والله اعلم

(الباب العشرون في ذكر ملوك اليمن من آل نجاح ذوي الاخلاق العظام السماح)

ولما قتل ابراهيم المذكور ملك اليمن عبد من عبيده يقال له (نجاح) فضرب السكة باسمه وكان له عدة اولاد واستقل بملك اليمن في سنة اثنتي عشرة واربعمائة حتى توفي في سنة اثنتين وخمسين واربعمائة ثم ملك بعده ابنه (سعيد) الاحول وبقي في الملك سنتين وغلب عليهم الصليحي في سنة خمس وخمسين واربعمائة فهرب بنو نجاح الى دهلك وكان الصليحي ابو الحسن علي بن محمد عالما بارعا وكان ابوه قاضيا باليمن وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة ثم ان سعيدا الاحول واخاه جياشا سارا ومعهما سبعون رجلا من زبيد حتى ادركا الصليحي وهو نازل عند بئر ام معبد وقد

بالمدينة فلا ابخل فيه وما غاب وأجله وصول امر لك قال ثم أجلني فيما في المدينة ثلاثة ايام فأجابه الى ذلك وكتب بينهم كتابا على رد كل مظلمة وعزل كل عامل كرهوه فكف الناس عنه فجعل يتأهب للقتال ويستعد بالسلاح واتخذ جندا فلما مضت الايام الثلاثة ولم يغير شيئا ثار به الناس وخرج عمرو بن حزم الانصارى الى المصريين فأعلمهم الحال وهم بذى خشب فقدموا المدينة وطلبوا منه عزل عماله ورد مظالمهم فقال ان كنت مستعملا من أردتم وعازلا من كرهتم فلست فى شئ والامر أمركم فقالوا والله لتفعلن أو لتخلعن أو لتقتلن فأبى عليهم وقال لا أنزع سربالا سربلنيه الله فحصروه واشتد الحصار عليه فأرسل الى على وطلحة والزبير فحضروا فأشرف عليهم فقال يا أيها الناس اجلسوا فجلسوا المحارب والمسالم فقال لهم يا أهل المدينة استودعكم الله وأسأله ان يحسن عليكم الخلافة من بعدى ثم قال أنشدكم بالله هل تعلمون انكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم أتقولون ان الله لم يستجب لكم وهنتم عليه وأنتم أهل حقه أم تقولون هان على الله دينه فلم يبال من ولى والدين لم يتفرق أهله يومئذ أم تقولون لم يكن أخذ عن مشورة انما كان مكابرة فوكل الله الامة اذ عصته ولم يتشاوروا فى الامامة أم تقولون ان الله لم يعلم عاقبة أمرى وأنشدكم بالله أتعلمون لى من سابقة خير وقدم خير قدمه الله لى يحق على كل من جاء بعدى ان يعرفوا لى فضلها فمهلا لا تقتلونى فانه لا يحل الا قتل ثلاثة رجل زنى بعد احصانه وكفر بعد ايمانه أو قتل نفسا بغير حق فانكم اذا قتلتمونى وضعتم السيف على رقابكم ثم لم يرفع الله عنكم الاختلاف أبدا قالوا أما ما ذكرت من استخارة الناس بعد عمر ثم ولوك فان كل ما صنع الله خيرة ولكن الله جعلك بلية ابتلى بها عباده وأما ما ذكرت من قدمك وسلفك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كنت كذلك وكنت أهلا للولاية ولكن أحدثت ما علمته ولا نترك اقامة الحق عليك مخافة الفتنة عاما قابلا وأما قولك انه لا يحل الا قتل ثلاثة فانا نجد فى كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سميت قتل من سعى فى الارض فسادا وقتل من بغى ثم قاتل على بغيه وقتل من حال دون شئ من الحق ومنعه وقاتل دونه وقد بغيت ومنعت وحلت دونه وكابرت عليه ولم تقد من نفسك من ظلمت وقد تمسكت بالامارة علينا فان زعمت انك لم تكابرنا عليها فان الذين قاموا دونك ومنعوك منا انما يقاتلون لتمسكك بالامارة فلو خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال معك فسكت عثمان ولزم الدار وأمر اهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا الا الحسن بن على وابن عباس ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وأشباها لهم واجتمع اليه ناس كثير وكانت مدة الحصار أربعين يوما فلما مضت ثمان عشرة ليلة قدم ركبان من الامصار فأخبروا بخبر من تهيأ اليهم من الجنود وشجعوا الناس فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ومنعوه كل شئ حتى الماء فأرسل عثمان الى على سرا والى طلحة والزبير وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم انهم قد منعونى الماء فان قدرتم ان ترسلوا الينا ماء فافعلوا فكان أولهم اجابة على وأم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فجاء على فى الغلس فقال يا أيها الناس ان الذى تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين فلا تقطعوا عن هذا الرجل الماء ولا المادة فان الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقى فقالوا لا والله ولا نعمة عين فرمى بعمامته فى الدار بأنى قد نهضت ورجعت وجاءت أم حبيبة على بغلة لها مشتملة على اداوة فضربوا وجه بغلتها فقالت ان وصايا

سار الى الحج فقتلاه فقتلاه وقتلا اخاه عبد الله ٧٢ وحز سعيد رأسيهما واحتاط على امرأة الصليحى اسماء بنت شهاب وسار عائدين الى زبيد والرأسان قدامهما أمام هودج اسماء واستوثق الامر بتهامة لسعيد بن نجاح واستقرت اسماء مأسورة فأرسلت كتابا الى ابنها الملك المكرم احمد بن الصليحى وكان ملكا فى بعض حصون اليمن تخبره وتستحثه على الوثوب على ملك نجاح فجمع جموعا وحارب سعيدا ومن سلم معه الى دهلك واستولى (الملك المكرم احمد) على زبيد وانزل الرأسين ودفنهما وولى على زبيد خاله (اسعد ابن شهاب) وماتت اسماء المذكورة بعد ذلك ثم عاد بنو نجاح وملكوا زبيد واخرجوا اسعد منها فى سنة تسع وسبعين ثم غلب عليهم الملك المكرم وملك زبيد وملكها فى بقايا سنة احدى وثمانين واربعمائة ومات فى سنة خمسمائة وترك عدة اولاد فملك ولده (فاتك) ثم مات فملك ابنه (منصور) دون البلوغ ثم ملك بعده ولده (فاتك بن منصور) ثم ملك بعده ابن عمه واسمه أيضا (فاتك بن محمد بن فاتك) وهو آخر ملوك اليمن من بنى نجاح وكانوا قائمين بدعوة الفاطمية وكانت مدة دولة آل نجاح باليمن مائة وبضع عشرة سنة ثم انتقل الملك الى بنى المهدى الحميرى

بني أمية عند هذا الرجل فأحببت ان أسألها عنه الصلاة تهلك أموال الايتام والارامل فقالوا كاذبة وقطعوا حبل البغلة بالسيف فنفرت وكادت تسقط عنها فلقاها الناس فأخذوها وذهبوا بها الى بيتها فأشرف عثمان يوما فسلم عليهم ثم قال انشدكم الله هل تعلمون انى اشتريت بئر رومة بمالي ليستعذب بها فجعلت رشائي فيها كرجل من المسلمين قالوا نعم قال فلم تمنعوني ان اشرب منها حتى أفطر على ماء البحر ثم قال انشدكم بالله هل تعلمون انى اشتريت ارض كذا فزدتها في المسجد قيل نعم قال فهل علمتم ان أحدا منع ان يصلي فيه قبلي ثم قال انشدكم بالله اتعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عني كذا وكذا أشياء في شأنه ففشى النهي في الناس يقولون مهلا عن أمير المؤمنين فقام الاشتر فقال لعله مكر به وبكم وخرجت عائشة الى الحج واستتبعت أخاها محمدا فأبى فقال والله لئن استطعت ان يحرمهم الله مايحاولون لافعلن فقال له حنظلة الكاتب تستتبعك ام المؤمنين فلا تتبعها وتتبع ذؤبان العرب الى مالا يحل وان هذا الامر ان صار الى التغالب غلبك عليه بنو عبد مناف ثم رجع حنظلة الى الكوفة وهو يقول

عجبت لما يخوض الناس فيه * يرومون الخلافة ان تزولا
ولو زالت لزال الخير عنهم * ولاقوا بعدها ذلا ذليلا
وكانوا كاليهود وكالنصارى * سواء كلهم ضلوا السبيلا

وبلغ طلحة والزبير مالقي علي وأم حبيبة فلزموا بيوتهم وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات فاشرف عثمان على الناس فاستدعى ابن عباس فأمره ان يحج بالناس وكان ممن لزم الباب فقال جهاد هؤلاء احب الي من الحج فاقسم عليه فانطلق قال عبد الله بن عباس بن ابي ربيعة دخلت على عثمان فأخذ بيدي فاسمعني كلام من على بابه فمنهم من يقول ماتنتظرون به ومنهم من يقول انظروا عسى ان يراجع قال فبينما نحن واقفون اذ مر طلحة فقال أين ابن عديس فقام اليه فناجاه ثم رجع ابن عديس فقال لاصحابه لاتتركوا أحدا يدخل على عثمان ولا يخرج من عنده فقال لي عثمان هذا ماأمر به طلحة اللهم اكفني طلحة فانه حمل على هؤلاء وألبهم علي والله اني لارجو ان يكون منها صفرا وان يسفك دمه قال فأردت ان أخرج فمنعوني حتى امرهم محمد بن ابي بكر فتركوني اخرج وقيل ان الزبير خرج من المدينة قبل ان يقتل عثمان وقيل ادرك قتله ولما رأى المصريون ان اهل الموسم يريدون قصدهم وان يجمعوا ذلك الى حجهم مع مابلغهم من مسير اهل الامصار قالوا لايخرجنا من هذا الامر الذي وقعنا فيه الاقتل هذا الرجل فيشتغل الناس عنا بذلك فراموا الباب فمنعهم الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة واجتلدوا فزجرهم عثمان وقال انتم في حل من نصرتي فأبوا ففتح الباب لمنعهم فلما خرج ورآه المصريون رجعوا فركبهم هؤلاء واقسم عثمان على أصحابه ليدخلن فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين فقام رجل من أسلم يقال له نيار بن عياض وكان من الصحابة فنادى عثمان فبينما هو يناشده ان يعتزلهم اذ رماه كثير بن الصلت الكندي بسهم فقتله فقالوا لعثمان عند ذلك ادفع الينا قاتله لنقتله به قال لم أكن لاقتل رجلا نصرني وانتم تريدون قتلي فلما رأوا ذلك ثاروا الى الباب فلم يمنعهم احد منه والباب مغلق لايقدرون على الدخول منه فجاؤا بنار فأحرقوه والسقيفة التي على الباب وثار أهل الدار وعثمان يصلي قد

* (الباب الحادي والعشرون في ذكر ملوك اليمن من بني المهدي الناصر بن الدين القويم المحمدي) *

وكان المهدي من حمير من أهل قرية يقال لها العنبرة من سواحل زبيد وكان رجلا صالحا ونشأ ابنه (علي ابن المهدي) على طريقة أبيه ثم حج واجتمع بالعراقيين وتضلع من معارفهم واجتمع عليه الناس واستفحل أمره حتى قصد يغازي الغارات وقطع الحرث والقوافل وحاصر زبيد وقتل فاتك بن محمد آخر ملوك بني نجاح بعد حروب كثيرة واستقر في دار الملك يوم الجمعة رابع شهر رجب سنة اربع وخمسين وخمسمائة وبقي ابن المهدي في الملك شهرين واحدا وعشرين يوما ومات ثم ملك بعده ولده (مهدي بن علي بن مهدي) ثم ملك بعده ولده (عبد النبي) ثم خرجت المملكة عن عبد النبي الى أخيه (عبد الله) ثم عادت الى عبد النبي المذكور واستقر في ملك اليمن الى ان سار توران شاه بن أيوب من مصر في سنة تسع وستين وخمسمائة ففتح اليمن واسر عبد النبي واستولى على مدائن عظيمة لعبد النبي وعبد النبي آخر من ملك اليمن

اقتبع طه فما شئت له ما سمع ما يتوعلى وما يتمتع حتى أتى عليه فلما فرغ جلس الى المصحف يقرأ فيه وقرأ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقال لمن عنده بالدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى عهدا فانا صابر عليه ولم يحرقوا الباب الا وهم يطلبون ما هو أعظم منه فأخرج على رجل ان يستقتل او يقاتل وقال للحسن ان أباك الآن في امر عظيم من امرك فاقسمت عليك لما خرجت اليه فتقدموا وقاتلوا ولم يسمعوا قوله فبرز المغيرة بن الاخنس بن شريق وكان قد تعجل من الحج في عصابة لينصروا عثمان وهو معه في الدار وارتجز يقول

قد علمت ذات القرون الميل * والحلى والانامل الطفول
لتصدقن بيعتى خليلى * بصارم ذى رونق مصقول
* لا أستقيل اذ أقلت قيلى *

وخرج الحسن بن على وهو يقول

لا دينهم دينى ولا أنا منهم * حتى اسير الى طمار شمام

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول

انا ابن من حامى عليه بأحد * ورد احزابا على رغم معد

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول

صبرنا غداة الدار والموت واقف * بأسيافنا دون ابن أروى نضارب
وكنا غداة الروع فى الدار نصرة * نشافههم بالضرب والموت ثائب

وكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير فكان يحدث عن عثمان بآخر ما كان عليه وأقبل أبو هريرة والناس محجمون فقال هذا يوم طاب فيه الضرب ونادى يا قوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار وبرز مروان وهو يقول

قد علمت ذات القرون الميل * والكف والانامل الطفول
انى أروع أول الرعيل * بغارة مثل القطا الشليل

فبرز اليه رجل من بنى ليث يدعى البياع فضرب به مروان وضرب هو مروان على رقبته فاثبته وقطع احد علباويه فعاش مروان بعد ذلك اوقص وقام اليه عبيد بن رفاعة الزرقى ليذفف عليه فقامت فاطمة ام ابراهيم بن عدى وكانت ارضعت مروان وارضعت له فقالت ان كنت تريد قتله فقد قتل وان كنت تريد ان تلعب بلحمه فهذا قبيح فتركه وادخلته بيتها فعرف لها بنوه ذلك واستعملوا ابنها ابراهيم بعد ونزل الى المغيرة بن الاخنس بن شريق رجل فقتل المغيرة قال فلما سمع الناس يذكرونه قال انا لله وانا اليه راجعون فقال له عبد الرحمن بن عديس مالك فقال رأيت فيما يرى النائم هاتفا يهتف فقال بشر قاتل المغيرة بن الاخنس بالنار فابتليت به واقتحم الناس الدار من الدور التى حولها ودخلوها من دار عمرو بن حزم الى دار عثمان حتى ملؤها ولا يشعر من بالباب وغلب الناس على عثمان وندبوا رجلا يقتله فانتدب له رجل فدخل عليه البيت فقال اخلعها وندعك فقال ويحك والله ما كشفت امرأة فى جاهلية ولا اسلام ولا تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يمينى على عورتى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولست

من بنى حمير وكان مذهبهم التكفير بالمعاصى وكان من رأيهم قتل من خالف اعتقادهم من اهل القبلة واستباحة وطء سباياهم واسترقاق ذراريهم

* (الباب الثانى والعشرون فى ذكر ملوك اليمن من أولاد الرسول وأبناء فاطمة الزهراء البتول) *

اولهم الامام المهدى لدين الله الشريف (احمد بن يحيى بن رسول) ثم ولده الحبيب السيد الجليل المدعو بالمدلسة والامام أمير المؤمنين (شرف الدين يحيى) بن شمس الدين المهدى لدين الله وكان جد شرف الدين من علماء الزيدية وهو مصنف كتاب الاحكام فى اصول الزيدية وكان شرف الدين هذا يدعى الاجتهاد ويقول تقليد الحى خير من تقليد الاموات وكانت عامة بلاد اليمن فى يده الى ان ذهب من بلاد الروم اويس باشا فى شهر شعبان سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وانتزع زبيد وظفار وغيرهما من يده بعد مقاتلة عديدة ثم استولى على مدينة تعز واستضعف أموالها وبذلك تزلزل أمر الشريف وعصى كل عامل له فى ناحية ثم وقع الوحشة بينه وبين ولده الكبير الشريف (مطهر)

شاة لعاقبضا كسانية الله تعالى حتى يكرم الله أهل السعادة ويهين أهل الشقاوة فخرج عنه
فقالوا ما صنعت فقال والله لا يخرجهم من الناس الا قتله ولا يحل لنا قتله فادخلوا عليه رجلا من
بني ليث فقال له لست بصاحبي لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لك ان تحفظ يوم كذا وكذا ولن
تضيع فرجع عنه وفارق القوم ودخل عليه رجل من قريش فقال له ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم استغفر لك يوم كذا وكذا فلن تقارف دما حراما فرجع وفارق أصحابه وجاء عبد الله بن
سلام ينهاهم عن قتله فقال يا قوم لا تسلوا سيف الله فيكم فوالله ان سللتموه لا تغمدوه ويلكم ان
سلطانكم اليوم يقوم بالدرة فان قتلتموه لا يقوم الا بالسيف ويلكم ان مدينتكم محفوفة
بالملائكة فان قتلتموه لتتركنها فقالوا يا ابن اليهودية ما أنت وهذا فرجع عنهم وكان آخر من
دخل عليه ممن رجع محمد بن ابي بكر فقال له عثمان ويلك اعلى الله تغضب هل لي اليك جرم الا
حقه اخذته منك فأخذ محمد لحيته وقال قد أخزاك الله يا نعثل فقال لست بنعثل ولكني عثمان
وأمير المؤمنين وكانوا يلقبون به عثمان فقال محمد ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان فقال
عثمان يا ابن اخي فما كان ابوك ليقبض عليها فقال محمد لو رآك ابي تعمل هذه الاعمال انكرها
عليك والذي اريد بك اشد من قبضي عليها فقال عثمان استنصر الله عليك واستعين به فتركه
وخرج وقيل بل طعن جبينه بمشقص كان في يده والاول اصح قال فلما خرج محمد وعرفوا
انكساره ثار قتيرة وسودان بن حمران والغافقي فضربه الغافقي بحديدة معه وضرب المصحف
برجله فاستدار المصحف واستقر بين يديه وسالت عليه الدماء وجاء سودان ليضربه فاكبت عليه
امرأته واتقت السيف بيدها فنفح أصابعها فاطن أصابع يدها وولت فغمز أوراكها وقال
انها لكبيرة العجز وضرب عثمان فقتله وقيل الذي قتله كنانة بن بشر التجيبي وكان عثمان رأى
النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يقول له انك تفطر الليلة عندنا فلما قتل سقط من دمه على
قوله تعالى فسيكفيكهم الله ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه وكان عثمان قد اعتق من كف
يده منهم فلما ضرب به سودان ضرب بعض الغلمان رقبة سودان فقتله ووثب قتيرة على الغلام
فقتله وانتهبوا ما في البيت وخرجوا ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى فلما خرجوا وثب غلام لعثمان على
قتيرة فقتله وثار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى اخذوا ما على النساء واخذ كلثوم التجيبي
ملاءة من على نائلة فضربه غلام لعثمان فقتله وتنادوا ادركوا بيت المال ولا تسبقوا اليه فسمع
اصحاب بيت المال كلامهم وليس فيه الا غرارتان فقالوا النجاة فان القوم انما يحاولون الدنيا
فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه وماج الناس وقيل انهم ندموا على قتله واما عمرو بن الحمق
فوثب على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات قال فاما ثلاث منها فاني طعنتهن اياه لله تعالى واما
ست فلما كان في صدري عليه وأرادوا قطع رأسه فوقعت نائلة عليه وأم البنين فصحن
وضربن الوجوه فقال ابن عديس اتركوه واقبل عمير بن ضابئ فوثب عليه فكسر ضلعا من
اضلاعه وقال سجنت ابي حتى مات في السجن وكان قتله لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة
خمس وثلاثين يوم الجمعة وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة الا اثني عشر يوما وقيل الا ثمانية ايام
وقيل بل كان قتله سنة ست وثلاثين لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين وقيل
بل قتل أيام التشريق وكان عمره اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمانيا وثمانين سنة وقيل تسعين سنة وقيل

واستبد بالامر وتوفي والده
الامام في جمادى الآخرة
سنة أربع وستين وتسعمائة
ودفن بالجلة وفي أيام
الشريف مطهر عظم امر
الاروام بالديار اليمنية وفي
هذه السنة سار ازدمر باشا
الى صنعاء اليمن وبها
الشريف صلاح الدين
ابن الامام من قبل مطهر
فغلب عليه واستولى على
صنعاء فأباحها ثلاثة أيام
قتلا ونهبا ثم اقتتل هو
والشريف مطهر في قاع
صنعاء قتالا شديدا انتصر
فيه ازدمر باشا واستولى
على خزائن الشريف ثم
امتدت الحروب والفتن
الى سنة ثمان وستين
وتسعمائة وفيها وصل من
الروم مصطفى باشا المشهور
بالنشاري ومعه كتاب من
السلطان سليمان مضمونه
هذا مثالنا الشريف
السامي السلطاني وخطابنا
المنيف العالي الخاقاني
لا زال نافذا بالعون الصمداني
والمين الرباني الى الامير
الكبير الحسيني النسيب
فرع الشجرة الزكية
الطاهرة وطراز العصابة
العلوية الفاخرة الشريف
مطهر بن شرف الدين نخصه
بسلام أتم وثناء أعم نبدي
بعلمه الكريم أنه لا يزال
يتصل بمسامعنا الشريفة

خمسا وسبعين سنة وقيل ستا وثمانين سنة

(ذكر الموضع الذى دفن فيه ومن صلى عليه)

قيل بقى عثمان ثلاثة أيام لا يدفن ثم ان حكيم بن حزام القرشى وجبير بن مطعم كلما عليا فى ان يأذن فى دفنه ففعل فلما سمع من قصده بذلك قعدوا له فى الطريق بالحجارة وخرج به ناس يسير من أهله وغيرهم وفيهم الزبير والحسن وابو جهم بن حذيفة ومروان بين المغرب والعشاء فاتوا به حائطا من حيطان المدينة يسمى حش كوكب وهو خارج البقيع فصلى عليه جبير بن مطعم وقيل حكيم ابن حزام وقيل مروان وجاء ناس من الانصار ليمنعوا من الصلاة عليه ثم تركوهم خوفا من الفتنة وأرسل على الى من اراد ان يرجم سريره ممن جلس على الطريق لما سمع بهم فمنعهم عنه ودفن فى حش كوكب فلما ظهر معاوية بن ابى سفيان على الناس أمر بذلك الحائط فهدم وأدخل فى البقيع وامر الناس فدفنوا أمواتهم حول قبره حتى اتصل الدفن بمقابر المسلمين وقيل انما دفن بالبقيع مما يلى حش كوكب وقيل شهد جنازته على وطلحة وزيد بن ثابت وكعب بن مالك وعامة من ثم من أصحابه قال وقيل لم يغسل وكفن فى ثيابه

(ذكر بعض سيرة عثمان)

قال الحسن البصرى دخلت المسجد فاذا أنا بعثمان متكئا على ردائه فأتاه سقاآن يختصمان اليه فقضى بينهما وقال الشعبى لم يمت عمر بن الخطاب حتى ملته قريش وقد كان حصرهم بالمدينة وقال أخوف ما اخاف على هذه الامة انتشاركم فى البلاد فان جاء الرجل منهم يستأذنه فى الغزو فيقول قد كان لك فى غزوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبلغك وخير لك من غزوك اليوم ان لا ترى الدنيا ولا تراك وكان يفعل هذا بالمهاجرين من قريش ولم يكن يفعله بغيرهم من اهل مكة فلما ولى عثمان خلى عنهم فانتشروا فى البلاد وانقطع اليهم الناس وكان أحب اليهم من عمر وقيل وحج عثمان بالناس سنوات خلافته كلها وحج بأزواج النبى صلى الله عليه وسلم كما كان يصنع عمر وكتب الى الامصار ان يوافيه العمال فى الموسم ومن يشكوهم وان يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وانه مع الضعيف على القوى مادام مظلوما وقيل كان اول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا طيران الحمام والرمى على الجلاهقات وهى قوس البندق واستعمل عليها عثمان رجلا من بنى ليث سنة ثمان من خلافته فقص الطيور وكسر الجلاهقات قيل وسأل رجل سعيد ابن المسيب عن محمد بن أبى حذيفة ما دعاه الى الخروج على عثمان فقال كان يتيما فى حجر عثمان وكان والى ايتام أهل بيته ومحتملا كلهم فسأل عثمان العمل فقال يا بنى لو كنت رضا لاستعملتك قال فاذن لى فاخرج فاطلب الرزق قال اذهب حيث شئت وجهزه من عنده وحمله واعطاه فلما وقع الى مصر كان فيمن اعان عليه حيث منعه الامارة قيل وعمار بن ياسر كان بينه وبين عباس ابن عتبة بن ابى لهب كلام فضربهما عثمان فاورث ذلك تعاديا بين اهل عمار وأهل عباس وكانا تقاذفا قيل سئل سالم بن عبد الله عن محمد بن أبى بكر ما دعاه الى ركوب عثمان قال الغضب والطمع كان من الاسلام بمكان نعزه اقوام فطمع وكانت له دالة فلزمه حق فأخذه عثمان من ظهره فاجتمع هذا الى ذلك فصار مذمما بعد ان كان محمدا قيل واستخف رجل بالعباس بن عبد المطلب فضربه عثمان فاستحسن منه ذلك وقال أيفخم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه وأرخص

الخلاصة انما وانتساده الى حسابنا وبلغنا الآن عنه خلاف ذلك وتعبير ما كتبناه فى السابق وانه وقع بينه وبين امرائنا وعساكرنا تلك البلاد خلاف كثير ووقائع متناقضة ثم ضررها الامور والامم وهذا من الخطأ المحض المرتب عليه ذهاب الارواح لمن عقل وفهم ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أمانهم لان عساكرنا المنصورة لا يعجزهم صغير ولا كبير ولا جليل ولا حقير ولا آخبرنا القيا شرذمة من عساكرنا المنصورة قليلين نحو مائة الف أو يزيدون وأردنا ان نلحق الجيش بالجيش حتى تصل عساكرنا المنصورة أوائلهم فى البلاد اليمنية وآخرهم فى مملكتنا المحمية ولكن غلب حلمنا عليه لكونه سلالة سيد المرسلين ومن آل بيت النبوة الطاهرين ولازم على ناموس سلطنتنا الشريفة قبل اتباع الطرق عليه ان نعرفه بهذه الامور وقد اقتضت أوامرنا الشريفة تعيين امصار الامراء الكرام المختص عريد عناية الملك العلام مصطفى باشا بكاربكى زبيد سابقا دامت معدلته باشا على العساكر

فى الاستخفاف به لقد خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك ورضى به (قيل وكان كعب بن ذى الحبكة النهدى يلعب بالنارنجيات فبلغ عثمان فكتب الى الوليد ان يوجعه ضربا فعزره واخبر الناس خبره وقرأ عليهم كتاب عثمان وفيه انه قد جد بكم فجدوا واياكم والهزل فغضب كعب وكان فى الذين خرجوا عليه وكان سيره الى دنباوند فقال فى ذلك للوليد

لعمرى لئن طردتنى ما الى التى * طمعت بها من سقطتى لسبيل
زجرت رجومى يا ابن أروى ورجعتى * الى الحق دهرا غال ذلك غول
فان اغترابى فى البلاد وجفوتى * وشتمى فى ذات الاله قليل
وان دعائى كل يوم وليلة * عليك بدنباوندكم لطويل

قال وأما ضابئ بن الحرث البرجمى فانه استعار فى زمن الوليد بن عقبة من قوم من الانصار كلبا يدعى قرحان يصيد الظباء فحبسه عنهم فانتزعه الانصاريون منهم فهجاهم وقال

تجشم دونى وفد قرحان خطة * تضل لها الوجناء وهى حسير
فباتوا شباعا ناعمين كأنما * حباهم ببيت المرزبان امير
فكلبكم لا تتركوا فهو أمكم * فان عقوق الامهات كبير

فاستعدوا عليه عثمان فعزره وحبسه فما زال فى السجن حتى مات فيه وقال فى الفتك معتذرا الى أصحابه

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله
وقائلة قد مات فى السجن ضابئ * الا من لخصم لم يجد من يحاوله

فلذلك صار ابنه عمير سبئيا قال وأما كميل بن زياد وعمير بن ضابئ فانهما سارا الى المدينة لقتل عثمان فاما عمير فانه نكل عنه واما كميل فانه جسر وثاوره فوجأ عثمان وجهه فوقع على استه فقال أوجعتنى يا أمير المؤمنين قال أولست بقاتك قال لا والله فقال عثمان فاستقدمنى وقال دونك فعفا عنه وبقيا الى أيام الحجاج فقتلهما وسيرد ذكر ذلك ان شاء الله تعالى قيل وكان لعثمان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألفا فقال له يوما قد تهيأ مالك فاقبضه قال هولك معونة على مروءتك قيل فلما حصر عثمان قال على لطلحة أنشدك الله الا رددت الناس عن عثمان قال لا والله حتى تعطينى بنو أمية الحق من أنفسها وكان عثمان يلقب ذا النورين لانه جمع بين ابنتى النبى صلى الله عليه وسلم قال الاصمعى استعمل عبد الله بن عامر قطن بن عبد عوف على كرمان فاقبل جيش للمسلمين فمنعهم سيل فى واد من العبور وخشى قطن الفوت فقال من عبر له ألف درهم فحملوا انفسهم وعبروا وكانوا أربعة آلاف فاعطاهم أربعة آلاف ألف درهم فأبى ابن عامر ان يجرى ذلك له وكتب الى عثمان فكتب عثمان أن احسبها له فانه انما اعان بها فى سبيل الله فلذلك سميت الجوائز لاجازة الوادى وقال حسان بن زيد سمعت عليا وهو يخطب الناس ويقول بأعلى صوته يا أيها الناس انكم تكثرون فى وفى عثمان فان مثلى ومثله كما قال الله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وقال ابو حميد الساعدى وهو بدرى وكان مجانبا لعثمان فلما قتل عثمان قال والله ما أردنا قتله اللهم لك على أن لا أفعل كذا وكذا ولا أضحك حتى القاك

(ذكر نسبه وصفته وكنيته)

المنصورة وصحبته ثلاثة آلاف من جنودنا المنصورة معونة لامير الامراء الكرام المختص بمزيد عناية الملك العلام ازدمر باشا دامت معدلته فحال وصول ركاب مصطفى باشا المشار اليه الى تلك الديار تقابله بقلب منشرح وصدر منفسح وغشى تحت صناجقنا الشريفة وتكونون مع عساكرنا المنصورة على قلب رجل واحد فان فعلت فأنت من الفائزين ولا تخف ولا تحزن انك من الآمنين وان حصل والعياذ بالله خلاف ذلك واستمر على الضلال والعناد فيصير دمه فى رقبته ويهلك نفسه ويدخل فى قول اصدق القائلين يخربون بيوتهم بأيديهم وايدى المؤمنين ويصير بعد الوجود الى العدم ويندم حيث لا ينفعه الندم وقد حذرناه رأفة به وتحننا عليه فان خالف أتيناه بجنود لا قبل له بها وأخرجناه منها ذليلا لا لاملجأ له من سلطاننا الا اليه ومثله لا يدل الاعلى صواب (صورة كتاب المطهر) نور الله شموس الاسلام واطلعها وفجر عين معين الشريعة النبوية وأنبعها وفتح أكمام السعادة الابدية وايتعها ولا لا

أما نسبه فهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب وأما صفته فانه كان رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير حسن الوجه رقيق البشرة بوجهه أثر جدري كبير اللحية عظيمها أسمر اللون أصلع عظيم الكراديس عظيم ما بين المنكبين يصفر لحيته وقيل كان كثير شعر الرأس أروح الرجلين وأما كنيته فانه كان يكنى أبا عبد الله ولد جاء من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه عبد الله توفي وعمره ست سنين نقره ديك في عينه فمرض فمات في جمادى الاولى سنة أربع من الهجرة وقيل كان يكنى أبا عمرو

(ذكر وقت اسلامه وهجرته)

قيل كان اسلامه قديما قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم وكان ممن هاجر الى الحبشة الهجرة الاولى والثانية ومعه فيهما امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ذكر أزواجه وأولاده)

تزوج رقية وام كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له رقية عبد الله وتزوج فاختة بنت غزوان فولدت له عبد الله الاصغر هلك وتزوج ام عمرو بنت جندب بن عمرو بن حممة الدوسية ولدت له عمرا وخالدا وابانا وعمر ومريم وتزوج فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومية ولدت له الوليد وسعيدا وام سعيد وتزوج ام البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ولدت له عبد الملك هلك وتزوج رملة بنت شيبة بن ربيعة ولدت له عائشة وام أبان وأم عمرو وتزوج نائلة بنت الفرافصة الكلبية ولدت له مريم بنت عثمان وقيل ولدت له ام البنين بنت عيينة عبد الملك وعتبة وولدت له نائلة عنبسة وكان له منها ايضا ابنة تدعى ام البنين وكانت عند عبد الله بن يزيد ابن أبي سفيان وقتل عثمان وعنده رملة ابنة شيبة ونائلة وام البنين ابنة عيينة وفاختة بنت غزوان غير أنه طلق أم البنين وهو محصور فهؤلاء أزواجه في الجاهلية والاسلام وأولاده

(ذكر أسماء عماله في هذه السنة)

كان عماله في هذه السنة على مكة عبد الله بن الحضرمي وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي وعلى صنعاء يعلى بن منية وعلى الجند عبد الله بن ربيعة وعلى البصرة عبد الله بن عامر خرج منها ولم يول عثمان عليها أحدا وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة الفهري وعلى الاردن ابو الاعور السلمي وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكناني وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزاري وعلى القضاء أبو الدرداء في قول بعضهم والصحيح انه كان قد توفي قبل أن قتل عثمان وكان عامل عثمان على الكوفة أبو موسى على الصلاة وعلى خراج السواد جابر بن فلان المزني وهو صاحب المسناة الى جانب الكوفة وسماك الانصاري وعلى حربها القعقاع بن عمرو وعلى قرقيسيا جرير بن عبد الله وعلى اذربيجان الاشعث بن قيس الكندي وعلى حلوان عتيبة بن النهاس وعلى ماه مالك بن حبيب وعلى همذان النسير وعلى الري سعيد بن قيس وعلى اصبهان السائب بن الاقرع وعلى ماسبذان حبيش وعلى بيت المال عقبة بن عامر وكان على قضاء عثمان زيد بن ثابت (عتيبة بن النهاس بالتاء فوقها نقطتان وبعدها ياء تحتها نقطتان وآخره باء موحدة وعيينة بن حصن بالياء تحتها

كواكب الدين الحنيف واسطعها واعلى منارات الملة البيضاء ورفعها وكسر نواجم قرون الشرك ما لبغى وقعها بدوام ايام مولانا السلطان العظيم ذي الملك الباهر القادر المستقيم القاطع بسيوف عزمه عنق كل جبار أثيم الهادي باوامره ونواهيه الى سواء الصراط المستقيم المتسم بحماية آل الرسول وابناء فاطمة البتول الملك المظفر المنصور والهمام المؤيد المشهور السلطان سليمان ابن سليم اهدي الى مقامه الشريف سحائب ركائب التحيات والتسليم ورحمته النامية وبركاته الصيبة الموصلة بنعيم دار النعيم وحرس جنابه العالي من صروف الايام والليالي وبعد فانه ورد الينا من تلقائه اطال الله تعالى للمسلمين والاسلام في بقائه مرسوم سطعت أنواره وطلعت بالمسرات شموسه واقماره وعرفنا ما ذكره سلطاننا سلطان الامم ومالك رقاب العرب والعجم فالحمد لله الذي رزقنا الطاعته وازالنا عن السلوك في مسالك مخالفته كيف وطاعتكم من طاعة الملك الخالق ومعصيتكم يظلم منها المغارب والمشارق

نقطتان وياء ثانية وآخره نون تصغير عين والنسير بالنون والسين المهملة تصغير نسر)

(ذكر الخبر عمن كان يصلي في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حين حصر عثمان)

قيل وجاء ذلك اليوم الذي منع فيه عثمان الصلاة سعد القرظ وهو المؤذن الى علي بن ابي طالب فقال من يصلي بالناس فقال ادع خالد بن زيد فدعاه فصلى بالناس فهو أول يوم عرف ان اسم أبي أيوب الانصاري خالد بن زيد فصلى أياما ثم صلى بعد ذلك بالناس وقيل بل أمر علي سهل بن حنيف فصلى بالناس من اول ذي الحجة الى يوم العيد ثم صلى علي بالناس العيد ثم صلى بهم حتى قتل عثمان وقد تقدم غير ذلك في ذكر قتله

(ذكر ماقيل فيه من الشعر)

قال حسان بن ثابت الانصاري

أتركتم غزو الدروب وراءكم * وغزوتمونا عند قبر محمد
فلبئس هدي المسلمين هديتم * ولبئس أمر الفاجر المتعمد
ان تقدموا نجعل قرى سرواتكم * حول المدينة كل لين مذود
أو تدبروا فلبئس ماسافرتم * ولمثل امر اميركم لم يرشد
وكأن أصحاب النبي عشية * بدن تذبح عند باب المسجد
ابكي أبا عمرو لحسن بلائه * امسى ضجيعا في بقيع الغرقد

وقال ايضا

ان تمس دار ابن أروى اليوم خاوية * باب صريع وباب محرق خرب
فقد يصادف باغي الخير حاجته * فيها ويهوى اليها الذكر والحسب
ياايها الناس أبدوا ذات أنفسكم * لايستوي الصدق عند الله والكذب
قوموا بحق مليك الناس تعترفوا * بغارة عصب من خلفها عصب
فيهم حبيب شهاب الموت يقدمهم * مستلئما قد بدا في وجهه الغضب

وقال ايضا

من سره الموت صرفا لامزاج له * فليأت مأسدة في دار عثمانا
مستشعري حلق الماذي قد شفعت * قبل المخاطم بيض زان أبدانا
صبرا فدى لكم أمي وماولدت * قد ينفع الصبر في المكروه احيانا
لقد رضينا بأهل الشام نافرة * وبالامير وبالاخوان اخوانا
اني لمنهم وان غابوا وان شهدوا * مادمت حيا وماسميت حسانا
لتسمعن وشيكا في ديارهم * الله أكبر ياثارات عثمانا
ضحوا بأشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال أبو عمر بن عبد البر وقد ذكر بعض هذه الابيات وقد زاد فيها اهل الشام ولم ار لذكره وجها عن مافيها من ذكر علي وهو

ياليت شعري وليت الطير تخبرني * ما كان بين علي وابن عفانا

وقال الوليد بن عقبة بن ابي معيط يحرض اخاه عمارة

ونحن من ودادكم على يقين ونرجوا أنكم لاتصغوا أذنا لكلام الفاسقين ولا تقطعوا حق الذرية النبي الامين وابناء علي الانزع البطين كرم الله وجهه في عالمين قل لاأسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى وذلك هدى الكتاب المبين وأنتم أولى برعاية ما أمر الله به ان يرعى ويقر من عين النبي الكريم عينا وسعدا والذي أشرتم اليه من بلوغ مخالفتنا العساكركم المنصورة وجيوشكم القاهرة الموفورة ليس له صحة ولاثبات ولا كان لنا الى حربهم قصد ولا التفات بل ضيقوا علينا مسالك المعيشة خلفا وأماما ورمونا بمدافع لايرمى بها الا الذين يعبدون اصناما ولم يعلموا انا ممن أوجب الله لهم رعاية واحتراما ومن الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما فدفعنا عن أنفسنا وأولادنا ما أمكن من الدفاع ودرأنا عن محارمنا وترك الدرء عنها لايستطاع وحين وصل وكيلكم الباشا مصطفى الى هذه الجهات اليمنية والديار التي هي بسيوف قهركم محمية بسط عدله في أهل اليمن واخمد نيران الفتن ماظهر منها ومابطن واطلع على الحقائق وهو يعرفكم عن حالنا السابق ومانحن

الالان خير الناس بعد ثلاثة • قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
فان يك ظني بابن ابي صادقا • عمارة لا يطلب بذحل ولا وتر
يبيت وأوتار ابن عفان عنده • مخيمة بين الخورنق والقصر

فاجابه الفضل بن العباس

اتطلب ثارا لست منه ولا له • وأين ابن ذكوان الصفوري من عمرو
كما اتصلت بنت الحمار بأمها • وتنسى أباها اذ تسامى اولى الفخر
الا ان خير الناس بعد ثلاثة • وصي النبي المصطفى عند ذي الذكر
وأول من صلى وصنو نبيه • وأول من اردى الغواة لدى بدر
فلو رأت الانصار ظلم ابن أمكم • بزعمكم كانوا له حاضري النصر
كفى ذاك عيبا أن يشيروا بقتله • وأن يسلموه للاحابيش من مصر

قوله وأين ابن ذكوان فان الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو اسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس ويذكر جماعة من النسابين ان ذكوان مولى لأمية فتبناه وكناه ابا عمرو ويعني انك مولى لست من بني امية حتى تكون ممن يطلب بثار عثمان وقال غيرهم من الشعراء ايضا بعد مقتله فمن بين مادح وهاج ومن ناع وباك ومن سار فرح فمن مدحه حسان كما تقدم وكعب بن مالك في آخرين غيرهم كذلك

(ذكر بيعة امير المؤمنين على بن ابي طالب)

وفي هذه السنة بويع امير المؤمنين على بن ابي طالب وقد اختلفوا في كيفية بيعته فقيل انه لما قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا عليا فقالوا له انه لابد للناس من امام قال لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به فقالوا ما نختار غيرك وترددوا اليه مرارا وقالوا له في آخر ذلك انا لا نعلم أحدا أحق به منك لا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعلوا فاني اكون وزيرا خيرا من ان أكون أميرا فقالوا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك قال ففي المسجد فان بيعتي لا تكون خفية ولا تكون الا في المسجد وكان في بيته وقيل في حائط لبني عمرو بن مبذول فخرج الى المسجد وعليه ازار وطاق وعمامة خز ونعلاه في يده متوكئا على قوس فبايعه الناس وكان اول من بايعه من الناس طلحة بن عبيد الله فنظر اليه حبيب بن ذؤيب فقال انا لله أول من بدأ بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الامر وبايعه الزبير وقال لهما علي ان احببتما أن تبايعاني وان أحببتما بايعت كما فقالا بل نبايعك وقالا بعد ذلك انما فعلنا ذلك خشية على نفوسنا وعرفنا انه لا يبايعنا وهربا الى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر وبايعه الناس وجاؤا بسعد بن ابي وقاص فقال علي بايع فقال لا حتى يبايع الناس والله ما عليك مني بأس فقال خلوا سبيله وجاؤا بابن عمر فقالوا بايع قال لا حتى يبايع الناس قال ائتني بكفيل قال لا ارى كفيلا قال الاشتر دعني اضرب عنقه قال علي دعوه انا كفيله انك ما علمت لسيئ الخلق صغيرا وكبيرا وبايعت الانصار الا نفرا يسيرا منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وابو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة وكانوا

عليه من حسن المساعي والمرافق ولعمري انه اجل عظيم وذو شأن فخيم فالله تعالى يجعل سعيه مشكورا ويدفع بعنايته عن الانام والاسلام شرورا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ان الباشا مصطفى والباشا ازدمر صعدا الى صنعاء وحشدا عسكرا كثيفا فحاصرا الشريف في حصن ثلا مدة طويلة فلم يغنيا شيأ وقيل دخلا بعد ان استأمنا على أنفسهما فوقع بينهما المهادنة والمسالمة ثم نزلا وفي سنة اثنين وستين وتسعمائة وقع القحط العظيم باليمن حتى اكل الناس الشجر والعشب ومات أكثرهم جوعا ومات من اهل الجبال بمدينة اب نحو خمسة آلاف نفر ومن أهل المدينة نحو أربعة آلاف نفر وكان سبب ذلك حدوث الجراد بها وطول مكثه حتى أكل الاشجار والنبات ثم دخل على الناس في يوم ثم خاف الناس منه خوفا عظيما وفي سنة خمس وستين وتسعمائة وقع باليمن طاعون عظيم أهلك من أهلها خلقا كثيرا وكانت الامطار والخصب كثيرا وفي عام أربعة وسبعين وتسعمائة عزل نائب صنعاء الباشا رضوان وعين مكانه مراد باشا فقبل ان يصل

عثمانية فاما حسان فكان شاعرا لا يبالي ما يصنع واما زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت
المال فلما حصر عثمان قال يا معشر الانصار كونوا انصار الله مرتين فقال له ابو ايوب ما تنصره الا
لانه اكثر لك من العبدان واما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزينة وترك له ما اخذ منهم
ولم يبايعه عبد الله بن سلام وصهيب بن سنان وسلمة بن سلامة بن وقش واسامة بن زيد وقدامة بن
مظعون والمغيرة بن شعبة فاما النعمان بن بشير فانه اخذ اصابع نائلة امرأة عثمان التي قطعت
وقميص عثمان الذي قتل فيه وهرب به فلحق بالشام فكان معاوية يعلق قميص عثمان وفيه
الاصابع فاذا رأى ذلك اهل الشام ازدادوا غيظا وجدا في امرهم ثم رفعه فاذا احس منهم
بفتور يقول له عمرو بن العاص حرك لها حوارها تحن فيعلقها وقد قيل ان طلحة والزبير انما
بايعا عليا كرها وقيل لم يبايعه الزبير ولا صهيب ولا سلمة بن سلامة بن وقش واسامة بن زيد فاما
على قول من قال ان طلحة والزبير بايعا كرها فقال ان عثمان لما قتل بقيت المدينة خمسة ايام
واميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالامر فلا يجدونه ووجدوا طلحة في
حائط له ووجدوا سعدا والزبير قد خرجا من المدينة ووجدوا بني امية قد هربوا الا من لم يطق
الهرب وهرب سعيد والوليد ومروان الى مكة وتبعهم غيرهم فأتى المصريون عليا فباعدهم وأتى
الكوفيون الزبير فباعدهم وأتى البصريون طلحة فباعدهم وكانوا مجتمعين على قتل عثمان
مختلفين فيمن يلي الخلافة فارسلوا الى سعد يطلبونه فقال اني وابن عمر لا حاجة لنا فيها فأتوا ابن
عمر فلم يجبهم فبقوا حيارى قال بعضهم لبعض لئن رجع الناس الى امصارهم بغير امام لم نأمن
الاختلاف وفساد الامة فجمعوا اهل المدينة فقالوا لهم يا اهل المدينة انتم اهل الشورى وانتم
تعقدون الامامة وحكمكم جائز على الامة فانظروا رجلا تنصبونه ونحن لكم تبع وقد
اجلناكم يومكم فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غدا عليا وطلحة والزبير واناسا كثيرا فغشي الناس
عليا فقالوا نبايعك فقد ترى ما نزل بالاسلام وما ابتلينا به من بين القرى فقال علي دعوني
والتمسوا غيري فانا مستقبلون امرا له وجوه وله الوان لا تقوم به القلوب ولا تثبت عليه العقول
فقالوا ننشدك الله الا ترى ما نحن فيه الا ترى الاسلام الا ترى الفتنة الا تخاف الله فقال قد
اجبتكم واعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم وان تركتموني فانما انا كاحدكم الا اني من
اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا
ان دخل طلحة والزبير فقد استقامت فبعث البصريون الى الزبير حكيم بن جبلة وقالوا احذر
لا تحابه ومعه نفر فجاؤا به يحدونه بالسيف فبايع وبعثوا الى طلحة الاشتر ومعه نفر فأتى طلحة
فقال دعني انظر ما يصنع الناس فلم يدعه فجاء به يتله تلا عنيفا وصعد المنبر فبايع وكان الزبير يقول
جاءني لص من لصوص عبد القيس فبايعت والسيف على عنقي واهل مصر فرحون فلما اجتمع
عليه اهل المدينة وقد خشع اهل الكوفة والبصرة ان كانوا اتباعا لاهل مصر وازدادوا بذلك
على طلحة والزبير غيظا ولما اصبحوا يوم البيعة وهو يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجاء علي
فصعد المنبر وقال ايها الناس عن ملا واذن ان هذا امركم ليس لاحد فيه حق الا من امرتم وقد
افترقنا بالامس على امر وكنت كارها لامركم فابيتم الا ان اكون عليكم الا وانه ليس لي دونكم
الا مفاتيح مالكم معي وليس لي ان آخذ درهما دونكم فان شئتم قعدت لكم والا فلا آخذ على

مراد باشا اقام رضوان باشا
مكانه نائبا باليمن اميرا فقال
له قزل باش محمد بك وارتحل
هو الى الباب العالي فاغتنم
الفرصة الشريف فقام
واستولى على صنعاء ونواحيها
وقاتل الارواام قتالا شديدا
حتى افناهم وكان الباشا
مراد قد وصل اذ ذاك الى
زبيد فرأى ان يسير الى تعز
خوفا عليها وعلى ما فيها من
الخزائن السلطانية فلما كان
بوادي حنان استقبلهم العرب
وهم في عدد لا يعلمهم الا الله
تعالى وكان عدد الارواام
ثلاثة آلاف نفر فوقع
القتال بين الفريقين حتى
انتصر العرب وهزموا
الارواام وافنوهم قتلا
واسرا ثم ساروا وغلبوا على
عامة بلاد اليمن حتى لم يبق بيد
الارواام الا زبيد ثم حاصروا
زبيد مدة اربعين يوما الى
ان وصل من باب السلطان
عثمان باشا ابن ازدمر في
جمادى الاولى سنة ست
وسبعين وتسعمائة فدخل
زبيد واصلح شأنها ثم سار منها
بعد ان مكث بها مدة اشهر
بالعسكر فحاصر تعز وبها
علي بن سوغان نائب
الشريف الى ان انتصر
عليه وانتزع البلدة من يده
ثم قدم محمد بن شمس الدين
قائد الشريف بعسكر كثير
فحاصر عثمان باشا بتعز في

أحدقة الواضي على ما فارقنا عليه بالامس فقال اللهم اشهد ولما جاؤا بطلحة ليبايع فقال انما ابايع كرها فبايع وكان به شلل فقال رجل يعتاف انا لله وانا اليه راجعون أول يد بايعت يد شلاء لا يتم هذا الامر ثم جيء بالزبير فقال مثل ذلك وبايع وفي الزبير اختلاف ثم جيء بعد بقوم كانوا قد تخلفوا فقالوا نبايع على اقامة كتاب الله في القريب والبعيد والعزيز والذليل فبايعهم ثم قام العامة فبايعوا وصار الامر امر أهل المدينة وكانهم كما كانوا فيه وتفرقوا الى منازلهم وبويع يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة والناس يحسبون بيعته من قبل عثمان وأول خطبة خطبها علي حين استخلف حمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر الفرائض الفرائض ادوها الى الله تعالى يؤدكم الى الجنة ان الله حرم حرمات غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق لا يحل دم امرئ مسلم الا بما يجب بادروا امر العامة وخاصة احدكم الموت فان الناس امامكم وان ما خلفكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر بالناس أخراهم اتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده انكم مسؤلون حتى عن البقاع والبهائم أطيعوا الله فلا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض ولما فرغ من الخطبة وهو على المنبر قالت السبئية

خذها اليك واحذرن ابا حسن * انا نمر الامر امرار الرسن
صولة أقوام كاشداد السفن * بمشرفيات كغدران اللبن
ونطعن الملك بلين كالشطن * حتى يمرن على غير عنن

وقال علي

اني عجزت عجزة لا اعتذر * سوف أكيس بعدها واستمر
ارفع من ذيلي ما كنت أجر * واجمع الامر الشتيت المنتشر
ان لم يشاغبني العجول المنتصر * ان تتركوني والسلاح يبتدر

ورجع علي الى بيته فدخل عليه طلحة والزبير في عدد من الصحابة فقالوا يا علي انا قد اشترطنا اقامة الحدود وان هؤلاء القوم قد اشتركوا في قتل هذا الرجل واحلوا بانفسهم فقال يا اخوتاه اني لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكونا ولا نملكهم هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت اليهم اعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤا فهل ترون موضعا لقدرة على شيء مما تريدون قالوا لا قال فلا والله لا أرى الا رأيا ترونه ابدا الا ان يشاء الله ان هذا الامر امر جاهلية وان لهؤلاء القوم مادة وذلك ان الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الارض آخذيها ابدا ان الناس من هذا الامر ان حرك على امور فرقة ترى ما ترون وفرقة ترى ما لا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق فاهدؤا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا واشتد على قريش وحال بينهم وبين الخروج وتركها على حالها وانما هيجه على ذلك هرب بني أمية وتفرق القوم فبعضهم يقول ما قال علي وبعضهم يقول نقضي الذي علينا ولا نؤخره والله ان عليا لمستغن برأيه وليكونن اشد على قريش من غيره

منتصف هذا العام ثم انضم الى عثمان باشا سنان باشا الوزير لمعونة عثمان باشا فقاتلوا القائد المذكور من الضحى الى الليل حتى أجلوه عن البلد وغنموا أسبابه ثم لم يزل يسير الباشا سنان بالعساكر والجنود يقاتل العرب حتى وصل الى القاعدة ثم الى الشوال ثم الى جيش ثم الى التفكر وتعران ثم الى زبيد ثم الى صنعاء ثم الى قيعان ثم الى كوكبان فحاصرها مدة سبعة أشهر ثم افتتحها ثم وصل من السلطان بهرام باشا وليا على البلاد اليمنية فوصل الى تعز ثم الى القاعدة ووقع اقدم على ابن الامام صاحب حب في ثلاثين ألف مقاتل وقاتل بهرام باشا من الضحوة الى الظهر فانتصر بهرام باشا وقتل من العرب مائة وعشرين نفرا ثم حاصر بهرام باشا الامير المذكور في حصن حب فلم يزل يعمل الحيلة في احراق بيت البارود حتى تم له ذلك ثم لم يلبث أن مات الامير المذكور وفاجأ من أهله بالطاعة وذلك في رجب ثم كان لبهرام باشا المذكور في فتح البلاد اليمنية قدم راسخة وفي غرة رجب سنة ثمانين وتسعمائة توفي صاحب البلاد اليمنية الشريف

فسمع ذلك فخطبهم وذكر فضلهم وحاجته اليهم ونظره لهم وقيامه دونهم وانه ليس له من سلطانهم الا ذلك والاجر من الله عليه ونادى برئت الذمة من عبد لا يرجع الى مولاه فتفرقت السبئية والاعراب وقالوا لنا غدا امثالها ولا نستطيع نحتج فيهم بشئ وقال ايها الناس أخرجوا عنكم الاعراب فليلحقوا بمياههم فأبت السبئية واطاعهم الاعراب فدخل على بيته ودخل عليه طلحة والزبير وعدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال دونكم ثاركم فاقتلوه فقالوا عموا عن ذلك فقال هم والله بعد اليوم اعمى وقال

ولو ان قومى طاوعتنى سراتهم * امرتهم امرا يذيح الاعاديا

وقال طلحة دعنى آتى البصرة فلا يفجؤك الا وانا فى خيل وقال الزبير دعنى آتى الكوفة فلا يفجؤك الا وانا فى خيل فقال حتى انظر فى ذلك قيل وقال ابن عباس اتيت عليا بعد قتل عثمان عند عودى من مكة فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليا به فخرج من عنده فقلت له ما قال لك هذا فقال قال لى قبل مرته هذه ان لك حق الطاعة والنصيحة وأنت بقية الناس وان الرأى اليوم تحرز به ما فى غد وان الضياع اليوم يضيع به ما فى غد اقرر معاوية وابن عامر وعمال عثمان على اعمالهم حتى تاتيك بيعتهم ويسكن الناس ثم اعزل من شئت فأبيت عليه ذلك وقلت لا اداهن فى دينى ولا أعطى الدنية فى أمرى قال فان كنت أبيت على فانزع من شئت واترك معاوية فان فى معاوية جرأة وهو فى أهل الشام يستمع منه ولك حجة فى اثباته كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام فقلت لا والله لا استعمل معاوية يومين ثم انصرف من عندى وانا اعرف فيه انه يود انى مخطئ ثم عاد الى الآن فقال انى اشرت عليك اول مرة بالذى اشرت وخالفتنى فيه ثم رأيت بعد ذلك ان تصنع الذى رأيت فتعزلهم وتستعين بمن تثق به فقد كفى الله وهم أهون شوكة مما كان قال ابن عباس فقلت لعلى اما المرة الاولى فقد نصحك وأما المرة الثانية فقد غشك قال ولم نصحنى قلت لان معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى تثبتهم لا يبالون من ولى هذا الامر ومتى تعزلهم يقولون أخذ هذا الامر بغير شورى وهو قتل صاحبنا ويؤلبون عليك فتنتقض عليك الشام وأهل العراق مع انى لا آمن طلحة والزبير ان يكرا عليك وانا أشير عليك ان تثبت معاوية فان بايع لك فعلى ان أقلعه من منزله وقال على والله لا أعطيه الا السيف ثم تمثل

وما ميتة ان متها غير عاجز * بعار اذا ما غالت النفس غولها

فقلت يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع لست صاحب رأى فى الحرب اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة فقال بلى فقلت أما والله لئن اطعتنى لاصدرنهم بعد ورد ولاتركنهم ينظرون فى دبر الامور لا يعرفون ما كان وجهها فى غير نقصان عليك ولا اثم لك فقال يا ابن عباس لست من هناتك ولا من هنات معاوية فى شئ قال ابن عباس فقلت له اطعنى والحق بمالك بينبع وأغلق بابك عليك فان العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك فانك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدا فأبى على فقال تشير على وارى فاذا عصيتك فأطعنى قال فقلت افعل ان ايسر مالك عندى الطاعة فقال له على تسير الى الشام فقد وليتكها فقال ابن عباس ما هذا برأى معاوية رجل من بنى أمية وهو ابن عم عثمان وعامله ولست آمن ان يضرب عنقى بعثمان وان أدنى ما هو صانع ان يحبسنى فيتحكم على لقرابتى منك وان كل ما حمل

مطهر ودفن فى ثلا وتولى مكانه ولده (يحيى بن على بن مطهر) والآن آل الامر الى قريبه وصهره (على بن سويع) استمال القلوب وقاد الجيوش واستولى على صعدة فصار يحيى مغلوبا بالجور

(الباب الثالث والعشرون فى ذكر ملوك الغرب من الطوائف ذوى المفاخر والمعارف)

فلما انقرضت الدولة الاموية من الغرب اقتسمها أصحاب الاطراف وصاروا مثل ملوك الطوائف فاما قرطبة فاستولى عليها (أبو الحسن على) بن جهور الى أن مات سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وقام بأمر قرطبة بعده ابنه (الوليد محمد بن على) ثم سار الى الامير (المعتمد بن عباد) ثم أخذها منه (ابن تاشفين) وقتل المذكور ووزيره أبا بكر بن زيدون وكانا من خيار الناس والوليد هذا هو الذى أنشأ القصيدة الفراقية المشهورة التى يقول فيها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شوقا اليكم ولا جفت أماقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا
يقضى علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لبعدكم أيامنا فغدت
سودا وكانت بكم بيضا لياليا
بالامس كنا ولا يخشى تفرقنا

علمك حل على ولكن اكتب الى معاوية فمنه وعده فقال لا والله لا كان هذا ابدا وكان المغيرة يقول نصحته فلما لم يقبل غششته وخرج فلحق بمكة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة أعني سنة خمس وثلاثين سار قسطنطين بن هرقل في ألف مركب يريد أرض المسلمين فسلط الله عليهم ريحا عاصفا فغرقتهم ونجا قسطنطين فأتى صقلية فصنعوا له حماما فدخله فقتلوه فيه وقالوا قتلت رجالنا هكذا قال ابو جعفر وهذا قسطنطين هو الذي هزمه المسلمون في غزوة الصواري سنة احدى وثلاثين وقتله أهل صقلية في الحمام وان كانوا قد اختلفوا في السنة التي كانت الوقعة فيها فلولا قوله ان المراكب غرقت لكانت هذه الحادثة هي تلك فانها في قول بعضهم كانت سنة خمس وثلاثين ● وفي خلافة عثمان مات أوس بن خولى الانصاري وفي خلافة عثمان أيضا مات الجلاس بن سويد الانصاري وكان من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسنت توبته وفيها مات الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهو الملقب ببة وفي آخرها مات الحكم بن أبي العاص وهو والد مروان وعم عثمان ● وفيها مات حبان بن منقذ الانصاري وهو والد يحيى بن حبان (بفتح الحاء المهملة وبالباء الموحدة) وفيها مات عبد الله بن قيس بن خالد الانصاري وقيل بل قتل بأحد شهيدا وفي خلافته مات قطبة بن عامر الانصاري وهو عقبي بدري وفي خلافته مات زيد بن خارجة بن زيد الانصاري وهو الذي تكلم بعد موته وفيها قتل معبد بن العباس بن عبد المطلب بافريقية في آخر خلافة عثمان ● وفيها مات معيقيب بن أبي فاطمة وكان من مهاجرة الحبشة وكان على خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بل مات سنة أربعين في خلافة علي وفيها مات مطيع بن الاسود العدوي وكان اسلامه يوم الفتح ● وفي خلافته مات نعيم بن مسعود الاشجعي وقيل بل قتل في وقعة الجمل مع مجاشع بن مسعود وفي خلافته مات عبد الله بن حذافة السهمي وهو بدري وكان فيه دعابة ● وفيها مات عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي والد عمر الشاعر وكان قد جاء من اليمن لينصر عثمان لما حصر فسقط عن راحلته فمات وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل مات في خلافة علي وهو أصح ● وفي خلافته توفي أبو سبرة ابن أبي رهم العامري من عامر بن لؤي وهو بدري ● وفيها مات هاشم بن عتبة بن ربيعة خال معاوية أسلم يوم الفتح وكان صالحا وفيها مات ابو الدرداء وقيل عاش بعده والاول أصح

(ثم دخلت سنة ست وثلاثين)

(ذكر تفريق علي عماله وخلاف معاوية)

وفي هذه السنة فرق علي عماله على الامصار فبعث عثمان بن حنيف على البصرة وعمارة بن شهاب على الكوفة وكان له هجرة وعبيد الله بن عباس على اليمن وقيس بن سعد على مصر وسهل بن حنيف على الشام فاما سهل فانه خرج حتى اذا كان بتبوك لقيته خيل فقالوا من أنت قال أمير قالوا على اى شئ قال على الشام قالوا ان كان بعثك عثمان فحي هلا بك وان كان بعثك غيره فارجع قال اوما سمعتم بالذي كان قالوا بلى فرجع الى علي وأما قيس بن سعد فانه لما انتهى الى أيلة لقيته خيل فقالوا له من أنت قال من فالة عثمان فأنا اطلب من آوى اليه فانتصر به لله قالوا من أنت قال قيس بن سعد قالوا امض فمضى حتى دخل مصر فافترق اهل مصر فرقا فرقة دخلت في الجماعة

فكانوا

والبوم بنا ولا يرجى تلاقينا
وهي قصيدة طويلة بديعة
وأما (بطليوس) فاستولى
عليها بعد المنصور سابور
الفتى العامري ينسب الى بني
الافطس البربري وأول
من ملك منهم (أبو بكر محمد)
ابن عبد الله بن مسلمة المعروف
بابن الافطس ويلقب بالمظفر
فلما توفي تولى بعده ولده (عمر
ابن محمد) ويلقب بالمتوكل
واتسع ملكه وقتل صبرا مع
ولديه الفضل والعباس
عند أمير المسلمين يوسف بن
تاشفين على الاندلس وهو
الذي رثاه الشاعر في قصيدته
المشهورة الموسومة بالعبدونية
بني المظفر والايام مابرحت
مراحلا والورى منها على سفر
سحقا ليومكم يوما ولا حملت
بمثله ليلة في مقبل العمر
من للاسرة او من للاعنة او
من للسماحة والنفع والضرر
من للهدى وعن الحفظ قد
عقدت
اطراف السنم بالبيض والسمر
وطوقت بالمنايا السود بيضهم
اعجب بذاك وماتم اسوى ذكر
مادفع كارثة اودفع آزفة
اوقمع حادثة تعيى عن القدر
ويح السماح وويح الجود
لو سلما
واحسرة الدين والدنيا على عمر
صارت بلاده الى يوسف
ابن تاشفين وأما اشبيلية

فكانوا معه وفرقة اعتزلت بخربنا وقالوا ان قتل قتلة عثمان فنحن معكم والا فنحن على جديلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا وفرقة قالوا نحن مع علي مالم يقدمن اخواننا وهم في ذلك مع الجماعة وكتب قيس الى علي بذلك وأما عثمان بن حنيف فسار ولم يرده أحد عن دخول البصرة ولم يجد لابن عامر في ذلك رأيا ولا استقلالا بحرب وافترق الناس بها فاتبعت فرقة القوم ودخلت فرقة في الجماعة وقالت فرقة ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا وأما عمارة بن شهاب فلما بلغ زبالة لقيه طليحة بن خويلد وكان خرج يطلب بثار عثمان وهو يقول لهفي على امر لم يسبقني ولم أدركه وكان خروجه عند عود القعقاع من اغاثة عثمان فلما لقي عمارة قال له ارجع فان القوم لا يريدون بأميرهم بدلا فان ابيت ضربت عنقك فرجع عمارة الى علي بالخبر وانطلق عبيد الله ابن عباس الى اليمن فجمع يعلى بن منية كل شيء من الجباية وخرج به الى مكة فقدمها بالمال ودخل عبيد الله اليمن ولما رجع سهل بن حنيف من الشام وأتت عليا الاخبار دعا طلحة والزبير فقال ان الامر الذي كنت أحذركم قد وقع وان الذي قد وقع لا يدرك الا باماتته وانها فتنة كالنار كلما سعرت ازدادت واستنارت فقالا له ائذن لنا نخرج من المدينة فاما ان نكاثر وأما ان تدعنا فقال سأمسك الامر ما استمسك فاذا لم أجد بدا فآخر الداء الكي وكتب الى معاوية والى أبي موسى فكتب اليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم وبين الكاره منهم للذي كان والراضي ومن بين ذلك حتى كان علي كانه يشاهدهم وكان رسول علي الى أبي موسى معبد الاسلمي وكان رسوله الى معاوية سبرة الجهني فقدم عليه فلم يجبه معاوية بشيء كلما تنجز جوابه لم يزد على قوله

أدم ادامة حصن أو خذا بيدي حربا ضروسا تشب الجزل والضرما

في جاركم وابنكم اذ كان مقتله * شنعاء شيبت الاصداغ واللمما

اعيا المسود بها والسيدون فلم * يوجد لنا غيرنا مولى ولا حكما

حتى اذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر دعا معاوية رجلا من بني عبس يدعى قبيصة فدفع اليه طومارا مختوما عنوانه من معاوية الى علي وقال له اذا دخلت المدينة فاقبض على اسفل الطومار ثم أوصاه بما يقول واعاد رسول علي معه فخرجا فقدما المدينة في ربيع الاول فدخلها العبسي كما أمره قد رفع الطومار فتبعه الناس ينظرون اليه وعلموا ان معاوية معترض ودخل الرسول على علي فدفع اليه الطومار ففض ختمه فلم يجد فيه كتابا فقال للرسول ما وراءك قال آمن انا قال نعم ان الرسول لا يقتل قال ورائي اني تركت قوما لا يرضون الا بالقود قال ممن قال من خيط رقبتك وتركت ستين الف شيخ تبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد البسوه منبر دمشق قال أمني يطلبون دم عثمان ألست موتورا كترة عثمان اللهم اني ابرأ اليك من دم عثمان نجا والله قتلة عثمان الا أن يشاء الله فانه اذا أراد امرا أصابه اخرج قال واني آمن قال وانت آمن فخرج العبسي وصاحت السبئية وقالت هذا الكلب رسول الكلاب اقتلوه فنادى يا آل مضر يا آل قيس الخيل والنبل اقسم بالله ليردنها عليكم اربعة آلاف خصي فانظروا كم الفحول والركاب وتعاونوا عليه فمنعته مضر فجعلوا يقولون له اسكت فيقول لا والله لا يفلح هؤلاء أبدا أتاهم ما يوعدون لقد حل بهم ما يحذرون انتهت والله اعمالهم وذهبت ريحهم فوالله

فاستولى عليها قاضيها (ابو القاسم محمد) بن اسمعيل بن عباد اللخمي المنذري ثم صارت للامير (المعتمد بن عباد) ثم أخذها منه (ابن تاشفين) واما سرقسطة والثغر الاعلى فصارت بعد المنذر بن يحيى لولده وبعد ولده الى (سليمان بن أحمد) بن محمد بن هود الجذامي وتلقب بالمستعين بالله وكان به من البسالة والشجاعة مالا يوصف وهو الذي وجد في زمانه في المعركة بعد ارتفاع الحرب مع الكفار قطعة من بيضة الخود الحديد قدر الثلث باما حوت من الرأس فيقال انه لم ير ضربة أقوى منها ثم صارت بعده لولده (احمد بن سليمان) الملقب بالمقتدر بالله وهو الذي كسر الطاغية وزده عظيم الروم بعد ان اشرف على الانهزام وكانت وقعة هائلة ثم صارت بعده لولده (عبد الملك) بن أحمد بن سليمان ثم صارت بعده لابنه (أحمد ابن عبد الملك) وتلقب بالمنتصر بالله وعليه انقرضت دولتهم على رأس الخمسمائة فصارت بلادها جميعها للموحدين وأما طليطلة وطرطوشة وبلنسية فصارت الى (اسمعيل بن عبد الرحمن) وتلقب بالظافر بحول الله ثم ملك بعده ولده (المأمون

ما امر واحق عرف الدليم واحب اهل المدينة ان يعلموا رأى على في معاوية وقتاله اهل القبلة أيجسر عليه ام ينكل عنه وقد بلغهم ان ابنه الحسن دعاه الى القعود وترك الناس فدسوا زياد بن حنظلة التميمي وكان منقطعا الى على فجلس اليه ساعة فقال له على يا زياد تيسر فقال لاى شئ فقال لغزو الشام فقال زياد الاناة والرفق أمثل وقال

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة ✽ يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

فتمثل على وكأنه لا يريده

متى تجمع القلب الذكى وصارما ✽ وانفا حميا تجتنبك المظالم

فخرج زياد والناس ينتظرونه فقالوا ما وراءك فقال السيف يا قوم فعرفوا ما هو فاعل واستأذنه طلحة والزبير فى العمرة فأذن لهما فلحقا بمكة ودعا على محمد بن الحنفية فدفع اليه اللواء وولى عبد الله بن عباس ميمنته وعمر بن ابى سلمة او عمرو بن سفيان بن عبد الاسد ولاه ميسرته ودعا ابا ليلى ابن عمر بن الجراح ابن اخى ابى عبيدة بن الجراح فجعله على مقدمته واستخلف على المدينة قثم بن العباس ولم يول من خرج على عثمان احدا وكتب الى قيس بن سعد والى عثمان بن حنيف والى ابى موسى ان يندبوا الناس الى أهل الشام ودعا أهل المدينة الى قتالهم وقال لهم ان فى سلطان الله عصمة امركم فاعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره بها والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الاسلام ثم لا ينقله اليكم ابدا حتى يأرز الامر اليها انهضوا الى هؤلاء القوم الذين يريدون تفريق جماعتكم لعل الله يصلح بكم ما افسد أهل الآفاق وتقضون الذى عليكم ✽ (خربتا بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح النون والباء الموحدة وآخره ألف)

(ذكر ابتداء امر وقعة الجمل)

فبينما هم كذلك على التجهز لاهل الشام اتاهم الخبر عن طلحة والزبير وعائشة وأهل مكة بنحو آخر وانهم على الخلاف فاعلم على الناس ذلك وان عائشة وطلحة والزبير قد سخطوا امارته ودعوا الناس الى الاصلاح وقال لهم سأصبر ما لم أخف على جماعتكم وأكف ان كفوا واقتصر على ما بلغنى ثم اتاه انهم يريدون البصرة فسره ذلك وقال ان الكوفة فيها رجال العرب وبيوتاتهم فقال له ابن عباس ان الذى سرك من ذلك ليسوءنى ان الكوفة فسطاط فيه من اعلام العرب ولا يحملهم عدة القوم ولا يزال فيها من يسمو الى امر لا يناله فاذا كان كذلك شغب على الذى قد نال ما يريد حتى تنكسر حدته فقال على ان الامر ليشبه ما تقول وتهيأ للخروج اليهم فندب أهل المدينة للمسير معهم فتثاقلوا فبعث الى عبد الله بن عمر كميلا النخعى فجاء به فدعاه الى الخروج معه فقال انما انا من أهل المدينة وقد دخلوا فى هذا الامر فدخلت معهم فان يخرجوا اخرج معهم وان يقعدوا اقعد قال فأعطنى كفيلا قال لا افعل فقال له على لولا ما اعرف من سوء خلقك صغيرا وكبيرا لانكرتنى دعه فانا كفيله فرجع ابن عمر الى المدينة وهم يقولون والله ما ندرى كيف نصنع ان الامر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضئ لنا فخرج من تحت ليلته واخبر ام كلثوم ابنة على وهى زوجة عمر بالذى سمع وانه يخرج معتمرا مقيما على طاعة على ما خلا النهوض فاصبح على فقيل له حدث الليلة حدث هو اشد من طلحة والزبير وعائشة ومعاوية قال وما ذاك قالوا خرج ابن عمر الى الشام فاتى السوق واعد الظهر والرجال وأخذ لكل طريق طلابا وماج

يحيى بن اسمعيل) وهو الذى بنى القصر بطليطلة واسكنه فبينما هو نائم اذ سمع منشدا ينشد

انبنى بناء الخالدين وانما ✽ بقاؤك فيها لو عقلت قليل
لقد كان فى ظل الاراك كفاية ✽ لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فلم يمض كثير حتى أخذت الفرنج من ولده القادر بالله طليطلة فى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وصار هو ببلنسية ثم قتله بها القاضى ابن جحاف الاحنف وأما دانية والجزائر والمرية فصارت الى ايدى العامريين الى ان انتقلت وصارت للملثمين وأما مرسية فوليها (بنو طاهر) ثم صارت الى (المعتمد بن عباد) ثم صارت للملثمين واما غرناطة فملكها (حبوس بن ماكسن) الصنهاجى ثم صارت بعد ولده للملثمين وأما مالقة فملكها (بنو على بن حمود العلوى) الى ان أخذها باديس ابن حبوس صاحب غرناطة

(الباب الرابع والعشرون فى ذكر ملوك الغرب من الملثمين أهل الفضل والهدى واليقين)

وكان أول سيرهم من اليمن فى أيام ابى بكر الصديق سيرهم الى جهة الشام ثم انتقلوا الى مصر ثم الى الغرب مع موسى بن نصير

الناس فسمعت ام كلثوم فأتت عليا فاخبرته الخبر فطابت نفسه وقال انصرفوا والله ما كذبت ولا كذب والله انه عندى ثقة فانصرفوا وكان سبب اجتماعهم بمكة ان عائشة كانت خرجت اليها وعثمان محصور ثم خرجت من مكة تريد المدينة فلما كانت بسرف لقيها رجل من اخوالها من بنى ليث يقال له عبيد بن أبى سلمة وهو ابن ام كلاب فقالت له مهيم قال قتل عثمان وبقوا ثمانيا قالت ثم صنعوا ماذا قال اجتمعوا على بيعة على فقالت ليت هذه انطبقت على هذه ان تم الامر لصاحبك ردونى ردونى فانصرفت الى مكة وهى تقول قتل والله عثمان مظلوما والله لاطلبن بدمه فقال لها ولم والله ان أول من امال حرفه لانت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر قالت انهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولى الاخير خير من قولى الاول فقال لها ابن ام كلاب

فمنك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام * وقلت لنا انه قد كفر
فهبنا اطعناك فى قتله * وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا * ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرا * يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أثوابها * وما من وفى مثل من قد غدر

فانصرفت الى مكة فقصدت الحجر فسترت فيه فاجتمع الناس حولها فقالت ايها الناس ان الغوغاء من أهل الامصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما بالامس ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه وقد استعمل امثالهم قبله ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام والله لاصبع من عثمان خير من طباق الارض امثالهم ووالله لو ان الذى اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه اذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء اى يغسل فقال عبد الله بن عامر الحضرمى وكان عامل عثمان على مكة ها أنا أول طالب فكان اول مجيب وتبعه بنو أمية على ذلك وكانوا هربوا من المدينة بعد قتل عثمان الى مكة ورفعوا رؤسهم وكان اول ما تكلموا بالحجاز وتبعهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بنى أمية وقدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير ويعلى بن أمية وهو ابن منية من اليمن ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف درهم فأناخ بالابطح وقدم طلحة والزبير من المدينة فلقيا عائشة فقالت ماوراءكما فقالا انا تحملنا هرابا من المدينة من غوغاء واعراب وفارقنا قوما حيارى لا يعرفون حقا ولا ينكرون باطلا ولا يمنعون انفسهم فقالت انهضوا الى هذه الغوغاء فقالوا نأتى الشام فقال ابن عامر قد كفاكم الشام معاوية فأتوا البصرة فان لى بها صنائع ولهم فى طلحة هوى قالوا اقبحك الله فوالله ما كنت بالمسالم ولا بالمحارب فهلا أقمت كما اقام معاوية فنكتفى بك ثم نأتى الكوفة فنسد على هؤلاء القوم المذاهب فلم يجدوا عنده جوابا مقبولا فاستقام الرأى على البصرة وقالوا لها اتركى المدينة فانا خرجنا وكان معنا من لا يطيق من بها من الغوغاء ونأتى بلدا مضيعا سيحتجون علينا ببيعة على

وأحبوا الانفراد فقد خلوا فى الصحراء واستوطنوها الى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وكان من أمرهم انهم ينتسبون الى حمير فلما كانت هذه السنة توجه رجل منهم اسمه جوهر من قبيلة جدالة الى افريقية طالبا الحج فلما عاد استصحب معه فقيها من القيروان يقال له عبد الله بن ياسين ليعلم أهل تلك البلاد دين الاسلام فانه لم يبق فيهم غير الشهادتين والصلاة فى بعضهم فتوجه عبد الله مع جوهر حتى أتيا قبيلة لمتونة وهى القبيلة التى منها يوسف ابن تاشفين أمير المسلمين ودعاهم الى العمل بشرائع الاسلام فاجاب أكثرهم وامتنع أقلهم فقال الفقيه للمجيبين يجب عليكم قتال المخالفين فأقيموا لكم اميرا فقالوا أنت اميرنا فامتنع الفقيه وقال لجوهر انت الامير فامتنع ايضا ثم اتفقا على (ابى بكر بن عمر) رأس قبيلة لمتونة فعرضا عليه فقبل وعقدت له البيعة وسماه الفقيه امير المسلمين واجتمع اليه خلق كثير وحرضهم الفقيه على الجهاد وسماهم المرابطين فقاتلوا المخالفين ثم جرى بين المرابطين وبين أهل سوس قتال شديد قتل فى ثالث الحرب الفقيه ثم سار

فتنهضهم كما انهضت أهل مكة فان أصلح الله الامر كان الذي اردنا والادفعنا بجهدنا حتى يقضي الله ما اراد فاجابتهم الى ذلك ودعوا عبد الله بن عمر ليسير معهم فابى وقال انا من أهل المدينة افعل ما يفعلون فتركوه وكان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم معها الى قصد المدينة فلما تغير رأيها الى البصرة تركن ذلك واجابتهم حفصة الى المسير معهم فمنعها أخوها عبد الله بن عمر وجهزهم يعلى بن منية بستمائة بعير وستمائة ألف درهم وجهزهم ابن عامر بمال كثير ونادى مناديها ان ام المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون الى البصرة فمن اراد اعزاز الاسلام وقتال المحلين والطلب بثار عثمان وليس له مركب وجهاز فليأت فحملوا ستمائة على ستمائة بعير وساروا في ألف وقيل في تسعمائة من أهل المدينة ومكة ولحقهم الناس فكانوا في ثلاثة آلاف رجل وبعثت ام الفضل بنت الحرث ام عبد الله بن عباس رجلا من جهينة يدعى ظفرا فاستأجرته على ان يأتي عليا بالخبر فقدم على علي بكتابها وخرجت عائشة ومن معها من مكة فلما خرجوا منها اذن مروان بن الحكم ثم جاء حتى وقف على طلحة والزبير فقال على أيكما أسلم بالامرة وأؤذن بالصلاة فقال عبد الله بن الزبير على أبي عبد الله يعني اباه الزبير وقال محمد بن طلحة على ابي محمد يعني اباه طلحة فأرسلت عائشة الى مروان وقالت له اتريد ان تفرق امرنا ليصل بالناس ابن اختي تعني عبد الله بن الزبير وقيل بل صلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد حتى قتل فكان معاذ بن عبيد يقول والله لو ظفرنا لاقتتلنا ما كان الزبير يترك طلحة والامر ولا كان طلحة يترك الزبير والامر وتبعها امهات المؤمنين الى ذات عرق فبكوا على الاسلام فلم ير يوم كان أكثر باكيا وباكية من ذلك اليوم فكان يسمى يوم النحيب فلما بلغوا ذات عرق لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بها فقال أين تذهبون وتتركون ثاركم على أعجاز الابل وراءكم يعني عائشة وطلحة والزبير اقتلوهم ثم ارجعوا الى منازلكم فقالوا نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال ان ظفرتما لمن تجعلان الامر اصدقاني قالا نجعله لاحدنا أينا اختاره الناس قال بل تجعلونه لولد عثمان فانكم خرجتم تطلبون بدمه فقالا ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لابنائهم قال فلا أراني أسعى الا لاخراجها من بني عبد مناف فرجع ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد وقال المغيرة بن شعبة الرأي ما قال سعيد من كان ههنا من ثقيف فليرجع فرجع ومضى القوم ومعهم أبان والوليد ابنا عثمان واعطى يعلى بن منية عائشة جملا اسمه عسكر اشتراه بثمانين دينارا فركبته وقيل بل كان جملها لرجل من عرينة قال العرني بينما انا أسير على جمل اذ عرض لي راكب فقال اتبيع جملك قلت نعم قال بكم قلت بألف درهم قال امجنون أنت قلت ولم والله ما طلبت عليه أحدا الا ادركته ولا طلبني وأنا عليه احد الا فته قال لو تعلم لمن نريده انما نريده لام المؤمنين عائشة فقلت خذه بغير ثمن قال بل ترجع معنا الى الرحل فنعطيك ناقة ودراهم قال فرجعت معه فأعطوني ناقة مهرية وأربعمائة درهم أو ستمائة وقالوا لي يا أخا عرينة هل لك دلالة بالطريق قلت أنا من ادل الناس قالوا فسر معنا فسرت معهم فلا امر على واد الا سألوني عنه حتى طرقنا الحوأب وهو ماء فنبحتنا كلابه فقالوا اي ماء هذا فقلت هذا ماء الحوأب فصرخت عائشة باعلى صوتها وقالت انا لله وانا اليه راجعون اني لهيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب ثم ضربت عضد

المرابطون الى سجلماسة واستولوا عليها وقتلوا صاحبها وفوضوا حكومتها الى يوسف بن تاشفين اللمتوني وكان رجلا دينا حازما ثم اجتمع طوائف المرابطين وملكوا عليهم (أبا النصر يوسف ابن تاشفين) وتلقب بأمير المؤمنين وقوي امره وعلا قدره ببلاد المغرب ولم يزل يحارب ويقاتل من يعاديه حتى توفي سنة خمسمائة وقام مكانه ابنه (علي بن يوسف) بن تاشفين وفي زمانه ظهر الموحدون وابتدأت دولتهم وفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة توفي علي المذكور وقام في الملك بعده ولده (تاشفين بن علي) ولم يزل الحرب قائما بينه وبين الملك الكبير أبي محمد حتى سقط من جرف عال قال فهلك وقتل كل من كان معه ثم ولي أخوه (اسحق بن علي) وكان صغير السن فسار اليه عبد المؤمن الموحدي فملك بلاده وقتل اسحق وهو آخر ملوك المرابطين الملثمين وكانت مدة ملكهم سبعين سنة والله سبحانه أعلم

(الباب الخامس والعشرون في ذكر دولة بني حفص ملوك تونس وافريقية وما جرى من وقائعهم مع نصارى اسبانية)

بعيرها فأناخته وقالت ردوني أنا والله صاحبة ماء الحوأب فأناخوا حولها يوما وليلة فقال لها عبد الله بن الزبير انه كذب ولم يزل بها وهي تمتنع فقال لها النجاء النجاء قد أدرككم علي بن أبي طالب فارتحلوا نحو البصرة فلما كانوا بفنائها لقيهم عمير بن عبد الله التميمي وقال يا أم المؤمنين انشدك الله ان تقدمي اليوم على قوم لن تراسلي منهم أحدا فيجلي ابن عامر فان له بها صنائع فليذهب اليهم ليلقوا الناس الى ان تقدمي ويسمعوا ما جئتم به فارسلته فاندس الى البصرة فأتى القوم وكتبت عائشة الى رجال من أهل البصرة والى الاحنف بن قيس وصبرة بن شيمان وأمثالهم وأقامت بالحفير تنتظر الجواب ولما بلغ ذلك اهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران ابن حصين وكان رجل عامة والزمه بأبي الاسود الدئلي وكان رجل خاصة وقال لهما انطلقا الى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها فخرجا فانتهيا اليها بالحفير فأذنت لهما فدخلا وسلما وقالا ان أميرنا بعثنا اليك لنسألك عن مسيرك فهل أنت مخبرتنا فقالت والله ما مثلي يغطي لبنيه الخبر ان الغوغاء ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدثوا فيه وآووا المحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما نالوا من قتل امام المسلمين بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام واحلوا البلد الحرام والشهر الحرام فخرجت في المسلمين اعلمهم ما أتى هؤلاء وما الناس فيه وراءنا وما ينبغي لهم من اصلاح هذه القصة وقرأت لا خير في كثير من نجواهم الآية فهذا شأننا الى معروف نأمركم به ومنكر ننهاكم عنه فخرج عمران وأبو الاسود من عندها فأتيا طلحة وقالا ما اقدمك فقال الطلب بدم عثمان فقالا الم تبايع عليا فقال بلى والسيف على عنقي وما استقبل عليا البيعة ان هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان ثم أتيا الزبير فقالا له مثل قولهما لطلحة وقال لهما مثل قول طلحة فرجعا الى عثمان بن حنيف ونادى مناديها بالرحيل فدخلا على عثمان فبادر ابو الاسود عمران فقال

يا ابن حنيف قد أتيت فانفر * وطاعن القوم وجالد واصبر

وابرز لهم مستلئما وشمر

فقال عثمان انا لله وانا اليه راجعون دارت رحى الاسلام ورب الكعبة فانظروا بأي زيفان نزيف فقال عمران اي والله لتعركنكم عركا طويلا فقال فاشر علي يا عمران فقال اعتزل فاني قاعد فقال عثمان بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين فانصرف عمران الى بيته وقام عثمان في أمره فأتاه هشام بن عامر فقال ان هذا الامر الذي تريده يسلم الى شر مما تكره ان هذا فتق لا يرتق وصدع لا يجبر فارفق بهم وسامحهم حتى يأتي أمر علي فأبى ونادى عثمان في الناس وأمرهم بلبس السلاح فاجتمعوا الى المسجد وأمرهم بالتجهز وأمر رجلا دسه الى الناس خدعا كوفيا قيسيا فقام فقال ايها الناس انا قيس بن العقدية الحيسي ان هؤلاء القوم ان كانوا جاؤا خائفين فقد أتوا من بلد يأمن فيه الطير وان كانوا جاؤا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلة عثمان فاطيعوني وردوهم من حيث جاؤا فقام الاسود بن سريع السعدي فقال اوزعموا انا قتلة عثمان انما أتوا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا فحصبه الناس فعرف عثمان ان لهم بالبصرة ناصرا فانكسره ذلك فاقبلت عائشة فيمن معها حتى انتهوا الى المربد فدخلوا من اعلاه

وتزعم هذه الطائفة انهم من ولد عمر بن الخطاب وجدهم المنسوبون اليه هو أبو حفص عمر صاحب ابن تومرت فلما كان سنة احدى وخمسين وخمسمائة بايع عبد المؤمن لولده محمد بولاية العهد وطلب من ابي حفص ان ينزل عن العهد لولده المذكور فأجاب ابو حفص الى خلع نفسه والبيعة لابن عبد المؤمن فصار بعده ولده (عبد الواحد بن أبي حفص) (ثم صار من بعده ابنه ابو زكريا يحيى) وتلقب بأمير المؤمنين وعظم شأنه الى ان توفي ومات بعده ابنه (محمد ابن ابي زكريا) وتلقب بالمنتصر ثم ملك بعده اخوه (يحيى بن يحيى) سبعة عشر يوما ثم بعده اخوهما (ابو اسحق ابراهيم) بن يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص ثم انتقل الملك الى رجل من أهل بجاية يقال له (محمد بن ابي عمارة) وملك أربع سنين ثم عاد الملك للحفصيين وملك منهم بعد ابن أبي عمارة ابو حفص (عمر بن يحيى) ثم ملك بعده ولده (عبد الرحمن) بن عمر المذكور وملك خمسة وعشرين يوما ثم خلع وملك بعده رجل من الحفصيين يقال له (أبو عبد الله) وكان يلقب بابي عصيدة ثم ملك بعده (ابو بكر بن عبد

ووقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه وخرج اليهم من اهل البصرة من اراد ان يخرج ومعها ما اجتمع القوم بالمربد فتكلم طلحة وهو فى ميمنة المربد وعثمان فى ميسرته فانصتوا له فحمد الله واثنى عليه وذكر عثمان وفضله وما استحل منه ودعا الى الطلب بدمه وحثهم عليه وكذلك الزبير فقال من فى ميمنة المربد صدقا وبرا وقال من فى ميسرته فجرا وغدرا وأمرا بالباطل فقد بايعا عليا ثم جاءا يقولان وتحاثى الناس وتحاصبوا وارهجوا فتكلمت عائشة وكانت جهورية الصوت فحمدت الله وقالت كان الناس يتجنون على عثمان ويزرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم فننظر فى ذلك فنجده بريا تقيا وفيا ونجدهم فجرة غدرة كذبة وهم يحاولون غير ما يظهرون فلما قووا كاثروه واقتحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام بلا ترة ولا عذر الا ان مما ينبغى لا ينبغى لكم غيره أخذ قتلة عثمان واقامة كتاب الله وقرأت ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله الآية فافترق أصحاب عثمان فرقتين فرقة قالت صدقت وبرت وقال الآخرون كذبتم والله ما نعرف ما جئتم به فتحاثوا وتحاصبوا فلما رأت عائشة ذلك انحدرت وانحدر اهل الميمنة مفارقين لعثمان بن حنيف حتى وقفوا فى المربد فى موضع الدباغين وبقى أصحاب عثمان على حالهم ومال بعضهم الى عائشة وبقى بعضهم مع عثمان وأقبل جارية بن قدامة السعدى وقال يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح انه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وابحت حرمتك انه من رأى قتالك يرى قتلك لئن كنت اتيتنا طائعة فارجعى الى منزلك وان كنت أتيتنا مكرهة فاستعينى بالناس وخرج غلام شاب من بنى سعد الى طلحة والزبير فقال اما أنت يا زبير فحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما أنت يا طلحة فوقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدك وأرى امكما معكما فهل جئتما بنسائكما قالا لا قال فانا منكم فى شئ واعتزل وقال فى ذلك

صنتم حلائلكم وقدتم امكم ◦ هذا لعمرك قلة الانصاف
أمرت بجر ذيولها فى بيتها ◦ فهوت تشق البيد بالايجاف
غرضا يقاتل دونها أبناؤها ◦ بالنبل والخطى والاسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها ◦ هذا المخبر عنهم والكافى

واقبل حكيم بن جبلة العبدى وهو على الخيل فانشب القتال واشرع أصحاب عائشة رماحهم وأمسكوا ليمسك حكيم وأصحابه فلم ينتهوا وقاتلهم وأصحاب عائشة كافون يدفعون عن أنفسهم وحكيم يذمر خيله ويركبهم بها فاقتتلوا على فم السكة وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا الى مقبرة بنى مازن وحجز الليل بينهم ورجع عثمان الى القصر وأتى اصحاب عائشة الى ناحية دار الرزق وباتوا يتأهبون وبات الناس يأتونهم واجتمعوا بساحة دار الرزق فغاداهم حكيم بن جبلة وهو يسب وبيده الرمح فقال له رجل من عبد القيس من هذا الذى تسبه قال عائشة قال يا ابن الخبيثة ألأم المؤمنين تقول هذا فطعنه حكيم فقتله ثم مر بامرأة وهو يسبها ايضا فقالت له ألأم المؤمنين تقول هذا يا ابن الخبيثة فطعنها فقتلها ثم سار فاقتتلوا بدار الرزق قتالا شديدا الى ان زال النهار وكثر القتل فى أصحاب عثمان بن حنيف وكثر الجراح فى الفريقين فلما ضمتهم الحرب تنادوا الى

الرحمن) المخلوع ثم قتل (ابو البقاء) وتولى مكانه ثم ملك بعده (ابو يحيى زكريا) اللحيانى من أولاد ابى حفص ثم ملك بلاد الغرب (ابو بكر بن يحيى) ويقال له السباع ثلث واستقر الملك بعده لولده ٣ (ابو فارس محمد عبد العزيز) بن ابى العباس أحمد وكان يمشى فى الاسواق ويتحجر ثم قتل فقام مكانه ابنه (ثابت بن محمد) فقتل واستولى الافرنج على طرابلس الغرب فجمع ابو بكر بن محمد بن ثابت جيشا وأخذ البلد عنوة فلما توفى ولى مكانه (على بن عمارة) ابن محمد بن ثابت وفى سنة ثمانمائة قبض ابو فارس على على بن عمارة واقام مكانه (يحيى بن ابى بكر) واخاه عبد الواحد الى ان استولى ابو فارس فقبض عليهما ايضا فانتهت دولة آل عمارة وفى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة توفى السلطان ابو فارس وكان حسن السيرة عدلا فى الرعية واستقر فى الملك (المنتصر ابو عبد الله محمد) ابن الامير محمد المنصور نجل عبد العزيز المتوكل ابن أبى فارس وقتل أخاه ابا الفضل وولده الفضل ومات لطول مرضه واستقر بعده شقيقه (عثمان ابن محمد) واستمر عثمان فى الملك وحسن حاله وطالت

الصلح وتوادعوا فكتبوا بينهم كتابا على ان يبعثوا رسولا الى المدينة يسأل أهلها فان كان طلحة والزبير أكرها خرج عثمان بن حنيف عن البصرة وأخلاها لهما وان لم يكونا أكرها خرج طلحة والزبير وكتبوا بينهم كتابا بذلك وسار كعب بن سور الى أهل المدينة يسألهم فلما قدمها اجتمع الناس اليه وكان يوم جمعة فقام وقال يا أهل المدينة انا رسول أهل البصرة نسألكم هل أكره طلحة والزبير على بيعة على ام أتياها طائعين فلم يجبهما أحد الا أسامة بن زيد فانه قام وقال انهما بايعا وهما كارهان فأمر به تمام بن العباس فواثبه سهل بن حنيف والناس وثار صهيب وأبو أيوب فى عدة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيهم محمد بن مسلمة حين خافوا ان يقتل أسامة فقالوا اللهم نعم فتركوه وأخذ صهيب اسامة بيده الى منزله وقال له اما وسعك ما وسعنا من السكوت قال ما كنت اظن ان الامر كما ارى فرجع كعب وبلغ عليا الخبر فكتب الى عثمان يعجزه وقال والله ما أكرها على فرقة واقد أكرها على جماعة وفضل فان كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما وان كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا وقدم الكتاب على عثمان وقدم كعب بن سور فارسلوا الى عثمان ليخرج فاحتج بالكتاب وقال هذا امر آخر غير ما كنا فيه فجمع طلحة والزبير الرجال فى ليلة مظلمة ذات رياح ومطر ثم قصدا المسجد فوافقا صلاة العشاء وكانوا يؤخرونها فابطأ عثمان فقدما عبد الرحمن بن عتاب فشهر الزط والسيابجة السلاح ثم وضعوه فيهم فاقبلوا عليهم فاقتتلوا فى المسجد فقتلوا وهم أربعون رجلا فأدخلا الرجال على عثمان فاخرجوه اليهما فما وصل اليهما وقد بقى فى وجهه شعرة فاستعظما ذلك وأرسلا الى عائشة يعلمانها الخبر فارسلت اليهما أن خلوا سبيله وقيل لما أخذ عثمان ارسلوا الى عائشة يستشيرونها فى امره فقالت اقتلوه فقالت لها امرأة أنشدك الله فى عثمان وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لهم احبسوه فقال لهم مجاشع بن مسعود اضربوه وانتفوا لحيته وحاجبيه واشفار عينيه فضربوه أربعين سوطا ونتفوا لحيته وحاجبيه واشفار عينيه وحبسوه ثم اطلقوه وجعلوا على بيت المال عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق وقد قيل فى اخراج عثمان غير ما تقدم وذلك ان عائشة وطلحة والزبير لما قدموا البصرة كتبت عائشة الى زيد بن صوحان من عائشة ام المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابنها الخالص زيد بن صوحان اما بعد فاذا أتاك كتابى هذا فاقدم فانصرنا فان لم تفعل فخذل الناس عن على فكتب اليها أما بعد فأنا ابنك الخالص ان اعتزلت ورجعت الى بيتك والا فأنا أول من نابذك وقال زيد رحم الله ام المؤمنين أمرت ان تلزم بيتها وأمرنا ان نقاتل فتركت ما أمرت به وأمرتنا به وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه وكان على البصرة عند قدومها عثمان بن حنيف فقال لهم ما نقمتم على صاحبكم فقالوا لم نره اولى بها منا وقد صنع ما صنع قال فان الرجل أمرنى فاكتب اليه فاعلمه ما جئتم به على ان اصلى أنا بالناس حتى يأتينا كتابه فوقفوا عنه فكتب فلم يلبث الا يومين او ثلاثة حتى وثبوا على عثمان عند مدينة الرزق فظفروا به وارادوا قتله ثم خشوا غضب الانصار فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه وضربوه وحبسوه وقام طلحة والزبير خطيبين فقالا يا اهل البصرة توبة بحوبة انما أردنا ان نستعتب امير المؤمنين عثمان فغلب السفهاء الحلماء فقتلوه فقال الناس لطلحة يا ابا محمد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا فقال الزبير هل جاءكم منى كتاب فى شأنه ثم ذكر قتل عثمان واظهر عيب على

مدته وتوفى وتولى مكانه حفيده (يحيى بن مسعود) واستقام امره وأظهر العدل ومشى على سيرة جده أبى فارس وكان شحيحا بالاموال فابغضه العسكر بسبب ذلك فلما خرج عليه عبد المؤمن واشتد الحرب بينهما انعزل الجند من عند يحيى فبقى هو وجماعة وكان يقاتل بنفسه ويقول انا يحيى الغريب فقتل وقتل معه عدة من جماعته وملك تونس بعده (عبد المؤمن) ابن ابراهيم بن عثمان واستقر بكرسيها واحسن السيرة بأهلها ثم تولى أخوه (زكريا) وفى سنة تسع وتسعين وثمانمائة وقع فناء عظيم ومات زكريا مع جملة من مات وتولى السلطنة (محمد ابن الحسن) وكان مشتغلا عن أمور الملك باللهو وشرب الخمر (وفى ايامه) فى سنة ست عشرة وتسعمائة استولى الافرنج على وهرانه ثم على بجاية ثم على طرابلس وبقيت فى أيديهم مدة اثنتين وأربعين سنة حتى أخذها منهم سنان باشا اخو الوزير الاعظم رستم باشا وزير المرحوم السلطان سليمان من بنى عثمان عام ثمانية وخمسين وتسعمائة فلما مات محمد بن الحسن بعد ان ملك أكثر من ثلاثين

فقام اليه رجل من عبد القيس فقال أيها الرجل انصت حتى نتكلم فانصت فقال العبدى يا معشر المهاجرين انتم اول من اجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان لكم بذلك فضل ثم دخل الناس فى الاسلام كما دخلتم فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعتم رجلا منكم فرضينا وسلمنا ولم تستأمرونا فى شىء من ذلك فجعل الله للمسلمين فى امارته بركة ثم مات واستخلف عليكم رجلا فلم تشاورونا فى ذلك فرضينا وسلمنا فلما توفى جعل أمركم الى ستة نفر فاخترتم عثمان وبايعتموه عن غير مشورة منا ثم انكرتم منه شيأ فقتلتموه عن غير مشورة منا ثم بايعتم عليا عن غير مشورة منا فما الذى نقمتم عليه فنقاتله هل استأثر بفىء او عمل بغير الحق او أتى شيأ تنكرونه فنكون معكم عليه والا فما هذا فهموا بقتل ذلك الرجل فمنعته عشيرته فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من معه فقتلوا منهم سبعين وبقى طلحة والزبير بعد اخذ عثمان بالبصرة ومعهم بيت المال والحرس والناس معهما ومن لم يكن معهما استتر وبلغ حكيم بن جبلة ما صنع بعثمان بن حنيف فقال لست اخاف الله ان لم أنصره فجاء فى جماعة من عبد القيس ومن تبعه من ربيعة وتوجه نحو دار الرزق وبها طعام اراد عبد الله بن الزبير ان يرزقه اصحابه فقال له عبد الله مالك يا حكيم قال نريد أن نرتزق من هذا الطعام وان تخلوا عثمان فيقيم فى دار الامارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدم على وايم الله لو اجد اعوانا عليكم ما رضيت بهذه منكم حتى اقتلكم بمن قتلتم ولقد أصبحتم وان دماءكم لنا لحلال بمن قتلتم اما تخافون الله بم تستحلون الدم الحرام قال بدم عثمان قال فالذين قتلتم هم قتلوا عثمان اما تخافون مقت الله فقال له عبد الله لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلى سبيل عثمان حتى تخلع عليا فقال حكيم اللهم انك حكم عدل فاشهد وقال لاصحابه لست فى شك من قتال هؤلاء القوم فمن كان فى شك فلينصرف وتقدم فقاتلهم فقال طلحة والزبير الحمد لله الذى جمع لنا ثارنا من أهل البصرة اللهم لا تبق منهم أحدا فاقتتلوا قتالا شديدا ومع حكيم أربعة قواد فكان حكيم بحيال طلحة وذريح بحيال الزبير وابن المحترش بحيال عبد الرحمن بن عتاب وحرقوص بن زهير بحيال عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فزحف طلحة لحكيم وهو فى ثلثمائة رجل وجعل حكيم يضرب بالسيف ويقول

اضربهم باليابس * ضرب غلام عابس
من الحياة آيس * فى الغرفات نافس

فضرب رجل رجله فقطعها فحبا حتى اخذها فرمى بها صاحبه فصرعه وأتاه فقتله ثم اتكأ عليه وقال

يا ساق لن تراعى * ان معى ذراعى * احمى بها كراعى

وقال ايضا

ليس على أن اموت عار * والعار فى الناس هو الفرار
* والمجد لا يفضحه الدمار *

فأتى عليه رجل وهو رثيث رأسه على آخر فقال مالك يا حكيم قال قتلت قال من قتلك قال وسادتى فاحتمله وضمه فى سبعين من اصحابه وتكلم يومئذ حكيم وانه لقائم على رجل واحدة وان السيوف لتأخذهم وما يتتعتع ويقول انا خلفنا هذان وقد بايعا عليا واعطياه الطاعة ثم اقبلا

سنة تولى مكانه ولده (السلطان حسن) وكان خلف ابوه خمسا وأربعين ذكرا فلما تسلطن الحسن وضع فيهم السيف وقتلهم عن آخرهم ولم يفلت منهم الا اخواه الرشيد وعبد المؤمن وكانا غائبين ثم ان الحسن رام قتل الرشيد فاستشعر ولحق ببعض احياء العرب واشتغل الحسن باللهو وجمع من الملاهى ما يزيد على أربعمائة شاب أمرد يفسق بهم فشق ذلك على أهل البلد وطلبوا منه ترك ذلك حتى رجموا داره بالحجارة فأبى ان يترك فنفرت عنه القلوب فارسلوا الى الرشيد ليملكوه فلم يمكن فتقدم الرشيد الى خير الدين باشا صاحب الجزائر والتجأ اليه فلما علم ذلك السلطان حسن شق عليه وأرسل الى السلطان سليمان يشكو من خير الدين باشا انه آوى أخاه وارسل صحبة الرسول اموالا وتحفا فأجاب اليه السلطان بالوعد وقال طب نفسا فانا نأمر خير الدين باشا باستصحاب أخيك معه فاذا حصل اخوك عندنا أودعناه عندنا وما نخليه يعود الى بلادك ابدا فلما قدم خير الدين باشا الى السلطان ومعه الرشيد عين له السلطان كل يوم خمسمائة درهم جامكية ومن الا كل

هذا فين مخار بين يطلبان بدم عثمان ففرقا بيننا ونحن أهل دار وجوار اللهم انهما لم يريدا عثمان فناداه منادياخبيث جزعت من انصبك وأصحابك حين عضك نكال الله بما ركبتم من الامام المظلوم وفرقتم الجماعة وأصبتم من الدماء فذق وبال الله وانتقامه الى كلام وقتلوا وقتل معهم قتله يزيد بن الاسحم الحدانى فوجد حكيم قتيلا بين يزيد وأخيه كعب وقيل قتله رجل يقال له ضخيم وقتل معه ابنه الاشرف وأخوه الرعل بن جبلة ولما قتل حكيم ارادوا قتل عثمان بن حنيف فقال لهم اما ان سهلا بالمدينة فان قتلتمونى انتصر فخلوا سبيله فقصد عليا وقتل ذريح ومن معه وافلت حرقوص بن زهير فى نفر من أصحابه فلجؤا الى قومهم فنادى منادى طلحة والزبير من كان فيهم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم فجيء بهم فقتلوا ولم ينج منهم الا حرقوص بن زهير فان عشيرته بنى سعد منعوه وكان منهم فنالهم من ذلك أمر شديد وضربوا فيه اجلا وخشنوا صدور بنى سعد وكانوا عثمانية فاعتزلوا وغضبت عبد القيس حين غضبت سعد لمن قتل منهم بعد الوقعة ومن كان هرب اليهم الى ما هم عليه من لزوم الطاعة لعلى فأمر طلحة والزبير للناس باعطياتهم وأرزاقهم وفضلا اهل السمع والطاعة فخرجت عبد القيس وكثير من بكر بن وائل حين منعوهم الفضول فبادروهم الى بيت المال وأكب عليهم الناس فأصابوا منهم وخرجوا حتى نزلوا على طريق على واقام طلحة والزبير وليس معهما ثأر الا حرقوص بن زهير وكتبوا الى أهل الشام بما صنعوا وصاروا اليه وكتبت عائشة الى اهل الكوفة بما كان منهم وتأمرهم ان يثبطوا الناس عن على وتحثهم على طلب قتلة عثمان وكتبت الى اهل اليمامة والى أهل المدينة بما كان منهم ايضا وسيرت الكتب وكانت هذه الوقعة لخمس ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وبايع أهل البصرة طلحة والزبير فلما بايعوهما قال الزبير الا ألف فارس اسير بهم الى على اقتله بياتا اوصباحا قبل ان يصل الينا فلم يجبه أحد فقال ان هذه للفتنة التى كنا نحدث عنها فقال له مولاه أتسميها فتنة وتقاتل فيها قال ويلك انا نبصر ولا نبصر ما كان امر قط الا وأنا اعلم موضع قدمى فيه غير هذا الامر فانى لا ادرى أمقبل انا فيه ام مدبر وقال علقمة بن وقاص الليثى لما خرج طلحة والزبير وعائشة رأيت طلحة واحب المجالس اليه أخلاها وهو ضارب بلحيته على صدره فقلت يا ابا محمد أرى احب المجالس اليك اخلاها وأنت ضارب بلحيتك على صدرك ان كرهت شيأ فاجلس قال فقال لى ياعلقمة بينا نحن يد واحدة على من سوانا اذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضا انه كان منى فى عثمان شئ ليس توبتى الا ان يسفك دمى فى طلب دمه قال فقلت فرد ابنك محمدا فان لك ضيعة وعيالا فان يك شئ يخلفك قال فامنعه قال فأتيت محمدا ابنه فقلت له لو أقمت فان حدث به حدث كنت تخلفه فى عياله وضيعته قال ما احب ان اسأل عنه الركبان

(يعلى ابن منية بضم الميم وسكون النون والياء المعجمة باثنتين من تحتها وهى امه واسم أبيه أمية عبد الله بن خالد بن اسيد بفتح همزة اسيد جارية بن قدامة بالجيم حكيم بن جبلة بضم الحاء وفتح الكاف وقيل بفتح الحاء وكسر الكاف وصوحان بضم الصاد وآخره نون)

(ذكر مسير على الى البصرة والوقعة)

قد ذكرنا فيما تقدم تجهز على الى الشام فبينما هو على ذلك اتاه الخبر عن طلحة والزبير وعائشة من مكة بما عزموا عليه فلما بلغه ذلك دعا وجوه أهل المدينة وخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان

مايكفيه ثم ان خير الدين
باشا عرض على السلطان
بأن العمارة لا تطيق ان
تخرج من هنا وتسير مسافة
أشهر ثم تجتمع بالكفار
ولابد ان تنشؤا عمارتكم
قريب بلاد الكفار ثم تسير
منها الى حيث تشاء فما ثم
موضع تسع فيه عمارتكم
غير مينا حلق الوادى امام
تونس فقال السلطان كيف
يمكن ذلك مع الحسن وهو امام
بلاد تونس فقال ان اهل تونس
متضجرون من سلطانهم
وهذا أخوه الرشيد عندنا
والناس يحبونه ويطيعونه
فان امر السلطان سرت
بالعمارة وذكرت لاهل تونس
ان الرشيد معنا فتملك تونس
مع اتفاق من أهله اتكون
البلاد كلها للسلطان فقال
السلطان نعم الرأى فسار
خير الدين باشا بعمارة عظيمة
ودخل حلق الوادى وارسى
بمينا ها وارسل الى أهل تونس
يخبرهم بقدوم الرشيد وانهم
جاؤا مددا له ليملكوه البلاد
فلما بلغ ذلك أهل تونس قاموا
قومة واحدة وقالوا الله
ينصر السلطان رشيد
وساروا نحو العمارة فلما
تيقن الحسن بالقصة أخذ
اهل بيته واقاربه واموال
فهرب الى اخواله مشايخ
العرب فقام خير الدين باشا
وهو يظهر ان الرشيد معه

آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح أوله فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم امركم فتثاقلوا فلما رأى زياد بن حنظلة تثاقل الناس انتدب الى علي وقال له من تثاقل عنك فانا نخف معك فنقاتل دونك وقام رجلان صالحان من أعظم الانصار أحدهما ابو الهيثم بن التيهان وهو بدري والثاني خزيمة بن ثابت قيل هو ذو الشهادتين وقال الحكم ليس بذي الشهادتين مات ذو الشهادتين ايام عثمان فأجابه الى نصرته قال الشعبي ما نهض في تلك الفتنة الا ستة نفر بدريون ما لهم سابع وقال سعيد بن زيد ما اجتمع اربعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لخير يعملونه الا وعلي احدهم قيل وقال ابو قتادة الانصاري لعلي يا امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلدني هذا السيف وقد أغمدته زمانا وقد حان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين يألون الامة غشا وقد أحببت ان تقدمني فقدمني وقالت أم سلمة يا امير المؤمنين لولا ان اعصي الله وانك لا تقبله مني لخرجت معك وهذا ابن عمي وهو والله أعز علي من نفسي يخرج معك ويشهد مشاهدك فخرج معه وهو لم يزل معه واستعمله علي على البحرين ثم عزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي فلما أراد علي المسير الى البصرة وكان يرجو ان يدرك طلحة والزبير فيردهما قبل وصولهما الى البصرة او يوقع بهما فلما سار استخلف على المدينة تمام بن العباس وعلى مكة قثم بن العباس وقيل امّر على المدينة سهل بن حنيف وسار علي من المدينة في تعبيته التي تعبأها لاهل الشام آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين فقالت اخت علي بن عدي من بني عبد شمس

لاهمّ فاعقر بعلي جمله ۞ ولا تبارك في بعير حمله

۞ الا علي بن عدي ليس له ۞

وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في تسعمائة وهو يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج او يأخذهم فلقيه عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه وقال يا أمير المؤمنين لا تخرج منها فوالله ان خرجت منها لا يعود اليها سلطان المسلمين ابدا فسبوه فقال دعوا الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وسار حتى انتهى الى الربذة فلما انتهى اليها اتاه خبر سبقهم فاقام بها يأتمر ما يفعل وأتاه ابنه الحسن في الطريق فقال له لقد أمرتك فعصيتني فتقتل غدا بمضيعة لا ناصر لك فقال له علي انك لا تزال تحن حنين الجارية وما الذي أمرتني فعصيتك قال أمرتك يوم أحيط بعثمان ان تخرج من المدينة فيقتل ولست بها ثم امرتك يوم قتل ان لا تبايع حتى تأتيك وفود العرب وبيعة اهل كل مصر فانهم لن يقطعوا أمرا دونك فأبيت علي وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان ان تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فان كان الفساد كان على يد غيرك فعصيتني في ذلك كله فقال أي بني اما قولك لو خرجت من المدينة حتى أحيط بعثمان فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به واما قولك لا تبايع حتى يبايع اهل الامصار فان الامر امر اهل المدينة ۞ وكرهنا ان يضيع هذا الامر ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أرى احدا أحق بهذا الامر مني فبايع الناس ابو بكر الصديق فبايعته ثم ان ابا بكر انتقل الى رحمة الله وما أرى احدا احق بهذا الامر مني فبايع الناس عمر فبايعته ثم ان عمر انتقل الى رحمة الله وما ارى احدا احق بهذا الامر مني فجعلني سهما من ستة اسهم فبايع الناس عثمان فبايعته ثم سار الناس الى عثمان فقتلوه وبايعوني طائعين غير مكرهين فانا مقاتل من خالفني بمن

فدخل البلد واستولى على التخت وقتل بعض مشايخ المتعصبين غيلة ثم تحقق أهل البلد بأن الرشيد ما جاء واغتالهم حيلة عملها خير الدين باشا فثاروا على خير الدين باشا وقاتلوه وقتل من أهل تونس ما يزيد على ثلاثين الف نفس ما بين رجل وامرأة ثم كف عنهم خير الدين باشا وصالحهم ولما بلغ الحسن ذلك اغار في بعض الليالي على البلد فقتل من العثمانية المقيمين بها نحو ألف وثلثمائة نفس ثم ركب البحر وسار الى اسبانية واستنجد من ملكهم على خير الدين باشا وقال أنت تعلم انا من بيت ملك قديم وان خير الدين حرامي جاءنا وأخرجنا عن ملكنا المالية وانه ان تمكن هناك مدة قطع عليكم مراكب الميرة والتجارة فيحصل لكم بذلك منه مضرة عظيمة فأجابه ملك اسبانية الى مسؤله ووعده النصر وعين له كل يوم أربعة آلاف دينار خرجي لما كان وكان مكثه عنده سبعة أيام ثم سار بعمارة كبيرة نحو أربعمائة غراب فنازل تونس فلما رأى اهل تونس ما حل بهم من البلاء العظيم استأنسوا مع خير الدين باشا واطاعوه واتفقوا معه على ان لا يخرج هو من

أطاعني حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وأما قولك ان أجلس في بيتي حين خرج طلحة والزبير فكيف لي بما قد لزمني أو من تريدني أتريدني ان أكون كالضبع التي يحاط بها ويقال ليست ههنا حتى يحل عرقوباها (٣) حتى تخرج واذا لم انظر فيما يلزمني من هذا الامر ويعنيني فمن ينظر فيه فكف عنك يا بني ولما قدم على الربذة وسمع بها خبر القوم أرسل منها الى الكوفة محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن جعفر وكتب اليهم اني اخترتكم على الامصار وفزعت اليكم لما حدث فكونوا لدين الله اعوانا وانصارا وانهضوا الينا فالاصلاح نريد لتعود هذه الامة اخوانا فمضيا وبقي على بالربذة وأرسل الى المدينة فأتاه ما يريده من دابة وسلاح وأمر أمره وقام في الناس فخطبهم وقال ان الله تبارك وتعالى أعزنا بالاسلام ورفعنا به وجعلنا به اخوانا بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد فجرى الناس على ذلك ما شاء الله الاسلام دينهم والحق فيهم والكتاب امامهم حتى اصيب هذا الرجل بايدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الامة الا ان هذه الامة لابد مفترقة كما افترقت الامم قبلها فنعوذ بالله من شر ما هو كائن * ثم عاد ثانية وقال انه لابد مما هو كائن ان يكون الا وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة شرها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملي وقد أدركتم ورأيتم فالزموا دينكم واهدوا بهديي فانه هدى نبيكم واتبعوا سنته وأعرضوا عما أشكل عليكم حتى تعرضوه على القرآن فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه وارضوا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن حكما واماما فلما أراد المسير من الربذة الى البصرة قام اليه ابن لرفاعة بن رافع فقال يا أمير المؤمنين اي شئ تريد وأين تذهب بنا فقال أما الذي نريد وننوي فالاصلاح ان قبلوا منا وأجابونا اليه قال فان لم يجيبونا اليه قال ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر قال فان لم يرضوا قال ندعهم ما تركونا قال فان لم يتركونا قال امتنعنا منهم قال فنعم اذن وقام الحجاج بن غزية الانصاري فقال لارضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول وقال

دراكها دراكها قبل الفوت * فانفر بنا واسم بنا نحو الصوت

* لا ازلت نفسي ان تكرهت الموت *

والله لننصرن الله كما سمانا انصارا ثم أتاه جماعة من طيئ وهو بالربذة فقيل لعلي هذه جماعة قد أتتك منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد التسليم عليك قال جزى الله كلهما خيرا وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما فلما دخلوا عليه قال لهم ما شهدتمونا به قالوا شهدناك بكل ما تحب فقال جزاكم الله خيرا فقد أسلمتم طائعين وقاتلتم المرتدين ووافيتم بصدقات المسلمين فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال يا امير المؤمنين ان من الناس من يعبر لسانه عما في قلبه واني والله ما أجد لساني يعبر عما في قلبي وسأجهد وبالله التوفيق اما انا فسأنصح لك في السر والعلانية واقاتل عدوك في كل موطن وأرى من الحق لك ما لا أراه لاحد غيرك من اهل زمانك لفضلك وقرابتك فقال رحمك الله قد أدى لسانك عما يجن ضميرك فقتل معه بصفين وسار على من الربذة وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح والراية مع محمد ابن الحنفية وعلى على ناقة حمراء يقود فرسا كميتا فلما نزل بفيد أتته أسد وطيئ فعرضوا عليه انفسهم فقال الزموا قراركم في المهاجرين كفاية وأتاه رجل بفيد من الكوفة فقال له من الرجل قال عامر بن مطر الشيباني قال اخبرني عما وراءك فاخبره فسأله عن ابي موسى فقال ان اردت الصلح فأبو موسى

البلد وهم يخرجون ويقاتلون عن دينهم وعن أنفسهم فاستمر القتال بين الفريقين نحو أحد وثلاثين يوما ثم اتفق ان اشتاقت نفس خير الدين باشا الى الخروج من البلد والقتال مع الكفار فنزل من القلعة وفوض أمرها الى قائده الكبير جعفر اغا وكان افرنجيا بطن الكفر وكان في البلد محبوس خير الدين باشا من الاسارى نحو أربعين الف نفر فقام جعفر اغا المذكور فاطلقهم من الحبس ومكنهم من القلعة واسوارها ومدافعها فصار المسلمون بين عدوين المدافع من البلد والسيف من امامهم فانهزموا أقبح هزيمة فصاروا اما عرضة السيف واما هلكة تحت سنابك الخيل والهاربون هلك غالبهم من العطش ودخل ملك اسبانية البلد واجلس الحسن على التخت واعطاه الحسن نفائس الاموال واعطاه من اسارى المسلمين ما يزيد على سبعين الف نفس ممن يتهم بموالاة الرشيد ثم التمس الحسن ان يؤخر عنده نحو اربعة آلاف افرنجي يقيمون عند حلق الوادي ويبنوا هنالك معقلا وذلك في حدود سنة أربعين وتسعمائة تقريبا ثم كثروا وبنوا مدينة

صاحبه وان أردت القتال فليس بصاحبه فقال علىّ والله ما أريد الا الصلح حتى يرد علينا ولما نزل على الثعلبية أتاه الذى لقى عثمان بن حنيف وحرسه فاخبر أصحابه الخبر فقال اللهم عافنى مما ابتليت به طلحة والزبير فلما انتهى الى الاساد أتاه ما لقى حكيم بن جبلة وقتلة عثمان فقال الله أكبر اما ينجينى من طلحة والزبير ان اصابا ثارهما وقال

دعا حكيم دعوة الزماع * حل بها منزلة النزاع

فلما انتهى الى ذى قار أتاه فيها عثمان بن حنيف وليس فى وجهه شعرة وقيل أتاه بالربذة وكانوا قد نتفوا شعر رأسه ولحيته على ما ذكرناه فقال يا امير المؤمنين بعثتنى ذا لحية وقد جئتك امرد فقال اصبت اجرا وخيرا ان الناس وليهم قبلى رجلان فعملا بالكتاب والسنة ثم وليهم ثالث فقالوا وفعلوا ثم بايعونى وبايعنى طلحة والزبير ثم نكثا بيعتى وألبا الناس علىّ ومن العجب انقيادهما لابى بكر وعمر وعثمان وخلافهما علىّ والله انهما ليعلمان انى لست بدون رجل ممن تقدم اللهم فاحلل ما عقدا ولا تبرم ما أحكما فى انفسهما وارهما المساءة فيما قد عملا وأقام بذى قار ينتظر محمدا ومحمدا فأتاه الخبر بما لقيت ربيعة وخروج عبد القيس فقال عبد القيس خير ربيعة وفى كل ربيعة خير وقال

يا لهف ما نفسى على ربيعه * ربيعة السامعة المطيعه

قد سبقتنى فيهم الوقيعه * دعا على دعوة سميعه

* حلوا بها المنزلة الرفيعه *

وعرضت عليه بكر بن وائل فقال لها ما قال لطيئ واسد واما محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر فأتيا اباموسى بكتاب على وقاما فى الناس بأمره فلم يجابا الى شئ فلما امسوا دخل ناس من اهل الحجى على أبى موسى فقالوا ما ترى فى الخروج فقال كان الراى بالامس ليس اليوم ان الذى تهاونتم فيما مضى هو الذى جر عليكم ما ترون انما هما امران القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا فاختاروا فلم ينفر اليه أحد فغضب محمد ومحمد واغلظا لابى موسى فقال لهما والله ان بيعة عثمان لفى عنقى وعنق صاحبكما فان لم يكن بد من قتال لا نقاتل احدا حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا فانطلقا الى على فاخبراه الخبر وهو بذى قار فقال للاشتر وكان معه أنت صاحبنا فى أبى موسى والمعترض فى كل شئ اذهب أنت وابن عباس فاصلح ما افسدت فخرجا فقدما الكوفة فكلما أباموسى واستعانا عليه بنفر من أهل الكوفة فقام لهم ابو موسى وخطبهم وقال ايها الناس ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه اعلم بالله وبرسوله ممن لم يصحبه وان لكم علينا حقا وانا مؤد اليكم نصيحة كان الرأى ان لا تستخفوا بسلطان الله وان لا تجترؤا على الله وان تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم اليها حتى يجتمعوا فهم أعلم بمن تصلح له الامامة وهذه فتنة صماء النائم فيها خير من اليقظان واليقظان خير من القاعد والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب والراكب خير من الساعى فكونوا جرثومة من جراثيم العرب فاغمدوا السيوف وانصلوا الاسنة واقطعوا الاوتار وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الامر وتنجلى هذه الفتنة فرجع ابن عباس والاشتر الى على فاخبراه الخبر فأرسل ابنه الحسن وعمار بن ياسر وقال لعمار انطلق فاصلح ما افسدت فاقبلا حتى دخلا المسجد وكان أول

سورة حتى تضربهم ثم انقلق كانه فكان الحسن هو الذى صار سبب القرار الكفار هنالك ثم ان الحسن لما اطمأنت به الدار وحصل له القرار خرج من البلد الى قتال صاحب قيروان رجل يقال له ابن الخطيب وكان يعاديه وخلف فى تونس ولده حميدة فلما بعد الحسن قام أهل البلد وجاؤا الى حميدة وقالوا لا يخفى عليك ما حل بنا من جهة ابيك المشؤم فان كان لك حاجة بالملك فنحن نبايعك والا دعونا نعمل عبد الملك فبايعناه فلما رأى حميدة منهم الجد رضى بذلك فبايعوه وقلدوه الامر ولما بلغ الحسن ذلك ترك ابن الخطيب وركب البحر وعاد الى اسبانية ثانيا فقام من اسبانية بعمارة عظيمة وارسى فى حلق الوادى ونازل تونس فخرج حميدة ومعه وجوه العرب فقاتلوا اسبانية قتالا عظيما حتى افنوا اغالبهم بالقتل وهرب الحسن فظفر به بعض أهل تونس فاتوا به الى حميدة فحبسه ثم هجم عليه اهل البلد فقالوا لا بد من سمل عينيه فسملوا واستمر فى الحبس حتى مات وكان حميدة حميد الفعال فى أول امره ثم تغير وظلم ومد النظر الى حريم الناس على عكس ما كان ابوه يفعله حتى اجتمع عندها كثر

من أتاهما المسروق بن الاجدع فسلم عليهما وأقبل على عمار فقال يا أبا اليقظان علام قتلتم عثمان قال على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا قال فوالله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لكان خير الصابرين فخرج أبو موسى فلقى الحسن فضمه اليه وأقبل على عمار فقال يا أبا يقظان اعدوت على امير المؤمنين فيمن عدا فأحللت نفسك مع الفجار فقال لم افعل ولم يسؤنى فقطع الحسن عليهما الكلام وأقبل على ابى موسى فقال له لم تثبط الناس عنا فوالله ما اردنا الا الاصلاح ولا مثل امير المؤمنين يخاف على شئ فقال صدقت بابى انت وامى ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشى والماشى خير من الراكب وقد جعلنا الله اخوانا وقد حرم علينا دماءنا وأموالنا فغضب عمار وسبه وقام وقال يا أيها الناس انما قال له وحده أنت فيها قاعد خير منك قائما فقام رجل من بنى تميم فسب عمارا وقال أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا وثار زيد بن صوحان وطبقته وثار الناس وجعل أبو موسى يكفكف الناس ووقف زيد على باب المسجد ومعه كتاب اليه من عائشة تأمره فيه بملازمة بيته أو نصرتها وكتاب الى أهل الكوفة بمعناه فأخرجهما فقرأهما على الناس فلما فرغ منهما قال أمرت ان تقر فى بيتها وأمرنا ان نقاتل حتى لا تكون فتنة فأمرتنا بما أمرت به وركبت ما أمرنا به فقال له شبث بن ربعى يا عمانى لانه من عبد القيس وهم يسكنون عمان سرقت بجلولاء فقطعت يدك وعصيت أم المؤمنين وتهاوى الناس وقام أبو موسى وقال أيها الناس أطيعونى وكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوى اليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف ان الفتنة اذا أقبلت فقد شبهت فاذا أدبرت بينت وان هذه الفتنة فاقرة كداء البطن تجرى بها الشمال والجنوب والصبا والدبور تذر الحليم وهو حيران كابن امس شيموا سيوفكم وقصدوا رماحكم وقطعوا أوتاركم والزموا بيوتكم خلوا قريشا اذا أبوا الا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم بالامراء استنصحونى ولا تستغشونى أطيعونى يسلم لكم دينكم ودنياكم ويشقى بحر هذه الفتنة من جناها فقام زيد فشال يده المقطوعة فقال يا عبد الله بن قيس رد الفرات على ادراجه اردده من حيث يجئ حتى يعود كما بدأ فان قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد فدع عنك ما لست مدركه سيروا الى امير المؤمنين وسيد المسلمين انفروا اليه أجمعين تصيبوا الحق فقام القعقاع بن عمرو فقال انى لكم ناصح وعليكم شفيق أحب لكم ان ترشدوا ولاقولن لكم قولا هو الحق أما ما قال الامير فهو الحق لو أن اليه سبيلا وأما ما قال زيد فزيد عدو هذا الامر فلا تستنصحوه والقول الذى هو الحق انه لا بد من امارة تنظم الناس وتزع الظالم وتعز المظلوم وهذا أمير المؤمنين ولى بما ولى وقد أنصف فى الدعاء وانما يدعو الى الاصلاح فانفروا وكونوا من هذا الامر بمرأى ومسمع وقال عبد الخير الخيوانى يا أبا موسى هل بايع طلحة والزبير قال نعم قال هل أحدث على ما يحل به نقض بيعته قال لا أدرى قال لا دريت نحن نتركك حتى تدرى هل تعلم أحدا خارجا من هذه الفتنة انما الناس أربع فرق على بظهر الكوفة وطلحة والزبير بالبصرة ومعاوية بالشأم وفرقة بالحجاز لا غناء بها ولا يقاتل بها عدو فقال أبو موسى اولئك خير الناس وهى فتنة فقال عبد الخير غلب عليك غشك يا أبا موسى فقال سيحان بن صوحان أيها الناس لا بد لهذا الامر وهؤلاء الناس من وال يدفع الظالم ويعز

من ثمانمائة امرأة من بنات الناس وامتدت أيامه حتى بلغ خمسا وعشرين سنة وثلاثة أشهر ونصفا فلما كان أول شهر حميدة خرج من تونس الى قتال بعض أحياء العرب فلما أبعد عن البلد أرسل أهلها الى نائب الجزائر قلج على باشا بتسليم البلد اليه فقام قلج على باشا فدخل تونس واستولى على أموال حميدة وكانت عظيمة على ما يحكى وخطب بها وبجميع بلاد افريقية باسم السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان من آل عثمان وكان ذلك فى أواخر شوال سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ثم ان حميدة جاء بمقدار عشرة آلاف وثمانمائة رجل يريد قتال على باشا فخرج اليه على باشا فقاتله وهزمه واستقر قدم على باشا فى المملكة ثم انه أقام رجلا مكانه وسار حتى لحق بعمارة السلطان فى البحر وكانوا عازمين على ملاقاة عمارة الكفار ثم ان حميدة استمد من اسبانية كما هو دأب اسلافه فامدوه بعمارة كثيرة نحو مائة وخمسين غرابا فنازلوا تونس فلما أحس نائب تونس حيدر باشا بغلبة الكفار خرج هو وأهل البلد جميعا الى جهة قيروان

المظلوم ويجمع الناس وهذا اليكم يدعوكم لتنظروا فيما بينه وبين صاحبيه وهو المأمون على الامة الفقيه في الدين فمن نهض اليه فانا سائرون معه فلما فرغ سحبان قال عمار هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنفركم الى زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى طلحة والزبير واني اشهد انها زوجته في الدنيا والآخرة فانظروا ثم انظروا في الحق فقاتلوا معه فقال له رجل انا مع من شهدت له بالجنة على من لم تشهد له فقال له الحسن اكفف عنا فان للاصلاح اهلا وقام الحسن بن علي فقال أيها الناس أجيبوا دعوة أميركم وسيروا الى اخوانكم فانه سيوجد الى هذا الامر من ينفر اليه والله لأن يليه اولوا النهى امثل في العاجل والآجل وخير في العاقبة فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم وان أمير المؤمنين يقول قد خرجت مخرجي هذا ظالما أو مظلوما واني اذكر الله رجلا رعى حق الله الا نفر فان كنت مظلوما اعانني وان كنت ظالما اخذ مني والله ان طلحة والزبير لاول من بايعني واول من غدر فهل استأثرت بمال او بدلت حكما فانفروا وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فسامح الناس وأجابوا ورضوا وأتى قوم من طيء عدي بن حاتم فقالوا ماذا ترى وما تأمر فقال قد بايعنا هذا الرجل وقد دعانا الى جميل والى هذا الحدث العظيم لننظر فيه ونحن سائرون وناظرون فقام هند بن عمرو فقال ان أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل الينا رسله حتى جاءنا ابنه فاسمعوا الى قوله وانتهوا الى أمره وانفروا الى أميركم فانظروا معه في هذا الامر وأعينوه برأيكم وقام حجر بن عدي فقال أيها الناس أجيبوا أمير المؤمنين وانفروا خفافا وثقالا مروا وانا أولكم فاذعن الناس للمسير فقال الحسن أيها الناس اني غاد فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر ومن شاء في الماء فنفر معه قريب من تسعة آلاف أخذ في البر ستة آلاف ومائتان وأخذ في الماء الفان واربعمائة وقيل ان عليا ارسل الاشتر بعد ابنه الحسن وعمار الى الكوفة فدخلها والناس في المسجد وابو موسى يخطبهم ويثبطهم والحسن وعمار معه في منازعة وكذلك سائر الناس كما تقدم فجعل الاشتر لا يمر بقبيلة فيها جماعة الا دعاهم ويقول اتبعوني الى القصر فانتهى الى القصر في جماعة الناس فدخله وابو موسى في المسجد يخطبهم ويثبطهم والحسن يقول له اعتزل عملنا لا أم لك وتنح عن منبرنا وعمار ينازعه فأخرج الاشتر غلمان ابي موسى من القصر فخرجوا يعدون وينادون يا ابا موسى هذا الاشتر قد دخل القصر فضربنا وأخرجنا فنزل ابو موسى فدخل القصر فصاح به الاشتر اخرج لا أم لك اخرج الله نفسك فقال أجلني هذه العشية فقال هي لك ولا تبيتن في القصر الليلة ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى فمنعهم الاشتر وقال أنا له جار فكفوا عنه فنفر الناس في العدد المذكور وقيل ان عدد من سار من الكوفة اثنا عشر الف رجل ورجل قال ابو الطفيل سمعت عليا يقول ذلك قبل وصولهم فقعدت فأحصيتهم فما زادوا رجلا ولا نقصوا رجلا وكان على كنانة واسد وتميم والرباب ومزينة معقل بن يسار الرياحي وكان على سبع قيس سعد بن مسعود الثقفي عم المختار وعلى بكر وتغلب وعلة بن مخدوج الذهلي وكان على مذحج والاشعريين حجر بن عدي وعلى بجيلة وانمار وخثعم والازد مخنف بن سليم الازدي فقدموا على امير المؤمنين بذي قار فلقيهم في ناس معه فيهم ابن عباس فرحب بهم وقال يا اهل الكوفة انتم قاتلتم ملوك العجم وفضضتم جموعهم حتى صارت اليكم مواريثهم فمنعتم حوزتكم واعنتم الناس على عدوهم وقد دعوتكم

فجاء عسكر الكفار واستولوا على تونس ثم قبضوا على حميدة فأرسلوه الى بلاد اسبانية وكان له أخ يقال له مولى محمد بن الحسن وكان هرب من أخيه حميدة الى بلاد الافرنج فجاؤا به وأجلسوه على سرير الملك وليس معه مال ولا عسكر ولا قدرة وهو كالأسير والحكم للافرنج وتركوا في تونس ثمانية آلاف مقاتل وبنوا معاقل في عدة أماكن فقه الامر ولم يزل مولاي محمد المذكور ملكا بتونس مع ضعف الحال حتى تغلب السلطان الاعظم سليم خان العثماني وأرسل عمارة عظيمة من البحر صحبة الوزير الاعظم سنان باشا ومعه علي باشا كاشف وجه البحر بفتح قلعة حلق الوادي واسترداد تونس فوصلوا في اليوم الرابع والعشرين من ربيع الاول سنة اثنين وثمانين وتسعمائة الى بر تونس فحاصروا حلق الوادي وهو من أمنع الحصون في الدنيا فافتتحوها بعد قتال وقع من الطرفين أياما كثيرة فقتلوا من بها من الكفار وفتحوا تونس واستولوا عليها وأسروا صاحبها الافرنجي وصادفوا فيها صاحب تونس مولاي محمد قد فر منها خوفا من العثمانية فأسروه ثم جاؤا به

لتشهدوا معنا اخواننا من اهل البصرة فان يرجعوا فذلك الذى نريدوان يلجوا داويناهم بالرفق حتى يبدؤنا بظلم ولم ندع امرا فيه صلاح الا آثرناه على ما فيه الفساد ان شاء الله واجتمعوا عنده بذى قار وعبد القيس بأسرها فى الطريق بين على والبصرة ينتظرونه وهم الوف وكان رؤساء الجماعة من الكوفيين القعقاع بن عمرو وسعد بن مالك وهند بن عمرو والهيثم بن شهاب وكان رؤساء النفار زيد بن صوحان والاشتر وعدى بن حاتم والمسيب بن نجبة ويزيد بن قيس وامثال لهم ليسوا دونهم الا انهم لم يؤمروا ومنهم حجر بن عدى فلما نزلوا بذى قار دعا على القعقاع فأرسله الى اهل البصرة وقال الق هذين الرجلين وكان القعقاع من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فادعهما الى الالفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة وقال له كيف تصنع فيما جاءك منهما وليس عندك فيه وصاة قال نلقاهم بالذى امرت به فاذا جاء منهم ما ليس عندنا منك فيه رأى اجتهدنا رأينا وكلمناهم كما نسمع ونرى انه ينبغى قال انت لها فخرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة فسلم عليها وقال اى امه ما اشخصك وما اقدمك هذه البلدة قالت اى بنى الاصلاح بين الناس قال فابعثى الى طلحة والزبير حتى تسمعى كلامى وكلامهما فبعثت اليهما فجاآ فقال لهما انى سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح بين الناس فما تقولان انتما أمتابعان ام مخالفان قالا متابعان قال فأخبرانى ما وجه هذا الاصلاح فوالله لئن عرفناه لنصلحن ولئن أنكرناه لا يصلح قالا قتلة عثمان فان هذا ان ترك كان تركا للقرآن قال قد قتلتما قتلة عثمان من اهل البصرة وأنتم قبل قتلهم اقرب الى الاستقامة منكم اليوم قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف فان تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون وان قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم فالذى حذرتم وقويتم به هذا الامر أعظم مما أراكم تكرهون وان أنتم منعتم مضر وربيعة من هذه البلاد اجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لاهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير قالت عائشة فماذا تقول أنت قال أقول ان هذا الامر دواؤه التسكين فاذا سكن اختلجوا فان أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بثار وان أنتم أبيتم الا مكابرة هذا الامر واعتسافه كانت علامة شر وذهاب هذا المال فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم ولا تعرضونا للبلاء فتعرضوا له فيصرعنا واياكم وايم الله انى لاقول هذا القول وأدعوكم اليه وانى لخائف ان لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الامة التى قل متاعها ونزل بها ما نزل فان هذا الامر الذى حدث أمر ليس يقدر وليس كقتل الرجل الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل قالوا قد أصبت وأحسنت فارجع فان قدم على وهو على مثل رأيك صلح هذا الامر فرجع الى على فأخبره فأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه وأقبلت وفود العرب من أهل البصرة نحو على بذى قار قبل رجوع القعقاع لينظروا ما رأى اخوانهم من أهل الكوفة وعلى أى حال نهضوا اليهم وليعلموهم ان الذى عليه رأيهم الاصلاح ولا يخطر لهم قتالهم على بال فلما لقوا عشائرهم من أهل الكوفة قال لهم الكوفيون مثل مقالتهم وادخلوهم على على فأخبروه بخبرهم وسأل على جرير بن شرس عن طلحة والزبير فأخبره بدقيق أمرهما وجليله وقال له اما الزبير فيقول بايعنا كرها وأما طلحة فيتمثل الاشعار ويقول

الى القسطنطينية وحبس فى القلال السبع وهو آخر من تولى الملك من اهل هذا البيت والله تعالى أعلم

(الباب السادس والعشرون فى ذكر دولة بنى الليث الصفار سلاطين سجستان ذوى القشاعم والفرسان والايادى والاحسان)

وهم ثلاثة أنفار ومدة ملكهم خمسون سنة وكان الليث من أهل سجستان يبيع الصفر وبعده صار من قطاع الطريق واتفق انه نقب ليلة خزانة درهم بن نصر أمير سجستان وأخذ الاموال فوقع نظره فى شئ أبيض يبرق فأخذ منه وذاقه فوجده ملحا فرد المال الذى أخذه الى مكانه وخرج هو وأصحابه ولم يأخذوا منه شيأ فلما أصبح الامير درهم واطلع على الحال نادى بالامان لمن دخل خزانته ولم يأخذ منها شيأ ليطلع على سر ذلك فحضر الليث فسأله لم أخذ المال ورده فقال وجدت فى خزانتك شيأ أبيض فذقت منه فوجدته ملحا فما رأيت ان آخذ من مالك واخونك بشئ بعد ان ذقت ملحك فحصل عند الامير منه موقع وأثبته فى ديوانه واستخدمه وفيما بعد اتخذه رأس العساكر فلما توفى الليث ولى الامير درهم

الا ابلغ بني بكر رسولا • فليس الى بني كعب سبيل
سيرجع ظلمكم منكم عليكم • طويل الساعدين له فضول

فتمثل علي عندها

ألم تعلم أبا سمعان انا • نرد الشيخ مثلك ذا الصداع
ويذهل عقله بالحرب حتى • يقوم فيستجيب لغير داع
فدافع عن خزاعة جمع بكر • وما بك يا سراقة من دفاع

ورجعت وفود أهل البصرة برأي أهل الكوفة ورجع القعقاع من البصرة فقام علي خطيبا فحمد الله وذكر الجاهلية وشقاها والاسلام والسعادة وانعام الله على الامة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذي يليه ثم الذي يليه ثم حدث هذا الحدث الذي جره على هذه الامة أقوام طلبوا هذه الدنيا حسدوا من أفاءها الله عليه وعلى الفضيلة وأرادوا رد الاسلام والاشياء على أدبارها والله بالغ أمره الا واني راحل غدا فارتحلوا ولا يرتحلن أحد أعان على عثمان بشيء من أمور الناس وليغن السفهاء عني أنفسهم فاجتمع نفر منهم علباء بن الهيثم وعدي بن حاتم وسالم بن ثعلبة العبسي وشريح بن أوفى والاشتر في عدة ممن سار الى عثمان ورضي بسير من سار وجاء معهم المصريون وابن السوداء وخالد بن ملجم فتشاوروا فقالوا ما الرأي وهذا علي وهو والله أبصر بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان وأقرب الى العمل بذلك وهو يقول ما يقول ولم ينفر اليه سواهم والقليل من غيرهم فكيف به اذا شام القوم وشاموه ورأوا قلتنا في كثرتهم وأنتم والله ترادون وما أنتم بأنجى من شيء فقال الاشتر قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا وأما علي فلم نعرف رأيه الى اليوم ورأي الناس فينا واحد فان يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا فهلموا بنا نثب على علي وطلحة فنلحقهما بعثمان فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون فقال عبد الله بن السوداء بئس الرأي رأيت أنتم يا قتلة عثمان بذي قار ألفان وخمسمائة أو نحو من ستمائة وهذا ابن الحنظلية يعني طلحة وأصحابه في نحو من خمسة آلاف بالاشواق الى أن يجدوا الى قتالكم سبيلا فقال علباء بن الهيثم انصرفوا بنا عنهم ودعوهم فان قلوا كان أقوى لعدوهم عليهم وان كثروا كان أحرى ان يصطلحوا عليكم دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تتقوون به وامتنعوا من الناس فقال ابن السوداء بئس ما رأيت ود والله الناس انكم انفردتم ولم تكونوا مع أقوام برآء ولو انفردتم لتخطفكم الناس كل شيء فقال عدي بن حاتم والله ما رضيت ولا كرهت ولقد عجبت من تردد من تردد عن قتله (٣) في خوض الحديث فأما اذا وقع ما وقع ونزل من الناس بهذه المنزلة فان لنا عتادا من خيول وسلاح فان أقدمتم أقدمنا وان أمسكتم أمسكنا فقال ابن السوداء أحسنت وقال سالم بن ثعلبة من كان أراد بما أتى الدنيا فاني لم أرد ذلك والله لئن لقيتم غدا لا أرجع الى شيء واحلف بالله انكم لتفرقن السيف فرق قوم لا تصير أمورهم الا الى السيف فقال ابن السوداء قد قال قولا وقال شريح بن أوفى أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا ولا تؤخروا أمرا ينبغي لكم تعجيله ولا تعجلوا أمرا ينبغي لكم تأخيره فانا عند الناس بشر المنازل وما أدري ما الناس صانعون اذا ما هم التقوا وقال ابن السوداء يا قوم ان عزكم في خلطة الناس فاذا التقى الناس غدا فأنشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر فمن أنتم معه لا يجد بدا

ملكه ولده السلطان (يعقوب) ولما توفي الامير درهم تولى ملكه في أواسط شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين فانقادت له جميع العساكر لحسن سيرته فملك سجستان وبلاد خراسان وكرمان وكان ذلك في خلافة المهتدي بالله العباسي فما لبث حتى عظم حجم جريدته واتسعت رقعة ولايته فملك بلاد فارس وخوزستان واتخذ نيسابور دار ملكه وكانت له سياسة انفرد بها من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها عمن سلف من ملوك الامم الغابرة من الفرس وغيرهم وحسن انقيادهم لامره واستقامتهم لطاعته لما كان شملهم من احسانه وغمرهم من بره وملأ قلوبهم من هيبته ورغبته فمما ذكر من ظهور طاعتهم له انه كان بأرض فارس وقد أباح للناس ان يرعوا دوابهم ثم حدث أمر أوجب الرحيل عن تلك الكورة فنادى مناديه بقطع الدواب عن الربيع وانه رأى رجلا من أصحابه قد أسرع الى دابته وهي ترعى والحشيش في فمها فأخرجه من فم الدابة ومنعها ان تلوكه بعد سماعه النداء وأقبل على الدابة كالمخاطب لها فقال بالفارسية أمير كفت اسبان بسبزه برند وتفسير ذلك أمر الامير بقطع

من أن يمنع و يشغل الله عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون فابصروا الرأى
وتفرقوا عليه والناس لايشعرون وأصبح على على ظهر ومضى ومضى معه الناس حتى نزل على
عبد القيس فانضموا اليه وسار من هناك فنزل الزاوية وسار من الزاوية يريد البصرة وسار طلحة
والزبير وعائشة من الفرضة فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد فلما نزل الناس أرسل
شقيق بن ثور الى عمرو بن مرحوم العبدى أن اخرج فاذا خرجت فمل بنا الى عسكر على فخرجا فى
عبد القيس و بكر بن وائل فعدلوا الى عسكر على فقال الناس من كان هؤلاء معه غلب وأقاموا
ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال فكان يرسل على اليهم يكلمهم و يدعوهم وكان نزولهم فى النصف من
جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ونزل بهم على وقد سبق أصحابه وهم يتلاحقون به فلما نزل قال
أبو الجرباء للزبير ان الرأى ان تبعث ألف فارس الى على قبل ان يوافى اليه أصحابه فقال انا
لنعرف أمور الحرب ولكنهم أهل دعوتنا وهذا أمر حدث لم يكن قبل اليوم من لم يلق الله فيه
بعذر انقطع عذره يوم القيامة وقد فارقنا وفدهم على امر وأنا أرجو أن يتم لنا الصلح فأبشروا
واصبروا واقبل صبرة بن شيمان فقال لطلحة والزبير انتهزا بنا هذا الرجل فان الرأى فى الحرب
خير من الشدة فقالا ان هذا امر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن ويكون فيه سنة من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد زعم قوم انه لا يجوز تحريكه وهم على ومن معه وقلنا نحن انه لا ينبغى
لنا ان نتركه ولا نؤخره وقد قال على ترك هؤلاء القوم شر وهو خير من شر منه وقد كاد يتبين لنا
وقد جاءت الاحكام بين المسلمين بأعمها منفعة وقال كعب بن سور ياقوم اقطعوا هذا العنق من
هؤلاء القوم فأجابوه بنحو ماتقدم وقام على فخطب الناس فقام اليه الاعور بن بنان المنقرى
فسأله عن اقدامهم على اهل البصرة فقال له على على الاصلاح واطفاء النائرة لعل الله يجمع
شمل هذه الامة بنا ويضع حربهم قال فان لم يجيبونا قال تركناهم ماتركونا قال فان لم يتركونا قال
دفعناهم عن انفسنا قال فهل لهم من هذا مثل الذى عليهم قال نعم وقام اليه ابو سلامة الدالانى
فقال أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم ان كانوا ارادوا الله بذلك قال نعم قال افترى
لك حجة بتأخيرك ذلك قال نعم ان الشئ اذا كان لا يدرك فان الحكم فيه احوطه واعمه نفعا قال فما
حالنا وحالهم ان ابتلينا غدا قال انى لارجو ان لا يقتل منا ومنهم احد نقى قلبه لله الا ادخله الله
الجنة وقال فى خطبته أيها الناس املكوا عن هؤلاء القوم ايديكم والسنتكم واياكم ان تسبقونا
فان المخصوم غدا من خصم اليوم وبعث اليهم حكيم بن سلامة ومالك بن حبيب ان كنتم على
ما فارقتم عليه القعقاع فكفوا حتى ننزل وننظر فى هذا الامر وخرج اليه الاحنف بن قيس وبنو
سعد مشمرين قد منعوا حرقوص بن زهير وهم معتزلون وكان الاحنف قد بايع عليا بالمدينة بعد
قتل عثمان لانه كان قد حج وعاد من الحج فبايعه قال الاحنف ولم ابايع عليا حتى لقيت طلحة
والزبير وعائشة بالمدينة وانا اريد الحج وعثمان محصور فقلت لكل منهم ان الرجل مقتول فمن
تأمرونى ابايع فكلهم قال بايع عليا فقلت اترضونه لى فقالوا نعم فلما قضيت حجى ورجعت الى
المدينة رأيت عثمان قد قتل فبايعت عليا ورجعت الى اهلى ورأيت الامر قد استقام فبينما انا
كذلك اذ اتانى آت فقال هذه عائشة وطلحة والزبير بالخريبة يدعونك فقلت ما جاء بهم قال
يستنصرونك على قتال على فى دم عثمان فاتانى افظع امر فقلت ان خذلانى ام المؤمنين وحوارى

والدرع الحديد على بدنه
لاثوب تحته فقيل له فى ذلك
فقال نادى منادى الامير
البس السلاح وكنت عريانا
اغتسل من جنابة فلم يسعنى
التشاغل بلبس الثياب
فلبست الدرع امتثالا لامره
وقد كان انتخب من اصحابه
الف رجل فجعلهم اصحاب
الاعمدة الذهب كل عمود
منها الف مثقال ومثلهم
اصحاب اعمدة الفضة فاذا
كان فى الاعياد وفى اليوم
الذى يحتاج فى مثله الى
مباهاة الاعداء دفع اليهم
تلك الاعمدة ومشوا فى
خدمته اجلالا له وكان
لا يطلع على سره احد ولا
يعرف تدابيره غيره واكثر
نهاره هو خال بنفسه يفكر
فى تدابيره وكانت وفاته لسبع
بقين من شوال عام خمسة
وستين ومائتين بجنديسابور
وكانت مدة ملكه
اثنتى عشرة سنة وتولى مكانه
اخوه (عمرو بن الليث)
وسار سيرة حسنة وزاد فى
رفعته حتى خطب له بمدينة
بغداد وكان لايذكر غير اسم
الخليفة وفى سنة سبع
وثمانين ومائتين كانت
الحرب بين اسمعيل بن احمد
السامانى وبين عمرو المذكور
بناحية بلخ وكانت امرأة
اسمعيل المذكور معه على
عادة الفرس فى السفر فخرجت يوما الى حافة نهر تغتسل وأخرجت عقدها الثمين ووضعته على حافة النهر فجاء طير فاختطف ذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد وان قتال ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد امرني ببيعته اشد فلما اتيتم قالوا جئنا لكذا وكذا قال فقلت يا ام المؤمنين ويا زبير ويا طلحة انشدتكم الله أقلت لكم من تأمروني ان ابايع فقلتم بايع عليا فقالوا انعم واكنه بدل وغير فقلت والله لا اقاتلكم ومعكم ام المؤمنين ولا أقاتل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمرتموني ببيعته ولكني اعتزل فأذنوا له في ذلك فاعتزل بالجلحاء ومعه زهاء ستة آلاف وهي من البصرة على فرسخين فلما قدم علي أتاه الاحنف فقال له ان قومنا بالبصرة يزعمون انك ان ظهرت عليهم غدا قتلت رجالهم وسبيت نساءهم قال ما مثلي يخاف هذا منه وهل يحل هذا الا من تولى وكفر وهم قوم مسلمون قال اختر مني واحدة من اثنتين اما ان أقاتل معك واما ان أكف عنك عشرة آلاف سيف قال فكيف بما أعطيت أصحابك من الاعتزال قال ان من الوفاء قتالهم قال فاكفف عنا عشرة آلاف سيف فرجع الى الناس فدعاهم الى القعود ونادى يا آل خندف فأجابه ناس ونادى يا آل تميم فأجابه ناس ثم نادى يا آل سعد فلم يبق سعدي الا أجابه فاعتزل بهم وتظر ما يصنع الناس فلما كان القتال وظفر علي دخلوا فيما دخل فيه الناس وافرين فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح فقيل لعلي هذا الزبير فقال اما انه أحرى الرجلين ان ذكر بالله تعالى ان يذكر وخرج طلحة فخرج اليهما علي حتى اختلفت أعناق دوابهم فقال علي لعمري قد أعددتما سلاحا وخيلا ورجالا ان كنتما أعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دمكما فهل من حدث أحل لكما دمي قال طلحة ألبت على عثمان قال علي يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق يا طلحة تطلب بدم عثمان فلعن الله قتلة عثمان يا طلحة أجئت بعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت اما بايعتني قال بايعتك والسيف على عنقي فقال علي للزبير يا زبير ما أخرجك قال أنت ولا أراك لهذا الامر أهلا ولا أولى به منا فقال له علي ألست له أهلا بعد عثمان قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا وذكره أشياء وقال له تذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني غنم فنظر الي فضحك وضحكت اليه فقلت له لا يدع ابن أبي طالب زهوه فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمزه لتقاتلنه وأنت ظالم له قال اللهم نعم ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا والله لا أقاتلك أبدا فانصرف علي الى أصحابه فقال اما الزبير فقد أعطى الله عهدا ان لا يقاتلكم ورجع الزبير الى عائشة فقال لها ما كنت في موطن منذ عقلت الا وأنا اعرف فيه امري غير موطني هذا قالت فما تريد ان تصنع قال اريد ان ادعهم واذهب قال له ابنه عبد الله جمعت بين هذين الفئتين حتى اذا حدد بعضهم لبعض اردت ان تتركهم وتذهب لكنك خشيت رايات ابن ابي طالب وعلمت انها تحملها فتية انجاد وان تحتها الموت الاحمر فجبنت فأحفظه ذلك وقال اني حلفت ان لا أقاتله قال كفر عن يمينك وقاتله فاعتق غلامه مكحولا وقيل سرجس فقال عبد الرحمن بن سليمان التميمي

لم أر كاليوم أخا اخوان * أعجب من مكفر الايمان

الابيات وقيل انما عاد الزبير عن القتال لما سمع ان عمار بن ياسر مع علي فخاف ان يقتل عمارا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عمار تقتلك الفئة الباغية فرده ابنه عبد الله كما ذكرناه

العقد وطار به طقته الطبول فأتى الطائر المقدق بترق البرية فنزل اعوان السلطان الى البئر وجدوا في اسفل البئر ثمانية وسبعين صندوقا مملوأة من الذهب والجواهر وهي خزينة خصمه الذي خرج لقتاله وهو عمرو بن الليث واستبشر بذلك انه يغلب عمرا وكان كذلك وفي تواريخ الفرس ان عمرو ابن الليث هذا أمسكه الملك اسمعيل منفردا وأسره ولم يحصل لاحد من عسكره بأس وذلك ان فرس عمرو عشق فرسا انثى في جانب خصمه اسمعيل المذكور فحمله فرسه كرها عليه ولم يستطع ردها الى ان دخل بين عسكر عدوه فامسكوه فلما انتصر اسمعيل وأسر عمرو ارسله الى الخليفة المعتضد بالله فلما ادخل الى مدينة بغداد وكان راكبا به يدعو وهو على جمل فالج وهو ذو السنامين وكان اتحفه الى الخليفة في هدايا تقدمت له فقال في ذلك الحسن بن محمد

ألم تر هذا الدهر كيف يكون يكون يسيرا امره وعسيرا وحسبك بالصفار نبلا وعزة يروح ويغدو في الجيوش اميرا حباهم بأجمال ولم يدر انه على جمل منها يقاد اسيرا

فلما مثل بين يدي الخليفة امر بحبسه ومنع الطعام عنه فهلك في السجن من الجوع وقيل انتهى طعاما وضع واله قطعة لحم في سطل فجاء كلب ووضع عنقه في السطل وتعلق برقبته

والبرق

وافترق اهل البصرة ثلاث فرق فرقة مع طلحة والزبير وفرقة مع علي وفرقة لاترى القتال منهم الاحنف وعمران بن حصين وغيرهما وجاءت عائشة فنزلت في مسجد الحدان في الازد ورأس الازد يومئذ صبرة بن شيمان فقال له كعب بن سور ان الجموع اذا تراءت لم تستطع انما هي بحور تدفق فأطعني ولا تشهدهم واعتزل بقومك فاني أخاف ان لا يكون صلح ودع مضر وربيعة فهما اخوان فان اصطلحا فالصلح أردنا وان اقتتلا كنا حكاما عليهم غدا وكان كعب في الجاهلية نصرانيا فقال له صبرة أخشى ان يكون فيك شئ من النصرانية أتأمرني ان أغيب عن اصلاح بين الناس وان أخذل أم المومنين وطلحة والزبير ان ردوا عليهم الصلح وأدع الطلب بدم عثمان والله لا أفعل هذا أبدا فاطبق أهل اليمن على الحضور وحضر مع عائشة المنجاب بن راشد في الرباب وهم تيم وعدي وثور وعكل بنو عبد مناف بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وضبة بن أد ابن طابخة وحضر أيضا أبو الجرباء في بني عمرو بن تميم وهلال بن وكيع في بني حنظلة وصبرة بن شيمان على الازد ومجاشع بن مسعود السلمي على سليم وزفر بن الحرث في بني عامر وغطفان ومالك بن مسمع على بكر والخريت بن راشد على بني ناجية وعلى اليمن ذو الآجرة الحميري ولما خرج طلحة والزبير نزلت مضر جميعا وهم لا يشكون في الصلح ونزلت ربيعة فوقهم وهم لا يشكون في الصلح ونزلت اليمن أسفل منهم ولا يشكون في الصلح وعائشة في الحدان والناس بالزابوقة على رؤسائهم هؤلاء وهم ثلاثون ألفا وردوا حكيما ومالكا الى علي انا على ما فارقنا عليه القعقاع ونزل علي بحيالهم فنزلت مضر الى مضر وربيعة الى ربيعة واليمن الى اليمن فكان بعضهم يخرج الى بعض لا يذكرون الا الصلح وكان أصحاب علي عشرين ألفا وخرج علي وطلحة والزبير فتوافقوا فلم يروا أمرا أمثل من الصلح ووضع الحرب فافترقوا على ذلك وبعث علي من العشي عبد الله بن عباس الى طلحة والزبير وبعثا هما محمد بن ابي طلحة الى علي وارسل علي الى رؤساء اصحابه وطلحة والزبير الى رؤساء أصحابهما بذلك فباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية التي أشرفوا عليها والصلح وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة وقد أشرفوا على الهلكة وباتوا يتشاورون فاجتمعوا على انشاب الحرب فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم فخرجوا متسللين وعليهم ظلمة فقصد مضرهم الى مضرهم وربيعتهم الى ربيعتهم ويمنهم الى يمنهم فوضعوا فيهم السلاح فثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين أتوهم وبعث طلحة والزبير الى الميمنة وهم ربيعة اميرا عليها عبد الرحمن بن الحرث والى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب وثبتا في القلب وقالا ما هذا قالوا طرقنا اهل الكوفة ليلا فقالا قد علمنا ان عليا غير منته حتى يسفك الدماء وانه لن يطاوعنا فرد اهل البصرة أولئك الكوفيين الى عسكرهم فسمع علي وأهل الكوفة الصوت وقد وضع السبئية رجلا قريبا منه يخبره بما يريد فلما قال علي ما هذا قال ذلك الرجل ما شعرنا الا وقوم منهم قد بيتونا فرددناهم فوجدنا القوم على رجل فركبونا وثار الناس فارسل علي صاحب الميمنة الى الميمنة وصاحب الميسرة الى الميسرة وقال لقد علمت ان طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء وانهما لن يطاوعانا والسبئية لا تفتر ونادى علي في الناس كفوا فلا شئ وكان من رأيهم جميعا في تلك الفتنة ان لا يقتتلوا حتى يبدؤا يطلبون بذلك الحجة وان لا يقتلوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يستحلوا سلبا ولا يرزؤا بالبصرة سلاحا ولا ثيابا ولا متاعا

فضحك فسئل عن سبب ضحكه فقال بالامس كان يحمل ما يحتاج اليه مطبخي في اسفاري على ثلثمائة جمل واليوم يحملها كلب في عنقه وكانت مدة ملكه ثلاثا وثلاثين سنة فتولى الملك بعده ولده (طاهر بن عمرو ابن الليث) خمس سنين. وهذا آخر من ملك من بني الصفار وقد انقرضت دولتهم في سنة خمس وثلثمائة والله اعلم

(الباب السابع والعشرون في ذكر دولة آل سامان بما وراء النهر وخراسان)

ذكر العتبي في تاريخه ان ملك آل سامان كان بما وراء النهر الى حدود اصفهان وهم عشرة انفار ومدة ملكهم مائة سنة وسبعين سنة وستة اشهر اولهم (ابو ابراهيم اسمعيل) بن احمد وهو الذي قبض على عمرو ابن الليث المذكور وكان منعوتا بالعدل والرأفة موسوما بطاعة الخلافة توفي ببخارا ليلة الثلاثاء لاربع عشرة خلت من صفر سنة خمس وتسعين ومائتين وقام بالامر بعده (ابو نصر احمد بن اسمعيل) فملك ست سنين وثلاثة اشهر وفتك به نفر من غلمانه ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الآخرة وكان مقتديا بسيرة أبيه في اتباع العدل الى ان طوت الدنيا صحائف ايامه وملك بعده ولده (ابو الحسن نصر بن أحمد) فملك ثلاثين سنة وكان رفيع النجاد قوي العماد فلما توفي تلاه في ارث الملك (نوح بن

وأقبل كعب بن سور حتى اتى عائشة فقال ادركى فقد ابى القوم الا القتال لعل الله ان يصلح بك فركبت وألبسوا هودجها الادراع فلما برزت من البيوت وهى على الجمل بحيث يسمع الغوغاء وقفت واقتتل الناس وقاتل الزبير فحمل عليه عمار بن ياسر فجعل يحوزه بالرمح والزبير كاف عنه ويقول أتقتلنى يا ابا اليقظان فيقول لا يا ابا عبد الله وانما كف الزبير عنه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية ولولا ذلك لقتله وبينما عائشة واقفة اذ سمعت ضجة شديدة فقالت ما هذا قالوا ضجة العسكر قالت بخير أو بشر قالوا بشر فما فجأها الا الهزيمة فمضى الزبير من وجهه الى وادى السباع وانما فارق المعركة لانه قاتل تعذيرا لما ذكره على واما طلحة فاتاه سهم غرب فأصابه فشك رجله بصفحة الفرس وهو ينادى الى الى عباد الله الصبر الصبر فقال له القعقاع ابن عمرو يا ابا محمد انك لجريح وانك عما تريد لعليل فادخل البيوت فدخل ودمه يسيل وهو يقول اللهم خذ لعثمان منى حتى ترضى فلما امتلأ خفه دما وثقل قال لغلامه اردفنى وأمسكنى وأبلغنى مكانا انزل فيه فدخل البصرة فأنزله فى دار خربة فمات فيها وقيل انه اجتاز به رجل من اصحاب على فقال له انت من اصحاب امير المؤمنين قال نعم قال امدد يدك ابايعك له فبايعه فخاف ان يموت وليس فى عنقه بيعة ولما قضى دفن فى بنى سعد وقال لم ار شيخا اضيع دما منى وقتل عند دخول البصرة مثله ومثل الزبير

فان تكن الحوادث اقصدتنى * واخطأهن سهمى حين ارمى
فقد ضيعت حين تبعت سهما * سفاهة ما سفهت وضل حلمى
ندمت ندامة الكسعى لما * شريت رضا بنى سهم برغمى
اطعتهم بفرقة آل لاى * فألقوا للسباع دمى ولحمى

وكان الذى رمى طلحة مروان بن الحكم وقيل غيره واما الزبير فانه مر بعسكر الاحنف بن قيس فقال والله ما هذا الخيار جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم بعضا لحق بيته وقال الاحنف للناس من يأتينى بخبره فقال عمرو بن جرموز لاصحابه انا فاتبعه فلما لحقه نظر اليه الزبير قال ما وراءك قال انما اريد ان أسألك فقال غلام للزبير اسمه عطية انه معد قال ما يهولك من رجل وحضرت الصلاة فقال ابن جرموز الصلاة فقال الزبير الصلاة فلما نزلا استدبره ابن جرموز فطعنه فى جربان درعه فقتله واخذ فرسه وسلاحه وخاتمه وخلى عن الغلام فدفنه بوادى السباع ورجع الى الناس بالخبر وقال الاحنف لابن جرموز والله ما ادرى احسنت ام اسأت فأتى ابن جرموز عليا فقال لحاجبه استأذن لقاتل الزبير فقال على ائذن له وبشره بالنار واحضر سيف الزبير عند على فأخذه فنظر اليه وقال طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث به الى عائشة فلما انجلت الوقعة وانهزم الناس يريدون البصرة فلما رأوا الخيل اطافت بالجمل عادوا قلبا كما كانوا حيث التقوا وعادوا فى امر جديد ووقفت ربيعة بالبصرة ميمنة وبعضهم ميسرة وقالت عائشة لما انجلت الوقعة وانهزم الناس لكعب بن سور خل عن الجمل وتقدم بالمصحف فادعهم اليه وناولته مصحفا فاستقبل القوم والسبئية امامهم فرموه رشقا واحدا فقتلوه ورموا ام المؤمنين فى هودجها فجعلت تنادى البقية البقية يا بنى ويعلو

نصر) وهو المجيد فى آرائه السديد فى آلائه ملك اثنى عشرة سنة وثلاثة اشهر وسبعة ايام وتوفى ببخارا يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث واربعين وثلثمائة وانتصب منصبه (عبد الملك ابن نوح) فملك سبع سنين وستة اشهر واحد عشر يوما وعثرت به دابته فسقط الى الارض سقطة حمل منها ميتا وخلفه فى الولاية اخوه (منصور بن نوح) خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وتوفى ببخارا يوم الثلاثاء لاحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس وستين وثلثمائة وولى امره ولده (نوح بن منصور) احدى وعشرين سنة وتسعة اشهر فتوفى وولى بعده ولده (منصور بن نوح) ثم بعد عامين وثب عليه اخوه عبد الملك بن نوح فقبض عليه فاعتقله بكتوزون بسرخس يوم الاربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وبويع اخوه (عبد الملك ابن نوح) فما استقرت قدمه فى الولاية حتى خربت على يد السلطان يمين الدولة وامين الملة دعامته وشالت نعامته فطار الى بخارا وقبض ايلك خان عليه وانتزع ولايته من يديه وكانت مدة ملكه ثمانية اشهر وسبعة عشر يوما وتولى بعده (اسمعيل بن نوح) وهو آخر من تولى الملك من هذه الطائفة فسبحان من لا يزول ملكه ولا يحول (الباب الثامن والعشرون فى ذكر دولة بنى سبكتكين ذوى الرأى الصحيح والعقل الرصين صدرتها

صوتها كثرة الله الله اذكروا الله والحساب فيأبون الا اقداما فكان أول شئ أحدثته حين ابوا أن قالت أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم واقبلت تدعو وضج الناس بالدعاء فسمع على فقال ماهذه الضجة قالوا عائشة تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم فقال على اللهم العن قتلة عثمان فأرسلت الى عبد الرحمن بن عتاب وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام أن اثبتا مكانكما وحرضت الناس حين رأت القوم يريدونها ولا يكفون فحملت مضر البصرة حتى قصفت مضر الكوفة حتى زحم على فنخس قفا ابنه محمد وكانت الراية معه وقال له احمل فتقدم حتى لم يجد متقدما الا على سنان رمح فأخذ على الراية من يده وقال يابنى بين يدى وحملت مضر الكوفة فاجتلدوا قدام الجمل حتى ضرسوا والمجنبتان على حالهما لا تصنع شيأ ومع على قوم من غير مضر منهم زيد بن صوحان طلبوا ذلك منه فقال له رجل تنح الى قومك مالك ولهذا الموقف الست تعلم ان مضر بحيالك والجمل بين يديك وان الموت دونه فقال الموت خير من الحياة الموت اريد فأصيب هو واخوه سيحان وارتث صعصعة أخوهما واشتدت الحرب فلما رأى على ذلك بعث الى ربيعة والى اليمن أن اجمعوا من يليكم فقام رجل من عبد القيس من اصحاب على فقال ندعوكم الى كتاب الله فقالوا وكيف يدعونا اليه من لا يستقيم ولا يقيم حدود الله وقد قتل كعب بن سور داعى الله ورمته ربيعة رشقا واحدا فقتلوه فقام مسلم بن عبد الله العجلى مكانه فرشقوه رشقا واحدا فقتلوه ودعت يمن الكوفة يمن البصرة فرشقوهم وأبى اهل الكوفة الا القتال ولم يريدوا الا عائشة فذكرت اصحابها فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا ثم رجعوا فاقتتلوا وتزاحف الناس وظهرت يمن البصرة على يمن الكوفة فهزمتهم وربيعة البصرة على ربيعة الكوفة فهزمتهم ثم عاد يمن الكوفة فقتل على رايتهم عشرة خمسة من همدان وخمسة من سائر اليمن فلما رأى ذلك يزيد بن قيس اخذها فثبتت فى يده وهو يقول

قد عشت يا نفسى وقد عشيت * دهرا فقدك اليوم ما بقيت

* اطلب طول العمر ما حييت *

وانما تمثلها وقال ابن ابى نمران الهمدانى

جردت سيفى فى رجال الازد * اضرب فى كهولهم والمرد

* كل طويل الساعدين نهد *

ورجعت ربيعة الكوفة فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل على رايتهم وهم فى الميسرة زيد وعبد الله بن رقبة وأبو عبيدة بن راشد بن سلمى وهو يقول اللهم انت هديتنا من الضلالة واستنقذتنا من الجهالة وابتليتنا بالفتنة فكنا فى شبهة وعلى ريبة وقتل واشتد الامر حتى لزقت ميمنة أهل الكوفة بقلبهم وميسرة اهل البصرة بقلبهم ومنعوا ميمنة اهل الكوفة ان يختلطوا بقلبهم وان كانوا الى جنبهم وفعل مثل ذلك ميسرة اهل الكوفة بميمنة اهل البصرة فلما رأى الشجعان من مضر الكوفة والبصرة الصبر تنادوا طرفوا اذا فرغ الصبر فجعلوا يقصدون الاطراف الايدى والارجل فما رؤى وقعة كانت أعظم منها قبلها ولا بعدها ولا أكثر ذراعا مقطوعة ولا رجلا مقطوعة وأصيبت يد عبد الرحمن بن عتاب قبل قتله فنظرت عائشة من يسارها فقالت من القوم عن يسارى قال صبرة بن شيمان بنوك الازد فقالت يا آل غسان حافظوا اليوم جلادكم الذى كنا

وهم عشرة أنفار ومدة ملكهم مائة سنة واثنتان وسبعون سنة وأول من تولى الملك منهم (سبكتكين) وسببه انه ورد بخارا فى أيام نوح بن منصور أحد ملوك السامانية المقدم ذكرهم وكان وروده فى صحبة ابى اسحق بن ألبتكين وهو حاجبه ولما خرج ابو اسحق المذكور واليا الى غزنه انصرف الامير سبكتكين وعليه مدار أموره فلم يلبث أبو اسحق بعد موافاتها ان قضى نحبه ولم يبق من ذوى قرابته من يصلح لمكانه ثم وقع اتفاقهم على تولية الامير سبكتكين فبايعوه على ذلك وانقادوا لحكمه فلما تمكن واستحكم شرع فى الغزو والاغارة على اطراف الهند فافتتح قلاعا كثيرة وجرت بينه وبين الهنود حروب يقصر الشرح عن وصفها ولم يلبث ان اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته وآخر الامر انه وصل الى مدينة بلخ من طوس فرض بها فاشتاق الى غزنه فخرج اليها فمات فى الطريق قبل وصوله وذلك فى شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة ونقل تابوته الى غزنه وكانت مدة ملكه ثلاثا وثلاثين سنة فتولى الملك بعده ولده (اسمعيل) بعهد منه وكان

نسمع به وقتلت

وجالد من غسان اهل حفاظها • وكعب واوس جالدت وشبيب

وكان الازد يأخذون بعر الجمل يشمونه ويقولون بعر جمل امنا ريحه ريح المسك وقالت لمن عن يمينها من القوم عن يمينى قال بكر بن وائل قالت لكم يقول القائل

وجاؤا الينا فى الحديد كانهم • من العزة القعساء بكر بن وائل

انما بازائكم عبد القيس فاقتتلوا أشد من قتالهم قبل ذلك واقبلت على كتيبة بين يديها فقالت من القوم قالوا بنو ناجية فقالت بخ بخ سيوف ابطحية قرشية فجالدوا جلادا يتفادى منه ثم اطافت بها بنو ضبة فقالت ويها جمرة الجمرات فلما رقوا خالطهم بنو عدى بن عبد مناة وكثروا حولها فقالت من أنتم قالوا بنو عدى خالطنا اخوتنا فأقاموا رأس الجمل وضربوا ضربا شديدا ليس بالتعذير ولا يعدلون بالتطريف حتى اذا كثر ذلك وظهر فى العسكرين جميعا راموا الجمل وقالوا لا يزال القوم او يصرع الجمل وصار مجنبتا على الى القلب وفعل ذلك أهل البصرة وكره القوم بعضهم بعضا وأخذ عميرة بن يثربى برأس الجمل وكان قاضى البصرة قبل كعب بن سور فشهد الجمل هو وأخوه عبد الله فقال على من يحمل على الجمل فانتدب له هند بن عمرو الجملى المرادى فاعترضه ابن يثربى فاختلفا ضربتين فقتله ابن يثربى ثم حمل علباء بن الهيثم فاعترضه ابن يثربى فقتله وقتل سيحان بن صوحان وارتث صعصعة وقال ابن يثربى

أنا لمن ينكرنى ابن يثربى • قاتل علباء وهند الجملى

• وابن لصوحان على دين على •

وقال ابن يثربى ايضا

اضربهم ولا أرى ابا حسن • كفى بهذا حزنا من الحزن

• انا نمر الامر امرار الرسن •

فناداه عمار لقد عذت بحريز وما اليك من سبيل فان كنت صادقا فاخرج من هذه الكتيبة الى فترك الزمام فى يد رجل من بنى عدى حتى اذا كان بين الصفين تقدم عمار وهو ابن تسعين سنة وقيل أكثر من ذلك عليه فرو قد شد وسطه بحبل ليف وهو أضعف من بارزه واسترجع الناس وقالوا هذا لاحق بأصحابه وضربه ابن يثربى فاتقاه عمار بدرقته فنشب سيفه فيها فعالجه فلم يخرج وأسف عمار لرجليه فضربه فقطعهما فوقع على استه وأخذ اسيرا فأتى به الى على فقال استبقنى فقال أبعد ثلاثة تقتلهم وأمر به فقتل وقيل ان المقتول عمرو بن يثربى وان عميرة بقى حتى ولى قضاء البصرة مع معاوية ولما قتل ابن يثربى تولى ذلك العدوى الزمام فتركه بيد رجل من بنى عدى وبرز فخرج اليه ربيعة العقيلى يرتجز ويقول

يا امتا أعق أم نعلم • والام تغذو ولدا وترحم

الا ترين كم شجاع يكلم • وتختلى منه يد ومعصم

كذب فهى من ابر أم تعلم ثم اقتتلا فأثخن كل واحد منهما صاحبه فماتا جميعا وقام مقام العدوى الحرث الضبى فما رؤى اشد منه وجعل يقول

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل • نبارز القرن اذا القرن نزل

اخوه (السلطان محمود) خراسان مقيما بمدينة بلخ واسمعيل بغزنة ولما بلغه نعى أبيه وتولية أخيه اسمعيل قصده فى جيش فلم يظفر به وحبسه واستولى على الملك ولما انتظم له الامر سير له الامام القادر بالله العباسى خلعة السلطنة ولقبه بسيف الدولة ثم يمين الدولة وفرض على نفسه غزو الهند فى كل عام ولم يزل يفتح من بلاد الهند حتى انتهى الى حيث لم تبلغه فى الاسلام راية ولم تتل به قط سورة ولا آية ووصل الى بلد فيه الصنم المعروف بسومنات وان هذا الصنم عند الهنود يحيى ويميت ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويزعمون ان الارواح اذا فارقت الاجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ فينشئها فيمن يشاء وان مد البحر وجزره عبادة له على قدر طاقته ولم يبق فى بلاد السند والهند احد الا وقد تقرب لهذا الصنم بأعز عليه حتى بلغت اوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة وامتلأت خزائنه من اصناف الاموال وفى خدمته ألف رجل يخدمونه وثلثمائة رجل يحلقون رؤس حجيجه ولحاهم عند الورود عليه وثلثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون عند بابه ولكل طائفة

تبغي ابن عفان بأطراف الاسل * الموت احلى عندنا من العسل
ردوا علينا شيخنا ثم بجل

وقيل ان هذه الابيات لوسيم بن عمرو الضبي وكان عمرو يحرض أصحابه يوم الجمل وقد أخذ الخطام ويقول

نحن بنو ضبة لانفر * حتى نرى جماجما تخر
يخرمنها العلق المحمر

ويقول يا أمنا يا عيش لن تراعي * كل بنيك بطل شجاع
ويقول يا أمنا يا زوجة النبي * يا زوجة المبارك المهدي

ولم يزل الامر كذلك حتى قتل على الخطام أربعون رجلا قالت عائشة ما زال جملي معتدلا حتى فقدت أصوات بني ضبة قال واخذ الخطام سبعون رجلا من قريش كلهم يقتل وهو آخذ بخطام الجمل وكان ممن اخذ بزمام الجمل محمد بن طلحة وقال يا أمتاه مريني بأمرك قالت آمرك ان تكون خير بني آدم ان تركت فجعل لايحمل عليه احد الا حمل وقال حاميم لاينصرون واجتمع عليه نفر كلهم ادعى قتله المكعبر الاسدي والمكعبر الضبي ومعاوية بن شداد العبسي وعفار السعدي النصري فانفذه بعضهم بالرمح ففي ذلك يقول

واشعث قوام بآيات ربه * قليل الاذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح جيب قميصه * فخر صريعا لليدين وللفم
يذكرني حاميم والرمح شاجر * فهلا تلا حاميم قبل التقدم
على غير شئ غير ان ليس تابعا * عليا ومن لايتبع الحق يندم

وأخذ الخطام عمرو بن الاشرف فجعل لايدنو منه احد الا خبطه بالسيف فاقبل اليه الحرث بن زهير الازدي وهو يقول

يا أمنا يا خير أم نعلم * اما ترين كم شجاع يكلم
وتختلى هامته والمعصم

فاختلفا ضربتين فقتل كل واحد منهما صاحبه واحدق اهل النجدات والشجاعة بعائشة فكان لايأخذ الخطام احد الا قتل وكان لايأخذه والراية الا معروف عند المطيفين بالجمل فينتسب انا فلان بن فلان فوالله ان كانوا ليقاتلون عليه وانه للموت لايوصل اليه الا بطلبة وعنت وما رامه احد من اصحاب على الا قتل او افلت ثم لم يعد وحمل عدى بن حاتم الطائي عليهم ففقئت عينه وجاء عبد الله بن الزبير ولم يتكلم فقالت من أنت فقال ابنك ابن اختك قالت واثكل اسماء وانتهى اليه الاشتر فاقتتلا فضربه الاشتر على رأسه فجرحه جرحا شديدا وضربه عبد الله ضربة خفيفة واعتنق كل رجل منهما صاحبه وسقطا الى الارض يعتركان فقال ابن الزبير اقتلوني ومالكا * واقتلوا مالكا معي

لو يعلمون من مالك لقتلوه انما كان يعرف بالاشتر فحمل أصحاب على وعائشة فخلصوهما قال الاشتر لقيت عبد الرحمن بن عتاب فلقيت اشد الناس واخرقه ما لبثته ان قتلته ولقيت الاسود بن عوف فلقيت أشد الناس واشجعه فما كدت انجو منه فتمنيت اني لم أكن لقيته ولقيني

من هؤلاء رزق معلوم وكان بين المسلمين وبين هذه القلعة التي فيها الصنم المذكور مسيرة شهر في مفازة موصوفة بقلة الماء وصعوبة المسالك واستيلاء الرمل على طرقها فسار اليها السلطان محمود في ثلاثين ألف فارس فلما وصلوا الى القلعة وجدوها حصنا منيعا ففتحوها في ثلاثة أيام ودخلوا بيت الصنم ووجدوا حوله من اصنام الذهب المرصع بأنواع الجوهر عدة كثيرة محيطة بعرشه يزعمون انها الملائكة واحرق المسلمون الصنم المذكور فوجدوا في اذنه نيفا وثلاثين حلقة فسألهم السلطان محمود عن ذلك فقالوا كل حلقة عبادة الف سنة وكانوا يقولون بقدم العالم ويزعمون أن هذا الصنم يعبد منذ أكثر من ثلاثين ألف سنة فأدحض عنها ادناس الشرك ومناقب هذا السلطان كثيرة وسيرته من احسن السير وكان مولده ليلة عاشوراء سنة احدى وستين وثلثمائة توفي في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين واربعمائة وكانت مدة ملكه قريبا من خمس وثلاثين سنة وقام بالامر بعده ولده (محمد) بعهد منه واجتمعت عليه الكلمة وكان اخوه ابو سعيد مسعود

جندب بن زهير الغامدي فضربه فقتله قال ورأيت عبد الله بن حكيم بن حزام وعنده راية قريش وهو يقاتل عدي بن حاتم وهما يتصاولان تصاول الفحلين فتعاورناه فقتلناه قال واخذ الخطام الاسود بن ابي البختري فقتل وهو قرشي ايضا واخذه عمرو بن الاشرف فقتل وقتل معه ثلاثة عشر رجلا من اهل بيته وهو ازدي وجرح مروان بن الحكم وجرح عبد الله بن الزبير سبعا وثلاثين جراحة من طعنة ورمية قال وما رأيت مثل يوم الجمل ما ينهزم منا احد وما نحن الا كالجبل الاسود وما يأخذ بخطام الجمل احد الا قتل حتى ضاع الخطام ونادى علي اعقروا الجمل فانه ان عقر تفرقوا فضربه رجل فسقط فما سمعت صوتا اشد من عجيج الجمل وكانت راية الازد من اهل الكوفة مع مخنف بن سليم فقتل واخذها الصقعب واخوه عبد الله بن سليم فقتل واخذها العلاء بن عروة فكان الفتح وهي بيده وكانت راية عبد القيس من اهل الكوفة مع القاسم بن سليم فقتل وقتل معه زيد وسيحان ابنا صوحان وأخذها عدة نفر فقتلوا منهم عبد الله بن رقبة ثم اخذها منقذ بن النعمان فدفعها الى ابنه مرة بن منقذ فانقضت الحرب وهي في يده وكانت راية بكر بن وائل في بني ذهل مع الحرث بن حسان الذهلي فاقدم وقال يا معشر بكر لم يكن احد له من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل منزلة صاحبكم فتقدم وقاتلهم فقتل ابنه وخمسة من بني أهله وقتل الحرث فقيل فيه

انعى الرئيس الحرث بن حسان * لآل ذهل ولآل شيبان

وقال رجل من بني ذهل

تنعى انا خير امرئ من عدنان * عند النزال والطعان الاقران

وقال أخوه بشر بن حسان

انا ابن حسان بن خوط وأبي * رسول بكر كلها الى النبي

وقتل رجال من بني محدوج وقتل من بني ذهل خمسة وثلاثون رجلا وقال رجل لاخيه وهو يقاتل يا اخي ما احسن قتالنا ان كنا على الحق قال فانا على الحق ان الناس أخذوا يمينا وشمالا وانا تمسكنا بأهل بيت نبينا فقاتلا حتى قتلا وجرح يومئذ عمير بن الاهلب الضبي فمر به رجل من اصحاب علي وهو في الجرحى يفحص برجليه ويقول

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا * فلم تنصرف الا ونحن رواء

لقد كان في نصر ابن ضبة امه * وشيعتها مندوحة وغناء

اطعنا قريشا ضلة من حلومنا * ونصرتنا اهل الحجاز عناء

اطعنا بني تيم بن مرة شقوة * وهل تيم الا اعبد واماء

فقال له الرجل قل لا اله الا الله قال ادن مني فلقني في صمم فدنا منه الرجل فوثب عليه فعض اذنه فقطعها وقيل في عقر الجمل ان القعقاع لقي الاشتر وقد عاد من القتال عند الجمل فقال هل لك في العود فلم يجبه فقال يا اشتر بعضنا اعلم بقتال بعض منك وحمل القعقاع والزمام مع زفر بن الحرث وكان آخر من أخذ الخطام فلم يبق شيخ من بني عامر الا أصيب قدام الجمل وزفر بن الحرث يرتجز ويقول

يا أمنا مثلك لا يراع * كل بنيك بطل شجاع

غائبا فقدم نيسابور فمال الناس اليه لان محمدا كان سيء الخلق والتدبير منهمكا في لذاته فأجمع الجند على عزل محمد وتفويض الملك الى (مسعود) ففعلوا ذلك وقبضوا على محمد وحملوه الى قلعة ووكلوا به فكانت مدة ملكه سنتين واستقر الملك للامير مسعود فجرى له مع بني سلجوق حروب يطول شرحها حتى قتل في سنة ثلاثين وأربعمائة ومدة ملكه ثلاث عشرة سنة وتولى بعده ولده (شهاب الدولة مودود) ثم ابنه (أبو المظفر ابراهيم) وكان صالحا عابدا وكان أكثر مجالسه في الجوامع والمساجد يدبر الملك ويفيد الطالبين بالدرس فكانت مدة ملكه اثنتين وأربعين سنة ثم تولى الملك بعده ولده (ابو الفتح ارسلان شاه) مدة فلما ملك بعده اخوه (المظفر بهرام شاه) ولم تزل تتلاشى امورهم ويختل نظامهم حتى ملك ولده (ابو شجاع خسروشاه) وهو آخر من ملك من هذه الطائفة واستولى على الملك السلجوقية فسبحان من لا يزول ملكه

● (الباب التاسع والعشرون في ذكر دولة بني طولون بالديار المصرية ولمع من أوصافهم السنية وخصائلهم البهية) ●

* ليس بوهواء ولا براع *

وقال القعقاع

اذا وردنا آجنا جهرناه * ولا يطاق وردما منعناه

وزحف الى زفر بن الحرث الكلابى وتسرعت عامر الى حربه فأصيبوا فقال القعقاع لبجير بن دلجة وهو من أصحاب على يا بجير بن دلجة صح بقومك فليعقروا الجمل قبل ان تصابوا وتصاب ام المؤمنين فقال بجير يا آل ضبة يا عمرو بن دلجة ادع بى اليك فدعاه فقال انا آمن حتى أرجع عنكم قال نعم فاجتث ساق البعير فرمى نفسه على شقه وجرجر البعير فقال القعقاع لمن يليه أنتم آمنون واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير وحملا الهودج فوضعاه وانه كالقنفذ لما فيه من السهام ثم أطافا به وفر من وراء ذلك من الناس فلما انهزموا أمر على مناديا فنادى الا لاتتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور وأمر على نفرا ان يحملوا الهودج من بين القتلى وأمر اخاها محمد بن ابى بكران يضرب عليها قبة وقال انظر هل وصل اليها شئ من جراحة فادخل رأسه فى هودجها فقالت من انت فقال ابغض أهلك اليك قالت ابن الخثعمية قال نعم قالت يابابى الحمد لله الذى عافاك وقيل لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبى بكر اليه ومعه عمار فاحتملا الهودج فنحياه فادخل محمد يده فيه فقالت من هذا فقال اخوك البر قالت عقق قال يا أخية هل اصابك شئ قالت ما أنت وذاك قال فمن اذا الضلال قالت بل الهداة وقال لها عمار كيف رأيت ضرب بنيك اليوم يا أماه قالت لست لك بأم قال بلى وان كرهت قالت فخرتم أن ظفرتم واتيتم مثل الذى نقمتم هيهات والله ان يظفر من كان هذا دأبه فابرزوا هودجها فوضعوها ليس قربها احد وأتاها على فقال كيف انت يا امه قالت بخير قال يغفر الله لك قالت ولك وجاء أعين بن ضبيعة بن اعين المجاشعى حتى اطلع فى الهودج فقالت اليك لعنك الله فقال والله ما أرى الا حميراء فقالت له هتك الله سترك وقطع يدك وابدى عورتك فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمى عريانا فى خربة من خرابات الازد ثم اتى وجوه الناس عائشة وفيهم القعقاع ابن عمرو فسلم عليها فقالت انى رأيت بالامس رجلين اجتلدا وارتجزا بكذا فهل تعرف كوفيك قال نعم ذاك الذى قال اعق ام نعلم وكذب انك لابر أم نعلم ولكن لم تطاعى قالت والله لوددت أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة * وخرج من عندها فأتى عليا فقال له على والله لوددت انى مت من قبل اليوم بعشرين سنة وكان على يقول ذلك اليوم بعد الفراغ من القتال

اليك اشكو عجرى وبجرى * ومعشرا اغشوا على بصرى

قتلت منهم مضرى بمضرى * شفيت نفسى وقتلت معشرى

فلما كان الليل ادخلها اخوها محمد بن ابى بكر البصرة فانزلها فى دار عبد الله بن خلف الخزاعى على صفية بنت الحرث بن ابى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وهى ام طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف وتسال الجرحى من بين القتلى ليلا فدخلوا البصرة فأقام على بظاهر البصرة ثلاثا واذن للناس فى دفن موتاهم فخرجوا اليهم فدفنوهم وطاف على فى القتلى فلما اتى على كعب بن سور قال ازعمتم انه خرج معهم السفهاء وهذا الحبر قد ترون واتى على عبد الرحمن بن عتاب فقال هذا يعسوب القوم يعنى انهم كانوا يطيفون به واجتمعوا على الرصافة

ذكر ابن عساكر فى تاريخه ان طولون كان من الاتراك الذين اهداهم نوح بن أسد السامانى عامل بخارا الى المأمون فى سنة مائتين وان احمد بن طولون ولى على مصر فى زمن المعتز لله بالله العباسى فى سنة خمسين ومائتين ثم أضيفت اليه نيابة الشام والثغور وأفريقية فأقام مدة طويلة وفتح مدينة انطاكية وبنى قلعة يافا ولم يكن لها قبل ذلك قلعة وبنى بين مصر والقاهرة الجامع المعروف به واستقل بالامر وخطب باسمه وكان كثير الصدقات فقال له يوما المتولى على صدقاته ربما امتدت الى اليد المطوقة بالجوهر والمعصم ذو السوار والكم الناعم أفأمنع هذه الطبقة فقال هؤلاء المستورون الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف احذر ان ترديدا امتدت اليك وأعط من استعطاك فعلى الله تعالى أجره وكان يتصدق فى كل اسبوع بثلاثة آلاف دينار سوى الراتب ويجرى على أهل المساجد فى كل شهر ألف دينار وفرق على العلماء والصلحاء ببغداد فى أيامه ألفى ألف دينار ومائتى ألف دينار وكان خراج مصر فى أيامه أربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار وكان لابن طولون ما بين رحبة مالك بن طوق الى اقصى بلاد الغرب وفى النجوم الزاهرة فى اخبار مصر والقاهرة أن احمد بن طولون قدم الى دمشق فى

السلام ثم مر على طلحة بن عبيد الله وهو صريع فقال لهفي عليك يا ابا محمد انا لله وانا اليه راجعون والله لقد كنت اكره ان ارى قريشا صرعى انت والله كما قال الشاعر

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه • اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وجعل كلما مر برجل فيه خير قال زعم من زعم انه لم يخرج الينا الا الغوغاء وهذا العابد المجتهد فيهم وصلى علي على القتلى من أهل البصرة والكوفة وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء وأمر فدفنت الاطراف في قبر عظيم وجمع ما كان في العسكر من شيء وبعث به الى مسجد البصرة وقال من عرف شيأ فليأخذه الا سلاحا كان في الخزائن عليه سمة السلطان وكان جميع القتلى عشرة آلاف نصفهم من اصحاب علي ونصفهم من أصحاب عائشة وقيل غير ذلك وقتل من ضبة ألف رجل وقتل من بني عدي حول الجمل سبعون رجلا كلهم قد قرأ القرآن سوى الشباب ومن لم يقرأ ولما فرغ علي من الوقعة أتاه الاحنف بن قيس في بني سعد وكانوا قد اعتزلوا القتال فقال له علي تربصت فقال ما كنت أراني الا وقد احسنت وبامرك كان ما كان يا امير المؤمنين فارفق فان طريقك الذي سلكت بعيد وأنت الى غدا أحوج منك امس فاعرف احساني واستصف مودتي لغد ولا تقل مثل هذا فاني لم أزل لك ناصحا ثم دخل علي البصرة يوم الاثنين فبايعه اهلها على راياتهم حتى الجرحى والمستأمنة واتاه عبد الرحمن بن ابي بكرة في المستأمنين ايضا فبايعه فقال له علي وما عمل المتربص المتقاعد بي ايضا يعني أباه ابا بكرة فقال والله انه لمريض وانه على مسرتك لحريص فقال علي امش أمامي فمشى معه الى ابيه فلما دخل عليه علي قال له تقاعدت بي وتربصت ووضع يده على صدره وقال هذا وجع بين واعتذر اليه فقبل عذره واراده على البصرة فامتنع وقال رجل من أهلك يسكن اليه الناس وسأشير عليه فافترقا على ابن عباس وولى زيادا على الخراج وبيت المال وأمر ابن عباس ان يسمع منه ويطيع وكان زياد معتزلا ثم راح الى عائشة وهي في دار عبد الله بن خلف وهي اعظم دار بالبصرة فوجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابني خلف وكان عبد الله قتل مع عائشة وعثمان قتل مع علي وكانت صفية زوجة عبد الله مختمرة تبكي فلما رأته قالت له يا علي يا قاتل الاحبة يا مفرق الجمع ايتم الله منك بنيك كما أيتمت ولد عبد الله منه فلم يرد عليها شيأ ودخل على عائشة فسلم عليها وقعد عندها ثم قال جبهتنا صفية اما اني لم ارها منذ كانت جارية فلما خرج علي اعادت عليه القول فكف بغلته وقال لقد هممت ان افتح هذا الباب وأشار الى باب في الدار واقتل من فيه وكان فيه ناس من الجرحى فأخبر علي بمكانهم فتغافل عنهم فسكت وكان مذهبه ان لا يقتل مدبرا ولا يذفف على جريح ولا يكشف سترا ولا يأخذ مالا ولما خرج علي من عند عائشة قال له رجل من ازد والله لا تغلبنا هذه المرأة فغضب وقال مه لا تهتكن سترا ولا تدخلن دارا ولا تهيجن امرأة باذى وان شتمن اعراضكم وسفهن امراءكم وصلحاءكم فان النساء ضعيفات ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات فكيف اذا هن مسلمات ومضى علي فلحقه رجل فقال له يا امير المؤمنين قام رجلان على الباب فتناولا من هو امض شتيمة لك من صفية قال ويحك لعلها عائشة قال نعم قال احدهما جزيت عنا امنا عقوقا وقال الآخر يا امي توبي فقد اخطأت فبعث القعقاع بن عمرو الى الباب فاقبل بمن كان عليه فأحالوا على رجلين من ازد الكوفة وهما عجلان وسعد ابنا عبد الله فضربهما مائة

سنة سبعين ومائتين وعمر على قبر معاوية بباب الصغير قبة عالية وعلق فيها قناديل وجعل فيها القراء واستمر ابن طولون مدة يجود ويعسف في الرعية الى ان اجتمعوا عند السيدة نفيسة وشكوا من ظلمه فقالت لهم متى يركب قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت في طريقه وقالت يا أحمد بن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم ففسقتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار نافذة لا سيما من قلوب أوجعتموها واجساد أعريتموها اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فعدل لوقته وتوفي في عشر ذي القعدة سنة سبعين ومائتين وخلف سبعة عشر ولدا وكانت مدة ولايته نحو ست وعشرين سنة وتولى بعده ابنه (أبو الجيش) خمارويه واقام مدة طويلة وكان كثير السهر فاصطنع لنفسه بستانا بقرب جامع ابيه وابتنى فيه قصورا وساق اليه ماءها جارية وعمل في وسطه بركة عظيمة ملوءة بالزئبق ووضع عليها فرشا كان ينام عليه لاجل سهره وفي شهر ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين ومائتين ذبحه بعض خدمه على فراشه بدمشق وحمل الى

مائة

مائة سوط وأخرجهما من ثيابهما وسألت عائشة يومئذ عمن قتل من الناس منهم معها ومنهم عليها والناس عندها فكلما نعي واحد من الجميع قالت يرحمه الله فقيل لها كيف ذلك قالت كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان في الجنة وفلان في الجنة وقال علي اني لارجو ان لا يكون احد نقي قلبه لله من هؤلاء الا ادخله الله الجنة ثم جهز على عائشة بكل ما ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك وبعث معها كل من نجا ممن خرج معها الا من احب المقام واختار لها أربعين امرأة من نساء البصرة والمعروفات وسير معها اخاها محمد بن أبي بكر فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه اتاها علي فوقف لها وحضر الناس فخرجت وودعتهم وقالت يا بني لا يعتب بعضنا على بعض انه والله ما كان بيني وبين علي في القديم الا ما يكون بين المرأة وبين احمائها وانه على معتبتي لمن الاخيار وقال علي صدقت والله ما كان بيني وبينها الا ذلك وانها الزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة وخرجت يوم السبت غرة رجب وشيعها اميالا وسرح بنيه معها يوما فكان وجهها الى مكة فأقامت الى الحج ثم رجعت الى المدينة وقال لها عمار حين ودعها ما ابعد هذا المسير من العهد الذي عهد اليك قالت والله انك ما علمت لقوال بالحق قال الحمد لله الذي قضى على لسانك لي واما المنهزمون فقد ذكرنا حالهم وكان منهم عتبة بن أبي سفيان فخرج هو وعبد الرحمن ويحيى ابنا الحكم فساروا في البلاد فلقيهم عصمة بن أبير التيمي فقال لهم هل لكم في الجوار فقال نعم فأجارهم وأنزلهم حتى برأت جراحهم وسيرهم نحو الشام في أربعمائة راكب فلما وصلوا الى دومة الجندل قالوا قد وفيت ذمتك وقضيت ما عليك فرجع واما ابن عامر فانه خرج ايضا فلقيه رجل من بني حرقوص يدعى مري فأجاره وسيره الى الشام واما مروان بن الحكم فاستجار بمالك بن مسمع فأجاره ووفى له وحفظ له بنو مروان ذلك في خلافتهم وانتفع بهم وشرفوه بذلك وقيل ان مروان نزل مع عائشة بدار عبد الله بن خلف وصحبها الى الحجاز فلما سارت الى مكة سار الى المدينة وأما عبد الله بن الزبير فانه نزل بدار رجل من الازد يدعى وزيرا فقال له ائت ام المؤمنين فاعلمها بمكاني ولا يعلم محمد بن ابي بكر فأتى عائشة فاخبرها فقالت علي بمحمد فقال لها انه قد نهاني ان يعلم محمد فلم تسمع قوله وأرسلت الى محمد وقالت اذهب مع هذا الرجل حتى تأتيني بابن أختك فانطلق معه وخرج عبد الله ومحمد حتى انتهيا الى دار عائشة في دار عبد الله بن خلف ولما فرغ علي من بيعة اهل البصرة نظر في بيت المال فرأى فيه ستمائة ألف وزيادة فقسمها على من شهد معه فأصاب كل رجل منهم خمسمائة فقال لهم ان أظفركم الله بالشام فلكم مثلها الى اعطياتكم فخاض في ذلك السبئية وطعنوا على علي من وراء وراء وطعنوا فيه ايضا حين نهاهم عن اخذ اموالهم فقالوا ما يحل لنا دماءهم ويحرم علينا اموالهم فقال لهم علي القوم امثالكم من صفح عنا فهو منا ومن لج حتى يصاب فقتاله مني على الصدر والنحر وقال القعقاع ما رأيت شيئا اشبه بشيء من قتال القلب يوم الجمل بقتال صفين لقد رأيتنا ندافعهم باسنتنا ونتكئ على ازجتنا وهم مثل ذلك حتى لو ان الرجال مشت عليها لاستقلت بهم وقال عبد الله بن سنان الكاهلي لما كان يوم الجمل ترامينا بالنبل حتى فنيت وتطاعنا بالرماح حتى تكسرت وتشبكت في صدورنا وصدورهم حتى لو سيرت عليها الخيل لسارت ثم قال علي السيوف يا بني المهاجرين فما شبهت أصواتها الا بضرب القصارين وعلم أهل المدينة بالوقعة يوم الحرب قبل ان تغرب

مصر ودفن بها وكان سببه انه نقل اليه ان جواريه قد اتخذت كل واحدة خطيا وجعلته لها كالزوج وقصد خمارويه تقرير بعض الجواري على ذلك فاجتمع جماعة من الخدم واتفقوا على قتله ولما قتل تولى مكانه ولده (جيش بن خمارويه) وكان صبيا فأقام تسعة أشهر ثم خلعه طغج بن جف أمير دمشق لصباه وتقريبه الاراذل وتهديده لقواديه فقتلوه ونهبوا داره ونهبوا مصر وأحرقوها وأجلسوا اخاه (هرون بن خمارويه) في الولاية وكانت مدة ولاية اخيه جيش المذكور تسعة أشهر ولم يزل هرون والياً مع ضعف من الامر بسبب اختلاف القواد عليه واختل نظام مملكته حتى استقل (طغج بن جف) بدمشق وخرج من طاعته وفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين بعث المكتفي جيشا أمر عليهم محمد بن سليمان الواثقي فاستولى على دمشق وسار حتى دنا من مصر وجرى بينه وبين عسكر هرون وقعات حتى قتل هرون وتولى بالامر مكانه عمه (أبو المغانم شيبان) بن أحمد بن طولون ثم هرب من الجيش تحت الليل واستولى (محمد ابن سليمان) على مصر وقبض على أولاد طولون وكانوا بضعة عشر رجلا واستصفى اموالهم وقدرها أربعمائة حمل بحمل من الصحف وألف ألف دينار وحملهم الى المكتفي ببغداد وانقرضت دولة الطولونية عن الديار المصرية وكانت مدة ولايتهم

الشمس من نسر مر بهم حول المدينة ومعه شيء معلق فسقط منه فاذا كف فيه خاتم نقشه عبد
الرحمن بن عتاب وعلم من بين مكة والمدينة والبصرة بالوقعة بما ينقل اليهم النسور من الايدي
والاقدام وأراد علي المقام بالبصرة لاصلاح حالها فأعجلته السبئية عن المقام فانهم ارتحلوا بغير
اذنه فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمرا ان أرادوه وقد قيل في سبب القتال يوم الجمل غير ما تقدم
مع الاتفاق على مسير أصحاب عائشة ونزولهم البصرة والوقعة الاولى مع عثمان بن حنيف وحكيم
(واما مسير علي وعزل أبي موسى) فقال فيه ان عليا لما أرسل محمد بن أبي بكر الى أبي موسى وجرى
له ما تقدم سار هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الى علي بالربذة فأعلمه الحال فأعاده علي الى أبي
موسى يقول له ارسل الناس فاني لم أولك الا لتكون من أعواني على الحق فامتنع أبو موسى
فكتب هاشم الى علي اني قدمت على رجل غال مشاق ظاهر الشنآن وأرسل الكتاب مع المحل
ابن خليفة الطائي فبعث علي الحسن ابنه وعمار بن ياسر يستنفران الناس وبعث قرظة بن
كعب الانصاري أميرا وكتب معه الى أبي موسى اني قد بعثت الحسن وعمارا يستنفران الناس
وبعثت قرظة بن كعب واليا على الكوفة فاعتزل عملنا مذموما مدحورا وان لم تفعل فاني قد
أمرته ان ينابذك فان نابذته فظفر بك يقطعك اربا اربا فلما قدم الكتاب على أبي موسى اعتزل
واستنفر الحسن الناس فنفروا ثم ما تقدم وسار علي عن نحو البصرة فقال جون بن قتادة كنت
مع الزبير فجاء فارس يسير فقال السلام عليك أيها الامير فرد عليه فقال ان هؤلاء القوم قد أتوا
مكان كذا وكذا فلم أر أرث سلاحا ولا أقل عددا ولا أرعب قلوبا منهم ثم انصرف عنه وجاء فارس
آخر فقال له ان القوم قد بلغوا مكان كذا وكذا فسمعوا بما جمع الله لكم من العدد والعدة
فخافوا فولوا مدبرين فقال الزبير ايها عنك فوالله لو لم يجد علي بن أبي طالب الا العرفج لدب الينا
فيه فانصرف وجاء فارس وقد كادت الخيل تخرج من الرهج فقال هؤلاء القوم قد أتوك فلقيت
عمارا فقلت له وقال لي فقال الزبير انه ليس فيهم فقال الرجل بلى والله انه لفيهم فقال الزبير والله ما
جعله الله فيهم فقال الرجل بلى والله فلما كرر عليه أرسل الزبير رجلين ينظران فانطلقا ثم رجعا
فقالا صدق الرجل فقال الزبير يا جدع انفاه او يا قطع ظهراه ثم أخذته رعدة فجعل السلاح ينتفض
قال جون فقلت ثكلتني أمي هذا الذي كنت أريد ان اموت معه او اعيش ما أخذه هذا الامر
الا لشيء سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف جون فاعتزل وجاء علي فلما تواقف
الناس دعا الزبير وطلحة فتواقفوا وذكر من أمر الزبير وعوده وتكفيره عن يمينه مثل ما تقدم
فلما أبوا الا القتال قال علي أيكم يأخذ هذا المصحف يدعوهم الى ما فيه فان قطعت يده اخذه بيده
الاخرى فان قطعت اخذه باسنانه وهو مقتول فقال شاب انا فطاف به على أصحابه فعرضه الا
ذلك الشاب ثلاث مرات فسلمه اليه فدعاهم فقطعت يده اليمنى فأخذه باليسرى فقطعت فأخذه
بصدره والدماء تسيل على قبائه فقتل فقال علي الآن حل قتالهم فقالت ام الفتى

لاهم ان مسلما دعاهم ● يتلو كتاب الله لا يخشاهم
وامهم قائمة تراهم ● تأمرهم بالقتل لا تنهاهم
● قد خضبت من علق لحاهم ●

وحملت ميمنة علي على ميسرتهم فاقتتلوا فلاذ الناس بعائشة وكان أكثرهم من ضبة والازد

المصرية والشامية ذوي
المآثر الحسنة والشمائل
المرضية ونبذة من أخبار آل
حمدان لانهم كانوا ابتهاجا في
وجه الزمان) ●
ذكر الصوري في تاريخه
ان هذه الطائفة منسوبون
الى عبد الله بن طغج بن جف
ابن يلتكين بن فور بن خاقان
صاحب سرير الذهب والقصر
الجوهر في فرغانة وكان
المعتصم جلب من فرغانة
رجالا اصطنعهم فكان جف
من جملتهم ومات جف ليلة
قتل المتوكل وكان طغج
اصغر اولاده فولد له محمد
وهو أول من استولى على
مصر والشام وعبده كافور
والاصل في اخشيد آق شيد
ومعناه الشمس البيضاء وكل
من ملك بفرغانة يسمى
الاخشيد كما يدعو الروم
مالكها بقيصر والفرس
بكسرى والمسلمون بالخليفة
والترك بخاقان وملك جرجان
صول وملك اذربيجان
اصبهبد وملك طبرستان
سالار وملك الديلم كاسان
وملك الانباط نمروذ وملك
القبط فرعون وملك اليمن تبع
وملك الحبشة النجاشي كذا
في البيان الجامع لتاريخ
الزمان ولقب محمد بن طغج

وكان قتالهم من ارتفاع النهار الى قريب من العصر ثم انهزموا ونادى رجل من الازد كروا فضربه محمد بن علي فقطع يده فقال يا معشر الازد فروا واستحر القتل في الازد فنادوا نحن على دين علي فقال رجل من بني ليث

سائل بنا حين لقينا الازدا * والخيل تعدو أشقرا و وردا
لما قطعوا كبدهم والزندا * سحقا لهم في رأيهم وبعدا

وحمل عمار بن ياسر على الزبير فجعل يحوزه بالرمح فقال أتريد ان تقتلني يا أبا اليقظان فقال لا يا أبا عبد الله انصرف فانصرف وجرح عبد الله بن الزبير فالقى نفسه في الجرحى ثم برأ وعقر الجمل واحتمل محمد بن ابي بكر عائشة فانزلها وضرب عليها قبة فوقف علي عليها وقال لها استنفرت الناس وقد فروا وألبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضا في كلام كثير فقالت عائشة ملكت فاسجح نعم ما بليت قومك اليوم فسرحها وأرسل معها جماعة من رجال ونساء وجهزها بما تحتاج لم أذكر في وقعة الجمل الا ما ذكره ابو جعفر اذ كان اوثق من نقل التاريخ فان الناس قد حشوا تواريخهم بمقتضى أهوائهم ومن قتل يوم الجمل عبد الرحمن بن عبيد الله أخو طلحة له صحبة وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس بن عامر بن لؤي له صحبة وفيها قتل المحرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس له صحبة واستعمله عمر على مكة ثم عزله وفيها قتل معرض بن علاط السلمي اخو الحجاج بن علاط قتل مع علي وفيها قتل مجاشع ومجالد ابنا مسعود السلميان مع عائشة لهما صحبة فاما مجاشع فلاشك انه قتل في الجمل وقتل عبد الله بن حكيم بن حزام الاسدي القرشي مع عائشة وكان اسلامه يوم الفتح وفيها قتل هند بن أبي هالة الاسيدي امه خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم مع علي وقيل مات بالبصرة والاول أصح (الاسيدي بضم الهمزة منسوب الى أسيد بتشديد الياء وهم بطن من تميم) وقتل هلال بن وكيع بن بشر التميمي مع عائشة له صحبة وفيها قتل معاذ بن عفراء اخو معوذ وهما ابنا الحرث بن رفاعة الانصاريان وشهدا بدرا وقتل مع علي وقيل عاش وقتل في وقعة الحرة (التيهان بفتح التاء فوقها نقطتان وتشديد الياء تحتها نقطتان وآخره نون وشبث بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة وآخره ثاء مثلثة وسيحان بفتح السين المهملة وسكون الياء تحتها نقطتان وفتح الحاء المهملة وآخره نون ونجبة بفتح النون والجيم والباء الموحدة وعميرة بفتح العين وكسر الميم وأبير بضم الهمزة وفتح الباء الموحدة والخريت بكسر الخاء المعجمة والراء المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها نقطتان وفي آخره تاء فوقها نقطتان)

﴿ذكر قصد الخوارج سجستان﴾

في هذه السنة بعد الفراغ من وقعة الجمل خرج حسكة بن عتاب الحبطي وعمران بن الفضيل البرجمي في صعاليك من العرب حتى نزلوا زالق من سجستان وقد نكث أهلها فأصابوا منها مالا ثم أتوا زرنج وقد خافهم مرزبانها فصالحهم ودخلوها فقال الراجز

بشر سجستان بجوع وحرب * بابن الفضيل وصعاليك العرب
لا فضة تغنيهم ولا ذهب

فبعث علي عبد الرحمن بن جرو الطائي فقتله حسكة فكتب علي الى عبد الله بن العباس يأمره

بالاخشيد وتولى مصر والديار الشامية من قبل الراضي بالله العباسي ولما ضعفت أمر الخلافة وتغلب عمال الاطراف عليها استقر ملك مصر والشام في يد الاخشيد الى ان مات في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وكان شيخا من شيوخ المعتزلة وكان شديد التيقظ في حروبه وله ثمانية آلاف مملوك يحرسونه بالنوبة كل يوم ألف مملوك وهو لا يثق حتى يمضي الى خيم الفراشين فينام بها خوفا على نفسه وكان جيشه يحتوي على أربعمائة ألف رجل ولم يزل الى ان توفي في الوقت المعلوم وحمل تابوته الى بيت المقدس ودفن هنالك وكانت مدة ولايته احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وفي السنة التي توفي فيها وجد بداره رقعة مكتوب فيها هذه الكلمات اشتغلتم بالشهوات واغتنام اللذات أوما علمتم ان الدنيا لو بقيت للعاقل ما وصل اليها الجاهل ولو دامت لمن مضى ما نالها من بقي فكفى بصحبة ملك يكون في زوال ملكه فرح للعالم ثقوا بقدرتكم وسلطانكم فانا بالله واثقون وهو حسبنا ونعم الوكيل

ان يولي سجستان رجلا ويسيره اليها في أربعة آلاف فوجه ربعي بن كاس العنبري ومعه الحصين بن أبي الحر العنبري فلما ورد سجستان قاتلهم حسكة وقتلوه وضبط ربعي البلاد وكان فيروز حصين ينسب الى الحصين بن أبي الحر هذا وهو من سجستان

(ذكر قتل محمد بن أبي حذيفة)

في هذه السنة قتل محمد بن أبي حذيفة وكان أبوه أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس قد قتل يوم اليمامة وترك ابنه محمدا هذا فكفله عثمان بن عفان وأحسن تربيته وكان فيما قيل أصاب شرابا فحده عثمان ثم تنسك محمد وأقبل على العبادة وطلب من عثمان أن يوليه عملا فقال لو كنت أهلا لذلك لوليتك فقال له اني قد رغبت في غزو البحر فائذن لي في اتيان مصر فأذن له وجهزه فلما قدمها رأى الناس عبادته فلزموه وعظموه وغزا مع عبد الله بن سعد غزوة الصواري وكان محمد يعيبه ويعيب عثمان بتوليته ويقول استعمل رجلا أباح رسول الله دمه فكتب عبد الله الى عثمان ان محمدا قد أفسد على البلاد هو ومحمد بن أبي بكر فكتب اليه أما ابن أبي بكر فانه يوهب لابيه ولعائشة وأما ابن أبي حذيفة فانه ابني وابن أخي وتربيتي وهو فرخ قريش فكتب اليه ان هذا الفرخ قد استوى ريشه ولم يبق الا ان يطير فبعث عثمان الى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم وبجمل عليه كسوة فوضعها محمد في المسجد ثم قال يا معشر المسلمين ألا ترون الى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه فازداد أهل مصر تعظيما له وطعنا على عثمان وبايعوه على رياستهم فكتب اليه عثمان يذكره بره وتربيته اياه وقيامه لشأنه ويقول انك كفرت احساني أحوج ما كنت الى شكرك فلم يرده ذلك عن ذمه وتأليب الناس عليه وحثهم على المسير الى حصره ومساعدة من يريد ذلك فلما سار المصريون الى عثمان أقام هو بمصر وخرج عنها عبد الله بن سعد بن أبي سرح فاستولى عليها وضبطها فلم يزل بها مقيما حتى قتل عثمان وبويع علي واتفق معاوية وعمرو بن العاص على خلاف علي فسارا الى مصر قبل قدوم قيس بن سعد اليها أميرا فأرادا دخولها فلم يقدرا على ذلك فخدعا محمدا حتى خرج منها الى العريش في ألف رجل فتحصن بها فنصب عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فقتل وهذا القول ليس بشيء لان عليا استعمل قيسا على مصر أول ما بويع له ولو أن ابن أبي حذيفة قتله معاوية وعمرو قبل وصول قيس الى مصر لاستوليا عليها الا انه لم يكن بها أمير يمنعهما عنها ولا خلاف ان استيلاء معاوية وعمرو عليها كان بعد صفين والله أعلم وقيل غير ذلك وهو أن محمد بن أبي حذيفة سير المصريين الى عثمان فلما حصروه أخرج محمد عبد الله بن سعد عن مصر وهو عامل عثمان واستولى عليها فنزل عبد الله على تخوم مصر وانتظر أمر عثمان فطلع عليه راكب فسأله فأخبره بقتل عثمان فاسترجع وسأله عما صنع الناس بعده فأخبره ببيعة علي فاسترجع فقال له كأن امرة علي تعدل عندك قتل عثمان قال أجل قال أظنك عبد الله بن سعد فقال نعم فقال له ان كانت لك في نفسك حاجة فالنجاء النجاء فان رأي أمير المؤمنين علي فيك وفي أصحابك ان ظفر بكم أن يقتلكم أو ينفيكم وهذا بعدي أمير يقدم عليك فقال من هو قال قيس بن سعد بن عبادة قال عبد الله ابن سعد أبعد الله محمد بن أبي حذيفة فانه بغى على ابن عمه وسعى عليه وقد كفله ورباه وأحسن اليه فأساء جواره وجهز اليه الرجال حتى قتل ثم ولي عليه من هو أبعد منه ومن عثمان ولم يمتعه

فبقي الاخشيد بعد سماع هذه الرقعة في فكر الى ان مات وولي الامر بعده ابنه (ابو القاسم انوجور) وكان صغيرا فأقيم كافور الاخشيدي الخادم الاسود اتابكا فكان يدبر المملكة وفي زمانه سار سيف الدولة بن حمدان الى دمشق وملكها وأقام بها واتفق أنه ركب يوما والشريف العقيقي معه فرأى الغوطة فقال ما تصلح هذه الا لرجل واحد فقال له العقيقي هي لاقوام كثيرة وغالبها وقف فقال سيف الدولة لو أخذتها القوانين السلطانية لتبرأ منها أهلها فاعلم العقيقي أهل دمشق بذلك فكاتبوا كافورا يستدعونه فجاءهم فانهزم منه وولي على دمشق بدرا الاخشيدي (ولنذكر نبذة من اخبار آل حمدان لانهم كانوا ابتهاج باقي وجه الزمان) فنقول هم من بني ربيعة وسيف الدولة علي هو كبيرهم وأميرهم وواسطة عقدهم ونصيرهم وأخوه ناصر الدولة الحسن ووالدهما عبد الله أبو الهيجاء ابن حمدان كان تولى امارة الحاج من جانب الخلفاء العباسيين وقتل بعد ذلك ثم ان الراضي بالله العباسي جعل للاخوين المذكورين

بسلطان بلاده شهرا ولم يره لذلك أهلا وخرج عبد الله هاربا حتى قدم على معاوية وهذا القول يدل على ان قيسا ولى مصر ومحمد بن أبي حذيفة حي وهو الصحيح وقيل ان عمرا سار الى مصر بعد صفين فلقيه محمد بن أبي حذيفة في جيش فلما رأى عمرو كثرة من معه أرسل اليه فالتقيا واجتمعا فقال له عمرو انه قد كان ماترى وقد بايعت هذا الرجل يعني معاوية وما انا براض بكثير من أمره وانى لاعلم ان صاحبك عليا أفضل من معاوية نفسا وقديما وأولى بهذا الامر فواعدني موعدا التقى معك فيه في غير جيش تأتي في مائة وآتي في مثلها وليس معنا الا السيوف في القرب فتعاهدا وتعاقدا على ذلك واتعدا العريش ورجع عمرو الى معاوية فاخبره الخبر فلما جاء الاجل سار كل واحد منهما الى صاحبه في مائة وجعل عمرو له جيشا خلفه لينطوي خبره فلما التقيا بالعريش قدم جيش عمرو على اثره فعلم محمد انه قد غدر به فدخل قصرا بالعريش فتحصن به فحصره عمرو ورماه بالمنجنيق حتى أخذ أسيرا وبعث به عمرو الى معاوية فسجنه وكانت ابنة قرظة امرأة معاوية ابنة عمة محمد بن أبي حذيفة أمها فاطمة بنت عتبة فكانت تصنع له طعاما ترسله اليه فأرسلت اليه يوما في الطعام مبارد فبرد بها قيوده وهرب فاختفى في غار فأخذ وقتل والله أعلم وقيل انه بقي محبوسا الى ان قتل حجر بن عدي ثم انه هرب فطلبه مالك بن هبيرة السكوني فظفر به فقتله غضبا لحجر وكان مالك قد شفع الى معاوية في حجر فلم يشفعه وقيل ان محمد بن أبي حذيفة لما قتل محمد بن أبي بكر خرج في جمع كثير الى عمرو فامنه عمرو ثم غدر به وحمله الى معاوية بفلسطين فحبسه ثم انه هرب فأظهر معاوية للناس انه كره هربه وأمر بطلبه فسار في أثره عبيد الله بن عمرو بن ظلام الخثعمي فأدركه بحوران في غار وجاءت حمر تدخل الغار فلما رأت محمدا نفرت منه وكان هناك ناس يحصدون فقالوا والله ان لنفرة هذه الحمر لشأنا فذهبوا الى الغار فنفروا وخرجوا من عنده فوافقهم عبيد الله فسألهم عنه ووصفه لهم فقالوا هو في الغار فاخرجه وكره ان يأتي به معاوية فيخلي سبيله فضرب عنقه وكان ابن خال معاوية

ذكر ولاية قيس بن سعد مصر

وفي هذه السنة في صفر بعث علي قيس بن سعد اميرا على مصر وكان صاحب راية الانصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ذوي الرأي والبأس فقال له سر الى مصر فقد وليتكها واخرج الى رحلك واجمع اليك ثقاتك ومن أحببت ان يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فان ذلك ارعب لعدوك وأعز لوليك واحسن الى المحسن واشدد على المريب وارفق بالعامة والخاصة فان الرفق يمن فقال له قيس اما قولك اخرج اليها بجند فوالله ائن لم أدخلها الا بجند آتيها به من المدينة لا أدخلها أبدا فأنا أدع ذلك الجند لك فان كنت احتجت اليهم كانوا منك قريبا وان أردت أن تبعثهم الى وجه من وجوهك كانوا عدة فخرج قيس حتى دخل مصر في سبعة من أصحابه على الوجه الذي تقدم ذكره فصعد المنبر فجلس عليه وأمر بكتاب أمير المؤمنين فقرئ على اهل مصر بامارته ويأمرهم بمبايعته ومساعدته واعانته على الحق ثم قام قيس خطيبا وقال الحمد لله الذي جاء بالحق وأمات الباطل وكبت الظالمين أيها الناس انا قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا فقوموا أيها الناس فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله فان نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم فقام الناس فبايعوا واستقامت مصر وبعث عليها عماله الا قرية منها يقال لها خربتا فيها

القابا سلطانية فجعل لعلي سيف الدولة وللحسن ناصر الدولة واعطى سيف الدولة حلبا وما يتبعها الى آخر بلاد حمص والى حدود الموصل والى جوانب جيحان واعطى ناصر الدولة الحسن الموصل وما يتبعها وكان ناصر الدولة أكبرسنا ولكن كان سيف الدولة أعظم شانا واثقب ذهنا وكان قد صدر بين الاخوين المذكورين نوع منافسة ادت الى مناقشة فكتب سيف الدولة الى أخيه ناصر الدولة هذه الابيات يخاطبه

واجاد

رضيت لك العليا وقد كنت أهلها
وقلت لهم بيني وبين أخي فرق
وما كان بي عنها نكول وانما
تجاوزت عن حقي فتم لك الحق
اما كنت ترضى ان أكون مصليا
اذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

(ومن غريب ما اتفق) ان ناصر الدولة تضايق مرة من معز الدولة بن بويه حين قصده بعساكر بغداد فهرب منه الى أخيه سيف الدولة المذكور ووصل الى حلب في أيام قليلة فتلقاه سيف الدولة وذكر ابن الاثير انه

ناس قد اعتزلوا واقتل عثمان عليهم رجل من بني كنانة ثم من بني مدلج اسمه يزيد بن الحرث فبعث الى قيس يدعو الى الطلب بدم عثمان وكان مسلمة بن مخلد قد أظهر الطلب أيضا بدم عثمان فأرسل اليه قيس ويحك أعلي تثب فوالله ما أحب ان لي ملك الشام الى مصر واني قتلتك فبعث اليه مسلمة اني كاف عنك ما دمت وآلت والي مصر وبعث قيس وكان حازما الى اهل خربتا اني لا أكرهكم على البيعة واني كاف عنكم فهادنهم وجبى الخراج ليس أحد ينازعه وخرج امير المؤمنين الى الجمل ورجع وهو بمكانه فكان أثقل خلق الله على معاوية مخافة ان يقبل علي في أهل العراق وقيس في أهل مصر فيقع بين معاوية فكتب معاوية الى قيس سلام عليك اما بعد فانكم نقمتم على عثمان ضربة بسوط أو شتيمة رجل أو تسييرا آخر واستعمال فتى وقد علمتم ان دمه لا يحل لكم فقد ركبتم عظيما وجئتم أمرا اذا فتب الى الله يا قيس فانك من المجلبين على عثمان فاما صاحبك فانا استيقنا انه الذي أغرى الناس وحملهم حتى قتلوه وانه لم يسلم من دمه عظم قومك فان استطعت يا قيس ان تكون ممن يطالب بدم عثمان فافعل وتابعنا على أمرنا ولك سلطان العراقين اذا ظهرت ما بقيت ولمن أحببت من أهلك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان وسلني ما شئت فاني أعطيك واكتب الي برأيك فلما جاءه الكتاب احب ان يدافعه ولا يبدي له امره ولا يتعجل الى حربه فكتب اليه اما بعد فقد فهمت ما ذكرته من قتل عثمان فذلك شيء لم أقارفه وذكرت ان صاحبي هو الذي أغرى به حتى قتلوه وهذا مما لم اطلع عليه وذكرت أن عظم عشيرتي لم تسلم فأول الناس كان فيه قياما عشيرتي وأما ما عرضته من متابعتك فهذا أمر لي فيه نظر وفكرة وليس هذا مما يسرع اليه وانا كاف عنك وليس يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى ترى ونرى إن شاء الله تعالى فلما قرأ معاوية كتابه رآه مقاربا مباعدا فكتب اليه اما بعد فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدك سلما ولا متباعدا فأعدك حربا وليس مثلي يصانع المخادع وينخدع للمكايد ومعه عدد الرجال واعنة الخيل والسلام فلما قرأ قيس كتابه ورأى انه لا يفيد معه المدافعة والمماطلة اظهر له ما في نفسه فكتب اليه اما بعد فالعجب من اغترارك بي وطمعك في واستسقاطك اياي أتسومني الخروج عن طاعة أولى الناس بالامارة وأقولهم بالحق واهداهم سبيلا واقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة وتأمرني بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الامر وأقولهم بالزور واضلهم سبيلا وابعدهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة ولد ضالين مضلين طاغوت من طواغيت ابليس واما قولك اني مالئ عليك مصر خيلا ورجالا فوالله ان لم أشغلك بنفسك حتى تكون اهم اليك انك لذو جد والسلام فلما رأى معاوية كتابه أيس منه وثقل عليه مكانه ولم تنجح حيلته فيه فكاد من قبل علي فقال لاهل الشام لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعوا الى غزوه فانه لنا شيعة قد تأتينا كتبه ونصيحته سرا ألا ترون ما يفعل باخوانكم الذين عنده من أهل خربتا يجري عليهم اعطياتهم وأرزاقهم ويحسن اليهم واختلق كتابا عن قيس اليه بالطلب بدم عثمان والدخول معه في ذلك وقرأه على أهل الشام فبلغ ذلك عليا ابلغه ذلك محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن أبي طالب واعلمته عيونه بالشام فأعظمه وأكبره فدعا ابنيه وعبد الله بن جعفر فأعلمهم ذلك فقال ابن جعفر يا أمير المؤمنين دع ما يريبك الى ما لا يريبك اعزل قيسا عن مصر فقال علي اني والله ما اصدق بهذا عنه فقال عبد الله اعزله

نزع شقة أخيه عند قدومه بيده ولقد اتسع ملك سيف الدولة حتى انه ملك دمشق في زمن كافور الاخشيدي حين كان متوليا أمور المملكة بمصر وكان سبب خروجه ما ذكرناه من محادثته مع الشريف العقيقي في أمر غوطة دمشق وكان كثيرا ما يغزو بلاد الكفر وله مع الدمستق الطاغي أمير النصارى وقائع وحروب وكانت حضرته محط الرحال ومنهل أرباب الكمال بحيث ان الافاضل كانوا يقصدونه من جميع الاطراف لما يجدون عنده من المكارم والالطاف وكان شاعره المتنبي الشاعر الذي لم تسمع بمثله الادوار ما دار الفلك الدوار وكان كاتبه الامير كشاجم الفاضل المشهور وكان خطيبه خطيب الخطباء ابن نباته صاحب الديوان المشهور وكان مؤدبه ابن خالويه وكان مرداره ابن عمه ابو فراس الحرث صاحب النظم العجيب والشعر الغريب والمكارم الشائعة والصفات الساطعة التي تزينت بها الدفاتر ورواها البادي والحاضر وسار صيته في الآفاق وتناقلت أحاديث فضله الرفاق وأي كتاب ما هو مزين بصفاته

فان كان هذا حقا لا يعتزلنك فبيناهم كذلك اذ جاءهم كتاب من قيس يخبر امير المؤمنين بحال المعتزلين وكفه عن قتالهم فقال ابن جعفر ما اخوفني ان يكون ذلك ممالأة منه فمره بقتالهم فكتب اليه يأمره بقتالهم فلما قرأ الكتاب كتب جوابه اما بعد فقد عجبت لامرك تأمرني بقتال قوم كافين عنك مفرغيك لعدوك ومتى حاددناهم ساعدوا عليك عدوك فأطعني يا أمير المؤمنين واكفف عنهم فان الرأي تركهم والسلام فلما قرأ علي الكتاب قال ابن جعفر يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبي بكر على مصر واعزل قيسا فقد بلغني ان قيسا يقول ان سلطانا لا يستقيم الا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء وكان ابن جعفر اخا محمد بن ابي بكر لامه فبعث علي محمد بن أبي بكر الى مصر وقيل بعث الاشتر النخعي فمات بالطريق فبعث محمدا فقدم محمد على قيس بمصر فقال له قيس ما بال أمير المؤمنين ما غيره أدخل أحد بيني وبينه قال لا وهذا السلطان سلطانك قال لا والله لا أقيم وخرج منها مقبلا الى المدينة وهو غضبان لعزله فجاءه حسان بن ثابت وكان عثمانيا يشمت به فقال له قتلت عثمان ونزعك علي فبقي عليك الاثم ولم يحسن لك الشكر فقال له قيس يا اعمى القلب والبصر والله لولا ألقي بين رهطي ورهطك حربا لضربت عنقك اخرج عني ثم اخاف مروان بن الحكم قيسا بالمدينة فخرج منها هو وسهل بن حنيف الى علي فشهدا معه صفين فكتب معاوية الى مروان يتغيظ عليه ويقول له لو امددت عليا بمائة ألف مقاتل لكان أيسر عندي من قيس بن سعد في رأيه ومكانه فلما قدم قيس على علي وأخبره الخبر علم انه كان يقاسي امورا عظاما من المكايدة وجاءهم خبر قتل محمد بن أبي بكر فعظم محل قيس عنده واطاعه في الامر كله ولما قدم محمد مصر قرأ كتاب علي على أهل مصر ثم قام فخطب فقال الحمد لله الذي هدانا واياكم لما اختلف فيه من الحق وبصرنا واياكم كثيرا مما كان عمي عنه الجاهلون الا ان أمير المؤمنين ولاني أمركم وعهد الي ما سمعتم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب فان يكن ما ترون من امارتي واعمالي طاعة لله فاحمدوا الله على ما كان من ذلك فانه هو الهادي له وان رأيتم عاملا لي عمل بغير الحق فارفعوه الي وعاتبوني فيه فاني بذلك اسعد وأنتم جديرون وفقنا الله واياكم لصالح الاعمال برحمته ثم نزل والبث شهرا كاملا حتى بعث الى أولئك القوم المعتزلين الذين كانوا قد وادعهم قيس فقال لهم اما ان تدخلوا في طاعتنا وأما ان تخرجوا عن بلادنا فأجابوه انا لا نفعل فدعنا حتى ننظر الى ما يصير اليه أمرنا فلا تعجل لحربنا فأبى عليهم فامتنعوا وأخذوا حذرهم فكانت وقعة صفين وهم هائبون لمحمد فلما رجع علي عن معاوية وصار الامر الى التحكيم طمعوا في محمد وأظهروا له المبارزة فبعث محمد الحرث بن جمهان الجعفي الى أهل خربتا وفيها يزيد بن الحرث مع بني كنانة ومن معه فقاتلهم فقاتلوه وقتلوه فبعث محمد اليهم ايضا ابن مضاهم الكلبي فقتلوه وقد قيل انه جرى بين محمد ومعاوية مكاتبات كرهت ذكرها فانها مما لا يحتمل سماعها العامة * وفيها اقدم ابراز بن مرزبان مرو الى علي بعد الجمل مقرا بالصلح فكتب له كتابا الى دهاقين مرو والاساورة ومن بمرو ثم انهم كفروا واغلقوا نيسابور فبعث علي خليد بن قرة وقيل ابن طريف اليربوعي الى خراسان.

(ذكر قدوم عمرو بن العاص على معاوية ومتابعته له)

قيل كان عمرو بن العاص قد سار عن المدينة قبل أن يقتل عثمان نحو فلسطين وسبب ذلك انه

وأي دفتر ما هو مطيب بمحاسن معانيه وغاب شعر المتنبي في مدائحه العالية وفي ذكر محاسنه الغالية وهو القائل فيه

لا تطلبن كريما بعد رؤيته ... ان الكرام بأسخاهم يدا ختموا
ولا تبال بشعر بعد شاعره ... قد أفسد القول حتى أحمد الصمم

واستمر سيف الدولة يجاهد في الله حق جهاده ويسعى في دين الاسلام بما يقربه في معاده ولقد اسر ابن عمه الامير الكبير صاحب القدر الرفيع الخطير الفاضل الشجاع الواصل الى مرتبة الاختراع والابداع الامير أبو فراس وكان حبسه في حصن خرشنة وهو من الحصون المنيعة والقلاع الرفيعة فضايقه من حبسه اشد المضايقة فأرسل الى امه وكانت مقيمة بمدينة منبج أن تذهب الى الملك سيف الدولة الى حلب وتطلب منه ان يرسل الى ملك النصارى ليفديه فذهبت اليه فردها وقال لها ولدك ابن عمي وخال أولادي ولكن انا عجزت وأنا أنصحه انه لا ينزل بنفسه الى الميدان عند وقوع الحرب لانه أمير سردار وليس للسردار شجاعة الا بثباته تحت علمه

لما احيط بعثمان قال يا أهل المدينة لا يقيم أحد فيدركه قتل هذا الرجل الاشتر به اقه بلد من لم
يستطع نصرة فليهرب فسار وقيل غير ذلك وقد تقدم وسار معه ابناه عبد الله ومحمد فسكن فلسطين
فمر به راكب من المدينة فقال له عمرو ما اسمك قال حصيرة قال عمرو حصر الرجل فما الخبر قال
تركت عثمان محصورا ثم مر به راكب آخر بعد ايام فقال له عمرو ما اسمك قال قتال قال قتل
الرجل فما الخبر قال قتل عثمان ولم يكن شئ الى ان سرت ثم مر به راكب من المدينة فقال له عمرو
ما اسمك قال حرب قال عمرو وليكونن حرب وقال له ما الخبر قال بايع الناس عليا فقال سلم بن
زنباع يا معشر العرب كان بينكم وبين العرب باب فكسر فاتخذوا بابا غيره فقال عمرو وذلك الذى
نريده ثم ارتحل عمرو راجلا معه ابناه يبكى كما تبكى المرأة وهو يقول واعثماناه انعى الحياء
والدين حتى قدم دمشق وكان قد علم الذى يكون فعمل عليه لان النبى صلى الله عليه وسلم كان
قد بعثه الى عمان فسمع من حبر هناك شيأ عرف بصداقه فسأله عن وفاة النبى صلى الله عليه وسلم
ومن يكون بعده فاخبره بابى بكر وان مدته قصيرة ثم يلى بعده رجل من قومه مثله تطول مدته
ويقتل غيلة ثم يلى بعده رجل من قومه تطول مدته ويقتل عن ملا قال ذلك أشر ثم يلى بعده
رجل من قومه ينتشر الناس عليه ويكون على رأسه حرب شديدة ثم يقتل قبل ان يجتمع الناس
عليه ثم يلى بعده امير الارض المقدسة فيطول ملكه ويجتمع عليه أهل تلك الفرقة ثم يموت وقيل
ان عمرا لما بلغه قتل عثمان قال أنا أبو عبد الله أنا قتلته وأنا بوادى السباع ان يلى هذا الامر
طلحة فهو فتى العرب سيبا وان يلى ابن أبى طالب فهو أكره من يليه الى فبلغه بيعة على فاشتد
عليه واقام ينتظر ما يصنع الناس فأتاه مسير عائشة وطلحة والزبير فأقام ينتظر ما يصنعون فأتاه
الخبر بوقعة الجمل فارتج عليه أمره فسمع أن معاوية بالشام لا يبايع عليا وانه يعظم شأن عثمان
وكان معاوية أحب اليه من على فدعا ابنيه عبد الله ومحمدا فاستشارهما وقال ما تريان اما على
فلا خير عنده وهو يدل بسابقته وهو غير مشركى فى شئ من أمره فقال له ابنه عبد الله توفى النبى
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وهم عنك راضون فارى أن تكف يدك وتجلس فى بيتك حتى
يجتمع الناس وقال له ابنه محمد أنت ناب من أنياب العرب ولا أرى ان يجتمع هذا الامر وليس لك
فيه صوت فقال عمرو أما أنت يا عبد الله فامرتنى بما هو خير لى فى دينى وأما أنت يا محمد فامرتنى
بما هو خير لى فى دنياى وشر لى فى آخرتى ثم خرج ومعه ابناه حتى قدم على معاوية فوجد اهل
الشام يحضون معاوية على الطلب بدم عثمان وقال عمرو انتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم
ومعاوية لا يلتفت اليه فقال لعمرو ابناه الا ترى معاوية لا يلتفت اليك فانصرف الى غيره
فدخل عمرو على معاوية فقال له والله لعجب لك انى أرفدك بما أرفدك وأنت معرض عنى أن
قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة ان فى النفس ما فيها حيث نقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته
ولكنا انما أردنا هذه الدنيا فصالحه معاوية وعطف عليه

(ذكر ابتداء وقعة صفين)

لما عاد على من البصرة بعد فراغه من الجمل قصد الكوفة وأرسل الى جرير بن عبد الله البجلى
وكان عاملا على همدان استعمله عثمان والى الاشعث بن قيس وكان على اذربيجان استعمله
عثمان أيضا يامرهما باخذ البيعة والحضور عنده فلما حضرا عنده أراد على ان يرسل رسولا

وقد قدمته قبل هذه من نين
لما رجعت الى منبج أرسلت
الى ولدها مكتوبا تذكر له
فيه ان المال ردها فكتبت
اليه ما قال ابو امن النصيحة
فكتب الامير ابو فراس من
حصن خرشنة وهو فى الاسر
قصيدة لا نظير لها يخاطب
سيف الدولة ويعاتبه على
رد امه بغير اجابة الى الفداء
ويذكر القاء نفسه فى رضاه
الى الردى فقال

يا حسرة ما أكاد أحملها
آخرها مزعج وأولها
حزينة بالشآم مفردة
بات بأيدى العدا معللها
تسأل عنه الركبان جاهدة
بأدمع ما تكاد تمهلها
يا من رأى لى بحصن خرشنة
أسد شرى فى القيود أرجلها
يا من رأى لى الدروب شامخة
دون لقاء الحبيب اطولها
بأى عذر رددت والهة
عليك دون الورى معولها
جاءتك تمتاح رد واحدها
ينتظر الناس كيف تقفلها
سمحت منى بمهجة كرمت
أنت على يأسها مؤملها
ان كنت لا تبذل الفداء لها
فلم أزل فى هواك أبذلها

وهى قصيدة طويلة شاع اسمها
جميعها شاهد بجلالة وأرسل الى
امه مكتوبا يقول فيه

الى

الى معاوية قال جرير أرسلني اليه فانه لي ود فقال الاشتر لا تفعل فان هواه مع معاوية فقال علي دعه حتى ننظر ما الذي يرجع الينا به فبعثه وكتب معه كتابا الى معاوية يعلمه فيه باجتماع المهاجرين والانصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وحربه اياهما ويدعوه الى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والانصار من طاعته فسار جرير الى معاوية فلما قدم عليه ماطله واستنظره واستشار عمرا فاشار عليه ان يجمع أهل الشام ويلزم عليا دم عثمان ويقاتلهم ففعل معاوية ذلك وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قتل فيه مخضوبا بالدم بأصابع زوجته نائلة اصبعان منها وشيء من الكف واصبعان مقطوعتان من أصولهما ونصف الابهام وضع معاوية القميص على المنبر وجمع الاجناد اليه فبكوا على القميص مدة وهو على المنبر والاصابع معلقة فيه واقسم رجال من اهل الشام ان لا يمسهم الماء الا للغسل من الجنابة وان لا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن قام دونهم قتلوه فلما عاد جرير الى امير المؤمنين علي واخبره خبر معاوية واجتماع أهل الشام معه على قتاله وانهم يبكون على عثمان ويقولون ان عليا قتله وآوى قتلته وانهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه قال الاشتر لعلي قد كنت نهيتك ان ترسل جريرا وأخبرتك بعداوته وغشه ولو كنت أرسلتني لكان خيرا من هذا الذي أقام عنده حتى لم يدع بابا نرجو فتحه الا فتحه ولا بابا نخاف منه الا أغلقه فقال جرير لو كنت ثم لقتلوك لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان فقال الاشتر والله لو أتيتهم لم يعيني جوابهم ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر ولو أطاعني أمير المؤمنين لحبسك واشباهك حتى يستقيم هذا الامر فخرج جرير الى قرقيسيا وكتب الى معاوية فكتب اليه معاوية يأمره بالقدوم عليه وقيل كان الذي حمل معاوية على رد جرير البجلي بغير مقتضى الحاجة شرحبيل بن السمط الكندي وكان سبب ذلك ان شرحبيل كان قد سيره عمر بن الخطاب الى العراق الى سعد ابن أبي وقاص وكان معه فقدمه سعد وقربه فحسده الاشعث بن قيس الكندي لمنافسة بينهما فوفد جرير البجلي على عمر فقال له الاشعث ان قدرت ان تنال من شرحبيل عند عمر فافعل فلما قدم على عمر سأله عمر عن الناس فاحسن الثناء على سعد قال وقد قال شعرا

ألا ليتني والمرء سعد بن مالك * وزبرا وابن السمط في لجة البحر
فيغرق أصحابي وأخرج سالما * على ظهر قرقور أنادي أبا بكر

فكتب عمر الى سعد يأمره بارسال زبرا وشرحبيلا اليه فأرسلهما فأمسك زبرا بالمدينة وسير شرحبيلا الى الشام فشرف وتقدم وكان أبوه السمط من غزاة الشام فلما قدم جرير بكتاب علي الى معاوية في البيعة انتظر معاوية قدوم شرحبيل فلما قدم عليه اخبره معاوية بما قدم فيه جرير فقال كان امير المؤمنين عثمان خليفتنا فان قويت على الطلب بدمه والا فاعتزلنا فانصرف جرير فقال النجاشي

شرحبيل ما للدين فارقت امرنا * ولكن لبغض المالكي جرير
وقولك ما قد قلت عن أمر اشعث * فاصبحت كالحادي بغير بعير

جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك فنسب الى جده مالك وخرج علي فعسكر بالنخيلة وتخلف عنه نفر من أهل الكوفة منهم مرة الهمداني ومسروق أخذا اعطياتهما وقصدا قزوين فاما

لولا العجوز بمنبج
ما خفت اسباب المنيه
ولكان لي عما اقصد
ت من الفدا نفس أبيه
لكن أردت مرادها
ولو انجذبت الى الدنيه
يا أمنا لا تحزني
لله ألطاف خفيه

ثم بعد ذلك أرسل اليه وفداه واستقبله وتلقاه وولد سيف الدولة في سنة ثلاث وثلثمائة ومات في سنة سبع وخمسين وثلثمائة ودفن عند امه بميافارقين وتولى الملك بعده ولده (سعد الدولة ابو المعالي) وسعد الدولة هذا هو ابن اخت أبي فراس المذكور واتفق ان ابافراس المذكور كان عند سيف الدولة واليا على حمص فرام بعد موت الملك ان يستقل بملك حمص فأرسل اليه ابن اخته سعد الدولة يقول له يا خال أعط حمص لنا لئلا نفرغو به فامتنع من تسليمها فقاتله عند صدد وحربين فانكسر عسكر أبي فراس وقتل في ذلك المكان واستمرت جثته ثلاثة أيام ملقاة في البرية حتى جاء بعض الاعراب وواراها واستقر سعد الدولة واليا مكان أبيه نحو عشرة اعوام ولما مات ناصر الدولة الحسن أخو سيف الدولة

مسروق فانه كان يستغفر الله من تخلفه عن علي بصفين وقدم عليه عبد الله بن عباس فيمن معه من أهل البصرة وبلغ ذلك معاوية فاستشار عمرا فقال اما اذ سار علي فسر اليه بنفسك ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك فتجهز معاوية وتجهز الناس وحضهم عمرو وضعف عليا وأصحابه وقال ان أهل العراق قد فرقوا جمعهم وأوهنوا شوكتهم وفلوا حدهم وأهل البصرة مخالفون لعلي عن قتل منهم وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل وانما سار علي في شرذمة قليلة وقد قتل خليفتكم والله الله في حقكم أن تضيعوه وفي دمكم ان تطلوه وكتب معاوية الى أهل الشام وعقد لواء لعمرو ولواء لابنيه عبد الله ومحمد ولواء لغلامه وردان وعقد علي لواء لغلامه قنبر فقال عمرو

هل يغنين وردان عني قنبرا • أو تغني السكون عني حميرا
• اذا الكماة لبسوا السنورا •

فبلغ ذلك عليا فقال

لأصبحن العاصي بن العاصي • سبعين ألفا عاقدي النواصي
مجنبين الخيل بالقلاص • مستحقبين حلق الدلاص

فلما سمع معاوية ذلك قال ما أرى عليا الا وقد وفى لك وسار معاوية وتأنى في مسيره فلما رأى ذلك الوليد بن عقبة بعث اليه يقول

ألا أبلغ معاوية بن حرب • فانك من أخي ثقة مليم
قطعت الدهر كالسدم المعنى • تهدر في دمشق فما تريم
وانك والكتاب الى علي • كدابغة وقد حلم الاديم
يمنيك الامارة كل ركب • لانقاض العراق بها رسيم
وليس أخو التراث بمن توانى • ولكن طالب الترة الغشوم
ولو كنت القتيل وكان حيا • لجرد لا ألف ولا غشوم
ولا نكل عن الاوتار حتى • يبيئها ولا برم جثوم
وقومك بالمدينة قد أبيروا • فهم صرعى كأنهم الهشيم

فكتب اليه معاوية

ومستعجب مما يرى من أناتنا • ولو زبنته الحرب لم يترمرم

وبعث علي زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف وبعث مع شريح بن هانئ أربعة آلاف وسار علي من النخيلة وأخذ معه من بالمدائن من المقاتلة وولى على المدائن سعد بن مسعود عم المختار بن أبي عبيد الثقفي ولما سار علي كان معه نابغة بن جعدة فحدا به يوما فقال

قد علم المصران والعراق • ان عليا فحلها العتاق
أبيض جحجاح له رواق • إن الاولى جاروك لا أفاقوا
لكم سباق ولهم سباق • قد علمت ذلكم الرفاق

ووجه علي من المدائن معقل بن قيس في ثلاثة آلاف وأمره أن يأخذ على الموصل حتى يوافيه على الرقة فلما وصل الى الرقة قال لأهلها اعملوا له جسرا يعبر عليه الى الشام فأبوا وكانوا قد

بديار الموصل تولى بعده ولده (أبو تغلب) فقتل وتولى مكانه أخوه (الغضنفر) ابن ناصر الدولة وصدر لأبي تغلب المذكور مع الملك عضد الدولة بن بويه قصة عجيبة ومضافات غريبة أوجبت انكسار عسكر أبي تغلب وانتصار عضد الدولة فأرسل أبو تغلب الى عضد الدولة مكتوبا يلتمس منه العفو والصفح عنه فقال في ذلك عضد الدولة

أأفاق حين وطئت ضيق خناقه • يبغي الامان وكان يبغي صارما
فلأركبن عزيمة عضدية • تدع الانوف مدى الزمان رواغما

وذكر ابن خلكان أن سيف الدولة جمع لنفسه من غبار الجهاد مع الكفار كثيرا وصيره لبنة وأوصى أن توضع في قبره تحت خده ففعلوا به ذلك واستمر ملك بني حمدان في بلاد حلب والجزيرة وبلاد الموصل ما يقرب من سبعين سنة ولسيف الدولة شعر لطيف جدا فمن ذلك أنه قال يوما هذا البيت مفردا

لي قلب تملكه • قد تملكه

ضموا سفنهم اليهم فنفر من عندهم ليعبر على جسر منبج وخلف عليهم الاشتر فناداهم الاشتر وقال اقسم بالله لئن لم تعملوا جسرا يعبر عليه أمير المؤمنين لاجردن فيكم السيف ولاقتلن الرجال ولآخذن الاموال فلقي بعضهم بعضا وقالوا ان الاشتر وفي ان يفي لكم بما حلف عليه أو يأتي بأكثر منه فنصبوا الجسر وعبر عليه علي وأصحابه وازدحموا عليه فسقطت قلنسوة عبد الله بن ابي الحصين الازدي فنزل فأخذها ثم ركب وسقطت قلنسوة عبد الله بن الحجاج الازدي فنزل فأخذها ثم قال لصاحبه

فان يك ظن الزاجري الطير صادقا * كما زعموا أقتل وشيكا وتقتل

فقال ابن ابي الحصين ما شيء أحب الي مما ذكرت فقتلا جميعا بصفين ولما بلغ علي الفرات دعا زياد ابن النضر الحارثي وشريح بن هانئ فسرحهما امامه في اثني عشر ألفا نحو معاوية على حالهما التي خرجا عليها من الكوفة وكان سبب عودهما اليه انهما حيث سيرهما علي من الكوفة أخذا على شاطئ الفرات مما يلي البر فلما بلغا عانات بلغهما ان معاوية قد أقبل في جنود الشام فقالا لا والله ما هذا لنا برأي نسير وبيننا وبين المسلمين وامير المؤمنين هذا البحر وما لنا خير في ان نلقى جنود الشام بقلة من معنا فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهلها فرجعوا فعبروا من هيت فلحقوا عليا دون قرقيسيا فلما لحقوا عليا قال مقدمتي تأتيني من ورائي فاخبره شريح وزياد بما كان فقال سددتما فلما عبر الفرات سيرهما امامه فلما انتهيا الى سور الروم لقيهما ابو الاعور السلمي في جند من اهل الشام فأرسلا الى علي فاعلماه فأرسل علي الى الاشتر وأمره بالسرعة وقال له اذا قدمت فأنت عليهم واياك أن تبدأ القوم بقتال الا ان يبدؤك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع منهم ولا يحملك بغضهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم مرة بعد مرة واجعل على ميمنتك زيادا وعلى ميسرتك شريحا ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى أقدم عليك فاني حثيث المسير في اثرك ان شاء الله تعالى وكتب علي الى شريح وزياد بذلك وامرهما بطاعة الاشتر فسار الاشتر حتى قدم عليهم واتبع ما امره وكف عن القتال ولم يزالوا متواقفين حتى كان عند المساء حمل عليهم أبو الاعور السلمي فثبتوا له واضطربوا ساعة ثم انصرف أهل الشام وخرج اليهم من الغد هاشم بن عتبة المرقال وخرج اليه ابو الاعور فاقتتلوا يومهم وصبر بعضهم لبعض ثم انصرفوا وحمل عليهم الاشتر وقال اروني ابا الاعور وتراجعوا ووقف ابو الاعور وراء المكان الذي كان فيه اول مرة وجاء الاشتر فصف اصحابه بمكان ابي الاعور بالامس فقال الاشتر لسنان بن مالك النخعي انطلق الى ابي الاعور فادعه الى البراز فقال الى مبارزتي أو مبارزتك فقال الاشتر لو أمرتك بمبارزته لفعلت قال نعم والله لو أمرتني ان اعترض صفهم بسيفي لفعلت فدعا له وقال انما تدعوه لمبارزتي فخرج اليهم فقال امنوني فاني رسول فأمنوه فانتهى الى أبي الاعور وقال له ان الاشتر يدعوك الى أن تبارزه فسكت طويلا ثم قال ان خفة الاشتر وسوء رأيه حملاه على اجلاء عمال عثمان عن العراق وتقبيح محاسنه وعلى ان سار اليه في داره حتى قتله فأصبح متبعا بدمه لا حاجة لي في مبارزته قال له الرسول قد قلت فاسمع مني اجبك قال لا حاجة لي في جوابك اذهب عني فصاح به اصحابه فانصرف عنه ورجع الى الاشتر فأخبره فقال لنفسه نظر فوقفوا حتى حجز الليل بينهم وعاد الشاميون من الليل

وطلب من الامير ابي فراس
ان يجيزه فقال ارتجالا
أنت للرق مالك
فلك الامر كله
فاعطاه لذلك منبج اقطاعا
وله في تشبيه قوس قزح
وأجاد الى الغاية
كاذيال خود أقبلت في غلائل
مصبغة والبعض اقصر من
بعض
وكان بنو حمدان شيعة لكن
كان تشيعهم خفيفا ولم
يكونوا كبني بويه فان بني
بويه كانوا في غاية القباحة
سبابين ومن أراد استقصاء
اخبار ملوك بني حمدان
فلينظر الى يتيمة الدهر للثعالبي
والله تعالى اعلم * وفي سنة
تسع وأربعين وثلثمائة مات
انوجور وأقام كافور أخاه
(عليا) مكانه فتوفي وهو
صغير واستقل (كافور
الاخشيدي) بالمملكة يدعى
له على المنابر بالبلاد المصرية
والشامية والحجازية فأقام
سنتين وأربعة اشهر ومات
بمصر في سنة سبع وخمسين
وثلثمائة قال الذهبي كان
كافور عبدا حبشيا خصيا
اشتراه الاخشيد بثمانية
عشر دينارا ثم تقدم عنده
لعقله ورأيه ولم يبلغ احد من
الخصيان ما بلغ كافور وقال
ابو جعفر مسلم بن عبد الله بن
طاهر العلوي كنت اساير
كافورا يوما وهو في موكب

واصبح علي غدوة عند الاشتر وتقدم الاشتر ومن معه فانتهى الى معاوية فواقفه ولحق بهم علي فتواقفوا طويلا ثم ان عليا طلب لعسكره موضعا ينزل فيه وكان معاوية قد سبق فنزل منزلا اختاره بسيطا واسعا أفيح وأخذ شريعة الفرات وليس في ذلك الصقع شريعة غيرها وجعلها في حيزه وبعث عليها ابا الاعور السلمي يحميها ويمنعها فطلب اصحاب علي شريعة غيرها فلم يجدوا فأتوا عليا فأخبروه بفعلهم وبعطش الناس فدعا صعصعة بن صوحان فارسله الى معاوية يقول له انا سرنا مسيرنا هذا ونحن نكره قتالكم قبل الاعذار اليكم فقدمت الينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل ان نقاتلك ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك وهذه اخرى قد فعلتموها منعتم الناس عن الماء والناس غير منتهين فابعث الى اصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء وليكفوا لننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له فان اردت أن نترك ما جئنا له ونقتتل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا فقال معاوية لاصحابه ماترون فقال الوليد بن عقبة وعبد الله بن سعد امنعهم الماء كما منعوه ابن عفان اقتلهم عطشا قتلهم الله فقال عمرو بن العاص خل بين القوم وبين الماء فانهم لن يعطشوا وأنت ريان ولكن بغير الماء فانظر فيما بينك وبين الله فاعاد الوليد وعبد الله بن سعد مقالتهما وقالا امنعهم الماء الى الليل فانهم ان لم يقدروا عليه رجعوا وكان رجوعهم هزيمة امنعهم الماء منعهم الله اياه يوم القيامة قال صعصعة انما يمنعه الله الفجرة وشربة الخمر لعنك الله ولعن هذا الفاسق يعني الوليد بن عقبة فشتموه وتهددوه وقد قيل ان الوليد وابن ابي سرح لم يشهدا صفين فرجع صعصعة فاخبر بما كان وان معاوية قال سيأتيكم رأيي فسرب الخيل الى ابي الاعور ليمنعهم الماء فلما سمع علي ذلك قال قاتلوهم على الماء فقال الاشعث ابن قيس الكندي انا اسير اليهم فسار اليهم فلما دنوا منهم ثاروا في وجوههم فرموهم بالنبل فتراموا ساعة ثم تطاعنوا بالرماح ثم صاروا الى السيوف فاقتتلوا ساعة وأرسل معاوية يزيد بن اسد البجلي القسري جد خالد بن عبد الله القسري في الخيل الى أبي الاعور فاقبلوا فأرسل علي شبث ابن ربعي الرياحي فازداد القتال فأرسل معاوية عمرو بن العاص في جند كثير فأخذ يمد ابا الاعور ويزيد بن اسد وأرسل علي الاشتر في جمع عظيم وجعل يمد الاشعث وبهذا فاشتد القتال فقال عبد الله بن عوف الازدي الاحمري

خلوا لنا ماء الفرات الجاري • أو اثبتوا لجحفل جرار

لكل قرم مستميت شاري • مطاعن برمحه كرار

ضراب هامات العدى مغوار • لم يخش غير الواحد القهار

وقاتلوهم حتى خلوا بينهم وبين الماء وصار في ايدي أصحاب علي فقالوا والله لانسقيه أهل الشأم فارسل علي الى أصحابه ان خذوا من الماء حاجتكم وخلوا عنهم فان الله نصركم ببغيهم وظلمهم ومكث علي يومين لا يرسل اليهم أحدا ولا يأتيه احد ثم ان عليا دعا ابا عمرو بشير بن عمرو بن محصن الانصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي فقال لهم ائتوا هذا الرجل وادعوه الى الله والى الطاعة والجماعة فقال له شبث يا أمير المؤمنين ألا تطمعه في سلطان توليه اياه او منزلة تكون له بها اثرة عندك ان هو بايعك قال انطلقوا اليه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه وهذا في أول ذي الحجة فأتوه فدخلوا عليه فابتدأ بشير بن عمرو الانصاري فحمد الله وأثنى عليه وقال

فنقلت مقرعته من يده فبادرت بالنزول وأخذتها من الارض وناولتها اياه فقال ايها الشريف اعوذ بالله ومن بلوغ الغاية ما ظننت ان الزمان يبلغني حتى يفعل بي هذا فكان يحكي فلما بلغ باب داره ودعته ومررت فاذا بالبغال والنجائب برا كبها وقال أصحابه أمس كافور يحمل هذا البلد وكان عمها يزيد على خمسة عشر ألف دينار (وذكر ابن الاثير) في تاريخه ان كافورا كان يوما سائرا بمصر في موكب عظيم ومعه الشريف بن طباطبا العلوي فنزل كافور عن فرسه ووقف الموكب من خلفه وقدامه وسجد لله تعالى على الارض في السوق ثم ركب على فرسه وسار فسأله الشريف عن ذلك فقال قد علمت انه لايسألني عن هذه المنزلة غيرك كنت في مبدأ أمري أمر من هذا السوق وارى في هذا المكان دكان هريسة وكنت اشتهيها ولا اقدر على ذلك فكنت اقنع بالشم واكتفي به ولما من الله علي بهذه السلطنة العظيمة عزمت على شكر الله تعالى وكلما كثرت النعم وجب الشكر بمقدارها اردت ان يشبع عني الشكر بمقدار شبعها وبأزعة في نفسي في ذلك عدة مما كب

يامعاوية ان الدنيا عنك زائلة وانك راجع الى الآخرة وان الله محاسبك بعملك ومجازيك عليه وانى انشدك الله أن تفرق جماعة هذه الامة وان تسفك دماءها بينها فقطع عليه معاوية الكلام وقال هلا أوصيت بذلك صاحبك فقال أبو عمرو ان صاحبى ليس مثلك ان صاحبى أحق البرية كلها بهذا الامر فى الفضل والدين والسابقة فى الاسلام والقرابة بالرسول صلى الله عليه وسلم قال فماذا يقول قال يأمرك بتقوى الله وأن تجيب ابن عمك الى مايدعوك اليه من الحق فانه أسلم لك فى دنياك وخير لك فى عاقبة أمرك قال معاوية ونترك دم ابن عفان لا والله لا أفعل ذلك ابدا قال فذهب سعيد بن قيس يتكلم فبادره شبث بن ربعى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعاوية قد فهمت ما رددت على ابن محصن انه والله لا يخفى علينا ماتطلب انك لم تجد شيئا تستغوى به الناس وتستميل به اهواءهم وتستخلص به طاعتهم الا قولك قتل امامكم مظلوما فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام وقد علمنا أنك ابطأت عنه بالنصر واحببت له القتل لهذه المنزلة التى اصبحت تطلب ورب متمنى أمر وطالبه يحول الله دونه وربما أوتى المتمنى امنيته وفوق امنيته والله مالك فى واحدة منهما خير والله ان أخطأك ماترجو انك لشر العرب حالا ولئن اصبت ماتتمناه لاتصيبه حتى تستحق من ربك صلى النار فاتق الله يامعاوية ودع ماأنت عليه ولا تنازع الامر أهله قال فحمد الله معاوية ثم قال أما بعد فان أول ما عرفت به سفهك وخفة حلمك ان قطعت على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه ثم اعترضت بعد فيما لا علم لك به فقد كذبت ولؤمت أيها الاعرابي الجلف الجافى فى كل ما ذكرت ووصفت انصرفوا من عندى فليس بينى وبينكم الا السيف وغضب وخرج القوم فقال له شبث بن ربعى اتهول بالسيف اقسم بالله لنجعلنها اليك فأتوا عليا فأخبروه بذلك فأخذ على يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج ومعه جماعة من أصحابه ويخرج اليه آخر من أصحاب معاوية ومعه جماعة فيقتتلان فى خيلهما ثم ينصرفان وكرهوا ان يلقوا بجمع أهل العراق بجمع أهل الشام لما خافوا ان يكون فيه من الاستئصال والهلاك فكان على يخرج مرة الاشتر ومرة حجر بن عدى الكندى ومرة شبث بن ربعى ومرة خالد بن المعمر ومرة زياد بن النضر الحارثى ومرة زياد بن خصفة التيمى ومرة سعيد بن قيس الهمدانى ومرة معقل بن قيس الرياحى ومرة قيس بن سعد الانصارى وكان الاشتر أكثرهم خروجا وكان معاوية يخرج اليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد واباالاعور السلمى وحبيب بن مسلمة الفهرى وابن ذى الكلاع الحميرى وعبيد الله بن عمر بن الخطاب وشرحبيل بن السمط الكندى وحمزة بن مالك الهمدانى فاقتتلوا ايام ذى الحجة كلها وربما اقتتلوا فى اليوم الواحد مرتين

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة مات حذيفة بن اليمان بعد قتل عثمان بيسير ولم يدرك الجمل وقتل ابناه صفوان وسعيد مع على بصفين بوصية أبيهما وقيل مات سنة خمس وثلاثين والاول أصح وفيها مات سلمان الفارسى فى قول بعضهم وكان عمره مائتين وخمسين سنة هذا اقل ماقيل فيه وقيل ثلثمائة وخمسون سنة وكان قد أدرك بعض أصحاب المسيح عليه السلام وعبد الله بن سعد بن ابى سرح مات بعسقلان حيث خرج مع معاوية الى صفين وكره الخروج معه ومات فيها عبد الرحمن بن عديس

وكانت تغلبنى وتمنعنى من ذلك واليوم غلبت انا نفسى واديت الشكر لله تعالى ولما مات كافور وقع الخلاف فيمن ينصب بعده واتفقوا على نصب (أبى الفوارس أحمد بن على بن الاخشيد) وخطب له وهو ابن اثنتين وعشرين سنة فأقام شهورا حتى اتى جوهر القائد من الغرب فانتزعها منه فكان جملة الدولة الاخشيدية نحو خمس وثلاثين سنة

(الباب الحادى والثلاثون فى ذكر بنى مرداويج الديلمى ملوك جرجان الممارسين معركة الابطال والشجعان)

ذكر صاحب السلوك فى دول الملوك فى أصل الديلم ان باسل بن ضبة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان خرج مغاضبا لابيه فوقع فى أرض الديلم فتزوج امرأة من العجم فولدت له ديلم بن باسل فهو ابو الديلم كلهم وهم افخاذ وعشائر وكانوا مجوسا لم ينقادوا الى ملة فأسلم بعضهم وأول من ظهر منهم (ابو الحجاج مرداويج ابن زياد الديلمى) فقوى امره وعظمت جيوشه واستولى على بلاد الجبل والرى وأتته الديلم من كل ناحية واتخذ له سريرا من الذهب وتاجا مرصعا

البلوى امير القادمين من مصر الى قتل عثمان وكان ممن بايع النبى صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وقيل بل قتل بالشام وفيها مات قدامة بن مظعون الجمحى وهو ممن هاجر الهجرتين الى الحبشة وشهد بدرا وفيها توفى عمرو بن ابى عمرو بن ضبة الفهرى ابو شداد شهد بدرا وفيها استعمل على على الرى يزيد بن حجية التيمى تيم اللات فكسر من خراجها ثلاثين الفا فكتب اليه على يستدعيه فحضر فسأله عن المال قال اين ما غللته من المال قال ما اخذت شيئا فخفقه بالدرة خفقات وحبسه ووكل به سعدا مولاه فهرب منه يزيد الى الشام فسوغه معاوية المال فكان ينال من على وبقى بالشام الى ان اجتمع الامر لمعاوية فسار معه الى العراق فولاه الرى فقيل انه شهد مع على الجمل وصفين والنهروان ثم ولاه الرى وهو الصحيح فكان ما تقدم ذكره

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

ذكر تتمة امر صفين

فى هذه السنة فى المحرم منها جرت موادعة بين على ومعاوية توادعا على ترك الحرب بينهما حتى ينقضى المحرم طمعا فى الصلح واختلفت بينهما الرسل فبعث على عدى بن حاتم ويزيد بن قيس الارحبى وشبث بن ربعى وزياد بن خصفة فتكلم عدى بن حاتم فحمد الله وقال اما بعد فانا اتيناك ندعوك الى امر يجمع الله به كلمتنا وامتنا ويحقن به الدماء ويصلح ذات البين ان ابن عمك سيد المسلمين افضلها سابقة واحسنها فى الاسلام اثرا وقد استجمع له الناس ولم يبق احد غيرك وغير من معك فاحذر يا معاوية لا يصيبك واصحابك مثل يوم الجمل فقال له معاوية كانك انما جئت متهددا لم تأت مصلحا هيهات يا عدى كلا والله انى لابن حرب لا يقعقع له بالشنان وانك والله من المجلبين على عثمان وانك من قتلته وانى لارجو ان تكون ممن يقتله الله به فقال له شبث وزياد بن خصفة جوابا واحدا اتيناك فيما يصلحنا واياك فاقبلت تضرب لنا الامثال دع ما لا ينفع واجبنا فيما يعم نفعه وقال يزيد بن قيس انا لم نأت الا لنبلغك ما ارسلنا به اليك ونؤدى عنك ما سمعنا منك ولن ندع ان ننصح لك وان نذكر ما يكون به الحجة عليك ويرجع الى الالفة والجماعة ان صاحبنا من قد عرف المسلمون فضله ولا يخفى عليك فاتق الله يا معاوية ولا تخالفه فانا والله ما رأينا فى الناس رجلا قط اعمل بالتقوى ولا ازهد فى الدنيا ولا اجمع لخصال الخير كلها منه فحمد الله معاوية ثم قال اما بعد فانكم دعوتم الى الطاعة والجماعة فاما الجماعة التى دعوتم اليها فمعنا هى واما الطاعة لصاحبكم فانا لا نراها لان صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وآوى ثأرنا وصاحبكم يزعم انه لم يقتله فنحن لا نرد عليه ذلك فليدفع الينا قتلة عثمان لنقتلهم ونحن نجيبكم الى الطاعة والجماعة فقال شبث بن ربعى أيسرك يا معاوية ان تقتل عمارا فقال وما يمنعنى من ذلك لو تمكنت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان فقال شبث والذى لا اله غيره لا تصل الى ذلك حتى تندر الهام عن الكواهل وتضيق الارض والفضاء عليك فقال معاوية لو كان ذلك لكانت عليك اضيق وتفرق القوم عن معاوية وبعث معاوية الى زياد بن خصفة فخلا به وقال له يا اخا ربيعة ان عليا قطع ارحامنا وقتل امامنا وآوى قتلة صاحبنا وانى اسألك النصر عليه بعشيرتك ثم لك عهد الله وميثاقه انى اوليك اذا ظهرت أى المصرين احببت فقال زياد اما بعد فانى على بينة من ربى وبما انعم الله على فلن اكون ظهيرا للمجرمين وقام فقال معاوية لعمرو بن العاص ليس نكلم

بالمرهم واصطنع كراسى فضة فلواصه ولم يزل تزداد شوكته وفى سنة خمس عشرة وثلثمائة استولى على جرجان وكتب ابو مسلم الكاتب الاصفهانى بذلك يوم الثلاثة ارى نارا تأجج من بعيد لها فى كل ناحية شعاع واستولى على قزوين وهمدان ودينور وقم وكاشان واصفهان وطبرستان واستولى على بقية بلاد الجبل ونهب البلاد الى ان وصل الى حلوان وفى سنة تسع عشرة وثلثمائة ارسل المقتدر بالله العباسى العساكر فغلبهم مرداويج وكان جبارا متكبرا وفى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة دخل الحمام فهجم عليه جماعته فقتلوه وولى مكانه اخوه (وشمكير بن زياد) مدة فوقع بينه وبين ملوك الاطراف حروب كثيرة توفى سنة ست وخمسين وثلثمائة وسببه انه كان يخرج للصيد فصادفه خنزير مجروح فهجم عليه فقام فرسه ورماه فقتله وتولى مكانه ولده (بيتون بن وشمكير) مدة وتوفى فى سنة ست وستين وثلثمائة وتولى مكانه اخوه (قابوس) بن وشمكير وكان عالما فاضلا شاعرا وكان قابوس هذا يحسن الخط الى الغاية حتى

رجلا منهم فيجيب الى خير ما قلوبهم الا كقلب واحد وبعث معاوية الى علي حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الاخنس فدخلوا عليه فحمد الله حبيب واثنى عليه ثم قال اما بعد فان عثمان كان خليفة مهديا يعمل بكتاب الله وينيب الى امره فاستثقلتم حياته واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع الينا قتلة عثمان ان زعمت انك لم تقتله ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم يولونه من أجمعوا عليه فقال له علي ما أنت لا ام لك والعزل وهذا الامر اسكت است هناك ولا باهل له فقال والله لتريني بحيث تكره فقال له علي وما أنت لا ابقى الله عليك ان ابقيت علينا اذهب فصوب وصعد ما بدا لك وقال شرحبيل ما كلامي الا مثل كلام صاحبي فهل عندك جواب غير هذا فقال علي ليس عندي جواب غيره ثم حمد الله وأثنى عليه وقال اما بعد فان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق فانقذ به من الضلالة والهلكة وجمع به من الفرقة ثم قبضه الله اليه فاستخلف الناس أبا بكر واستخلف ابو بكر عمر فاحسنا السيرة وعدلا وقد وجدنا عليهما ان توليا الامور ونحن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فغفرنا ذلك لهما وولي الناس عثمان فعمل بأشياء عابها الناس فساروا اليه فقتلوه ثم اتاني الناس فقالوا لي بايع فأبيت فقالوا بايع فان الامة لا ترضى الا بك وانا نخاف ان لم تفعل أن يتفرق الناس فبايعتهم فلم يرعني الا شقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية الذي لم يجعل له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الاسلام طليق بن طليق حزب من الاحزاب لم يزل حربا لله ورسوله هو وأبوه حتى دخلا في الاسلام كارهين ولا عجب الا من اختلافكم معه وانقيادكم له وتتركون آل بيت نبيكم الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم الا اني أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه واماتة الباطل واحياء الحق ومعالم الدين أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين فقالا اتشهد ان عثمان قتل مظلوما فقال لهما لا أقول انه قتل مظلوما ولا ظالما فقالا فمن لم يزعم انه قتل مظلوما فنحن منه براء وانصرفا فقال عليه السلام انك لا تسمع الموتى الى قوله فهم مسلمون ثم قال لاصحابه لا يكن هؤلاء في الجد في ضلالهم اجد منكم في الجد في حقكم وطاعة ربكم فتنازع عامر بن قيس الحذمري ثم الطائي وعدي بن حاتم الطائي في الراية بصفين وكانت حذمر أكثر من بني عدي رهط حاتم فقال عبد الله بن خليفة البولاني عند علي يا بني حذمر أعلى عدي تتوثبون وهل فيكم وفي ابائكم مثل عدي وابيه اليس بحامي القرية ومانع الماء يوم روية اليس ابن ذي المرباع وابن جواد العرب وابن المنهب ماله ومانع جاره ومن لم يغدر ولم يفجر ولم يجهل ولم يبخل ولم يمنن ولم يجبن هاتوا في آبائكم مثل ابيه أو فيكم مثله اليس أفضلكم في الاسلام ووافدكم الى النبي صلى الله عليه وسلم اليس برأسكم يوم النخيلة ويوم القادسية ويوم المدائن ويوم جلولاء ويوم نهاوند ويوم تستر فقال علي حسبك يا ابن خليفة وقال علي احضر جماعة طيء فأتوه فقال من كان رأسكم في هذه المواطن قالوا عدي فقال ابن خليفة سلهم يا امير المؤمنين اليسوا راضين برياسة عدي ففعل فقالوا بلى فقال علي فعدي احقكم بالراية وأخذها فلما كان ايام حجر بن عدي طلب زياد عبد الله بن خليفة ليبعثه مع حجر فسار الى الجبلين ووعده عدي ان يرده وان يسأل فيه فطال عليه ذلك فقال شعرا منه

اتنسى بلائي سادرا يا ابن حاتم * عشية ما أغنت عديك حذمرا

ان الصاحب بن عباد كان يقول عند رؤيته هذا خط قابوس ام جناح الطاوس وينشد قول المتنبي

من خطه في كل قلب شهوة
حتى كان مداده الاهواء

فاستمر الى ان غضب عليه عضد الدولة واخرجه من الملك فتوجه الى خراسان وبقي معزولا عند بني سامان ثماني عشرة سنة ثم تولى بعده جرجان وطبرستان ومازندران وكيلان خمس عشرة سنة ومن نظمه

قل للذي بصروف الدهر عيرنا
هل عاند الدهر الا من له خطر
اما ترى البحر يعلو فوقه جيف
ويستقر بأقصى قعره الدرر
وفي السماء نجوم مالها عدد
وليس يكسف الا الشمس والقمر

ومما انشدنيه بلفظه لنفسه في أواخر رجب الفرد سنة تسع بعد الالف الاستاذ البارع الكامل المولى العالم الفاضل فريد دهره ووحيد عصره العلامة البدري مولانا الشيخ حسن البوريني لازالت شموس علومه ساطعة وبدور فهومه طالعة لله دره حيث قال

صبرا على نوب الزمان فانها
مخلوقة لنكاية الاحرار
لا يكسف النجم الحقير وانما
يسري الكسوف لرافعة الاقمار

وكان قابوس صاحب ونف

قد أقمت عنك القوم حتى تخاذلوا * وكنت أنا الخصم الألد العذورا
فولوا وما قاموا مقامي كأنما * رأوني ليثا بالأباءة مخدرا
نصرتك إذ خام القريب وأبعد الـ * ـبعيد وقد أفردت نصرا موزرا
فكان جزائي أن أجرر بينكم * سحيبا وأن أولى الهوان وأوسرا
وكم عدة لي منك أنك راجعي * فلم تغن بالميعاد عني حبترا

وسترد قصته بتمامها إن شاء الله تعالى فلما انسلخ المحرم أمر علي مناديا ينادي يا أهل الشام يقول لكم أمير المؤمنين قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا إليه فلم تنتهوا عن طغيانكم ولم تجيبوا إلى الحق وإني قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين فاجتمع أهل الشام إلى أمرائهم ورؤسائهم وخرج معاوية وعمرو يكتبان الكتائب ويعبيان الناس وكذلك فعل أمير المؤمنين وقال للناس لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فأنتم بحمد الله على حجة وترككم قتالهم حجة أخرى فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا ولا تأخذوا شيئا من أموالهم ولا تهيجوا امرأة وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف القوى والأنفس وكان يقول بهذا المعنى لأصحابه في كل موطن وحرض أصحابه فقال عباد الله اتقوا الله وغضوا الأبصار واخفضوا الأصوات وأقلوا الكلام ووطنوا أنفسكم على المنازلة والمجاولة والمزاولة والمناضلة والمعانقة والمكادمة والملازمة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين اللهم ألهمهم الصبر وأنزل عليهم النصر وأعظم لهم الأجر وأصبح علي فجعل على خيل الكوفة الأشتر وعلى خيل البصرة سهل بن حنيف وعلى رجالة الكوفة عمار بن ياسر وعلى رجالة البصرة قيس بن سعد وهاشم بن عتبة المرقال معه الراية وجعل مسعر بن فدكي على قراء الكوفة وأهل البصرة وبعث معاوية على ميمنته ابن ذي الكلاع الحميري وعلى ميسرته حبيب ابن مسلمة الفهري وعلى مقدمته أبا الأعور السلمي وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص وعلى رجالة دمشق مسلم بن عقبة المري وعلى الناس كلهم الضحاك بن قيس وبايع رجال من أهل الشام على الموت فعقلوا أنفسهم بالعمائم وكانوا خمسة صفوف وخرجوا أول يوم من صفر فاقتتلوا وكان على الذين خرجوا من أهل الكوفة الأشتر وعلى من خرج من أهل الشام حبيب بن مسلمة فاقتتلوا يومهم قتالا شديدا معظم النهار ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض ثم خرج اليوم الثاني هاشم بن عتبة في خيل ورجال وخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السلمي فاقتتلوا يومهم ذلك ثم انصرفوا وخرج اليوم الثالث عمار بن ياسر وخرج إليه عمرو بن العاص فاقتتلوا أشد قتال وقال عمار يا أهل العراق أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين فلما رأى الله يعز دينه ويظهر رسوله أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو فيما نرى راهب غير راغب ثم قبض النبي صلى الله عليه وسلم فوالله إن زال بعده معروفا بعداوة المسلم واتباع المجرم فاثبتوا له وقاتلوه وقال عمار لزياد بن النضر وهو على الخيل احمل على أهل الشام فحمل وقاتله الناس وصبروا له وحمل عمار فأزال عمرو بن العاص

وغير خلعة عساكره وولوا مكانه ولده (فلك المعالي منوچهر) وانقطع هو في عبادة ربه فلما توفي في سنة عشرين وأربعمائة تولى مكانه ولده (أنوشروان شاه) ولم يتم حاله حتى استولى على الملك السلطان محمود ابن سبكتكين وكان آخر العهد بهم وقد انقرضت دولتهم والله أعلم

(الباب الثاني والثلاثون في ذكر دولة آل بويه ملوك العراق الموصوفين بالسماحة وكرم الأخلاق)

ذكر أصحاب التاريخ أن بويه كان رجلا صعلوكا من الديلم وكنيته أبو شجاع ابن فناخسرو بن تمام وكان قريب الدقة يصيد السمك وكان ينتسب إلى الفرس ويزعم أن جده بهرام جور أحد ملوك الأكاسرة ثم إن بويه رأى في منامه كأنه يبول فخرج من ذكره نار عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفرجت فصارت ثلاث شعب وتولد من تلك الشعب عدة شعب فقصه على منجم فقال له يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض فمضت السنون وولد له خمسة أولاد مات الاثنان وبقي ثلاثة أولاد وهم عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه وهو أكبرهم

عن موضعه وبارز يومئذ زياد بن النضر أخاه لامه واسمه عمرو بن معاوية من بني المنتفق فلما التقيا تعارفا فانصرف كل واحد منهما عن صاحبه وتراجع الناس وخرج من الغد محمد بن علي وهو ابن الحنفية وخرج اليه عبيدالله بن عمر بن الخطاب في جمعين عظيمين فاقتتلوا أشد القتال وأرسل عبيدالله الى ابن الحنفية يدعوه الى المبارزة فخرج اليه فحرك علي دابته ورده ابنه وبرز علي الى عبيدالله فرجع عبيدالله وقال محمد لابيه لو تركتني لرجوت قتله وقال يا أمير المؤمنين وكيف تبرز الى هذا الفاسق والله اني لارغب بك عن أبيه فقال علي يا بني لا تقل في أبيه الا خيرا وتراجع الناس وخرج عبدالله بن عباس اليوم الخامس وخرج اليه الوليد بن عقبة فاقتتلوا قتالا شديدا فسب الوليد بني عبد المطلب فطلبه ابن عباس ليبارزه فأبى وقاتل ابن عباس قتالا شديدا وخرج في اليوم السادس قيس بن سعد الانصاري وخرج اليه ابن ذي الكلاع الحميري فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انصرفوا ثم عاد يوم الثلاثاء وخرج الاشتر وخرج اليه حبيب فاقتتلوا قتالا شديدا وانصرفوا عند الظهر ثم ان عليا قال حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا فقام في الناس عشية الثلاثاء ليلة الاربعاء خطيبا فحمد الله وأثنى عليه فقال الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض وما أبرم لم ينقضه الناقضون ولو شاء الله ما اختلف اثنان من خلقه ولا اختلفت الامة في شئ ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الاقدار فنحن بمرأى من ربنا ومسمع فلو شاء عجل النقمة وكان منه التغيير حتى يكذب الظالم ويعلم الحق اين مصيره ولكنه جعل الدنيا دار الاعمال وجعل الآخرة دار القرار ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى الا وانكم لاقوا القوم غدا فأطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن واسألوا الله النصر والصبر والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين فقام القوم يصلحون سلاحهم فمر بهم كعب بن جعيل فقال .

أصبحت الامة في أمر عجب * والملك مجموع غدا لمن غلب

فقلت قولا صادقا غير كذب * ان غدا تهلك اعلام العرب

وعبى علي الناس ليلته حتى الصباح وزحف بالناس وخرج اليه معاوية في اهل الشام فسأل علي عن القبائل من اهل الشام فعرف مواقفهم فقال للازد اكفونا الازد وقال لخثعم اكفونا خثعم وأمر كل قبيلة ان تكفيه اختها من الشام الا ان تكون قبيلة ليس منها بالشام أحد فيصرفها الى قبيلة أخرى من الشام ليس بالعراق منهم احد مثل بجيلة لم يكن بالشام منهم الا القليل صرفهم الى لخم فتناهض الناس يوم الاربعاء فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انصرفوا عند المساء وكل غير غالب فلما كان يوم الخميس صلى علي بغلس وخرج بالناس الى أهل الشام فزحف اليهم وزحفوا اليه وكان على ميمنة علي عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعلى ميسرته عبدالله بن عباس والقراء مع ثلاثة نفر عمار وقيس بن سعد وعبدالله بن بديل والناس على راياتهم ومراكزهم وعلي في القلب في أهل المدينة بين اهل الكوفة والبصرة وأكثر من معه من اهل المدينة الانصار ومعه عدد من خزاعة وكنانة وغيرهم من اهل المدينة وزحف اليهم ورفع معاوية قبة عظيمة فالقى عليها الثياب وبايعه أكثر اهل الشام على الموت وأحاط بقبته خيل دمشق وزحف عبدالله بن بديل في الميمنة نحو حبيب بن مسلمة وهو في ميسرة معاوية فلم يزل

وركن الدولة ابو علي الحسن ومعز الدولة ابو الحسين أحمد وكان عماد الدولة سبب سعادتهم وانتشار صيتهم فملكوا العراقين والاهواز وفارس وساسوا امور الرعية احسن السياسة وهم خمسة عشر نفرا ومدة ملكهم مائة وست وعشرون سنة وكان مبدا ظهورهم في سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة في خلافة المقتدر بالله العباسي وذلك ان عماد الدولة سار الى مرداويج فأقبل عليه وقلده امارة الكرخ فأحسن السيرة فافتتح قلاعا ظفر منها بذخائر كثيرة فاستمال الرجال حتى شاع ذكره وقصده الناس وعظم في أعينهم لانه كان في تسعمائة رجل هزم بهم ما يقارب عشرة آلاف وبعث أخاه ركن الدولة فأخذ كازرون ثم ملك شيراز وفارس فعظم شأنه وقصده الرجال من الاطراف فقام مرداويج وقعد فقدر الله قتله على يد غلمانه فسار أكثر جنده اليه واستولى على بغداد نهار السبت حادي عشر جمادى الاولى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ونهبوا دار الخلافة حتى لم يبق فيها شئ واقام الخليفة المطيع لله ولم يجعل له أمرا ولا نهيا

بحوزه ويكشف خيله حتى اضطرهم الى قبة معاوية عند الظهر وحرض عبد الله بن بديل أصحابه
فقال ألا ان معاوية ادّعى ما ليس له ونازع الحق اهله وعاند من ليس مثله وجادل بالباطل
ليدحض به الحق وصال عليكم بالاعراب والاحزاب الذين قد زين لهم الضلالة وزرع في
قلوبهم حب الفتنة ولبس عليهم الامر وزادهم رجسا الى رجسهم فقاتلوا الطغام الجفاة ولا
تخشوهم قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين
وحرض علي أصحابه فقال في كلام له سووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع
وأخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه انبى للسيوف عن الهام والتووا في الاطراف فانه
اصون للاسنة وغضوا الابصار فانه اربط للجأش واسكن للقلب وأميتوا الاصوات فانه أطرد
للفشل وأولى بالوقار ورايتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها الا بأيدي شجعانكم
واستعينوا بالصدق والصبر فان بعد الصبر ينزل عليكم النصر وقام يزيد بن قيس الارحبي
يحرض الناس فقال ان المسلم من سلم في دينه ورأيه وان هؤلاء القوم والله لا يقاتلوننا على اقامة
دين ضيعناه واحياء حق امتناه ان يقاتلوننا الا على هذه الدنيا ليكونوا جبابرة فيها ملوكا فلو
ظهروا عليكم لا أراهم الله ظهورا ولا سرورا الزموكم بمثل سعيد والوليد وابن عامر السفيه
الضال يجيز احدهم بمثل ديته ودية أبيه وجده في جلسة ثم يقول هذا لي ولا اثم علي كأنما اعطى
تراثه عن أبيه وامه وانما هو مال الله أفاءه علينا بأرماحنا وسيوفنا فقاتلوا عباد الله القوم
الظالمين فانهم ان يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم وهم من قد عرفتم وخبرتم
والله ما ازدادوا الى يومهم الا شرا وقاتلهم عبد الله بن بديل في الميمنة قتالا شديدا حتى انتهى
الى قبة معاوية وأقبل الذين تبايعوا على الموت الى معاوية فأمرهم ان يصمدوا لابن بديل في
الميمنة وبعث الى حبيب بن مسلمة في الميسرة فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم
وانكشف أهل العراق من قبل الميمنة حتى لم يبق منهم الا ابن بديل في مائتين او ثلثمائة من القراء
قد اسند بعضهم الى بعض وانجفل الناس وأمر علي سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان معه من
أهل المدينة فاستقبلتهم جموع لاهل الشام عظيمة فاحتملتهم حتى اوقفتهم في الميمنة وكان فيما بين
الميمنة الى موقف علي في القلب اهل اليمن فلما انكشفوا انتهت الهزيمة الى علي فانصرف علي
يمشي نحو الميسرة فانكشفت عنه مضر من الميسرة وثبتت ربيعة وكان الحسن والحسين ومحمد
بنو علي معه حين قصد الميسرة والنبل يمر بين عاتقه ومنكبيه وما من بنيه احد الا يقيه بنفسه
فيرده فبصر به أحمر مولى ابي سفيان او عثمان فاقبل نحوه فخرج اليه كيسان مولى علي
فاختلفا بينهما ضربتان فقتله أحمر فأخذ علي بجيب درع احمر فجذبه وحمله على عاتقه ثم
ضرب به الارض فكسر منكبيه وعضديه ودنا منه أهل الشام فما زاده قربهم الا اسراعا
فقال له ابنه الحسن ما ضرك لو سعيت حتى تنتهي الى هؤلاء القوم من أصحابك فقال يا بني
ان لأبيك يوما لا يعدوه ولا يبطئ به عنه السعي ولا يعجل به اليه المشي ان أباك والله
لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه فلما وصل الى ربيعة نادى بصوت عال كغير المكترث
لما فيه الناس لمن هذه الرايات قالوا رايات ربيعة قال بل رايات عصم الله أهلها فصبرهم وثبت
اقدامهم وقال للحضين بن المنذر يا فتى الا تدني رايتك هذه ذراعا قال بلى والله وعشرة أذرع

فادناها

ولم يبق بيده الا ما لا يقوم
ببعض حاجته ذلك البصرة
والموصل وتمام البلاد ولي
امرة بغداد لاخيه معز
الدولة وعين لركن الدولة
امارة اصفهان وهو اقام
بمدينة شيراز (ومن أغرب
ما اتفق) انه لما ملك شيراز
اجتمع عساكره وطالبوه
بالجوامك والرواتب ولم
يكن عنده ما يعطيهم واشرف
أمره الى الانحلال فاغتم
لذلك فبينما هو مفكر قد
استلقى على ظهره في مجلس
انس قد خلا فيه للتفكر
والتدبير اذ رأى حية خرجت
من موضع من سقف ذلك
البيت ودخلت في موضع
آخر منه وخاف ان تسقط
عليه فدعا بالفراشين
وأمرهم باحضار سلم وان
يخرجوا الحية فلما حضروا
وبحثوا عنها وجدوا ذلك
السقف يفضي الى غرفة بين
سقفين فعرفوه بذلك فأمرهم
بفتحها ففتحت فاذا فيها
صناديق وجد فيها خمسمائة
ألف دينار فحمل ذلك بين
يديه فقسمه على رجاله وثبت
أمره بعد ان اشرف على
الانخرام ثم انه طلب خياطا
فوصف له خياط كان
لصاحب البلد قبله فأمر
باحضاره وكان اطروشا

فادناها حتى قال حسبك مكانك ولما انتهى على الى ربيعة تنادوا بينهم يا ربيعة ان أصيب فيكم أمير المؤمنين وفيكم رجل حى افتضحتم فى العرب فقاتلوا قتالا شديدا ما قاتلوا مثله فلذلك قال على

لمن راية سوداء يخفق ظلها * اذا قيل قدمها حضين تقدما
ويقدمها فى الموت حتى يزيرها * حياض المنايا تقطر الموت والدما
أذقنا ابن حرب طعننا وضرابنا * بأسيافنا حتى تولى وأحجما
جزى الله قوما صابروا فى لقائهم * لدى الموت قوما ما أعف وأكرما
وأطيب اخبارا وأكرم شيمة * اذا كان أصوات الرجال تغمغما
ربيعة أعنى انهم أهل نجدة * وبأس اذا لاقوا خميسا عرمرما

ومر به الاشتر وهو يقصد الميسرة والاشتر يركض نحو الفزع قبل الميمنة فقال له على يا مالك قال لبيك يا أمير المؤمنين قال ائت هؤلاء القوم فقل لهم أين فراركم من الموت الذى لن تعجزوه الى الحياة التى لا تبقى لكم فمضى الاشتر فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم ما قال على ثم قال أيها الناس أنا الاشتر الى فأقبل اليه بعضهم وذهب البعض فنادى أيها الناس ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم اخلصوا الى مذحجا فأقبلت مذحج اليه فقال لهم ما ارضيتم ربكم ولا نصحتم له فى عدوكم وكيف ذلك وانتم ابناء الحرب واصحاب الغارات وفتيان الصباح وفرسان الطراد وحتوف الاقران ومذحج الطعان الذين لم يكونوا يسبقون بثارهم ولا تطل دماؤهم وما تفعلون هذا اليوم فانه مأثور بعده فانصحوا واصدقوا عدوكم اللقاء فان الله مع الصادقين والذى نفسى بيده ما من هؤلاء واشار الى اهل الشأم رجل على مثل جناح بعوضة من دين اجلوا سواد وجهى يرجع فيه دمه عليكم بهذا السواد الاعظم فان الله قد فضه تبعه من بجانبيه قالوا تجدنا حيث احببت فقصد نحو عظمهم مما يلى الميمنة يزحف اليهم ويردهم واستقبله شباب من همدان وكانوا ثمانمائة مقاتل يومئذ وكانوا اصبروا فى الميمنة حتى اصيب منهم ثمانون ومائة رجل وقتل منهم احد عشر رئيسا كان اولهم ذؤيب بن شريح ثم شرحبيل ثم مرثد ثم هبيرة ثم يريم ثم سميرا ولاد شريح فقتل ثم اخذ الراية عميرة ثم الحرث ابنا بشير فقتلا جميعا ثم اخذ الراية سفيان وعبد الله وبكر بنو زيد فقتلوا جميعا ثم اخذ الراية وهب بن كريب فانصرف هو وقومه وهم يقولون ليت لنا عدتنا من العرب يحالفونا على الموت ثم نرجع فلا ننصرف او نقتل او نظفر فسمعهم الاشتر يقولون هذا فقال لهم انا احالفكم على ان لا نرجع ابدا حتى نظفر او نهلك فوقفوا معه وفى هذا قال كعب بن جعيل

وهمدان زرق تبتغى من تحالف

وزحف الاشتر نحو الميمنة وثاب اليه الناس وتراجعوا من اهل البصرة وغيرهم فلم يقصد كتيبة الا كشفها ولا جمعا الا حازه ورده فانه كذلك اذ مر به زياد بن النضر الحارثى يحمل الى العسكر وقد صرع وسببه انه قد كان استلحم عبد الله بن بديل واصحابه فى الميمنة فتقدم زياد اليهم ورفع رايته لاهل الميمنة فصبروا وقاتل حتى صرع ثم مروا بيزيد بن قيس الارحبى محمولا نحو العسكر وكان قد رفع رايته لاهل الميمنة لما صرع زياد وقاتل حتى صرع فقال الاشتر حين رآه هذا والله الصبر الجميل والفعل الكريم ألا يستحى الرجل أن ينصرف ولا يقتل أو يشفى به على القتل

وكان عنده وديعة لصاحب البلد قبله فظن فى نفسه انه سعى به اليه وانه يطلب بهذا السبب فلما خاطبه حلف انه لم يكن عنده سوى اثنى عشر صندوقا لم يدر ما فيها فعجب عماد الدولة من جوابه فأحضرها فوجدوا فيها أموالا وثيابا بجملة عظيمة وركب يوما فساخت قوائم فرسه فحفروا فوجدوا فيه كنزا عظيما وكانت هذه الاسباب من أقوى دلائل سعادته توفى فى سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وكانت مدة ملكه تسع سنين وتولى الملك بعده ابنه (مؤيد الدولة أبو منصور حسن بن بويه) وسار سيرة حسنة وتولى الملك مدة فلما توفى تولى مكانه أخوه (ركن الدولة حسن بن بويه) ثمانيا وعشرين سنة فلما توفى جلس على سرير الملك (معز الدولة احمد بن بويه) مدة وسار سيرة آبائه وتوفى فتولى مكانه (عضد الدولة خسروشاه) ابن حسن أربعا وثلاثين سنة فلما توفى تولى مكانه ولده (أبو الفوارس شرف الدولة شرزيل) بن خسرو بن بويه وقد استولى على جميع بلاد أبيه وكان ذلك فى خلافة الطائع بالله العباسى فلما هلك ملك مكانه (فخر الدولة على بن حسن)

وقاتلهم الاشتر قتالا شديدا ولزمه الحرث بن جمهان الجعفى يقاتل معه فما زال هو ومن رجع اليه يقاتلون حتى كشف أهل الشام وألحقهم بمعاوية والصف الذى معه بين صلاة العصر والمغرب وانتهى الى عبد الله بن بديل وهو فى عصابة من القراء نحو المائتين او الثلثمائة قد لصقوا بالأرض كأنهم جثاء فكشف عنهم أهل الشام فابصروا اخوانهم فقالوا ما فعل أمير المؤمنين قال حى صالح فى الميسرة يقاتل الناس امامه فقالوا الحمد لله قد كنا ظننا انه قد هلك وهلكتم وقال عبد الله ابن بديل استقدموا بنا فقال الاشتر لا تفعل واثبت مع الناس فانه خير لهم وأبقى لك ولاصحابك فأبى ومضى كما هو نحو معاوية وحوله كأمثال الجبال وبيده سيفان وخرج عبد الله امام أصحابه يقتل كل من دنا منه حتى قتل جماعة ودنا من معاوية فنهض اليه الناس من كل جانب وأحيط به وبطائفة من أصحابه فقاتل حتى قتل وقتل ناس من أصحابه ورجعت طائفة منهم مجرحين فبعث الاشتر الحرث بن جمهان الجعفى فحمل على أهل الشام الذين يتبعون من انهزم من أصحاب عبد الله حتى نفسوا عنهم وانتهوا الى الاشتر وكان معاوية قد رأى ابن بديل وهو يضرب قدما فقال أترونه كبش القوم فلما قتل أرسل اليه لينظروا من هو فلم يعرفه أهل الشام فجاء اليه فلما رآه عرفه فقال هذا عبد الله بن بديل والله لو استطاعت نساء خزاعة لقاتلتنا فضلا عن رجالها وتمثل بقول حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها • وان شمرت يوما به الحرب شمرا

وزحف الاشتر بعك والاشعريين وقال لمذحج اكفونا عكا ووقف فى همدان وقال لكندة اكفونا الاشعريين فاقتتلوا قتالا شديدا الى المساء وقاتلهم الاشتر فى همدان وطوائف من الناس فأزال اهل الشام عن مواضعهم حتى ألحقهم بالصفوف الخمسة المعقلة بالعمائم حول معاوية ثم حمل عليهم حملة أخرى فصرع أربعة صفوف من المعقلين بالعمائم ودعا معاوية بفرسه فركب وكان يقول اردت ان انهزم فذكرت قول ابن الاطنابة الانصارى وكان جاهليا

أبت لى عفتى وأبى بلائى • واقدامى على البطل المشيح

واعطائى على المكروه مالى • وأخذى الحمد بالثمن الربيح

وقولى كلما جشأت وجاشت • مكانك تحمدى أو تستريحى

قال فمنعنى هذا القول من الفرار ونظر الى عمرو وقال اليوم صبر وغدا فخر فقال صدقت وتقدم جندب بن زهير فبارز رأس ازد الشام فقتله الشامى وقتل من رهطه عجل وسعد ابنا عبد الله وقتل أبو زينب بن عوف وخرج عبد الله بن أبى الحصين الازدى فى القراء الذين مع عمار بن ياسر فأصيب معه وتقدم عقبة بن حديد النمرى وهو يقول ألا ان مرعى الدنيا أصبح هشيما وشجرها خضيدا وجديدها سملا وحلوها مر المذاق انى قد سئمت الدنيا وعزفت نفسى عنها وانى أتمنى الشهادة وأتعرض لها فى كل جيش وغارة فأبى الله الا ان يبلغنى هذا اليوم وانى متعرض لها من ساعتى هذه وقد طمعت ان لا أحرمها فما تنتظرون عباد الله بجهاد من عادى الله فى كلام طويل وقال يا اخوتى قد بعت هذه الدار بالتى امامها وهذا وجهى اليها فتبعه اخوته عبيد الله وعوف ومالك وقالوا لا نطلب رزق الدنيا بعدك فقاتلوا حتى قتلوا وتقدم شمر بن ذى الجوشن فبارز فضرب أدهم بن محرز الباهلى بالسيف وجهه وضربه شمر فلم يضره فعاد شمر فضربه وكان

ثلاث عشرة سنة واحد عشر شهرا ثم تولى بعده ولده (صمصام الدولة رستم بن فخر الدولة) فغلب عليه السلطان محمود بن سبكتكين واستولى على غالب بلاده ثم تولى الملك (بهاء الدولة خسرو بن شرف الدولة) اثنتين وعشرين سنة وشهرين ومات وخلف ولدين احدهما سلطان الدولة والآخر شرف الدولة تولى الملك بعد أبيه (سلطان الدولة) اثنتى عشرة سنة وأربعة أشهر فلما توفى تولى الملك أخوه (شرف الدولة) خمس سنين وشهرين ولما هلك ملك مكانه (عماد الدين مرزبان الدولة) مدة فلما مات تولى مكانه ولده (الملك الرحيم بن عماد الدولة) فجلس على سرير الملك ببغداد فظفر به السلطان طغرل السلجوقى فقتله وملك مكانه أخوه (كيخسرو بن عماد الدولة) مدة وهلك فتولى مكانه أخوه (أبو منصور فولادستون ابن عماد الدولة) فوقع بينه وبين أبى سعد خسروشاه ابن عماد الدولة محاربات آلت الى قتل أبى منصور واستقل بالملك خسروشاه المذكور وبه انقرضت دولتهم وهو آخرهم واستولى الملك السلجوقية

• (الباب الثالث والثلاثون

طما آن ثم أخذ الرمح ثم حمل على ادهم فصرعه وقال هذه بتلك وكانت راية بجيلة مع ابى شداد قيس بن هبيرة الاحمسى وهو قيس بن مكشوح ومكشوح لقب فقال لقومه والله لانتهين بكم الى صاحب الترس المذهب وكان صاحبه عبد الرحمن بن خالد فقاتل الناس قتالا شديدا وشد بسيفه نحو صاحب الترس فعرض له مولى رومى لمعاوية فضرب قدم أبى شداد فقطعها وضربه أبو شداد فقتله وأشرعت اليه الرماح فقتل وأخذ الراية عبد الله بن قلع الاحمسى فقاتل حتى قتل ثم أخذها عفيف بن اياس فلم تزل فى يده حتى تحاجز الناس وقتل حازم بن أبى حازم أخو قيس بن أبى حازم يومئذ وقتل أبوه أيضا له صحبة ونعيم بن صهيب بن العلية البجليون مع على فلما رأى على ميمنة اصحابه قد عادت الى مواضعها ومواقفها وكشفت من بازائها من عدوها حتى ضاربوهم فى مواقفهم ومراكزهم أقبل حتى انتهى اليهم فقال انى قد رأيت جولتكم عن صفوفكم يحوزكم الجفاة الطغام واعراب الشام وأنتم لهاميم العرب والسنام الاعظم وعمار الليل بتلاوة القرآن وأهل دعوة الحق فلولا اقبالكم بعد ادباركم وكركم بعد انحيازكم لوجب عليكم ما يجب على المولى يوم الزحف وكنتم من الهالكين ولكن هون وجدى وشفى أحاح نفسى انى رأيتكم بآخرة حزتموهم كما حازوكم وأزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم تركب أولاهم أخراهم كالابل المطرودة الهيم فالآن فاصبروا فقد نزلت عليكم السكينة وثبتكم الله باليقين ليعلم المنهزم انه مسخط ربه وموبق نفسه فى كلام طويل وكان بشر بن عصمة المزى قد لحق بمعاوية فلما اقتتل الناس بصفين نظر بشر الى مالك بن العقدية الجشمى وهو يفتك باهل الشأم فاغتاظ لذلك فحمل على مالك وتجاولا ساعة ثم طعنه بشر بن عصمة فصرعه ولم يقتله وانصرف عنه وقد ندم على طعنته اياه وكان جبارا فقال

وانى لارجو من مليكى تجاوزا * ومن صاحب الموسوم فى الصدر هاجس

دلفت له تحت الغبار بطعنة * على ساعة فيها الطعان تخالس

فبلغت مقالته ابن العقدية فقال

الا أبلغا بشر بن عصمة اننى * شغلت وألهانى الذين أمارس

وصادفت منى غرة واصبتها * كذلك والابطال ماض وحابس

وحمل عبد الله بن الطفيل البكائى على أهل الشأم فلما انصرف حمل عليه رجل من بنى تميم يقال له قيس بن مرة ممن لحق بمعاوية من أهل العراق فوضع الرمح بين كتفى عبد الله واعترضه ابن عم لعبد الله اسمه يزيد بن معاوية فوضع الرمح بين كتفى التميمى فقال له والله لئن طعنته لاطعننك فقال له عليك عهد الله وميثاقه ان رفعت الرمح عن ظهر صاحبك لترفعن سنانك عنى قال نعم فرفع التميمى سنانه ورفع يزيد سنانه فلما رجع الناس الى الكوفة عتب على يزيد ابن الطفيل فقال

الم ترنى حاميت عنك مناصحا * بصفين اذ خلاك كل حميم

ونبهت عنك الحنظلى وقد أتى * على سابح ذى ميعة وهزيم

وخرج رجل من آل ذى الكلاع من اهل الشأم يسأل المبارزة فبرز اليه قيس بن فهدان الكندى فحمل عليه وتجاولا ساعة ثم طعنه عبد الرحمن فقتله وقال

لقد علمت عك بصفين اننا * اذا التقت الخيلان نطعنها شزرا

فى ذكر دولة بنى سلجوق بما وراء النهر ولمع من حسن سيرهم فى هذا الدهر) * ذكر الامام عماد الدين فى تاريخه الموسوم بزبدة النصرة ونخبة العصرة ان السلجوقية كانوا ذوى عدد وعدد لا يدينون لاحد ولا يدنون من بلد ينتسبون الى ابراهيم الخليل عليه السلام وهو سلجوق بن دقاق ومعنى دقاق القوس الحديد ابن لقمان بن نعمان ابن أيوب بن داود وكان سؤسا وانتهت اليه رياسة الترك ومبدأ حاله ان ملك الترك بيغو خان لما شاهد فيه النجابة جعله قائد الجيش ثم أغرته امرأته بقتله فهاجر سلجوق من دار الحرب الى دار الاسلام وأسلم هو وقومه ثم حصل لسلجوق اتصال بملوك السامانية وكان يظاهرهم بمهماتهم فلما توفى سلجوق بجند ودفن هنالك وكان عمره نحو مائة سنة وخلف من البنين ارسلان وميكائيل وموسى وكان مسكنهم موضعا يقال له نور بخارا وذلك من أعمال بخارا وهم عدة نفر ومدة ملكهم مائة وأربعون سنة وأول من ملك منهم (ميكائيل بن سلجوق) وكان زعيمهم المبجل وعظيمهم المفضل وكان السلاطين يدعونهم

وتحمل رايات الطعان بحقها • فنوردها بيضا ونصدرها حمرا

وخرج قيس بن يزيد وهو ممن فر الى معاوية فخرج اليه أبو العمرطة بن يزيد فتعارفا فتواقفا ثم انصرفا وأخبر كل واحد منهما انه لقى اخاه وقاتلت طيء يومئذ قتالا شديدا فعبيت لهم جموع فأتاهم حمزة بن مالك الهمداني فقال من القوم فقال له عبد الله بن خليفة وكان شيعيا شاعرا خطيبا نحن طيء السهل وطيء الرمل وطيء الجبل الممنوع ذي النخل نحن طيء الرماح وطيء البطاح فرسان الصباح فقال حمزة بن مالك انك لحسن الثناء على قومك واقتتل الناس قتالا شديدا فناداهم يا معشر طيء فدا لكم طارفي وتالدي قاتلوا على الدين والاحساب وحمل بشر بن العسوس فقاتل ففقئت عينه يومئذ فقال في ذلك

الا ليت عيني هذه مثل هذه • ولم أمش في الاحياء الا بقائد
ويا ليت رجلي ثم طنت بنصفها • ويا ليت كفي ثم طاحت بساعدي
ويا ليتني لم أبق بعد مطرف • وسعد وبعد المستنير بن خالد
فوارس لم تغذ الحواضن مثلهم • اذا الحرب أبدت عن خدام الخرائد

وقاتلت النخع يومئذ قتالا شديدا فأصيب منهم حيان وبكر ابنا هوذة وشعيب بن نعيم وربيعة بن مالك بن وهبيل وأبي أخو علقمة بن قيس الفقيه وقطعت رجل علقمة يومئذ فكان يقول ما أحب ان رجلي أصح مما كانت وانها لمما أرجو بها الثواب وحسن الجزاء من ربي قال ورأيت أخي في المنام فقلت له ماذا قدمتم عليه فقال لي انا التقينا نحن والقوم عند الله تعالى فاحتججنا فحججناهم فما سررت بشيء سروري بتلك الرؤيا وكان يقال لأبي أبي الصلاة لكثرة صلاته وخرجت حمير في جمعها ومن انضم اليها من أهل الشام ومقدمهم ذو الكلاع ومعه عبيد الله بن عمر بن الخطاب وهم ميمنة أهل الشام فقصدوا ربيعة من أهل العراق وكانت ربيعة ميسرة أهل العراق وفيهم ابن عباس على الميسرة فحملوا على ربيعة حملة شديدة فتضعضعت راية ربيعة وكانت الراية مع أبي ساسان حضين بن المنذر فانصرف أهل الشام عنهم ثم كر عبيد الله بن عمر وقال يا أهل الشام ان هذا الحي من اهل العراق قتلة عثمان وانصار علي فشدوا على الناس شدة عظيمة فثبتت ربيعة وصبر واصبر احسنا الا قليلا من الضعفاء والفشلة وثبت اهل الرايات واهل الصبر والحفاظ وقاتلوا قتالا حسنا وانهزم خالد بن المعمر مع من انهزم وكان على ربيعة فلما رأى اصحاب الرايات قد صبروا رجع وصاح بمن انهزم وامرهم بالرجوع فرجعوا وكان من قد سعى به الى علي انه كاتب معاوية فاحضره علي ومعه ربيعة فسأله علي عما قيل وقال له ان كنت فعلت ذلك فالحق بأي بلد شئت لا يكون لمعاوية عليه حكم فانكر ذلك وقالت ربيعة يا امير المؤمنين لو نعلم انه فعل ذلك لقتلناه فاستوثق منه علي بالعهود فلما انزاح معه بعض الناس واعتذر هو بأني لما رأيت رجالا منا قد انهزموا استقبلتهم لاردهم اليكم فاقبلت بمن اطاعني اليكم ولما رجع الى مقامه حرض ربيعة فاشتد قتالهم مع حمير وعبيد الله بن عمر حتى كثرت بينهم القتلى فقتل سمير بن الريان العجلي وكان شديد البأس وأتى زياد بن عمرو بن خصفة عبد القيس فأعلمهم بما لقيت بكر بن وائل من حمير وقال يا عبد القيس لا بكر بعد اليوم فانت عبد القيس في بكر فقاتلوا معهم فقتل ذو الكلاع الحميري وعبيد الله بن عمر قتله محرز بن الصحصح من تيم الله بن

للمهمات ويراعونهم للملمات فلما دخل السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين الى بخارا المساعدة قدر خان امتنع ميكائيل عليه ولم يمل اليه فاغتاظ السلطان فقبضه وسيره وباصحابه الى خراسان فلما توفي السلطان محمود اخذ ولده مسعود لقتالهم عسكرا فقتل منهم عدة واسر منهم جماعة ثم بعد ذلك ركب السلجوقية اليه ودخلوا طوس فملكوها وامتدوا الى نيسابور فأخلوها وذلك في شهر رمضان سنة تسع وعشرين وأربعمائة ولم يلبثوا حتى عظمت شوكتهم واتسعت رقعة ولايتهم وتوفي ميكائيل وتولى مكانه ولده (طغرلبك محمد ابن ميكائيل) فأمر ونهى وأخذ وأعطى وسير أخاه داود مع جيش الى سرخس فملكها ونهج له طريقة في العدل فسلكها وكان شديد الاحتمال سديد الافعال ولم يزل تشتد منعته وتقوى شوكته حتى استولى على بلاد خراسان وطرأ على ملك الديلم فوجد في دورهم دفائن وخزائن فلما توجه الى بلد الاملاك وكانت وفاته بالري نهار الجمعة ثامن شهر رمضان سنة خمس وخمسين واربعمائة وكانت مدة ملكه ستا وعشرين سنة وعمره سبعون سنة حكي

ثعلبة من اهل البصرة واخذ سيفه ذا الوشاح وكان لعمر فلما ملك معاوية العراق اخذه منه
وقيل بل قتله هانئ بن خطاب الارحبي وقيل قتله مالك بن عمرو التنعي الحضرمي وخرج عمار بن
ياسر على الناس فقال اللهم انك تعلم انى لو أعلم ان رضاك فى ان أقذف بنفسى فى هذا البحر
لفعلته اللهم انك تعلم انى لو أعلم ان رضاك فى ان أضع ظبة سيفى فى بطنى ثم انحنى عليها حتى تخرج
من ظهرى لفعلته وانى لا أعلم اليوم عملا هو ارضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ولو اعلم عملا هو
ارضى لك منه لفعلته والله انى لارى قوما ليضربنكم ضربا يرتاب منه المبطلون وايم الله لو
ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت انا على الحق وانهم على الباطل ثم قال من يبتغى رضوان
الله ربه ولا يرجع الى مال ولا ولد فأتاه عصابة فقال اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون دم
عثمان والله ما ارادوا الطلب بدمه ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحبوها وعلموا ان الحق اذا لزمهم
حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه منها ولم يكن لهم سابقة يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم
فخدعوا اتباعهم وقالوا امامنا قتل مظلوما ليكونوا بذلك جبابرة ملوكا فبلغوا ما ترون فلولا
هذا ما تبعهم من الناس رجلان اللهم ان تنصرنا فطالما نصرت وان تجعل لهم الامر فادخر لهم
بما احدثوا فى عبادك العذاب الاليم ثم مضى ومعه تلك العصابة فكان لا يمر بواد من أودية صفين
الا تبعه من كان هناك من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء الى هاشم بن عتبة بن ابى
وقاص وهو مرقال وكان صاحب راية على وكان اعور فقال يا هاشم اعورا وجبنا لا خير فى
اعور لا يغشى البأس اركب يا هاشم فركب ومضى معه وهو يقول

اعور يبغى اهله محلا * قد عالج الحياة حتى ملا

لابد ان يفل او يفلا * يتلهم بذى الكعوب تلا

وعمار يقول تقدم يا هاشم الجنة تحت ظلال السيوف والموت تحت اطراف الاسل وقد فتحت
أبواب السماء وتزينت الحور العين اليوم القى الاحبه محمدا وحزبه وتقدم حتى دنا من عمرو بن
العاص فقال له يا عمرو بعت دينك بمصر تبا لك فقال له لا ولكن اطلب بدم عثمان قال انا اشهد على
على فيك انك لا تطلب بشئ من فعلك وجه الله وانك ان لم تقتل اليوم تمت غدا فانظر اذا اعطى
الناس على قدر نياتهم ما نيتك لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهذه الرابعة ما هى بأبر واتقى ثم قاتل عمار فلم يرجع وقتل وقال حبة بن جوين العرنى قلت
لحذيفة بن اليمان حدثنا فانا نخاف الفتن فقال عليكم بالفئة التى فيها ابن سمية فان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق وان آخر رزقه ضياح من لبن وهو
الممزوج بالماء من اللبن قال حبة فشهدته يوم قتل وهو يقول ائتونى بآخر رزق لى فى الدنيا فأتى
بضياح من لبن فى قدح اروح له حلقة حمراء فما اخطأ حذيفة مقياس شعرة فقال اليوم القى الاحبه
محمدا وحزبه والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت انا على الحق وانهم على الباطل
ثم قتل قتله ابو الغادية واحتز راسه ابن جوى السكسكى وقيل قتله غيره وقد كان ذو الكلاع
سمع عمرو بن العاص يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية
وآخر شربة تشربها ضياح من لبن فكان ذو الكلاع يقول لعمرو ما هذا ويحك يا عمرو فيقول
عمرو انه سيرجع الينا فقتل ذو الكلاع قبل عمار مع معاوية واصيب عمار بعده مع على فقال

عميد الملك ان طغرل بك قال
رأيت فى منامى فى مبدا
امرى كأنى رفعت الى
السماء وقيل لى سل حاجتك
تقض فقلت ما شئ احب
الى من طول العمر فقيل
عمرك سبعون سنة فكان
كذلك فلما هلك ملك بعده
ابن أخيه (سليمان بن داود)
وكان توفى أبوه داود فقام
مقامه ولما خطب باسم سليمان
بالرى بعد وفاة طغرل بك
مضى أخوه آتسز واردم
الى قزوين وخطب باسم ألب
ارسلان وأقبل عضد الدولة
الب ارسلان من نيسابور
لما بلغه موت أبيه يطوى
السهول والوعور وكان ابن
عم ابيه قتلمش بن اسرائيل
فى كردر وقد طمع فى الملك
ولم يعلم ان ذلك يورطه الى
الهلاك فعارضه فى جموعه
فتقابلا وتقاتلا وانجلت
المعركة عن قتل قتلمش وقتل
الب ارسلان من التركمان
عدة وافرة وحاز من أموالهم
غنيمة ظاهرة فلما وصل الى
الرى تلقاه الوزير عميد
الملك فى حشمه وخدمه
وكوسه وعلمه وعربه وعجمه
وأجلسه على سرير الملك
وكان ملكا كريما حليما
كثير الصدقات حريصا على
بناء المساجد وكان يقول
أستحى من الله ان ابنى دارا
ولا ابنى تحتها مسجدا ثم بعد

عمرو لمعاوية ما ادرى بقتل ايهما انا اشد فرحا بقتل عمار او بقتل ذى الكلاع والله لو بقى ذو الكلاع بعد قتل عمار لمال بعامة اهل الشام الى علىّ فاتى جماعة الى معاوية كلهم يقول انا قتلت عمارا فيقول عمرو فما سمعته يقول فيخلطون فأتاه ابن حوى فقال انا قتلته فسمعته يقول اليوم القى الاحبه محمدا وحزبه فقال له عمرو انت صاحبه ثم قال رويدا والله ما ظفرت يداك ولقد اسخطت ربك قيل ان ابا الغادية قتل عمارا وعاش الى زمن الحجاج ودخل عليه فاكرمه الحجاج وقال له انت قتلت ابن سمية يعنى عمارا قال نعم فقال من سره ان ينظر الى عظيم الباع يوم القيامة فلينظر الى هذا الذى قتل ابن سمية ثم سأله ابو الغادية حاجته فلم يجبه اليها فقال نوطئ لهم الدنيا ولا يعطونا منها ويزعم انى عظيم الباع يوم القيامة فقال الحجاج أجل والله من كان ضرسه مثل أحد وفخذه مثل جبل ورقان ومجلسه مثل المدينة والربذة انه لعظيم الباع يوم القيامة والله لو أن عمارا قتله أهل الارض كلهم لدخلوا كلهم النار وقال عبد الرحمن السلمى لما قتل عمار دخلت عسكر معاوية لانظر هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا وكنا اذا تركنا القتال تحدثوا الينا وتحدثنا اليهم فاذا معاوية وعمرو وابو الاعور وعبد الله بن عمرو يتسايرون فأدخلت فرسى بينهم لئلا يفوتنى ما يقولون فقال عبد الله لابيه يا أبه قتلتم هذا الرجل فى يومكم هذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال قال وما قال قال ألم يكن المسلمون ينقلون فى بناء مسجد النبىّ صلى الله عليه وسلم لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فغشى عليه فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول ويحك يا ابن سمية الناس ينقلون لبنة لبنة وأنت تنقل لبنتين لبنتين رغبة فى الاجر وأنت مع ذلك تقتلك الفئة الباغية فقال عمرو لمعاوية اما تسمع ما يقول عبد الله قال وما يقول فأخبره فقال معاوية أنحن قتلناه انما قتله من جاء به فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون انما قتل عمارا من جاء به فلا أدرى من كان أعجب أهو أم هم فلما قتل عمار قال علىّ لربيعة وهمدان أنتم درعى ورمحى فانتدب له نحو من اثنى عشر وتقدمهم علىّ على بغلة فحملوا معه حملة رجل واحد فلم يبق لاهل الشام صف الا انتقض وقتلوا كل من انتهوا اليه حتى بلغوا معاوية وعلىّ يقول

اقتلهم ولا أرى معاويه * الجاحظ العين العظيم الحاويه

ثم نادى معاوية فقال علام يقتل الناس بيننا هلم أحاكمك الى الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الامور فقال له عمرو أنصفك فقال له معاوية ما أنصفت انك لتعلم انه لم يبرز اليه أحد الا قتله فقال له عمرو وما يحسن بك ترك مبارزته فقال له معاوية طمعت فيها بعدى وكان أصحاب علىّ قد كرهوا ربانه بعد قتاله لئلا يقاتل وكان يحمل اذا غضب فلا يرجع حتى يخضب سيفه وانه حمل مرة فلم يرجع حتى انثنى سيفه فألقاه اليهم وقال لولا انه انثنى ما رجعت اليكم فقال الاعمش لابى عبد الرحمن هذا والله ضرب غير مرتاب فقال أبو عبد الرحمن سمع القوم شيأ فأدوه وما كانوا بكاذبين وأسر معاوية جماعة من أصحاب علىّ فقال له عمرو اقتلهم فقال عمرو بن اوس الاودى لا تقتلنى فانك خالى قال من اين انا خالك ولم يكن بيننا وبين اود مصاهرة قال ان اخبرتك فهو امانى عندك قال نعم قال أليست اختك ام حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قال بلى قال فانى ابنها وانت اخوها فانت خالى فقال معاوية ما لله ابوه اما كان فى هؤلاء من يفطن لها غيره وخلى سبيله

ذلك الى الوزير المذكور غلامين فقتلاه وكان خصيا وسبب ذلك ان طغرلبك كان أنفذه فى ابتداء امره ليخطب له امرأة فتزوجها لنفسه وعصاه ولما ظفر به تركه فى خدمة الوزارة بعد ان خصاه ثم ان السلطان المذكور توجه الى حلب والشام فخل بحلب وشرع فى حصارها وأحاط بأسوارها وصاحبها حينئذ محمود بن صالح بن مرداس من بنى كلاب وكان قائما بدعوة العلوية فلما ضاق به الامر وخاف ان يقع الحرق عن رقبته خرج ليلا الى السلطان ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميرى يتضرعان ويتضرعان له فعفا السلطان وصفح وأعاد محمودا الى مكانه محمودا المكانة وأمنت الشهباء وسكنت الدهماء وبلغ السلطان خروج ارمانوس ملك الروم وقد وصل الى قرب اخلاط وكان السلطان فى خواصه ومعه خمسة عشر ألف فارس من نخب رجاله فاستعد للمقاتلة والروم فى ثلثمائة ألف أو يزيدون ومعهم ثلاثة آلاف عجلة تحمل اثقالهم ومن المجانيق التى ترمى قنطار حجر مقدار مائة عجلة فتوكل السلطان على الله تعالى وسار حتى

وكان قد أسر علي أسارى كثيرة فخلى سبيلهم فجاؤا معاوية وان عمرا لقول له وقد أسر أيضا أسارى كثيرة أقتلهم فلما وصل أصحابهم قال معاوية يا عمرو لو أطعناك في هؤلاء الاسارى لوقعنا في قبيح من الامر وخلى سبيل من عنده وأما هاشم بن عتبة فانه دعا الناس عند المساء وقال الا من كان يريد الله والدار الآخرة فالي فأقبل اليه ناس كثير فحمل على أهل الشام مرارا ويصبرون له وقاتل قتالا شديدا وقال لاصحابه لا يهولنكم ما ترون من صبرهم فوالله ما هو الا حمية العرب وصبرها تحت راياتها وانهم لعلى الضلال وانكم لعلى الحق ثم حرض أصحابه وحمل في عصابة من القراء فقاتل قتالا شديدا حتى رأوا بعض ما يسرون به فبيناهم كذلك اذ خرج عليهم شاب وهو يقول

أنا ابن أرباب الملوك غسان * والدائن اليوم بدين عثمان
نبأنا قراؤنا بما كان * ان عليا قتل ابن عفان

ثم يحمل فلا يرجع حتى يضرب بسيفه ويشتم ويلعن فقال له هاشم يا هذا ان هذا الكلام بعده الخصام وان هذا القتال بعده الحساب فاتق الله فانه سائلك عن هذا الموقف وما أردت به قال فاني أقاتلكم لان صاحبكم لا يصلي وأنتم لا تصلون وان صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم ساعدتموه على قتله فقال له هاشم ما أنت وعثمان أقتله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبناء أصحابه وقراء الناس وهم أهل الدين والعلم وما أهملوا أمر هذا الدين طرفة عين وأما قولك ان صاحبنا لا يصلي فانه أول من صلى وأفقه خلق الله في دين الله وأولى بالرسول صلى الله عليه وسلم وأما كل من ترى معي فكلهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجدا فلا يغوينك هؤلاء الاشقياء فقال الفتى فهل لي من توبة قال نعم تب الى الله يتب عليك فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات فرجع الفتى فقال له أهل الشام خدعك العراقي فقال كلا ولكن نصح لي وقاتل هاشم وأصحابه قتالا شديدا حتى رأوا الظفر فاقبلت عليهم عند المغرب كتيبة لتنوخ فقاتلهم هاشم وهو يقول

أعور يبغي أهله محلا * لابد أن يفل أو يفلا
قد عالج الحياة حتى ملا * يتلهم بذي الكعوب تلا

فقتل يومئذ تسعة او عشرة وحمل عليه الحرث بن المنذر التنوخي فطعنه فسقط فأرسل اليه علي ان قدم لواءك فقال لرسوله انظر الى بطني فاذا هو انشق فقال الحجاج بن غزية الانصاري

فان تفخروا بابني بديل وهاشم * فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشبا
ونحن تركنا عند معترك القنا * اخاك عبيد الله لحما ملحبا
ونحن احطنا بالبعير واهله * ونحن سقيناكم سماما مقشبا

ومر علي بكتيبة من اهل الشام فرآهم لا يزولون وهم غسان فقال ان هؤلاء لا يزولون الا بطعن وضرب يفلق الهام ويطيح العظام تسقط منه المعاصم والاكف وحتى يقرع جباههم بعمد الحديد اين أهل النصر والصبر طلاب الاجر فأتاه عصابة من المسلمين فدعا ابنه محمدا فقال له تقدم نحو هذه الراية مشيا رويدا على هينتك حتى اذا اشرعت في صدورهم الرماح فأمسك حتى يأتيك أمري ففعل وأعد لهم علي مثلهم وسيرهم الى ابنه محمد وامره بقتالهم فحملوا عليهم فأزالوهم

نزل على مسافة النهر وملك الروم نازل بين اخلاط ومنازكرد وبين العسكرين فرسخ ١٣٥ فقال له امامه ابو نصر محمد البخاري انك تقاتل عن دين الله الذي وعدنا باظهاره فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال والناس يدعون لك على المنابر فلما اصبحوا يوم الجمعة ارتجت الارض بالضجاج وارتجت السماء بالعجاج الى ان دنا وقت الزوال وصدحت على اعواد المنابر الخطباء والمجاهدون في اخلاص الدعاء فتقدم السلطان وثبت فؤاده وقوي قلبه وحمل ملك الروم بجموعه واخذ يصرم الدهر وسمعه فثبتت لهم خيل الاسلام ثم وثبت وجالت وماوجت فوقع الحرب والضرب فانجلت من اولئك الالوف آحاد وما سلمت من اعداء الاسلام اعداد واسر ملكهم وانكسرت الروم كسرة لا تقبل جبرا (ومن عجيب ما حكي) انه كان اهدى مملوك للوزير فرده على صاحبه ولم يقبله فقرعه صاحبه فقال له الوزير عسى ان يأتينا بملك الروم وذكر ذلك استهزاء به فاتفق وقوع الملك يوم المصاف في اسر ذلك الغلام فخلع عليه السلطان وانعم عليه وغنم المسلمون غنيمة عظيمة فأحضر ملك الروم بين يديه فرق له قلب السلطان وارسله وفك قيده ووصله الى اهله وجعل عليه في كل يوم الف دينار وديعة لبيت مال المسلمين ولما انصرف الى بلاده محوا من الملك اسمه وقالوا هذا من اعداد الملوك ساقط

عن مواقفهم وأصابوا منهم رجالا ومر الاسود بن قيس المرادى بعبد الله بن كعب المرادى وهو صريع فقال عبد الله يا اسود قال لبيك وعرفه وقال له عز على مصرعك ثم نزل اليه وقال له ان كان جارك ليامن بوائقك وان كنت لمن الذاكرين الله كثيرا أوصنى رحمك الله فقال أوصيك بتقوى الله وان تناصح أمير المؤمنين وان تقاتل معه المحلين حتى تظهر أو تلحق بالله وابلغه عنى السلام وقل له قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك فانه من اصبح غدا والمعركة خلف ظهره كان العالى ثم لم يلبث ان مات فأقبل الاسود الى على وأخبره فقال رحمه الله جاهد عدونا فى الحياة ونصح لنا فى الوفاة وقيل ان الذى اشار على امير المؤمنين على بهذا عبد الرحمن بن الحنبل الجمحى قال فاقتتل الناس تلك الليلة كلها الى الصباح وهى ليلة الهرير فتقطعت الرماح وتراموا حتى نفد النبل واخذوا السيوف وعلى يسير فيما بين الميمنة والميسرة ويأمر كل كتيبة ان تقدم على التى تليها فلم يزل يفعل ذلك حتى أصبح والمعركة كلها خلف ظهره والاشتر فى الميمنة وابن عباس فى الميسرة وعلى فى القلب والناس يقتتلون من كل جانب وذلك يوم الجمعة وأخذ الاشتر يزحف بالميمنة ويقاتل فيها وكان قد تولاها عشية الخميس وليلة الجمعة الى ارتفاع الضحى ويقول لاصحابه ازحفوا قيد هذا الرمح ويزحف بهم نحو اهل الشام فاذا فعل ذلك بهم قال ازحفوا قيد هذا القوس فاذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتى مل اكثر الناس الاقدام فلما راى الاشتر ذلك قال اعيذكم بالله ان ترضعوا الغنم سائر اليوم ثم دعا بفرسه فركبه وترك رايته مع حيان بن هوذة النخعى وخرج يسير فى الكتائب ويقول من يشترى نفسه ويقاتل مع الاشتر حتى يظهر او يلحق بالله فاجتمع اليه ناس كثير فيهم حيان بن هوذة النخعى وغيره فرجع الى المكان الذى كان فيه وقال لهم شدوا شدة فدا لكم خالى وعمى ترضون بها الرب وتعزون بها الدين ثم نزل وضرب وجه دابته وقال لصاحب رايته اقدم بها وحمل على القوم وحملوا معه فضرب اهل الشام حتى انتهى بهم الى عسكرهم ثم قاتلوه عند العسكر قتالا شديدا وقتل صاحب رايته ولما راى على الظفر من ناحيته امده بالرجال فقال عمرو بن العاص لوردان مولاه اتدرى ما مثلى ومثلك ومثل الاشتر قال لا قال كالاشقر ان تقدم عقر وان تأخر عقر لئن تأخرت لاضربن عنقك قال اما والله يا ابا عبد الله لاوردنك حياض الموت ضع يدك على عاتقى ثم جعل يتقدم ويتقدم ويقول لاوردنك حياض الموت واشتد القتال فلما راى عمرو ان امر اهل العراق قد اشتد وخاف الهلاك قال لعمرو هل لك فى امر اعرضه عليك لا يزيدنا الا اجتماعا ولا يزيدهم الا فرقة قال نعم قال نرفع المصاحف ثم نقول لما فيها هذا حكم بيننا وبينكم فان ابى بعضهم ان يقبلها وجدت فيهم من يقول ينبغى لنا ان نقبل فتكون فرقة بينهم وان قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا الى اجل فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا هذا حكم كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد اهله من لثغور العراق بعد اهله فلما رآها الناس قالوا نجيب الى كتاب الله فقال لهم على عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم فان معاوية وعمرا وابن أبى معيط وحبيبا وابن أبى سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم اطفالا ثم رجالا فكانوا شر اطفال وشر رجال ويحكم والله ما رفعوها الا خديعة ووهنا ومكيدة فقالوا له لا يسعنا ان ندعى الى كتاب الله

وزعموا ان المسيح عليه السلام ... ثم بعث الى السلطان بمائتى الف دينار وبجواهر قيمتها اثنعون الف دينار واعتذر وحلف انه لايملك غيرها فقبلها السلطان وفى سادس ربيع الاول سنة خمس وستين واربعمائة قتل السلطان وكانت مدة ملكه تسع سنين وشهورا وقد بلغ من العمر اربعين سنة ودفن بمرو عند قبر ابيه وخلف عدة بنين وهم ملكشاه وتكش واياز وتتش وارسلان وارغون وبورى برس وتولى الملك ولده جلال الدولة ابو الفتح ملكشاه ابن الب ارسلان فلما جلس على سرير الملك نازعه عمه قاروت بك الملك ووقع بينهما حروب آلت الى انهزام قاروت وأسره فلما ظفر به امر بخنقه فخنقه غلام ارمنى اعور وكان ملكشاه ملكا شجاعا مقداما سيرته العدل وكان كثير الغزو حتى بلغ فى غزوه الى حدود قسطنطينية وقرر الف الف دينار تحمل الى خزائنه كل سنة من تلك الممالك ووضع فى البلاد التى افتتحها من الروم نحو منبر اسلاميا وقصد فتح سمرقند وحاصرها وظفر بحاكمها فاسره فحمل غاشيته وسار فى ركابه فاخذه اسيرا الى العراق ثم من عليه بالاطلاق ومشى فى ركابه سلطان العرب مسلم بن قريش وقيل جاؤا من كوبه وكانت ملوك الروم وغزنه وماوراء النهر فى ظل حمايته وكسب رعايته وكان ملوك الاطراف دابى

فنأبى ان نقبله فقال لهم على فانى انما أقاتلهم ليدينوا بحكم الكتاب فانهم قد عصوا الله فيما امرهم
ونسوا عهده ونبذوا كتابه فقال له مسعر بن فدكى التميمى وزيد بن حصين الطائى فى عصابة من
القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك يا على أجب الى كتاب الله عز وجل اذ دعيت اليه والا
دفعناك برمتك الى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان قال فاحفظوا عنى نهيى اياكم واحفظوا
مقالتكم لى فان تطيعونى فقاتلوا وان تعصونى فاصنعوا ما بدا لكم قالوا ابعث الى الاشتر فليأتك
فبعث على يزيد بن هانى الى الاشتر يستدعيه فقال الاشتر ليست هذه الساعة بالساعة التى ينبغى
لك ان تزيلنى عن موقفى انى قد رجوت ان يفتح الله لى فرجع يزيد فاخبره وارتفعت الاصوات
وارتفع الرهج من ناحية الاشتر فقالوا والله ما نراك الا امرته ان يقاتل فقال على هل رأيتمونى
ساررته اليس كلمته على رؤسكم وأنتم تسمعون قالوا فابعث اليه فليأتك والا والله اعتزلناك فقال
له ويلك يا يزيد قل له أقبل الى فان الفتنة قد وقعت فابلغه ذلك فقال الاشتر ألرفع المصاحف قال
نعم قال والله لقد ظننت انها ستوقع اختلافا وفرقة انها مشورة ابن العاهر الا ترى الى الفتح ألا
ترى ما يلقون الا ترى ما صنع الله لنا ان ينبغى ان أدع هؤلاء وانصرف عنهم فقال له يزيد أتحب أن
تظفر وامير المؤمنين يسلم الى عدو أو يقتل قال لا والله سبحان الله فاعلمه بقولهم فاقبل اليهم
الاشتر وقال يا أهل العراق يا أهل الذل والوهن احين علوتم القوم وظنوا انكم لهم قاهرون
رفعوا المصاحف يدعونكم الى ما فيها وهم والله قد تركوا ما أمر الله به فيها وسنة من أنزلت
عليه فامهلونى فواقا فانى قد احسست بالفتح قالوا لا قال امهلونى عدو الفرس فانى قد طمعت
فى النصر قالوا اذن ندخل معك فى خطيئتك قال فخبرونى عنكم متى كنتم محقين احين تقاتلون
وخياركم يقتلون فأنتم الآن اذا أمسكتم عن القتال مبطلون ام انتم الآن محقون فقتلاكم
الذين لا تنكرون فضلهم وهم خير منكم فى النار قالوا دعنا منك يا أشتر قاتلناهم لله وندع قتالهم
لله قال خدعتم وانخدعتم ودعيتم الى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباه السود كنا نظن
صلاتكم زهادة فى الدنيا وشوقا الى لقاء الله فلا ارى مرادكم الا الدنيا ألا قبحا يا اشباه النيب
الجلالة ما أنتم براثين بعدها عزا ابدا فابعدوا كما بعد القوم الظالمون فسبوه وسبهم وضربوا
وجه دابته بسياطهم وضرب وجوه دوابهم بسوطه فصاح بهم على فكفوا وقال الناس
قد قبلنا ان نجعل القرآن بيننا وبينهم حكما فجاء الاشعث بن قيس الى على فقال ارى الناس قد
رضوا بما دعوهم اليه من حكم القرآن فان شئت اتيت معاوية فسألته ما يريد قال ائته فأتاه
فقال لمعاوية لاى شئ رفعتم هذه المصاحف قال لنرجع نحن وأنتم الى ما أمر الله به فى كتابه تبعثون
رجلا ترضون به ونبعث نحن رجلا نرضى به نأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله لا يعدوانه
ثم نتبع ما اتفقا عليه قال له الاشعث هذا الحق فعاد الى على فاخبره فقال الناس قد رضينا
وقبلنا فقال أهل الشام قد رضينا عمرا وقال الاشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج انا
قد رضينا بأبى موسى الاشعرى فقال على قد عصيتمونى فى أول الامر فلا تعصونى الآن لا أرى
ان أولى أبا موسى فقال الاشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكى لا نرضى الا به فانه قد حذرنا
ما وقعنا فيه قال على فانه ليس بثقة قد فارقنى وخذل الناس عنى ثم هرب منى حتى امنته بعد
أشهر ولكن هذا ابن عباس اوليه ذلك قالوا والله لا نبالى أنت كنت ام ابن عباس لا نريد الا

يقبلون كتبه اجلالا وتعظيما
له وكان ناقدا بصيرا يعرف
الناس ومقاديرهم ويضعهم
فى محالهم وكان يعرف
بالسلطان العادل فمن جملة
عدله انه ركب يوما للصيد
فرأى رجلا باكيا شاكيا
فسأله عن سبب بكائه فقال
اشتريت بطيخات
بدريهمات لابيعها واعود
بربحها على عيالى واعيد
منها رأس مالى فأخذها
رجل من جماعتك من يدى
ولم يعطنى ثمنها فقال له
السلطان طب نفسا فهل
تعرفه فقال لا وكان البطيخ
فى أول باكورته ولا يوجد
فى البلد شئ منه فقال
السلطان لبعض خواصه
قد اشتهيت بطيخا فاجتهد لى
فى تحصيله ولو واحدة فما زال
بطلبه حتى وجده عند بعض
الامراء فسأله فقال قد
أحضره عبد من عبيدى
فأمر السلطان باحضار ذلك
العبد فتوقف فاحضر المتظلم
وقال خذ هذا الامير فانه
اخذ بطيخك وانه مملوكى
وقد وهبته لك فبعه بما شئت
فاشترى الامير نفسه بثلثمائة
دينار واثرى صاحب البطيخ
بعد افتقاره وكان الناس
يأخذون التراب الذى
وطئته دابته فيتبركون به
وكان مغرما بالصيد قيل انه
أحصى ما اصطاده بيده

وجلا هو مسك ومن معاوية سواء قال علي فاني أجعل الاشتر قالوا وهل سعر الارض غير الاشتر قال
قد أبيتم الا أبا موسى قالوا نعم قال فاصنعوا ما أردتم فبعثوا اليه وقد اعتزل القتال وهو بعرض
فأتاه مولى له فقال ان الناس قد اصطلحوا فقال الحمد لله قال قد جعلوك حكما قال انا لله وانا اليه
راجعون وجاء ابو موسى حتى دخل العسكر وجاء الاشتر عليا فقال ألزني بعمرو بن العاص
فوالله الذي لا اله غيره لئن ملأت عيني منه لاقتلنه وجاء الاحنف بن قيس فقال يا امير المؤمنين انك قد رميت
بحجر الارض واني قد عجمت أبا موسى وحلبت اشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر
وانه لا يصلح لهؤلاء القوم الا رجل يدنو منهم حتى يصير في اكفهم ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم
منهم فان أبيت ان تجعلني حكما فاجعلني ثانيا او ثالثا فانه لم يعقد عقدة الا حللتها ولا يحل
عقدة عقدها الا عقدت اخرى احكم منها فأبى الناس الا أبا موسى والرضا بالكتاب فقال
الاحنف ان أبيتم الا ابا موسى فادفئوا ظهره بالرجال وحضر عمرو بن العاص عند علي ليكتب
القضية بحضوره فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه امير المؤمنين فقال عمرو
هو أميركم واما أميرنا فلا وقال الاحنف لا تمح اسم امير المؤمنين فاني اخاف ان محوتها ان
لا ترجع اليك ابدا لا تمحها وان قتل الناس بعضهم بعضا فأبى ذلك علي مليا من النهار ثم ان
الاشعث بن قيس قال امح هذا الاسم فمحاه فقال علي الله أكبر سنة بسنة والله اني لكاتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية فكتبت محمد رسول الله وقالوا لست برسول الله ولكن
اكتب اسمك واسم أبيك فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحوه فقلت لا استطيع فقال
أرنيه فأريته فمحاه بيده وقال انك ستدعى الى مثلها فتجيب فقال عمرو سبحان الله اتشبه
بالكفار ونحن مؤمنون فقال علي يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وليا وللمؤمنين عدوا
فقال عمرو والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد هذا اليوم أبدا فقال علي اني لارجو ان يطهر
الله مجلسي منك ومن اشباهك وكتب الكتاب هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب ومعاوية
ابن ابي سفيان قاضى علي على اهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية على اهل الشام ومن
معهم انا ننزل عند حكم الله وكتابه وان لا يجمع بيننا غيره وان كتاب الله بيننا من فاتحته الى خاتمته
نحيي ما أحيا ونميت ما أمات فما وجد الحكمان في كتاب الله وهما ابو موسى عبد الله بن قيس
وعمرو بن العاص عملا به وما لم يجداه في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة وأخذ
الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق انهما آمنان على انفسهما
وأهليهما والامة لهما انصار على الذي يتقاضيان عليه وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص
عهد الله وميثاقه ان يحكما بين هذه الامة لا يردانها في حرب ولا فرقة حتى يعصيا واجل القضاء
الى رمضان وان احبا ان يؤخرا ذلك أخراه وان مكان قضيتهما مكان عدل بين اهل الكوفة
واهل الشام وشهد الاشعث بن قيس وسعيد بن قيس الهمداني وورقاء بن سمي البجلي وعبد الله
ابن محل العجلي وحجر بن عدي الكندي وعبد الله بن الطفيل العامري وعقبة بن زياد
الحضرمي ويزيد بن حجية التيمي ومالك بن كعب الهمداني ومن أصحاب معاوية ابو الاعور
السلمي وحبيب بن مسلمة وزمل ابن عمرو العذري وحمزة بن مالك الهمداني وعبد الرحمن بن خالد
المخزومي وسبيع بن يزيد الانصاري وعتبة بن ابي سفيان ويزيد بن الحر العبسي وقيل للاشتر

ليكتب

فبلغت عدته عشرة آلاف
تصدق بعشرة آلاف دينار
وبنى منارة من قرون الظباء
وحوافر الحمر الوحشية في
طريق الحج من الكوفة
تسمى منارة القرون وتوفي
رحمه الله في سادس عشر شوال
سنة خمس وثمانين وأربعمائة
وعمره ثمان وثلاثون سنة
وأشهر وكانت مدة مملكته
عشرين سنة وحمل تابوته
الى اصفهان ودفن في
مدرسته التي بناها وخلف
أربعة بنين وهم بركيارق
ومحمد وسنجر ومحمود وكان
(محمود) طفلا عند أبيه
فبايعوه على السلطنة لان
امه تركان خاتون الجلالية
من الملوك الايلخانية فيما
وراء النهر وكانت مستولية
في أيام ملكشاه وان الامراء
كانوا من صنائعها فاختاروا
ولدها فبايعوه وساروا
به الى اصفهان فأجلسوه
على سرير الملك فأقام سنة
حتى مات محمود وماتت امه
وأتى الملك لاخيه (بركيارق)
فجلس على سرير الملك وكان
عالي الهمة لم يكن فيه عيب
سوى ملازمته للخمر
والادمان عليه ودخل بلاد
سمرقند وزنجان وغزا بلاد
ما وراء النهر ووقعت في زمانه
فتن وشرور من الامراء
والاجناد بحيث يطول
شرحها وتوفي في ثاني شهر ر

ليكتب فيها فقال لا صحبتنى يمينى ولا نفعتنى بعدها شمالى ان خط لى فى هذه الصحيفة ولست على بينة من ربى من ضلال عدوى أولستم قد رأيتم الظفر فقال له الاشعث والله ما رأيت ظفرا هلم الينا الا رغبة بك عنا فقال بلى والله الرغبة عنك فى الدنيا للدنيا وفى الآخرة للآخرة لقد سفك الله بسيفى دماء رجال ما انت خير عندى منهم ولا أحرم دما قال فكانما قصع الله على انف الاشعث الحمم وخرج الاشعث بالكتاب يقرؤه على الناس حتى مرّ على طائفة من بنى تميم فيهم عروة بن ادية اخو أبى بلال فقرأه عليهم فقال عروة تحكمون فى أمر الله الرجال لا حكم الا لله ثم شد بسيفه فضرب به عجز دابة الاشعث ضربة خفيفة واندفعت الدابة وصاح به اصحاب الاشعث فرجع وغضب للاشعث قومه وناس كثير من اهل اليمن فمشى اليه الاحنف بن قيس ومسعر بن فدكى وناس من تميم فاعتذروا فقبل وشكر وكتب الكتاب يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين واتفقوا على ان يوافى امير المؤمنين على موضع الحكمين بدومة الجندل أو باذرح فى شهر رمضان وقيل لعلى ان الاشتر لا يقر بما فى الصحيفة ولا يرى الا قتال القوم فقال على وانا والله ما رضيت ولا أحببت ان ترضوا فاذا أبيتم الا ان ترضوا فقد رضيت واذ رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الاقرار الا ان يعصى الله ويتعدى كتابه فقاتلوا من ترك أمر الله واما الذى ذكرتم من تركه أمرى وما انا عليه فليس من أولئك فلست اخاف على ذلك ياليت فيكم مثله اثنين ياليت فيكم مثله واحدا يرى فى عدوى ما أرى اذا لخفت على مؤنتكم ورجوت ان يستقيم لى بعض أودكم وقد نهيتكم فعصيتمونى فكنت أنا وأنتم كما قال اخو هوازن

وهل أنا الا من غزية ان غوت ✽ غويت وان ترشد غزية ارشد

والله لقد فعلتم فعلة ضعضعت قوة واسقطت منة واورثت وهنا وذلة ولما كنتم الاعلين وخاف عدوكم الاجتياح واستحر بهم القتل ووجدوا الم الجراح رفعوا المصاحف فدعوكم الى ما فيها ليفثؤكم عنهم ويقطعوا الحرب ويتربصوا بكم المنون خديعة ومكيدة فاعطيتموهم ما سألوا وأبيتم الا ان تدهنوا وتجيزوا وايم الله ما أظنكم بعدها توفقون الرشد ولا تصيبون باب الحزم ثم رجع الناس عن صفين فلما رجع على خالفت الحرورية وخرجت وكان ذلك أول ما ظهرت وانكرت تحكيم الرجال ورجعوا على غير الطريق الذى اقبلوا فيه أخذوا على طريق البر وعادوا وهم أعداء متباغضون وقد فشا فيهم التحكيم يقطعون الطريق بالتشاتم والتضارب بالسياط يقول الخوارج يا أعداء الله ادهنتم فى امر الله ويقول الآخرون فارقتم امامنا وفرقتم جماعتنا وساروا حتى جاز والنخيلة ورأوا بيوت الكوفة فاذا بشيخ فى ظل بيت عليه أثر المرض فسلم عليه أمير المؤمنين فرد ردا حسنا فقال له على أرى وجهك متغيرا من مرض قال نعم قال لعلك كرهته قال ما احب انه بغيرى فقال اليس احتسابا للخير فيما اصابك قال بلى قال فابشر برحمة ربك وغفران ذنبك من أنت يا عبد الله قال صالح بن سليم قال ممن أنت قال اما الاصل فمن سلامان طىء وأما الدعوة والجوار ففى سليم بن منصور فقال سبحان الله ما أحسن اسمك واسم أبيك ومن اعتزيت اليه واسم ادعائك هل شهدت معنا غزاتنا هذه قال لا والله ولقد أردتها ولكن ما ترى من أثر الحمى منعنى عنها فقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى

ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ببروجرد وهى بلدة بقرب همدان وبلغ من العمر خمسا وعشرين سنة واقام فى السلطنة اثنتى عشرة سنة واشهرا وتولى الملك بعده (ابو شجاع محمد بن ملكشاه) وكان وقورا مهابا أديبا لبيبا فلما جلس على سرير الملك وجد قواعد الدولة بايالة اخيه مختلة وعقودها منحلة فاحكم القواعد وابرم المعاقد وكان رجل السلجوقية الكامل وفحلهم البازل وله الآثار الحميدة والآراء السديدة كان يغنى الفقير ويجبر الكسير ويفك الاسير وينصر الاسلام ويكشف الظلام وصفت له الدنيا ولم يبق له منازع ثم مرض زمانا طويلا فقيل له مرضك سحرى وانما سحرتك زوجتك فاعضل داؤك وبطل دواؤك وحملوا السلطان الى ان كلها وحبسها فى بيت ضيق واعتقلها واخرجوا خاتم السلطان وقالوا انه أمر بخنقها فخنقوها ومن عجيب القدر ان الزوجين توفيا فى ساعة واحدة فالخاتون فى بيتها خنقت والسلطان على فراشه نفسه زهقت وذلك فى أواخر سنة احدى عشرة وخمسمائة وخلف ستة بنين

الا تخبرني مايقول الناس فيما كان بيننا وبين اهل الشام قال فيهم المسرور وهم اغشاء
الناس وفيهم المكبوت الآسف بما كان بينك وبينهم واولئك نصحاء الناس لك قال صدقت
جعل الله ما كان من شكواك حطا لسيآتك فان المرض لا أجر فيه ولكن لايدع على العبد
ذنبا الا حطه وانما الاجر في القول باللسان والعمل باليد والرجل وان الله عز وجل ليدخل
بصدق النية والسريرة الصالحة عالما من عباده الجنة ثم مضى غير بعيد فلقيه عبد الله بن وديعة
الانصاري فدنا منه وسلم عليه وسايره فقال له ماسمعت الناس يقولون في أمرنا قال منهم المعجب به
ومنهم الكاره له قال فما قول ذوي الرأي قال يقولون ان عليا كان له جمع عظيم ففرقه وكان له
حصن حصين فهدمه فحتى يبني ماهدم ويجمع مافرق ولو كان مضى بمن اطاعه اذ عصاه من
عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك كان ذلك الحزم قال علي انا هدمت ام هم هدموا انا فرقت ام هم
فرقوا اما قولهم لو كان مضى بمن اطاعه فقاتل حتى يظفر او يهلك فوالله ماخفي هذا عني وان
كنت لسخيا بنفسي عن الدنيا طيب النفس بالموت ولقد هممت بالاقدام على القوم فنظرت الى
هذين قد ابتدراني يعني الحسن والحسين ونظرت الى هذين قد استقدماني يعني عبد الله بن
جعفر ومحمد بن علي فعلمت ان هذين ان هلكا انقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه
الامة وكرهت ذلك واشفقت على هذين ان يهلكا وايم الله لئن لقيتهم بعد يومي هذا لالقينهم
وليسوا معي في عسكر ولا دار ثم مضى واذا على يمينه قبور سبعة او ثمانية فقال علي ماهذه فقيل
ياامير المؤمنين ان خباب بن الارت توفي بعد مخرجك واوصى بان يدفن في الظهر وكان الناس
انما يدفنون في دورهم وافنيتهم وكان اول من دفن بظاهر الكوفة ودفن الناس الى جنبه فقال
علي رحم الله خبابا فلقد اسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه احوالا ولن
يضيع الله اجر من احسن عملا ووقف عليها وقال السلام عليكم يااهل الديار الموحشة والمحال
المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات انتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع وبكم
عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل
للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله عز وجل ثم اقبل حتى حاذى سكة الثوريين فسمع
البكاء فقال ماهذه الاصوات فقيل البكاء على قتلى صفين فقال اما اني اشهد لمن قتل منهم صابرا
محتسبا بالشهادة ثم مر بالفائشيين فسمع مثل ذلك ثم مر بالشباميين فسمع رجة شديدة فوقف
فخرج اليه حرب بن شرحبيل الشبامي فقال له علي ايغلبكم نساؤكم الا تنهونهن عن هذا
الرنين قال ياامير المؤمنين لو كانت دارا او دارين او ثلاثا قدرنا على ذلك ولكن قتل من هذا
الحي ثمانون ومائة قتيل فليس دار الا وفيها البكاء فاما نحن معشر الرجال فانا لانبكي ولكنا نفرح
بالشهادة قال علي رحم الله قتلاكم وموتاكم فاقبل يمشي معه وعلي راكب فقال له علي ارجع
ووقف ثم قال له ارجع فان مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن ثم مضى حتى مر
بالناعطيين وكان جلهم عثمانية فسمع بعضهم يقول والله ماصنع علي شيأ ذهب ثم انصرف
في غير شيء فلما راوه ابلسوا فقال علي لاصحابه وجوه قوم ماراوا الشام ثم قال لاصحابه من فارقناهم
آنفا خير من هؤلاء ثم قال

أخوك الذي ان اجرضتك ملمة ... من الدهر لم يبرح لبثك واجما

وهم محمود ومسعود وداود وطغرل وسليمان وسلجق وكلهم تولوا السلطنة سوى سلجق وداود ولما ايس السلطان من نفسه احضر ولده محمودا وبكى كل منهما وامره ان يخرج ويجلس على سرير الملك وينظر في امور الناس فقال له ولده ان هذا اليوم غير مبارك فقال صدقت ولكن على ابيك واما عليك فبارك فامتثل امره وجلس على سرير الملك (ابو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه) مكان والده واحكم قواعد الملك وكان هو يومئذ في سن الحلم وكان قوي المعرفة بالعربية وكان محمود الخليقة محمود الطريقة لكنه بلي بانواع البلاء من اعوانه فنغصوا عليه عيشه وفرقوا خزائنه واستضعفوا جانبه وطمعوا فيه وكان خلف والده من العين والاثاث مالم يخلفه أحد غيره من الملوك السلجوقية فآل الامر الى انهم احتاجوا الى بيع صناديق خزائنه التي فرغت وطلب السلطان محمود المذكور من الخازن غالية ليتطيب بها فلم يجد سوى ثلاثين مثقالا فسأل الخازن عما كان في خزانة أبيه من الغالية فقال كان مايقارب مائة وثمانين رطلا فقال السلطان للحاضرين اعتبروا بالتفاوت

وابس أخوك بالذي ان تشعبت * عليك الامور ظل يلحاك لائما

ثم مضى فلم يزل يذكر الله حتى دخل القصر فلما دخل الكوفة لم يدخل الخوارج معه فأتوا حروراء فنزلوا بها وقتل أويس القرني بصفين وقيل بل مات بدمشق وقيل بارمينية وقيل بسجستان وفيها قتل جندب بن زهير الازدي وهو من الصحابة مع علي وقتل بصفين أيضا حابس ابن سعد الطائي مع معاوية وهو خال يزيد بن عدي بن حاتم فقتل يزيد قاتله غدرا فأراد عدي اسلامه الى أولياء المقتول فهرب الى معاوية وممن شهد صفين مع علي خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ولم يقاتل فلما قتل عمار بن ياسر جرد سيفه وقاتل حتى قتل وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية وقتل مع علي سهيل بن عمرو بن أبي عمر الانصاري وهو بدري وممن شهدو قتل فيها مع علي من المهاجر بن خالد بن الوليد وله صحبة (شريح بن هانئ بضم الشين وآخره حاء مهملة الهمداني بفتح الهاء وسكون الميم وفتح الدال المهملة نسبة الى همدان قبيلة كبيرة من اليمن حمزة بن مالك بضم الحاء المهملة وسكون الميم وآخره راء حضين بن المنذر بضم الحاء المهملة وفتح الضاد المعجمة يريم بفتح الياء تحتها نقطتان وكسر الراء وسكون الياء الثانية وآخره ميم بديل بن ورقاء بضم الباء الموحدة وفتح الدال المهملة حازم بن ابي حازم بالحاء المهملة حبة بن جوين بفتح الحاء المهملة والباء المشددة الموحدة والعرني بضم العين المهملة وفتح الراء وآخره نون)

(ذكر استعمال جعدة بن هبيرة على خراسان)

و في هذه السنة بعث علي جعدة بن هبيرة المخزومي الى خراسان بعد عوده من صفين فانتهى الى نيسابور وقد كفروا وامتنعوا فرجع الى علي فبعث خليد بن قرة اليربوعي فحاصر أهلها حتى صالحوه وصالحه اهل مرو

(ذكر اعتزال الخوارج عليا ورجوعهم اليه)

ولما رجع علي من صفين فارقه الخوارج وأتوا حروراء فنزل بها منهم اثنا عشر ألفا ونادى مناديهم ان امير القتال شبث بن ربعي التميمي وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري والامر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلما سمع علي ذلك وأصحابه قامت الشيعة فقالوا له في اعناقنا بيعة ثانية نحن اولياء من واليت واعداء من عاديت فقالت الخوارج استبقتم أنتم وأهل الشام الى الكفر كفرسي رهان بايع أهل الشام معاوية على ما احبوا وكرهوا وبايعتم أنتم عليا على انكم اولياء من والى واعداء من عادى فقال لهم زياد بن النضر والله ما بسط علي يده فبايعناه قط الا على كتاب الله وسنة نبيه ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته فقالوا له نحن اولياء من واليت واعداء من عاديت ونحن كذلك وهو على الحق والهدى ومن خالفه ضال مضل وبعث علي عبد الله بن عباس الى الخوارج وقال لا تعجل الى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك فخرج اليهم فاقبلوا يكلمونه فلم يصبر حتى راجعهم فقال ما نقمتم من الحكمين وقد قال تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فكيف بامة محمد صلى الله عليه وسلم فقالت الخوارج أما ما جعل الله حكمه الى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو اليهم وما حكم فامضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه حكم في الزاني مائة جلدة وفي السارق القطع فليس للعباد

بين الامرين فلما الاشت امور محمود لكونه غير محمود واختل نظام الملك فرض ومات في أواخر سنة خمس وعشرين وخمسمائة وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة واخذوا امونه نحو خمسة أشهر حتى وصل السلطان الاعظم ابو الحرث سنجر بن ملكشاه من خراسان لتمهيد البلاد واصلاح احوال العباد لانه كان عماد آل سلجوق وهو شيخ البيت وعظيمه وحافظ عزه وبنديه فوصل الى الري وأصلح ما فسد الى ان وصل (السلطان ابو طالب طغرل بن محمد بن ملكشاه ابن الب ارسلان) واجتمع مع عمه فاجلسه على سرير الملك بهمدان ودخل السلطان سنجر بعد ثلاثة أيام الى مقر مملكته خراسان ثم بعد ذلك وقع حروب بين طغرل وبين أخويه مسعود وداود آلت الى انتصار السلطان عليهما فلما استقر له الملك وامن من معارضيه انتقل بالوفاة الى جوار باريه وذلك في أوائل عام ثمانية وعشرين وخمسمائة وكانت مدة ملكه سنتين وشهرين وكان رحمه الله جامعا للخلال التي تفتقر اليها السلطنة من الحزم والتحفظ والعزم الا انه كان مستبدا برايه معجبا بآرائه لا يستشير

ان ينظروا في هذا قال ابن عباس فان الله تعالى يقول يحكم به ذوا عدل منكم فقالوا اوتجعل الحكم في الصيد والحرث وبين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين وقالوا له أعدل عندك عمرو بن العاص وهو بالامس يقاتلنا فان كان عدلا فلسنا بعدول وقد حكمتم في أمر الله الرجال وقد امضى الله حكمه في معاوية وأصحابه ان يقتلوا او يرجعوا وقد كتبتم بينكم وبينهم كتابا وجعلتم بينكم الموادعة وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة الامن أقر بالجزية وبعث علي زياد بن النضر فقال انظر بأي رؤسهم اشد اطاعة فأخبره أنه لم يرهم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس فخرج علي في الناس حتى دخل اليهم فأتى فسطاط يزيد بن قيس فدخله فصلى فيه ركعتين وأمره على أصبهان والري ثم خرج حتى انتهى اليهم وهم يخاصمون ابن عباس فقال الم أنهك عن كلامهم ثم تكلم فقال اللهم هذا مقام من يفلج فيه كان أولى بالفلاح يوم القيامة ثم قال لهم من زعيمكم قالوا ابن الكوا قال فما أخرجكم علينا قالوا حكومتك يوم صفين قال أنشدكم الله أتعلمون انهم حيث رفعوا المصاحف وقلتم نجيبهم قلت لكم اني أعلم بالقوم منكم انهم ليسوا بأصحاب دين وذكر ما كان قاله لهم ثم قال لهم قد اشترطت على الحكمين ان يحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن فان حكما بحكم القرآن فليس لنا ان نخالف وان أبيا فنحن من حكمهما برآء قالوا فخبرنا اتراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء فقال انا لسنا حكمنا الرجال انما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق انما يتكلم به الرجال قالوا فخبرنا عن الاجل لم جعلته بينكم قال ليعلم الجاهل ويثبت العالم ولعل الله يصلح في هذه الهدنة هذه الامة ادخلوا مصركم رحمكم الله فدخلوا من عند آخرهم قيل والخوارج يزعمون انهم قالوا صدقت قد كنا كما ذكرت وكان ذلك كفرا منا وقد تبنا الى الله فتب كما تبنا نبايعك والا فنحن مخالفون فبايعنا علي وقال ادخلوا فلنمكث ستة اشهر حتى يجبى المال ويسمن الكراع ثم نخرج الى عدونا وقد كذب الخوارج فيما زعموا

(ذكر اجتماع الحكمين)

ولما جاء وقت اجتماع الحكمين أرسل علي أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانئ الحارثي وأوصاه أن يقول لعمرو بن العاص ان عليا يقول لك ان أفضل الناس عند الله عز وجل من كان العمل بالحق أحب اليه وان نقصه من الباطل وان زاده يا عمرو والله انك لتعلم اين موضع الحق فلم تتجاهل ان أوتيت طمعا يسيرا كنت لله به ولاوليائه عدوا وكان والله ما أوتيت قد زال عنك ويحك فلا تكن للخائنين خصيما ولا للظالمين ظهيرا أما اني اعلم بيومك الذي أنت فيه نادم وهو يوم وفاتك تتمنى انك لم تظهر لمسلم عداوة ولم تأخذ على حكم رشوة فلما بلغه تغير وجهه ثم قال متى كنت أقبل مشورة علي أو انتهي الى أمره او اعتد برأيه فقال له وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيد المسلمين بعد نبيهم مشورته فقد كان من هو خير منك ابو بكر وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه فقال له ان مثلي لا يكلم مثلك قال شريح بأي أبويك ترغب عني يا ابن النابغة أبأبيك الوسط ام بأمك النابغة فقام عنه وأرسل علي أيضا معهم عبد الله بن عباس ليصلي بهم ويلي امورهم ومعهم ابو موسى الاشعري وأرسل معاوية عمرو بن العاص في اربعمائة من اهل الشام حتى توافوا من دومة الجندل بأذرح وكان عمرو اذا أتاه كتاب من معاوية لا يدري

امداد في اموره ولا يسترشد في تدبيره فلما هلك ملك مكانه (أبو الفتح مسعود بن محمد ابن ملكشاه) جلس على سرير الملك بعده وكان يصطنع الاراذل ويرفع الاسافل لا يضمر لعدو هيبة ولا يقبل في ولي غيبة توفي في أواخر جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وخمسمائة وكانت مدة ولايته تسع عشرة سنة كاملة وجلس مكانه ابن اخيه (السلطان ملكشاه بن محمود) على سرير الملك واشتغل بالانهماك في اللهو واللذة وفوض الامور كلها الى وزيره وما علم انه يخسر من ربحه ويظلم يومه بطلوع صبحه فبطر الوزير وقال للامراء والاجناد هذا السلطان لا يصلح للملك فانه قد شغله الخمر عن الامر وأغناه الكشف عن الفكر وأرى من الصواب ان نخلعه ونستدعي اخاه محمدا ونوليه الملك فوافقوه على الرأي الراتب لانهم كرهوا استيلاءه وحمدوا استعلاءه فقالوا له جل هذا الامر فقبض بالمكر الوزير على السلطان واعتقله ببرج همدان وانفذ الى أخيه الملك محمد فقدم (السلطان أبو شجاع محمد ابن محمود) وجلس على سرير الملك بهمدان وأول ما أمر بقتل الوزير المذكور فساءه

بما جاء فيه ولا يسأله اهل الشأم عن شئ وكان اهل العراق يسألون ابن عباس عن كتاب يصله من علىّ فان كتمهم ظنوا به الظنون وقالوا أتراه كتب بكذا وكذا فقال لهم ابن عباس اما تعقلون أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم احد بما جاء به ولا يسمع لهم صياح وأنتم عندى كل يوم تظنون فى الظنون وحضر معهم ابن عمر وعبد الرحمن بن ابى بكر الصديق وابن الزبير وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهرى وابو جهم بن حذيفة العدوى والمغيرة بن شعبة وكان سعد بن ابى وقاص على ماء لبنى سليم بالبادية فأتاه ابنه عمر فقال له ان أبا موسى وعمرا قد شهدهما نفر من قريش فاحضر معهم فانك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الشورى ولم تدخل فى شئ كرهته هذه الامة وأنت أحق الناس بالخلافة فلم يفعل وقيل بل حضرهم سعد وندم على حضوره فاحرم بعمرة من بيت المقدس وقال المغيرة بن شعبة لرجال من قريش أترون أحدا يستطيع ان يأتى برأى يعلم به أيجتمع الحكمان ام لا فقالوا لا فقال انى اعلمه منهما فدخل على عمرو بن العاص فقال كيف ترانا معشر من اعتزل الحرب فانا قد شككنا فى الامر الذى استبان لكم فيها فقال له عمرو أراكم خلف الابرار أمام الفجار فانصرف المغيرة الى أبى موسى فقال له مثل قوله لعمرو فقال له أبو موسى أراكم أثبت الناس رأيا فيكم بقية الناس فعاد المغيرة الى أصحابه وقال لهم لا يجتمع هذان على أمر واحد فلما اجتمع الحكمان قال عمرو يا أبا موسى ألست تعلم أن عثمان قتل مظلوما قال اشهد قال ألست تعلم ان معاوية وآل معاوية أولياؤه قال بلى قال فما يمنعك منه وبيته فى قريش كما قد علمت فان خفت ان يقول الناس ليست له سابقة فقل وجدته ولى عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه الحسن السياسة والتدبير وهو اخو أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتبه وقد صحبه وعرض له بسلطان فقال ابو موسى يا عمرو اتق الله فاما ما ذكرت من شرف معاوية فان هذا ليس على الشرف تولاه اهله ولو كان على الشرف لكان لآل ابرهة بن الصباح انما هو لاهل الدين والفضل مع أنى لو كنت معطيه أفضل قريش شرفا أعطيته على بن ابى طالب واما قولك ان معاوية ولى دم عثمان فوله هذا الامر فلم اكن لاوليه وأدع المهاجرين الاولين واما تعريضك لى بالسلطان فوالله لو خرج معاوية لى من سلطانه كله لما وليته وما كنت لارتشى فى حكم الله ولكنك ان شئت أن تحيى اسم عمر بن الخطاب رحمه الله قال له عمرو فما يمنعك من ابنى وأنت تعلم فضله وصلاحه فقال ان ابنك رجل صدق ولكنك قد غمسته فى هذه الفتنة فقال عمرو ان هذا الامر لا يصلح الا لرجل يأكل ويطعم وكانت فى ابن عمر غفلة فقال له ابن الزبير افطن فانتبه فقال والله لا ارشو عليها شيأ ابدا وقال يا ابن العاص ان العرب قد اسندت اليك أمرها بعد ما تقارعوا بالسيوف فلا تردنهم فى فتنة وكان عمرو قد عود ابا موسى ان يقدمه فى الكلام يقول له أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسن منى فتكلم وتعود ذلك ابو موسى وأراد عمرو بذلك كله ان يقدمه فى خلع على فلما اراده عمرو على ابنه أو على معاوية فأبى وأراد ابو موسى ابن عمر فأبى عمرو وقال له عمرو خبرنى ما رأيك قال أرى ان نخلع هذين الرجلين ونجعل الامر شورى فيختار المسلمون لانفسهم من احبوا فقال عمرو الرأى ما رأيت فاقبلا الى الناس وهم مجتمعون فقال عمرو يا أبا موسى اعلمهم ان رأينا قد اتفق فتكلم أبو موسى فقال ان رأينا قد اتفق على امر

ذلك الامراء واجتمعوا بأن اخرجوا السلطان سليمان بن محمد بن ملكشاه وجاؤه الى همذان فلما سمع بذلك السلطان محمد انتقل الى اصفهان بشرذمة يسيرة واستقر (سليمان) على سرير الملك وكان وزيره شريبا للخمر اذا شرب وقع صريعا ونام اسبوعا وارادوا ان يسعدوه وهو شقى فلما وصل السلطان محمد الى اصفهان منحازا عن عمه سليمان جمع العساكر ورجع الى همدان فوقع بينه وبين الخليفة المتقى بالله حتى آل الامر انه حاصر بغداد فما شعر الا وقد استولى عدوه على همدان فرجع لحربه وكانت وفاته فى ثالث عشر ربيع الاول سنة ست وخمسين وخمسمائة وجلس مكانه ابن أخيه (السلطان ركن الدين أبو المظفر ارسلان ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه) فتصاغر له الكبراء وائتمر له الامراء فادنى وابعد واشقى واسعد الى ان توفى سنة احدى وسبعين وخمسمائة وجلس على سرير الملك ولده الصغير (السلطان طغرل ابن ارسلان بن طغرل) فشغل به السمر ونفذت أوامره فى الممالك وما زال امره مستقيما وكان سيئ التدبير يعاقب على التهم بالقتل والتدمير وكان قد وقع بينه و بين أخيه قزل ارسلان حروب آلت الى قتل قزل ارسلان على فراشه ولم يعلم قاتله وفى سنة تسع وثمانين وخمسمائة تغلب على المملكة السلطان خوارزمشاه

نرجو ان يصلح الله به امر هذه الامة فقال عمرو صدقت ثم قال تقدم يا أبا موسى فتكلم فتقدم ابو
موسى فقال له ابن عباس ويحك والله اني لاظنه قد خدعك ان كنتما اتفقتما على امر فقدمه
فليتكلم به قبلك ثم تكلم به بعده فانه رجل غادر ولا آمن ان يكون قد اعطاك الرضا بينكما
فاذا قمت في الناس خالفك وكان ابو موسى مغفلا فقال انا قد اتفقنا وقال ايها الناس انا قد
نظرنا في امر هذه الامة فلم نر اصلح لامرها ولا ألم لشعثها من امر قد اجمع رأيي ورأي عمرو عليه
وهو ان نخلع عليا ومعاوية ويولي الناس امرهم من أحبوا واني قد خلعت عليا ومعاوية
فاستقبلوا امركم وولوا عليكم من رأيتموه اهلا ثم تنحى واقبل عمرو فقام وقال ان هذا قد قال
ما سمعتموه وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبي معاوية فانه ولي ابن عفان
والطالب بدمه واحق الناس بمقامه فقال سعد ما أضعفك يا ابا موسى عن عمرو ومكائده فقال أبو
موسى فما أصنع وافقني على أمر ثم نزع عنه فقال ابن عباس لا ذنب لك يا ابا موسى الذنب لمن
قدمك في هذا المقام قال غدر فما اصنع فقال ابن عمر انظروا الى ما صار امر هذه الامة صار الى
رجل ما يبالي ما صنع والى آخر ضعيف وقال عبد الرحمن بن أبي بكر لو مات الاشعري قبل هذا
اليوم لكان خيرا له وقال أبو موسى الاشعري لعمرو لا وفقك الله غدرت وفجرت انما مثلك
كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قال عمرو وانك مثلك مثل الحمار يحمل
اسفارا فحمل شريح بن هانئ على عمرو فقنعه بالسوط وحمل ابن لعمرو على شريح فضربه
بالسوط أيضا وحجز الناس بينهم وكان شريح يقول بعد ذلك ما ندمت على شيء ندامتي على ضرب
عمرو بالسوط ولم اضربه بالسيف والتمس اهل الشام أبا موسى فهرب الى مكة ثم انصرف عمرو
وأهل الشام الى معاوية فسلموا عليه بالخلافة ورجع ابن عباس وشريح الى علي وكان علي
اذا صلى الغداة يقنت فيقول اللهم العن معاوية وعمرا وأبا الاعور وحبيبا وعبد الرحمن بن
خالد والضحاك بن قيس والوليد فبلغ ذلك معاوية فكان اذا قنت سب عليا وابن عباس
والحسن والحسين والاشتر وقد قيل ان معاوية حضر الحكمين وانه قام عشية في الناس فقال
اما بعد من كان متكلما في هذا الامر فليطلع لنا قرنه قال ابن عمر فاطلقت حبوتي فاردت ان
اقول يتكلم فيه رجال قاتلوك واباك على الاسلام فخشيت ان اقول كلمة تفرق الجماعة ويسفك
فيها دم وكان ما وعد الله فيه الجنان احب الي من ذلك فلما انصرفت الى المنزل جاءني حبيب بن
مسلمة فقال ما منعك ان تتكلم حين سمعت هذا الرجل يتكلم قلت اردت ذلك ثم خشيت فقال
حبيب وفقت وعصمت وهذا اصح لانه ورد في الصحيح

(ذكر خبر الخوارج عند توجيه الحكمين وخبر يوم النهر)

لما أراد علي ان يبعث ابا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج زرعة بن البرج الطائي
وحرقوص بن زهير السعدي فقالا له لا حكم الا لله فقال علي لا حكم الا لله وقال حرقوص بن
زهير تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا الى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا فقال
علي قد اردتكم على ذلك فعصيتموني وقد كتبنا بيننا و بين القوم كتابا وشرطنا شروطا واعطينا
عليها عهودا وقد قال الله تعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم فقال حرقوص ذلك ذنب ينبغي ان

وقتل طغرل في المعركة وختمت الدولة السلجوقية بطغرل وكان ابتداؤها بطغرل وسبحان من لا يزول ملكه ولا يحول

(الباب الرابع والثلاثون
في ذكر دولة الخوارزمشاهية
وحسن مآثرهم السنية
وشمائلهم المرضية في الرعية)
ذكر في جسر الانساب أن
عدد ملوكهم عشرة انفار
ومدة ملكهم مائة سنة
وثمان وثلاثون سنة واول
من ملك منهم (محمد بن
انوشتكين) وكان مملوكا
تركيا لبعض امراء السلجوقية
وكان مقدما عنده لشجاعته
وشهامته ولما سار الى خراسان
صار آلتمش الخوارزمي وعهدها
تار فيمن يوليه فوقع على محمد
ابن أنوشتكين المذكور
فولاه ولقبه خوارزمشاه
وذلك في سنة تسعين وأربعمائة
لكونه تأهل ابيه في الهداية
والشجاعة وحسن التدبير
وكان محبا لاهل العلم والدين
عادلا في الرعية فلما هلك ملك
مكانه ولده (اتسز) فسار
سيرة أبيه وكان قد قاد الجيوش
في حياة أبيه وباشر الحروب
وكان السلطان سنجر يصاحبه
في اسفاره وحروبه ثم كثرت
السعاية عليه عند السلطان
سنجر حتى بغضه وسار لينزع
الملك من يده فانهزم اتسز وقتل
ابنه وخلقا كثيرا من جماعته
ثم بعد ذلك صالح سنجر واستقل
بالامر من غير منازع الى ان
توفي في منتصف سنة احدى
وخمسين وخمسمائة وكانت مدة ملكه خمسين سنة وملك بعده ابنه (ارسلان شاه بن اتسز) فقتل جماعة من اعمامه

تتوب عنه فقال علي ما هو ذنب ولكنه عجز عن الرأي وقد نهيتكم فقال زرعة يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك أطلب وجه الله تعالى فقال علي بؤسا لك ما أشقاك كأني بك قتيلا تسفي عليك الرياح قال وددت لو كان ذلك فخرجا من عنده يحكمان وخطب علي ذات يوم فحكمت المحكمة في جوانب المسجد فقال علي الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل ان سكتوا غممناهم وان تكلموا حججناهم وان خرجوا علينا قاتلناهم فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغن عنه اللهم انا نعوذ بك من اعطاء الدنية في ديننا فان اعطاء الدنية في الدين ادهان في أمر الله وذل راجع باهله الى سخط الله يا علي أبالقتل تخوفنا أما والله اني لارجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات ثم لتعلم أينا أولى بها صليا ثم خرج هو واخوة له ثلاثة فاصيبوا مع الخوارج بالنهر وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة ثم خطب علي يوما آخر فقام رجل فقال لا حكم الا لله ثم توالى عدة رجال يحكمون فقال علي الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل أما ان لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نقاتلكم حتى تبدؤنا وانما فيكم أمر الله ثم رجع الى مكانه من الخطبة ثم ان الخوارج لقي بعضهم بعضا واجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم فزهدهم في الدنيا وأمرهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم قال اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها الى بعض كور الجبال أو الى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة فقال له حرقوص بن زهير ان المتاع بهذه الدنيا قليل وان الفراق لها وشيك فلا تدعونكم زينتها وبهجتها الى المقام بها ولا تلفتنكم عن طلب الحق وانكار الظلم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فقال حمزة بن سنان الاسدي يا قوم ان الرأي ما رأيتم فولوا أمركم رجلا منكم فانكم لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها وترجعون اليها فعرضوها على زيد بن حصين الطائي فابى وعرضوها على حرقوص بن زهير فأبى وعلى حمزة بن سنان وشريح ابن أوفى العبسي فابيا وعرضوها على عبد الله بن وهب فقال هاتوها أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقا من الموت فبايعوه لعشر خلون من شوال وكان يقال له ذو الثفنات ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي فقال ابن وهب اشخصوا بنا الى بلدة نجتمع فيها لانفاذ حكم الله فانكم أهل الحق قال شريح نخرج الى المدائن فننزلها ونأخذ بابوابها ونخرج منها سكانها ونبعث الى اخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا فقال زيد بن حصين انكم ان خرجتم مجتمعين أتبعتم ولكن اخرجوا وحدانا مستخفين فاما المدائن فان بها من يمنعكم ولكن سيروا حتى تنزلوا جسر النهروان وتكاتبوا اخوانكم من أهل البصرة قالوا هذا الرأي وكتب عبد الله بن وهب الى من بالبصرة منهم يعلمونهم ما اجتمعوا عليه ويحثونهم على اللحاق بهم وسير الكتاب اليهم فأجابوه انهم على اللحاق به فلما عزموا على المسير تعبدوا ليلتهم وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة وساروا يوم السبت فخرج شريح بن أوفى العبسي وهو يتلو قول الله تعالى فخرج منها خائفا يترقب الى سواء السبيل وخرج معهم طرفة بن عدي بن حاتم الطائي فاتبعه أبوه فلم يقدر عليه فانتهى الى المدائن ثم رجع فلما بلغ ساباط لقيه عبد الله بن وهب الراسبي في نحو عشرين فارسا فأراد عبد الله قتله فمنعه عمرو بن مالك التيهاني وبشر بن زيد البولاني وأرسل عدي الى

وعمل أخاه فرض زمانا ومات في سنة ثمان وستين وخمسمائة وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وملك بعده ابنه الاصغر (سلطان شاه محمود) لكونه كان عنده واستقر الملك في تدبير أمه وكان ابنه الاكبر علاء الدين تكش غائبا فلما بلغه موت أبيه وتولية أخيه استنكف وسار الى ملك الخطا مستنجدا ورغبه في أموال خوارزم وذخائرها فانجده بجيش كثيف وجاء الى خوارزم فملكها واستولى على نيسابور وخزائنها ولحق سلطان شاه محمود مع أمه بالمؤيد صاحب نيسابور فجمع عساكره وسار معه فلما كان على عشرين فرسخا من خوارزم خرج اليه تكش وهزمه وجيء بالمؤيد أسيرا فقتله ولحق أخاه وظفر بامه فقتلها وهرب السلطان محمود وعاد تكش الى خوارزم وتوفي محمود في سنة تسع وثمانين وخمسمائة واستولى (علاء الدين تكش) على بقية بلاد أخيه وكان عادلا عارفا بالاصول والفقه على مذهب الامام الاعظم رحمه الله توفي في رمضان سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن في مدرسته التي بناها وملك بعده ابنه (ملك شاه محمد بن تكش) ولقبوه علاء الدين لقب أبيه فلما بلغ أخوه الهندوخان تولية أخيه جمع عساكره وتحارب مع أخيه فلم يقدر عليه ورجع خائبا خاسرا واستولى ملك شاه على جميع بلاد ماوراء النهر وقسم

سعد بن مسعود وعامل علي على المدائن يحذره أمرهم فأخذ أبواب المدائن وخرج في الخيل واستخلف بها ابن أخيه المختار ابن أبي عبيد وسار في طلبهم فأخبر عبد الله بن وهب خبره فرابا طريقه وسار على بغداد ولحقهم سعد بن مسعود بالكرخ في خمسمائة فارس عند المساء فانصرف اليهم عبد الله في ثلاثين فارسا فاقتتلوا ساعة وامتنع القوم منهم وقال أصحاب سعد لسعد ما تريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر خلهم فليذهبوا واكتب الى أمير المؤمنين فان أمرك باتباعهم اتبعتهم وان كفاكهم غيرك كان في ذلك عافية لك فأبى عليهم فلما جن عليهم الليل خرج عبد الله بن وهب فعبر دجلة الى أرض جوخى وسار الى النهروان فوصل الى أصحابه وقد أيسوا منه وقالوا ان كان هلك ولينا الامر زيد بن حصين أو حرقوص بن زهير وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم فردهم أهلوهم كرها منهم القعقاع بن قيس الطائي عم الطرماح بن حكيم وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن البكائي وبلغ عليا ان سالم بن ربيعة العبسي يريد الخروج فأحضره عنده ونهاه فانتهى ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى عليا أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت فشرط لهم فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ربيعة بن أبي شداد الخثعمي وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم فقال له بايع على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربيعة على سنة أبي بكر وعمر قال له علي ويلك لو أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونا على شيء من الحق فبايعه فنظر اليه علي وقال أما والله لكأني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت وكأني بك وقد وطئتك الخيل بحوافرها فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة وأما خوارج البصرة فانهم اجتمعوا في خمسمائة رجل وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي فعلم بهم ابن عباس فاتبعهم أبا الاسود الدؤلي فلحقهم بالجسر الاكبر فتواقفوا حتى حجز بينهم الليل وادلج مسعر باصحابه واقبل يعترض الناس وعلى مقدمته الاشرس بن عوف الشيباني وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنهر فلما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى الى مكة ورد على ابن عباس الى البصرة قام في الكوفة فخطبهم فقال الحمد لله وان أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أما بعد فان المعصية تورث الحسرة وتعقب الندم وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري ونحلتكم رأيي لو كان لقصير أمر ولكن أبيتم الا ما أردتم فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

الا ان هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما واحييا ما امات القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين استعدوا وتأهبوا للمسير الى الشام واصبحوا في معسكركم ان شاء الله يوم الاثنين ثم نزل وكتب الى الخوارج بالنهر بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين الى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس أما بعد فان هذين الرجلين اللذين ارتضينا هما حكمين قد خالفا

الملك بين أولاده فجعل ولي عهده (قطب الدين أولغ شاه) دون ابنه الاكبر جلال الدين وكرمان وكيش ومكران لابنه (غياث الدين) وبقية البلاد لابنه (ركن الدين) وأذن لهم في ضرب النوب الخمس له وهي دبادب أي طبول صغار تقرع عقب الصلوات الخمس وسماها نوبة ذي القرنين سبعة وعشرين دبدبة وكانت مصنوعة من الذهب والفضة مرصعة بالجواهر وكان وقع بين السلطان وبين جنكزخان وقائع أدت الى المجيء اليه فلما بلغه هجوم جنكزخان الى البلاد الاسلامية لم يزل يضمحل حاله ويذوب وتحل به نوائب الخطوب حتى انتقل الى جوار الرحمن في أطراف طبرستان في سنة سبع عشرة وستمائة وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وكان خلع ولده قطب الدين وعهد لولده الاكبر (جلال الدين) فلما جلس على سرير الملك تيقن بحلول البوار ونزول الدمار وخراب الديار بمجيء طائفة التتار فشرع في تحصين البلاد والقلاع والاحتفاظ بمدن الممالك عن الضياع وكان ملكا عظيما وسلطانا جسيما ذا صولة ظاهرة ودولة باهرة لكنه عن مقاتلة التتار عاجز ومن مقابلتهم ناجز ثم ان تلك الدواهي المصمة وصلوا الى بلاد الاسلام في أوائل سنة خمس عشرة وستمائة وصاروا على بسيطة العالم سير الغمام فارادوا اطفاء نور الايمان . كتاب

كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله فلم يعملا بالسنة ولم ينفذا القرآن حكما فبرئ الله منهما
ورسوله والمؤمنون فاذا ابلغكم كتابي هذا فاقبلوا الينا فانا سائرون الى عدونا وعدوكم
ونحن على الامر الاول الذي كنا عليه فكتبوا اليه أما بعد فانك لم تغضب لربك وانما غضبت
لنفسك فان شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك والا فقد
نبذناك على سواء ان الله لا يحب الخائنين فلما قرأ كتابهم أيس منهم ورأى ان يدعهم ويمضي
بالناس حتى يلقى أهل الشام فيناجزهم فقام في أهل الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد
فانه من ترك الجهاد في الله وادهن في أمره كان على شفا هلكة الا أن يتداركه الله بنعمته فاتقوا
الله وقاتلوا من حاد الله ورسوله وحاول أن يطفئ نور الله فقاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين
الذين ليسوا بقراء القرآن ولا فقهاء في الدين ولا علماء في التأويل ولا لهذا الامر بأهل في سابقة
الاسلام والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل تيسروا وتهيؤا للمسير الى عدوكم من اهل
المغرب وقد بعثنا الى اخوانكم من اهل البصرة ليقدموا عليكم فاذا اجتمعتم شخصنا ان شاء
الله ولا حول ولا قوة الا بالله وكتب الى ابن عباس أما بعد فانا خرجنا الى معسكرنا بالنخيلة وقد
اجمعنا على المسير الى عدونا من اهل المغرب فاشخص الى الناس حتى يأتيك رسولي واقم حتى
يأتيك أمري والسلام عليك فقرأ ابن عباس الكتاب على الناس وندبهم مع الاحنف بن قيس
فشخص ألف وخمسمائة فخطبهم وقال يا أهل البصرة أتاني كتاب أمير المؤمنين فامرتكم بالنفير
اليه فلم يشخص منكم اليه الا ألف وخمسمائة وأنتم ستون ألف مقاتل سوى أبنائكم وعبيدكم
الا انفروا اليه مع جارية بن قدامة السعدي ولا يجعلن رجل على نفسه سبيلا فاني موقع بكل
من وجدته متخلفا عن دعوته عاصيا لامامه فلا يلومن رجل الا نفسه فخرج جارية فاجتمع اليه
ألف وسبعمائة فوافوا عليا وهم ثلاثة آلاف ومائتان فجمع اليه رؤس أهل الكوفة ورؤس
الاسباع ووجوه الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة أنتم اخواني وانصاري
وأعواني على الحق وأصحابي الى جهاد المحلين بكم اضرب المدبر وارجو تمام طاعة المقبل وقد
استنفرت أهل البصرة فأتاني منهم ثلاثة آلاف ومائتان فليكتب لي رئيس كل قبيلة ما في
عشيرته من المقاتلة وابناء المقاتلة الذين ادركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليهم ويرفع ذلك
الينا فقام اليه سعيد بن قيس الهمداني فقال يا أمير المؤمنين سمعا وطاعة أنا أول الناس أجاب
ما طلبت وقام معقل بن قيس وعدي بن حاتم وزياد بن خصفة وحجر بن عدي وأشراف الناس
والقبائل فقالوا مثل ذلك وكتبوا اليه ما طلب وأمروا أبناءهم وعبيدهم أن يخرجوا معهم ولا
يتخلف منهم متخلف فرفعوا اليه أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفا من الابناء ممن أدرك
وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم وكان جميع اهل الكوفة خمسة وستين ألفا سوى اهل
البصرة وهم ثلاثة آلاف ومائتا رجل وكتب الى سعد بن مسعود بالمدائن يأمره بارسال من
عنده من المقاتلة وبلغ عليا ان الناس يقولون لو سار بنا الى قتال هذه الحرورية فاذا فرغنا
منهم توجهنا الى قتال المحلين فقال لهم بلغني أنكم قلتم كيت وكيت وان غير هؤلاء الخارجين
اهم الينا فدعوا ذكرهم وسيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكا ويتخذوا
عباد الله خولا فناداه الناس ان سر بنا يا أمير المؤمنين حيث احببت وقام اليه صيفي بن فسيل

فنهضوا نهضة أنام وافيها الانام ولم يزل السلطان يقومنهم مع شرذمة قليلة وهم يتبعون أثره الى أن وصل الى حافة نهر جيحون والتتار من خلفه وقد أدركوه فلما رأى ذلك خاف على حرمه وأهله فقتلهم عن آخرهم والقاهم في نهر جيحون وعدى النهر وذهب الى باشورة آمد وصعد الى جبل الاكراد فتبعه رجل منهم وبيده حربة فقتله وفي تواريخ الفرس انه كان مختفيا في بعض الاطراف ولا يعلم به أحد ولم يكن معه سوى رجل واحد من خواصه فسمع انسانا يقول العجب من وقائع الدنيا ان عسكر جنكزخان وصل الى القلعة التي بها نساء السلطان فلما سمع ذلك لم يزل يميل الى جانب الارض حتى وقع ميتا فاخبر الرجل الذي كان معه انه هو السلطان فتعجب الناس من ذلك ولم يجدوا له كفنا فكفن بشاشه فسبحان الذي يبقى وما سواه فان وكانت الوقعة في منتصف شوال سنة ثمان وعشرين وستمائة وبها انقرضت دولتهم

(الباب الخامس والثلاثون في ذكر دولة بني سلجوق بحلب والشام ولمع من وقائعهم فيما مضى من الايام)

ذكر في الدول الاسلامية ان أول من تولى الملك بحلب والشام من السلجوقية (اتسز بن ابق) السلجوقي لانه سار الى فلسطين لفتح تلك البلاد وحاصر دمشق

الشيبانى فقال يا امير المؤمنين نحن حزبك وانصارك نعادى من عاداك ونشايع من اناب الى طاعتك من كانوا وايما كانوا فانك ان شاء الله لن تؤتى من قلة عدد وضعف نية اتباع

(ذكر قتال الخوارج)

قيل لما اقبلت الخارجة من البصرة حتى دنت من النهروان رأى عصابة منهم رجلا يسوق بامرأة على حمار فدعوه فانتهروه وافزعوه وقالوا له من انت قال انا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له أفزعناك قال نعم قالوا لا روع عليك حدثنا عن ابيك حديثا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعنا به فقال حدثنى ابى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيه بدنه يمسى فيها مؤمنا ويصبح كافرا ويصبح كافرا ويمسى مؤمنا قالوا لهذا الحديث سألناك فما تقول فى ابى بكر وعمر فاثنى عليهما خيرا قالوا فما تقول فى عثمان فى اول خلافته وفى آخرها قال انه كان محقا فى اولها وفى آخرها فقالوا فما تقول فى على قبل التحكيم وبعده قال انه اعلم بالله منكم واشد توقيا على دينه وانفذ بصيرة فقالوا انك تتبع الهوى وتوالى الرجال على اسمائها لا على افعالها والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها احدا فاخذوه وكتفوه ثم اقبلوا به وبامرأته وهى حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل مواقير فسقطت منه رطبة فاخذها احدهم فتركها فى فيه فقال آخر أخذتها بغير حلها وبغير ثمن فالقاها ثم مر بهم خنزير لاهل الذمة فضربه احدهم بسيفه فقالوا هذا فساد فى الارض فلقى صاحب الخنزير فارضاه فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال لئن كنتم صادقين فيما أرى فما على منكم من بأس انى مسلم ما احدثت فى الاسلام حدثا ولقد أمنتمونى قلتم لا روع عليك فاضجعوه فذبحوه فسال دمه فى الماء واقبلوا الى المرأة فقالت أنا امرأة الا تتقون الله فبقروا بطنها وقتلوا ثلاث نسوة من طيئ وقتلوا أم سنان الصيداوية فلما بلغ عليا قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم الناس بعث اليهم الحارث بن مرة العبدى ليأتيهم وينظر ما بلغه عنهم ويكتب به اليه ولا يكتمه فلما دنا منهم يسائلهم قتلوه واتى عليا الخبر والناس معه فقالوا يا امير المؤمنين علام ندع هؤلاء وراءنا يخلفونا فى عيالنا وأموالنا سر بنا الى القوم فاذا فرغنا منهم سرنا الى عدونا من أهل الشام وقام اليه الاشعث بن قيس وكلمه بمثل ذلك وكان الناس يرون ان الاشعث يرى رأيهم لانه كان يقول يوم صفين أنصفنا قوم يدعون الى كتاب الله فلما قال هذه المقالة علم الناس انه لم يكن يرى رأيهم فاجمع على على ذلك وخرج فعبر الجسر وسار اليهم فلقيه منجم فى مسيره فاشار عليه أن يسير وقتا من النهار فقال له ان أنت سرت فى غيره لقيت أنت وأصحابك ضرا شديدا فخالفه على وسار فى الوقت الذى نهاه عنه فلما فرغ من أهل النهر حمد الله وأثنى عليه ثم قال لو سرنا فى الساعة التى أمرنا بها المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون شيأ سار فى الساعة التى امره بها المنجم فظفر وكان المنجم مسافر بن عفيف الازدى فارسل على الى اهل النهر أن ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم اقتلهم بهم ثم انا تاركوكم وكاف عنكم حتى القى اهل المغرب فلعل الله يقبل بقلوبكم ويردكم الى خير مما أنتم عليه من امركم فقالوا كلنا قتلهم وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم وخرج اليهم قيس ابن سعد بن عبادة فقال لهم عباد الله اخرجوا الينا طلبتنا منكم وادخلوا فى هذا الامر الذى خرجتم منه وعودوا بنا الى قتال عدونا وعدوكم فانكم ركبتم عظيما من الامر تشهدون علينا

بالشرك

فملكها اصطلحا ودخلها سنة ثمان وستين وأربعمائة وسكن بدار الامارة داخل باب الفراديس فكانت مدة اقامته بدمشق ثلاث سنين واحدا وعشرين يوما وسار السلطان ملكشاه السلجوقى الى حلب فملكها وولى عليها (قسيم الدولة آق سنقر) جد نور الدين الشهيد كما سيأتى ذكره وولى دمشق أخاه (تاج الدولة تتش بن الب ارسلان السلجوقى) وما فتحه من تلك النواحى ولم يزل تتش يجاهد فى سبيل الله تعالى حتى فتح حمص وفى اثناء ذلك توفى السلطان ملكشاه فعزم تتش على طلب السلطنة لنفسه فسار الى حلب فاطاعه قسيم الدولة آق سنقر لصغر أولاد السلطان وحمل على انطاكية ثم سار الى ديار بكر وأعمالها الى أن وصل اذربيجان وهمدان فاطاعوه وخطبوا باسمه وبادر الى اصفهان فاستقبله صاحبها بركيارق فانهزم تتش منه فلحقه وقتله فاستقام الامر لبركيارق وولى مكان تتش ولده (رضوان) لكنه لم يتمكن على غالب البلاد التى كانت بيد والده لان دمشق غلب عليها أخوه شمس الملوك دقاق بن تتش فقدم أخوه رضوان محاصرها فلم ينل مقصودا وعاد الى حلب ثم عرض لدقاق مرض طول به فتوفى وقيل ان أمه زينب أرسلت له جارية بسمته فى عنقود عنب معلق فى شجرته نقبته بابرة بها خيط مسموم فاكله فتوفى

بالشرك وتسفكون دماء المسلمين فقال له عبد الله بن شجرة السلمي ان الحق قد اضاء لنا فلسنا متابعيكم او تأتونا بمثل عمر فقال ما نعلمه غير صاحبنا فهل تعلمونه فيكم قالوا لا قال انشدتكم الله في انفسكم أن تهلكوها فانى لا أرى الفتنة الا وقد غلبت عليكم وخطبهم ابو ايوب الانصارى فقال عباد الله انا واياكم على الحال الاولى التى كنا عليها ليست بيننا وبينكم فرقة فعلام تقاتلوننا فقالوا انا لو تابعناكم اليوم حكمتم غدا قال فانى انشدكم الله ان تعجلوا فتنة العام مخافة ما يأتى فى القابل وأتاهم على فقال ايتها العصابة التى اخرجها عداوة المراء واللجاجة وصدها عن الحق الهوى وطمع بها النزق واصبحت فى الخطب العظيم انى نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم الامة غدا صرعى باثناء هذا الوادى وباهضام هذا الغائط بغير بينة من ربكم ولا برهان مبين الم تعلموا انى نهيتكم عن الحكومة ونبأتكم انها مكيدة وان القوم ليسوا باصحاب دين فعصيتمونى فلما فعلت شرطت واستوثقت على الحكمين ان يحييا ما احيا القرآن ويميتا ما امات القرآن فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة فنبذنا امرهما ونحن على الامر الاول فمن اين أتيتم فقالوا انا حكمنا فلما حكمنا اثمنا وكنا بذلك كافرين وقد تبنا فان تبت فنحن معك ومنك وان ابيت فانا منابذوك على سواء فقال على أصابكم حاصب ولا بقى منكم وابر أبعد ايمانى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرتى معه وجهادى فى سبيل الله أشهد على نفسى بالكفر لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين ثم انصرف عنهم وقيل انه كان من كلامه لهم يا هؤلاء ان انفسكم قد سولت لكم فراق هذه الحكومة التى انتم بدأتموها وسألتموها وانا لها كاره وانبأتكم ان القوم انما طلبوها مكيدة وهنا فابيتم على اباء المخالفين وعندتم عنود النكداء العاصين حتى صرفت رأيى الى رأيكم رأى معاشر والله أخفاء الهام سفهاء الاحلام فلم آت لا ابا لكم هجرا والله ما ختلتكم عن اموركم ولا اخفيت شيأ من هذا الامر عنكم ولا اوطأتكم عشوة ولا أدنيت لكم الضراء وان كان امرنا لامر المسلمين ظاهرا فاجمع رأى ملئكم ان اختار رجلين فاخذنا عليهما ان يحكما بما فى القرآن ولا يعدواه فتاها فتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما والثقة فى ايدينا حين خالفا سبيل الحق واتيا بما لا يعرف فبينوا لنا بم تستحلون قتالنا والخروج عن جماعتنا وتضعون اسيافكم على عواتقكم ثم تستعرضون الناس تضربون رقابهم ان هذا هو الخسران المبين والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها فكيف بالنفس التى قتلها عند الله حرام فتنادوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيؤا للقاء الله الرواح الرواح الى الجنة فعاد على عنهم ثم أن الخوارج قصدوا جسر النهر وكانوا غربه فقال لعلى اصحابه انهم قد عبروا النهر فقال لن يعبروا فارسلوا طليعة فعاد واخبرهم انهم عبروا النهر وكان بينهم وبينه عطفة من النهر فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم فعاد فقال انهم قد عبروا النهر فقال على والله ما عبروه وان مصارعهم لدون الجسر والله لا يقتل منكم عشرة ولا يسلم منهم عشرة وتقدم على اليهم فرآهم عند الجسر لم يعبروه وكان الناس قد شكوا فى قوله وارتاب به بعضهم فلما رأوا الخوارج لم يعبروا كبروا واخبروا عليا بحالهم فقال والله ما كذبت ولا كذبت ثم انه عبى أصحابه فجعل على ميمنته حجر بن عدى وعلى ميسرته شبث بن ربعى او معقل بن قيس الرياحى وعلى الخيل ابا ايوب الانصارى وعلى الرجالة أبا قتادة الانصارى وعلى اهل المدينة وهم

جوفه ومات فى سنة ثمان وتسعين واربعمائة ودفن بـ[illegible] وقيل بدمشق وتولى مكانه اخوه (ارتاش بن تتش ابن الب ارسلان) فلم يقم غير ثلاثة أشهر ثم انه توهم وتوجه الى الشرق فهلك هنالك ولم يتم لرضوان الامر وكان مقره بحلب حتى توفى فى سنة سبع وخمسمائة وتولى مكانه ابن أخيه (ألب ارسلان بن دقاق) وكان صبيا صغيرا وكان يدبر أمره اتابكه لؤلؤ الخادم ثم تنكر له فقتله ونصب مكانه أخاه (سلطان شاه) مدة وهو مضمحل الحال وضعيف الاحوال فخاف أهل حلب من الافرنج فاستدعوا بالغازى بن ارتق وحكموه على انفسهم فلم يجد مالا فصادر جماعة ثم سار الى مدينة ماردين بنية العود لحمايتها واستخلف عليها ابنه (حسام الدين تمرتاش) فانقرض ملك تتش من حلب والشام والله أعلم

(الباب السادس والثلاثون فى ذكر دولة بنى ارتق ملوك ماردين وديار بكر واخبار ما وقع لهم من الفتح والنصر)

ذكر ابن الاثير فى تاريخه ان ارتق بن اكسب كان من مماليك السلطان ملك شاه السلجوقى وله مقام محمود فى دولتهم وكان واليا على حلوان وما يليها من أعمال العراق ولحق تتش أخا السلطان ملك شاه وهو يومئذ صاحب الشام فاكرمه وولاه على القدس ثم سار مع تتش الى حلب وملكها

سبعمائة أو ثمانمائة قيس بن سعد بن عبادة وعبئ الخوارج فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصين الطائى وعلى الميسرة شريح بن أوفى العبسى وعلى خيلهم حمزة بن سنان الاسدى وعلى رجالتهم حرقوص بن زهير السعدى واعطى على أبا أيوب الانصارى راية الامان فناداهم أبو أيوب فقال من جاء تحت هذه الراية فهو آمن ومن لم يقتل ولم يستعرض ومن انصرف منكم الى الكوفة أو الى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة اخواننا منكم فى سفك دمائكم فقال فروة بن نوفل الاشجعى والله ما ادرى على أى شئ نقاتل عليا أرى ان انصرف حتى تتضح لى بصيرتى فى قتاله أو اتابعه فانصرف فى خمسمائة فارس حتى نزل البندنيجين والدسكرة وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلوا الكوفة وخرج الى على نحو مائة وكانوا أربعة آلاف فبقى مع عبد الله بن وهب ألف وثمانمائة فزحفوا الى على وكان على قد قال لاصحابه كفوا عنهم حتى يبدؤكم فتنادوا الرواح الى الجنة وحملوا على الناس فافترقت خيل على فرقتين فرقة نحو الميمنة وفرقة نحو الميسرة واستقبلت الرماة وجوههم بالنبل وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ونهض اليهم الرجال بالرماح والسيوف فما لبثوا ان اناموهم فلما رأى حمزة بن سنان الهلاك نادى أصحابه ان انزلوا فذهبوا لينزلوا فلم يلبثوا ان حمل عليهم الاسود بن قيس المرادى وجاءتهم الخيل من نحو على فاهلكوا فى ساعة فكأنما قيل لهم موتوا فماتوا وجاء أبو أيوب الانصارى الى على فقال يا أمير المؤمنين قتلت زيد بن حصين الطائى طعنته فى صدره فخرج السنان من ظهره وقلت له ابشر يا عدو الله بالنار فقال ستعلم غدا اينا اولى بها صليا فقال له على هو أولى بها صليا وجاء هانئ بن خطاب الازدى وزياد بن خصفة يحتجان فى قتل عبد الله بن وهب فقال كيف صنعتما فقالا لما رأيناه عرفناه فابتدرناه وطعناه برمحينا فقال كلا كما قاتل وحمل جيش بن ربيعة الكنانى على حرقوص بن زهير فقتله وحمل عبد الله بن زحر الخولانى على عبد الله بن شجرة السلمى فقتله ووقع شريح بن أوفى الى جانب جدار فقاتل عليه وكان جل من يقاتله همدان فقال

قد علمت جارية عبسيه ● ناعمة فى اهلها مكفيه ● انى سأحمى ثلتى العشيه

فحمل عليه قيس بن معاوية فقطع رجله فجعل يقاتلهم وهو يقول القرم يحمى شوله معقولا فحمل عليه قيس أيضا فقتله فقال الناس

اقتتلت همدان يوما ورجل ● اقتتلوا من غدوة حتى الاصل

ففتح الله لهمدان الاجل

●(ذكر مقتل ذى الثدية)●

قد روى جماعة ان عليا كان يحدث اصحابه قبل ظهور الخوارج ان قوما يخرجون يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية علامتهم رجل مخدج اليد سمعوا ذلك منه مرارا فلما خرج اهل النهروان سار بهم اليهم على وكان منه معهم ما كان فلما فرغ امر أصحابه ان يلتمسوا المخدج فالتمسوه فقال بعضهم ما نجده حتى قال بعضهم ما هو فيهم وهو يقول والله انه لفيهم والله ما كذبت ولا كذبت ثم انه جاءه رجل فبشره فقال يا امير المؤمنين قد وجدناه وقيل بل خرج على فى طلبه قبل ان يبشره الرجل ومعه سليم بن ثمامة الحنفى والريان بن صبرة فوجدوه فى حفرة

ثم هلك ارتق سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة بالقدس الشريفة وملك من بعده ابناه (ايلغازى وسقمان) والملك الافرنج انطاكية سنة احدى وتسعين وأربعمائة اجتمع الامراء بالشام والجزيرة وديار بكر وحاصروها وكان لسقمان فى ذلك المقام المحمود وطمع صاحب مصر فى ارتجاع القدس منهم وسار اليها الملك الافضل فحاصرها أربعين يوما وملكها بالامان فخرج سقمان وأخوه ايلغازى ابنا أرتق وابن اخيهما ياقوتى وابن عمهما سونج فلحق ايلغازى بالعراق فولى شحنة بغداد وسار سقمان الى الرها فاقام بها واستعمل امره فملك حصن كيفا وسار سقمان الى ماردين من ديار بكر فملكها وجمع الجيوش واستولى على نصيبين ثم بعث فخر الملك بن عمار الدين صاحب طرابلس يستنجد سقمان على الافرنج عندما ملكوا سواحل الشام وخاف على طرابلس وسار سقمان حتى وصل الى القريتين فتوفى هنالك فحمله ابنه ابراهيم الى حصن كيفا فدفنه بها وقد سار ايلغازى من بغداد الى ماردين فاستولى عليها ولما خشى أهل حلب على مدينتهم من الافرنج وكانوا استدعوا ايلغازى بن أرتق من ماردين سلموا اليه البلد وعزلوا رضوان بن تتش لضعف حاله كما تقدم وقد وقع بينه وبين الافرنج وقائع كثيرة وكان لا يطيل

على

على شاطئ النهر في خمسين قتيلا فلما استخرجه نظر الى عضده فاذا لحم مجتمع كثدي المرأة وحلمة عليها شعرات سود فاذا مدت امتدت حتى تحاذي يده الطولى ثم تترك فتعود الى منكبيه فلما رآه قال الله أكبر ما كذبت ولا كذبت لولا أن تنكلوا عن العمل لاخبرتكم بما قص الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لمن قاتلهم مستبصرا في قتالهم عارفا للحق الذي نحن عليه وقال حين مر بهم وهم صرعى بؤسا لكم لقد ضركم من غركم قالوا يا أمير المؤمنين من غرهم قال الشيطان والنفس امارة بالسوء غرتهم بالاماني وزينت لهم المعاصي ونبأتهم انهم ظاهرون قيل وأخذ ما في عسكرهم من شئ فأما السلاح والدواب وما شهر عليه فقسمه بين المسلمين وأما المتاع والاماء والعبيد فانه رده على أهله حين قدم وطاف عدي بن حاتم في القتلى على ابنه طرفة فدفنه ودفن رجال من المسلمين قتلاهم فقال علي حين بلغه أتقتلونهم ثم تدفنونهم ارتحلوا فارتحل الناس فلم يقتل من أصحاب علي الا سبعة وقيل كانت الوقعة سنة ثمان وثلاثين وكان فيمن قتل من أصحابه يزيد بن نويرة الانصاري وله صحبة وسابقة وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وكان أول من قتل

(ذكر رجوع علي الى الكوفة)

ولما فرغ علي من أهل النهر حمد الله وأثنى عليه وقال ان الله قد أحسن بكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم قالوا يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا وعاد أكثرها قصدا فارجع الى مصرنا فلنستعد ولعل امير المؤمنين يزيد في عدتنا فانه اقوى لنا على عدونا وكان الذي تولى كلامه الاشعث بن قيس فاقبل حتى نزل النخيلة فأمر الناس ان يلزموا عسكرهم ويوطنوا على الجهاد انفسهم وان يقلوا زيارة ابنائهم ونسائهم حتى يسيروا الى عدوهم فاقاموا فيه اياما ثم تسللوا من معسكرهم فدخلوا الا رجالا من وجوه الناس وترك المعسكر خاليا فلما رأى ذلك دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه في المسير وقال لهم ايضا ايها الناس استعدوا للمسير الى عدوكم ومن في جهاده القربة الى الله عز وجل ودرك الوسيلة عنده حيارى عن الحق جفاة عن الكتاب يعمهون في طغيانهم فاعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا وكفى بالله نصيرا فلم ينفروا ولا تيسروا فتركهم اياما حتى اذا ايس من ان يفعلوا دعا رؤساءهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذي يبطئ بهم فمنهم المعتل ومنهم المتكره وأقلهم من نشط فقام فيهم فقال عباد الله ما لكم اذا امرتكم ان تنفروا اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وبالذل والهوان من العز خلفا وكلما ناديتكم الى الجهاد دارت اعينكم كأنكم من الموت في سكرة وكأن قلوبكم مألوسة وانتم لا تعقلون فكأن ابصاركم كمه وانتم لا تبصرون لله انتم ما أنتم الا اسد الشرى في الدعة وثعالب رواغة حين تدعون الى البأس ما انتم لي بثقة سجيس الليالي ما انتم بركب يصال به لعمر الله لبئس حشاش الحرب انتم انكم تكادون ولا تكيدون ويتنقص اطرافكم وأنتم لا تتحاشون ولا تنام عينكم وانتم في غفلة ساهون ثم قال اما بعد فان لي عليكم حقا وان لكم علي حقا فاما حقكم علي فالنصيحة لكم ما صحبتكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كي لا تجهلون وتأديبكم كي تعلموا واما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لي في

المقام بدار الحرب لان أكثر الغزاة الذين كانوا مع التركمان يأتونه بجراب دقيق وقديد شاة فيعجل العود قبل ان تفنى ازوادهم ثم توفي ايلغازي بن ارتق في رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة ثم تولى بعده ولده الذي بحلب (حسام الدين تمرتاش) وملك ابنه سليمان ميافارقين الى أن جاء الافرنج وحاصروا حلب وبنوا عليها المساكن وطال الحصار وقلت الاقوات واضطرب أهل البلد وظهر لهم العجز من صاحبها ولم يكن في الوقت أقوى من البرسقي صاحب الموصل ولا أكثر جمعا فاستدعوه ليدافع عنهم الافرنج ويملكوه البلد فلما اشرف على الافرنج ارتحلوا عائدين الى بلادهم فخرج أهل البلد فتلقوا البرسقي فدخل حلب ولم تزل بيده الى أن هلك وملكها ابنه (عز الدين) ثم هلك فولى السلطان عليها (محمود نور الدين) ورجع تمرتاش الى ماردين واستقر بها وكان ملك ميافارقين قد صار لحسام الدين تمرتاش ولم يزل تمرتاش ملكا بماردين الى أن هلك سنة سبع وأربعين وخمسمائة وكانت مدة ملكه احدى وثلاثين سنة وملك مكانه بماردين ابنه (البي بن تمرتاش) وبقي ملكا عليها الى ان مات وولي بعده ابنه (ايلغازي ابن البي) الى أن مات أيضا ولما توفي قام بالامر بعده (بولق) وكان بينه وبين بني أيوب ملوك مصر حروب كثيرة الى أن هلك فملك

المعيب والمشهد والاجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم فان يرد الله بكم خيرا تنزعوا عما أكره وترجعوا الى ما أحب تنالوا ما تطلبون وتدركوا ما تأملون

•(ذكر عدة حوادث)•

قيل وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن عباس وكان عامل علي على اليمن وكان على مكة والطائف قثم بن العباس وكان على المدينة سهل بن حنيف وقيل تمام بن العباس وكان على البصرة عبد الله بن عباس وعلى مصر محمد بن أبي بكر ولما سار علي الى صفين استخلف على الكوفة أبا مسعود الانصاري وكان على خراسان خليد بن قرة اليربوعي وكان بالشام معاوية ابن ابي سفيان وفيها قتل حازم بن أبي حازم أخو قيس الاحمسي البجلي بصفين مع علي وفيها مات خباب بن الارت شهد بدرا وما بعدها وشهد صفين مع علي والنهروان وقيل لم يشهدها كان مريضا ومات قبل قدوم علي الى الكوفة وقد تقدم ذكره وقيل مات سنة تسع وثلاثين وكان عمره ثلاثا وستين سنة وفيها قتل أبو الهيثم بن التيهان بصفين مع علي وقيل عاش بعدها يسيرا وقتل بها أخوه عبيد بن التيهان وكان أبو الهيثم أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة في قول وهو بدري وفيها قتل يعلى بن منية وهي أمه واسم أبيه أمية التميمي وهو ابن أخت عتبة بن غزوان وقيل ابن عمه وكان قد شهد الجمل مع عائشة ثم شهد صفين مع علي فقتل بها وكان اسلامه يوم الفتح وشهد حنينا وقتل بصفين مع علي أبو عمرة الانصاري الصحابي والد عبد الرحمن وهو أيضا بدري وفيها قتل أبو فضالة الانصاري في قول وهو بدري وفيها توفي سهل ابن حنيف الانصاري في قول وهو بدري وشهد مع علي حروبه وتوفي بها صهيب بن سنان وصفوان بن بيضاء وهو بدري وفي هذه السنة توفي عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعسقلان فجأة وهو في الصلاة وكره الخروج مع معاوية الى صفين وقيل شهدها ولا يصح

•(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين)•

•(ذكر ملك عمرو بن العاص مصر وقتل محمد بن أبي بكر الصديق)•

في هذه السنة قتل محمد بن أبي بكر الصديق بمصر وهو عامل علي عليها وقد ذكرنا سبب تولية علي اياه مصر وعزل قيس بن سعد ودخوله مصر وانفاذه ابن مضاهم الكلبي الى أهل خربتا فمضى ابن مضاهم اليهم فقتلوه وخرج معاوية بن حديج السكوني وطلب بدم عثمان ودعا اليه فأجابه ناس وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر فبلغ ذلك عليا فقال ما لمصر الا أحد الرجلين صاحبنا الذي عزلنا يعني قيسا او الاشتر وكان الاشتر قد عاد بعد صفين الى عمله بالجزيرة وقال علي لقيس اقم عندي على شرطتي حتى تنقضي الحكومة ثم تسير الى أذربيجان فلما بلغ عليا أمر مصر كتب الى الاشتر وهو بنصيبين يستدعيه فحضر عنده فأخبره خبر أهل مصر وقال ليس لها غيرك فاخرج اليها فاني لو لم أوصك لاكتفيت برأيك واستعن بالله واخلط الشدة باللين وارفق ما كان الرفق أبلغ وتشدد حين لا يغني الا الشدة فخرج الاشتر يتجهز الى مصر وأتت معاوية عيونه بذلك فعظم عليه وكان قد طمع في مصر فعلم ان الاشتر ان قدمها كان أشد عليه من محمد بن ابي بكر فبعث معاوية الى المقدم على اهل الخراج بالقلزم وقال له ان الاشتر قد ولي مصر فان كفيتنيه لم

بعده أخوه (ارتق ارسلان بن قطب الدين ايلغازي) مدة ثم هلك وتولى بعده ابنه (السعيد نجم الدين غازي) وتوفي في سنة ثمان وخمسين وستمائة وملك بعده أخوه (قره ارسلان بن ارتق) فلما هلك ملك بعده (شمس الدين داود) فأقام سنة ثم هلك وملك بعده اخوه (المنصور نجم الدين غازي بن قره ارسلان) الى ان توفي في سنة اثنتي عشرة وستمائة وملك بعده ابنه (الصالح شمس الدين ابن صالح) الى ان توفي لاربع وخمسين من ملكه وملك بعده ابنه (المنصور احمد) الى ان توفي في سنة تسع وستين وسبعمائة لثلاث سنين من ملكه وملك بعده ابنه (الصالح محمود) اربعة اشهر وخلعه عمه المظفر فخر الدين وملك بعده ابنه (مجد الدين عيسى) وهو آخر من تولى ماردين من هذه الطائفة واستولى عليها الملك هلاكو

•(الباب السابع والثلاثون في ذكر دولة الاتابكية واوصافهم الحسنة الزكية)•

ذكر في الدول الاسلامية ان اول هذه الطائفة (قسيم الدولة آقسنقر) كان مملوكا للسلطان ملك شاه السلجوقي ولما ملك اخوه تاج الدولة تتش بن الب ارسلان السلجوقي مدينة حلب في سنة ثمان وسبعين واربعمائة استنابه فيها فعصى عليه بعد ذلك وجرى بينهما حروب آلت الى اسر آقسنقر وقتله ودفن بمدرسته المعروفة أحد

آخذ منك خراجاما بقيت وبقيت فخرج الحابسات حتى اتى القلزم واقام به وخرج الاشتر من العراق الى مصر فلما انتهى الى القلزم استقبله ذلك الرجل فعرض عليه النزول فنزل عنده فاتاه بطعام فلما أكل اتاه بشربة من عسل قد جعل فيه سما فسقاه اياه فلما شربها مات واقبل معاوية يقول لاهل الشام ان عليا قد وجه الاشتر الى مصر فادعوا الله عليه فكانوا يدعون الله عليه كل يوم واقبل الذى سقاه الى معاوية فاخبره بهلاك الاشتر فقام معاوية خطيبا ثم قال اما بعد فانه كانت لعلى يمينان فقطعت احداهما بصفين يعنى عمار بن ياسر وقطعت الاخرى اليوم يعنى الاشتر فلما بلغ عليا موته قال لليدين وللفم وكان قد ثقل عليه لاشياء نقلت عنه وقيل انه لما بلغه قتله قال انا لله وانا اليه راجعون مالك وما مالك وهل موجود مثل ذلك لو كان من حديد لكان قيدا أو من حجر لكان صلدا على مثله فلتبك البواكى وهذا اصح لانه لو كان كارها له لم يوله مصر وكان الاشتر قد روى الحديث عن عمر وعلى وخالد بن الوليد وأبى ذر وروى عنه جماعة وقال أحمد بن صالح كان ثقة قيل ولما بلغ محمد بن أبى بكر انفاذ الاشتر شق عليه فكتب اليه على أما بعد فقد بلغنى موجدتك من تسريحى الاشتر الى عملك وانى لم أفعل ذلك الا استبطاء لك فى الجهاد ولا ازديادا منى لك فى الجد ولو نزعت ما تحت يدك لوليتك ماهو أيسر عليك مؤنة منه وأعجب اليك ولاية ان الرجل الذى كنت وليته أمر مصر كان لنا نصيحا وعلى عدونا شديدا وقد استكمل ايامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون فرضى الله عنه وضاعف له الثواب اصبر لعدوك وشمر للحرب وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفك ما أهمك ويعنك على ما ولاك وكتب اليه محمد أما بعد فقد انتهى الى كتابك وفهمته وليس احد من الناس أرضى برأى أمير المؤمنين ولا اجهد على عدوه ولا ارأف بوليه منى وقد خرجت فعسكرت وأمنت الناس الا من نصب لنا حربا واظهر لنا خلافا وانا متبع امر أمير المؤمنين وحافظه والسلام وقيل انما ولى الاشتر مصر بعد قتل محمد بن أبى بكر وكان اهل الشام ينتظرون بعد صفين امر الحكمين فلما تفرقا بايع اهل الشام معاوية بالخلافة ولم يزدد الا قوة واختلف الناس بالعراق على على فما كان لمعاوية هم الا مصر وكان يهاب اهلها لقربهم منه وشدتهم على من كان على رأى عثمان وكان يرجو أنه اذا ظهر عليها ظهر على حرب على لعظم خراجها فدعا معاوية عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبسر بن ابى ارطاة والضحاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد وابا الاعور السلمى وشرحبيل بن السمط الكندى فقال لهم اتدرون لم جمعتكم فانى جمعتكم لامر لى مهم فقالوا لم يطلع الله على الغيب أحدا وما نعلم ما تريد فقال عمرو بن العاص دعوتنا لتسألنا عن رأينا فى مصر فان كنت جمعتنا لذلك فاعزم واصبر فنعم الرأى رأيت فى افتتاحها فان فيه عزك وعز أصحابك وكبت عدوك وذل أهل الشقاق عليك فقال معاوية أهمك يا ابن العاص ما أهمك وذلك ان عمرا كان صالح معاوية على قتال على على ان له مصر طعمة ما بقى وأقبل معاوية على اصحابه وقال اصاب ابو عبد الله فما ترون فقالوا ما نرى الا ما رأى عمرو قال فكيف أصنع فان عمرا لم يفسر كيف أصنع فقال عمرو أرى ان تبعث جيشا كثيفا عليهم رجل حازم صابر صارم تأمنه وتثق به فيأتى مصر فانه سيأتيه من كان على مثل رأينا فيظاهره على عدونا فان اجتمع جندك

بالرحابة داخل شاب وكان حسن السياسة كثير العدل وكانت بلاده آمنة وللامات نشأ ولده الاكبر (عماد الدين زنكى) فى ظل الدولة السلجوقية فشب مرموقا بعين الصدق وكان شديد الهيبة عظيم السياسة وكان اشجع خلق الله تعالى ثم كان له فى خدمة السلطان محمود عند حربه مع أخيه مسعود مقامات جليلة فاختصه السلطان وأضاف اليه شحنكية بغداد وولاية واسط مضافا الى الموصل وذلك فى سنة احدى وعشرين وخمسمائة وسلم اليه ولده فروخ شاه المعروف بالخفاجى ليربيه ولهذا قيل له أتابك وهو الذى يربى اولاد الملوك ثم سار فى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة الى مدينة حلب وملك فى طريقه منبجا من يد حسان وتلقاه أهل حلب واستولى عليها وأقطع اعمالها للامراء والاجناد ثم قبض على صاحب حلب الامير تطلع فخنقه فمات ثم استولى على مدينة حماه وحمص وبعلبك وحاصر دمشق فلم يملكها ثم توجه لفتح قلعة جعبر فحاصرها فأصبح مقتولا على فراشه قتله بعض خواصه فدفن بالرقة وعمره ستون سنة فاستولى بعده ابنه (سيف الدين) على الموصل وابنه الآخر (نور الدين الشهيد محمود) على حلب ثم توفى ٢٠ مل ث سيف الدين وتولى مكانه أخوه قطب الدين مودود على الموصل وكان نور الدين المذكور معتدل القامة أسمر اللون

ومن بها على رأينا حتى نسير اليك ان شاء الله فقال معاوية ارى أن نكاتب من بها من شيعتنا فنمنيهم ونأمرهم بالثبات ونكاتب من بها من عدونا فندعوهم الى صلحنا ونمنيهم شكرنا ونخوفهم حربنا فان كان ما اردنا بغير قتال فذاك الذي اردنا والا كان حربهم من بعد ذلك انك يا ابن العاص بورك لك في الشدة والعجلة وانا بورك لي في التؤدة قال عمرو افعل ماترى فما ارى أمرنا يصير الا الى الحرب فكتب معاوية الى مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج السكوني وكانا قد خالفا عليا يشكرهما على ذلك ويحثهما على الطلب بدم عثمان ويعدهما المواساة في سلطانه وبعثه مع مولاه سبيع فلما وقفا عليه اجاب مسلمة بن مخلد الانصاري عن نفسه وعن ابن حديج أما بعد فان الامر الذي بذلنا له انفسنا واتبعنا به امر الله امر نرجو به ثواب ربنا والنصر على من خالفنا وتعجيل النقمة على من سعى على امامنا وأما ما ذكرت من المواساة في سلطانك فوالله ان ذلك أمر ماله نهضنا ولا اياه اردنا فعجل الينا بخيلك ورجلك فان عدونا قد أصبحوا لنا هائبين فان يأتنا مدد يفتح الله عليك والسلام فجاءه الكتاب وهو بفلسطين فدعا أولئك النفر وقال لهم ماترون قالوا نرى ان تبعث جندا فأمر عمرو بن العاص ليتجهز اليها وبعث معه ستة آلاف رجل ووصاه بالتؤدة وترك العجلة وسار عمرو فنزل اداني أرض مصر فاجتمعت اليه العثمانية فاقام بهم وكتب الى محمد بن ابي بكر أما بعد فتنح عني بدمك يا ابن ابي بكر فاني لا أحب أن يصيبك مني ظفر ان الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك وهم مسلموك فاخرج منها اني لك من الناصحين وبعث معه كتاب معاوية في المعنى أيضا ويتهدده بقصده حصار عثمان فارسل محمد الكتابين الى علي ويخبره بنزول عمرو بارض مصر وانه رأى التثاقل ممن عنده ويستمده فكتب اليه علي يأمره ان يضم شيعته اليه ويعده انفاذ الجيوش اليه ويأمره بالصبر لعدوه وقتاله وقام محمد بن أبي بكر في الناس وندبهم الى الخروج الى عدوهم مع كنانة بن بشر فانتدب معه الفان وخرج محمد بن ابي بكر بعده في الفين وكنانة على مقدمته واقبل عمرو نحو كنانة فلما دنا منه سرح الكتائب كتيبة بعد كتيبة فجعل كنانة لاتأتيه كتيبة الا حمل عليها فالحقها بعمرو ابن العاص فلما رأى ذلك بعث الى معاوية بن حديج فاتاه في مثل الدهم فاحاطوا بكنانة واصحابه واجتمع اهل الشام عليهم من كل جانب فلما رأى ذلك كنانة نزل عن فرسه ونزل معه اصحابه فضاربهم بسيفه حتى استشهد وبلغ قتله محمد بن ابي بكر فتفرق عنه اصحابه واقبل نحوه عمرو ومابقي معه احد فخرج محمد يمشي في الطريق فانتهى الى خربة في ناحية الطريق فاوى اليها وسار عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد بن أبي بكر فانتهى الى جماعة على قارعة الطريق فسألهم عنه فقال أحدهم دخلت تلك الخربة فرأيت فيها رجلا جالسا فقال ابن حديج هو هو فدخلوا عليه فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشا وأقبلوا به نحو الفسطاط فوثب أخوه عبد الرحمن بن ابي بكر الى عمرو بن العاص وكان في جنده وقال اتقتل اخي صبرا ابعث الى ابن حديج فانهه عنه فبعث اليه يأمره ان يأتيه بمحمد فقال قتلتم كنانة بن بشر واخلي انا محمدا أكفاركم خير من أولئكم ام لكم براءة في الزبر هيهات هيهات فقال لهم محمد بن ابي بكر اسقوني ماء فقال له معاوية بن حديج لاسقاني الله ان سقيتك قطرة ابدا انكم منعتم عثمان شرب الماء والله لاقتلنك حتى يسقيك الله من الحميم والغساق فقال له محمد يا ابن

واسع الجبهة حسن الصورة مليحة شعرات في حنكه وكان مولده يوم الأحد سابع عشر شوال سنة إحدى عشرة وخمسمائة بمدينة حلب ونشأ على الخير والصلاح والعبادة وكان ملكا زاهدا حنفي المذهب عابدا عادلا مستمسكا بالشريعة وكان مغرما بالجهاد في سبيل الله فتح نيفا وخمسين حصنا وملك دمشق وضبط امورها وعمر البيمارستان المشهور ودار الحديث وابطل المكوس وكانت الفرنج قد ملكت سواحل الشام الى عسقلان ثم طمعوا في ملك دمشق وكان اهلها يؤدون الضريبة للافرنج فلما بلغ ذلك نور الدين الشهيد تجرد لطلب دمشق وللجهاد الافرنج فعمل الحيلة وارسل الى صاحبها مجير الدين آبق بن طغتكين واستماله وواصله بالهدايا والتحف حتى اعتمد عليه ووثق به فكان يغريه بالرجال الذين يجد بهم القوة على المدافعة واحدا بعد واحد ويرسل يقول له ان فلانا كاتبني في تسليم دمشق فيصدق كلامه ويقتله مجير الدين حتى قتل جميع من هو شديد من أمرائه فسار حينئذ نور الدين الى دمشق بعد ان كاتب الامراء الاحداث الذين استمالهم فوعدوه فلما علم ذلك مجير الدين راسل الافرنج في نصرته على نور الدين على أن يعطيهم بعلبك فأجابوه الى ذلك وشرعوا في الحشد فسبقهم نور الدين

اليهودية النساجة ليس ذلك اليك انما ذلك الى الله يسقى اولياءه ويظمئ اعداءه انت وامثالك اما والله لو كان سيفي بيدي ما بلغتم مني هذا ثم قال له اتدرى ما اصنع بك ادخلك جوف حمار ثم احرقه عليك بالنار فقال محمد ان فعلت بى ذلك فطالما فعلتم ذلك باولياء الله وانى لارجو أن يجعلها عليك وعلى اوليائك ومعاوية وعمرو نارا تلظى كلما خبت زادها الله سعيرا فغضب منه وقتله ثم القاه فى جيفة حمار ثم احرقه بالنار فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعا شديدا وقنتت فى دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو واخذت عيال محمد اليها فكان القاسم بن محمد بن ابى بكر فى عيالهم ولم تأكل من ذلك الوقت شواء حتى توفيت وقد قيل ان محمدا قاتل عمرا ومن معه قتالا شديدا فقتل كنانة وانهزم محمد واختبأ عند جبلة بن مسروق فدل عليه معاوية بن حديج فاحاط به فخرج محمد فقاتل حتى قتل واما على فلما جاءه كتاب محمد بن أبى بكر فاجابه عنه ووعده المدد وقام فى الناس خطيبا واخبرهم خبر مصر وقصد عمرو اياها وندبهم الى انجادهم وحثهم على ذلك وقال اخرجوا بنا الى الجرعة وهى بين الكوفة والحيرة فلما كان الغد خرج الى الجرعة فنزلها بكرة واقام بها حتى انتصف النهار فلم يأته احد فرجع فلما كان العشى استدعى اشراف الناس وهو كئيب فقال الحمد لله على ما قضى من امره وقدر من فعله وابتلانى بكم أيتها الفرقة التى لا تطيع اذا أمرت ولا تجيب اذا دعوت لا ابا لغيركم ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم فوالله لئن جاء الموت وليأتينى ليفرقن بينى وبينكم وانا لصحبتكم قال وبكم غير كثير للدد انتم أما دين يجمعكم ولا حمية تحميكم اذا انتم سمعتم بعدو كم ينتقص بلادكم ويشن الغارة عليكم أوليس عجبا ان معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة فى السنة المرة والمرتين والثلاث الى أى وجه شاء وانا ادعوكم وانتم أولوا النهى وبقية الناس على العطاء والمعونة فتتفرقون عنى تعصوننى وتختلفون على فقام كعب بن مالك الارحبى وقال يا أمير المؤمنين اندب الناس لهذا اليوم كنت أدخر نفسى ثم قال أيها الناس اتقوا الله واجيبوا امامكم وانصروا دعوته وقاتلوا عدوه وانا اسير اليه فخرج معه الفان فقال له سر فوالله ما أظنك تدركهم حتى ينقضى امرهم فسار بهم خمسا ثم ان الحجاج بن غزية الانصارى قدم من مصر فاخبره بقتل محمد بن ابى بكر وكان معه وقدم عليه عبد الرحمن بن شبيب الفزارى من الشام وكان عينه هنالك فاخبره ان البشارة من عمرو وردت بقتل محمد وملك مصر وسرور اهل الشام بقتله فقال على اما ان حزننا عليه بقدر سرورهم به لا بل يزيد اضعافا فارسل على فاعاد الجيش الذى نفذهم وقام فى الناس خطيبا وقال الا ان مصر قد افتتحها الفجرة اولوا الجور والظلمة الذين صدوا عن سبيل الله وبغوا الاسلام عوجا الا وان محمد بن ابى بكر استشهد فعند الله نحتسبه أما والله ان كان كما علمت لمن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر ويحب هدى المؤمن انى والله ما ألوم نفسى على تقصير وانى لمقاساة الحروب لجدير خبير وانى لاتقدم على الامر واعرف وجه الحزم واقوم فيكم بالرأى المصيب واستصرخكم معلنا واناديكم نداء المستغيث فلا تسمعون لى قولا ولا تطيعون لى امرا حتى تصير بى الامور الى عواقب المساءة فانتم القوم لا يدرك بكم الثار ولا تنقض بكم الاوتار دعوتكم الى غياث اخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة فتجرجرتم جرجرة الجمل الاشدق وتثاقلتم الى الارض تثاقل من ليست له نية فى

الى دمشق فثار الامراء الذين كانوا معهم وفتحوا له الباب الشرقى فدخل منه وملكها واعتصم مجير الدين بالقلعة فراسله بالنزول عنها فنزل وعوضه عن دمشق مدينة حمص فسار اليها ثم عوضه عن حمص نابلس فلم يرضها وسار الى بغداد وسكن فيها الى أن توفى ولنور الدين الشهيد وقائع وحروب مع الافرنج وكان قد اتسع ملكه حتى خطب له بالحرمين وباليمن وكان قد شرع لاخذ مصر من السلطان صلاح الدين ابن أيوب وكفاه منقبة ما ذكره صاحب خلاصة الوفا فى اخبار دار المصطفى ان السلطان المذكور رأى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فى ليلة واحدة وهو يقول فى كل مرة يا محمود أنقذنى من هذين الشخصين وهما أشقران تجاهه فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر ذلك له فقال هذا أمر حدث بالمدينة النبوية ليس له غيرك فتجهز بمقدار ألف راحلة وما يتبعها حتى دخل المدينة على حين غفلة من اهلها ثم ذكر قضية الصدقة وانه لم يبق الا رجلان مجاوران من اهل الاندلس نازلان فى الرباط التى قبلة حجرة النبى صلى الله عليه وسلم فجدوا فى طلبهما فلما رآهما قال للوزير هما هذان فسألهما عن حالهما فقالا جئنا للمجاورة فقال اصدقانى وعاقبهما فاقرا انهما من النصارى وأنهما وصلا لكى ينقلان من بالحجرة الشريفة باتفاق من

جهاد العدو ولا كتاب الا جرتم خرج الى منكم جنيد متذائب كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون فاف لكم ثم نزل (معاوية بن حديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين جارية بن قدامة بالجيم وفي آخره ياء تحتها نقطتان بسر بن ابي ارطاة بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة)

﴿ذكر ارسال معاوية عبد الله بن الحضرمي الى البصرة﴾

في هذه السنة بعد مقتل محمد بن ابي بكر واستيلاء عمرو بن العاص على مصر سير معاوية عبد الله ابن الحضرمي الى البصرة وقال له ان جل اهلها يرون رأينا في عثمان وقد قتلوا في الطلب بدمه فهم لذلك حنقون يودون أن يأتيهم من يجمعهم وينهض بهم في الطلب بثارهم ودم امامهم فانزل في مضر وتودد الازد فانهم كلهم معك ودع ربيعة فلن ينحرف عنك احد سواهم لانهم كلهم ترابية فاحذرهم فسار ابن الحضرمي حتى قدم البصرة وكان ابن عباس قد خرج الى علي بالكوفة واستخلف زياد بن ابيه على البصرة فلما وصل ابن الحضرمي الى البصرة نزل في بني تميم فاتاه العثمانية مسلمين عليه وحضره غيرهم فخطبهم وقال ان عثمان امامكم امام الهدى قتل مظلوما قتله علي فطلبتم بدمه فجزاكم الله خيرا فقام الضحاك بن قيس الهلالي وكان على شرطة ابن عباس فقال قبح الله ما جئتنا به وما تدعونا اليه أتيتنا والله بمثل ما أتانا به طلحة والزبير اتيانا وقد بايعنا عليا واستقامت امورنا فحملانا على الفرقة حتى ضرب بعضنا بعضا ونحن الآن مجتمعون على بيعته وقد أقال العثرة وعفا عن المسيء أفتأمرنا ان ننتضي اسيافنا ويضرب بعضنا بعضا ليكون معاوية اميرا والله ليوم من ايام علي خير من معاوية وآل معاوية فقام عبد الله بن خازم السلمي فقال للضحاك اسكت فلست باهل ان تتكلم ثم اقبل على ابن الحضرمي فقال نحن انصارك ويدك والقول قولك فاقرأ كتابك فاخرج كتاب معاوية اليهم يذكرهم فيه آثار عثمان فيهم وحبه العافية وسده ثغورهم ويذكر قتله ويدعوهم الى الطلب بدمه ويضمن انه يعمل فيهم بالسنة ويعطيهم عطاءين في السنة فلما فرغ من قراءته قام الاحنف فقال لا ناقتي في هذا ولا جملي واعتزل القوم وقام عمرو بن مرحوم العبدي فقال أيها الناس الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا تنكثوا بيعتكم فتقع بكم الواقعة وكان عباس بن صحار العبدي مخالفا لقومه في حب علي فقام وقال لننصرنك بايدينا والسنتنا فقال له المثنى بن مخربة العبدي والله لئن لم ترجع الى مكانك الذي جئتنا منه لنجاهدنك باسيافنا ورماحنا ولا يغرنك هذا الذي يتكلم يعني ابن صحار فقال ابن الحضرمي لصبرة بن شيمان أنت ناب من انياب العرب فانصرني فقال لو نزلت في داري لنصرتك فلما رأى زياد ذلك خاف فاستدعى حضين بن المنذر ومالك بن مسمع فقال انتم يا معشر بكر بن وائل انصار أمير المؤمنين وثقاته وقد كان من ابن الحضرمي ما ترون واتاه من اتاه فامنعوني حتى يأتيني أمر امير المؤمنين فقال حضين بن المنذر نعم وقال مالك وكان رأيه مائلا الى بني أمية هذا امر لي فيه شركاء استشير فيه وانظر فلما رأى زياد تثاقل مالك خاف ان تختلف عليه ربيعة فارسل الى صبرة بن شيمان الحداني الازدي يطلب ان يجيره وبيت مال المسلمين فقال ان حملته الى داري أجرته فحمله الى داره بالحدان ونقل المنبر أيضا فكان يصلي الجمعة بمسجد الحدان ويطعم الطعام فقال زياد لجابر بن وهب الراسبي يا ابا محمد اني لا ارى ابن الحضرمي

ملوكهما وجلاهما الاستفراغ تحت الارض من تحت حائط المسجد القبلي بجهة الحجرة الشريفة ويجعلان التراب في بئر عندهما في الرباط وقيل كانا يجعلان التراب في محفظتيهما ويخرجان يلقيانه في الخارج فضرب اعناقهما عند الشباك الذي شرقي الحجرة خارج المسجد ثم احرقا بالنار وركب راجعا الى الشام بعد ان حفر خندقا حول الحجرة الشريفة وسكب فيه الرصاص والنحاس واستحفظه غاية الاحتفاظ ومحاسن هذا السلطان اجل أن تحصى وتحصر فمن اراد الوقوف على مناقبه فعليه بالكواكب الدرية في السيرة النورية توفي رحمه الله نهار الاربعاء حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة بقلعة دمشق من علة الخوانيق ثم نقل الى تربته التي انشاها بقرب سوق الخواصين وكانت مدة ملكه ثمانيا وعشرين سنة ولما توفي اجتمع الامراء واهل الدولة بدمشق وبايعوا ابنه (الملك الصالح اسمعيل) وهو ابن احدى عشرة سنة وأطاعه الناس وكانوا يرجعون في جميع امورهم الى الملك صلاح الدين بن ايوب صاحب مصر ثم بعد ذلك اختلفت الآراء وظهرت الشرور وكثرت الجور وعزم الافرنج على قصد دمشق وانتزاعها من أيدي المسلمين فلما بلغ ذلك السلطان صلاح الدين سار من مصر لحفظ

يكف

بكف واراه سيقاتلكم ولا ادرى ما عند اصحابه فانظر ما عندهم فلما صلى زياد جلس في المسجد واجتمع الناس اليه فقال جابر يامعشر الازد ان تميما تزعم أنهم هم الناس وانهم اصبر منكم عند البأس وقد بلغنى انهم يريدون أن يسيروا اليكم ويأخذوا جاركم ويخرجوه قسرا فكيف انتم اذا فعلوا ذلك وقد اجرتموه وبيت مال المسلمين فقال صبرة بن شيمان وكان مفخما ان جاء الاحنف جئت وان جاء حاتم جئت وان جاء شبابهم ففينا شباب وكتب زياد الى على بالخبر فارسل على اليه اعين بن ضبيعة المجاشعي ثم التميمي ليفرق قومه عن ابن الحضرمي فان امتنعوا قاتل بمن اطاعه من عصاه وكتب الى زياد يعلمه ذلك فقدم اعين فأتى زيادا فنزل عنده وجمع رجالا واتى قومه ونهض الى ابن الحضرمي ومن معه ودعاهم فشتموه وواقفهم نهاره ثم انصرف عنهم فدخل عليه قوم قيل انهم من الخوارج وقيل وضعهم ابن الحضرمي على قتله وكان معهم فقتلوه غيلة فلما قتل اعين اراد زياد قتالهم فارسلت تميم الى الازد انا لم نعرض لجاركم فما تريدون الى جارنا فتكرهت الازد قتالهم وقالوا ان عرضوا لجارنا منعناه وكتب زياد الى على يخبره خبر أعين وقتله فارسل على جارية بن قدامة السعدى وهو من بنى سعد من تميم وبعث معه خمسين رجلا وقيل خمسمائة من تميم وكتب الى زياد يامره بمعونة جارية والاشارة عليه فقدم جارية البصرة فحذره زياد ما اصاب اعين فقام جارية فى الازد فجزاهم خيرا وقال عرفتم الحق اذ جهله غيركم وقرأ كتاب على الى اهل البصرة يوبخهم ويتهددهم ويعنفهم ويتوعدهم بالمسير اليهم والايقاع بهم وقعة تكون وقعة الجمل عندها هباء فقال صبرة بن شيمان سمعا لامير المؤمنين وطاعة نحن حرب لمن حاربه وسلم لمن سالمه وقال ابو صفرة والد المهلب لزياد لو ادركت يوم الجمل ما قاتل قومى أمير المؤمنين وقيل ان اباصفرة كان توفى فى مسيره الى صفين والله اعلم وسار جارية الى قومه وقرأ عليهم كتاب على ووعدهم فاجابه اكثرهم فسار الى ابن الحضرمى ومعه الازد ومن تبعه من قومه وعلى خيل ابن الحضرمى عبد الله بن خازم السلمى فاقتتلوا ساعة واقبل شريك بن الاعور الحارثى فصار مع جارية فانهزم ابن الحضرمى فتحصن بقصر سنبيل ومعه ابن خازم فأتته امه عجلى وكانت حبشية فامرته بالنزول فأبى فقالت والله لتنزلن او لانزعن ثيابى فنزل ونجا واحرق جارية القصر بمن فيه فهلك ابن الحضرمى وسبعون رجلا معه وعاد زياد الى القصر وكان قصر سنبيل لفارس قديما وصار لسنبيل السعدى وحوله خندق وكان فيمن احترق دارع بن بدر اخو حارثة بن بدر فقال عمرو بن العرندس

ردننا زيادا الى داره * وجار تميم دخانا ذهب
لحى الله قوما شووا جارهم * ولم يدفعوا عنه حر اللهب

فى أبيات غير هذه وقال جرير

غدرتم بالزبير فما وفيتم * ووفاء الازد اذ منعوا زيادا
فأصبح جارهم بنجاة عز * وجار مجاشع امسى رمادا
فلو عاقدت حبل أبى سعيد * لذاد القوم ما حمل النجادا
وادنى الخيل من رهج المنايا * واغشاها الاسنة والصعادا

جارية بن قدامة بالجيم والياء تحتها نقطتان وحارثة بن بدر بالحاء المهملة وبعدها ثاء مثلثة وعبد

والشيعة فى حلب فتوجه الملك الصالح اليها واقام بها ودخل السلطان صلاح الدين الى دمشق وتسلمها بغير قتال ومنازع وملك حمص وحماة ثم توفى الملك الصالح اسمعيل فى منتصف عام سبعة وسبعين وخمسمائة ولم يعقب فكانت مدة ملكه ثمانى سنين وعهد بالملك لابن عمه (عز الدين مسعود) صاحب الموصل ثم استولى السلطان صلاح الدين على حلب وعوضه عنها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج ولم يزل فيهم بقية متصرفون على الاماكن المذكورة الى ان وقع التتار بجلال الدين خوارزمشاه فى سنة ثمان وعشرين وستمائة وقتلوه وانقرضت دولة الاتابكية من الشام والجزيرة اجمع كان لم تكن

(الباب الثامن والثلاثون فى ذكر دولة بنى طغتكين بالشام وحسن سيرتهم فى الانام)

ذكر فى تحفة ذوى الالباب ان ابامنصور (طغتكين) كان من رجال تاج الدولة تتش زوجه بام ابنه دقاق وكان معه لما ذهب الى الرى لقتال ابن أخيه بركيارق ورجع الى دمشق بعد قتل تاج الدولة وكان اتابك دقاق مدة ولايته وكان شهما شهابا شديدا على المفسدين وامتدت أيامه الى ان توفى فى سابع صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ودفن بدمشق عند المسجد الجديد قبلى المصلى

الله بن خازم بالخاء المعجمة والزاي والمثنى بن مخربة بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الراء المشددة وآخره باء موحدة

﴿ذكر خبر الخريت بن راشد وبني ناجية﴾

قيل وفي هذه السنة اظهر الخريت بن راشد الناجي الخلاف على علي فجاء الى امير المؤمنين وكان معه ثلاثمائة من بني ناجية مقيمين مع علي من البصرة قدموا معه الجمل وصفين واقاموا معه بالكوفة الى هذا الوقت فحضر عند علي في ثلاثين راكبا فقال له يا علي والله لا اطيع امرك ولا اصلي خلفك واني غدا مفارق لك وذلك بعد تحكيم الحكمين فقال له ثكلتك امك اذا تعصي ربك وتنكث عهدك ولا تضر الا نفسك خبرني لم تفعل ذلك فقال لانك حكمت وضعفت عن الحق وركنت الى القوم الذين ظلموا انفسهم فانا عليك زار وعليهم ناقم ولكم جميعا مباين فقال له علي هلم ادارسك الكتاب واناظرك في السنن وافاتحك امورا انا اعلم بها منك فلعلك تعرف ما انت له الآن منكر قال فاني عائد اليك قال لا يستهوينك الشيطان ولا يستخفنك الجهال والله لئن استرشدتني وقبلت مني لاهدينك سبيل الرشاد فخرج من عنده منصرفا الى اهله وسار من ليلته هو واصحابه فلما سمع بمسيرهم علي قال بعدا لهم كما بعدت ثمود ان الشيطان اليوم استهواهم واضلهم وهو غدا متبرئ منهم فقال له زياد بن خصفة البكري يا امير المؤمنين انه لم يعظم علينا فقدهم فنأسى عليهم انهم قلما يزيدون في عددنا لو اقاموا ولقلما ينقصون من عددنا بخروجهم عنا ولكنا نخاف ان يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليك من اهل طاعتك فأذن لي في اتباعهم حتى اردهم عليك فقال اتدري اين توجهوا قال لا ولكني اسأل واتبع الاثر فقال له اخرج رحمك الله وانزل دير ابي موسى واقم حتى يأتيك امري فان كانوا ظاهرين فان عمالي سيكتبون بخبرهم فخرج زياد فاتى داره وجمع اصحابه من بكر بن وائل واعلمهم الخبر فسار معه مائة وثلاثون رجلا فقال حسبي ثم سار حتى اتى دير ابي موسى فنزله يوما ينتظر امر علي واتى عليا كتاب من قرظة بن كعب الانصاري يخبره انهم توجهوا نحو نفر وانهم قتلوا رجلا من الدهاقين كان اسلم فارسل علي الى زياد يأمره باتباعهم ويخبره خبرهم وانهم قتلوا رجلا مسلما ويأمره بردهم اليه فان ابوا يناجزهم وسير الكتاب مع عبد الله بن وال فاستأذنه عبد الله في المسير مع زياد فأذن له وقال له اني لارجو ان تكون من اعواني على الحق وانصاري على القوم الظالمين قال ابن وال فوالله ما احب ان لي بمقالته تلك حمر النعم وسار بكتاب علي الى زياد وساروا حتى اتوا نفر فقيل انهم ساروا نحو جرايا فتبعوا آثارهم حتى ادركوهم بالمذار وهم نزول قد اقاموا يومهم وليلتهم واستراحوا فاتاهم زياد وقد تقطع اصحابه وتعبوا فلما رأوهم ركبوا خيولهم وقال لهم الخريت اخبروني ما تريدون فقال له زياد وكان مجربا رفيقا قد ترى ما بنا من التعب والذي جئناك له لا يصلحه الكلام علانية ولكن تنزل ثم نخلو جميعا فنتذاكر امرنا فان رأيت ما جئناك به حظا لنفسك قبلته وان رأينا فيما نسمع منك امرا نرجو فيه العافية لم نرده عليك قال فانزل فنزل زياد واصحابه على ماء هناك واكلوا شيأ وعلفوا على دوابهم ووقف زياد في خمسة فوارس بين اصحابه وبين القوم وكانوا قد نزلوا ايضا وقال زياد لاصحابه ان عدتنا كعدتهم وارى امرنا يصير الى القتال فلا تكونوا اعجز الفريقين وخرج زياد الى الخريت

ذكر ابن القلانسي ان المصحف العثماني كان حمله عثمان بن عفان رضي الله عنه من المدينة المنورة ووضعه في مسجد طبرية فحمله طغتكين المذكور لما اخرج من طبرية ووضعه في الجامع الاموي بدمشق ولما توفي تولى مكانه ولده (تاج الملوك) أبو سعيد بوري بن طغتكين وكانت سيرته حسنة وكان فيه حلم وسماحة ولم يزل بدمشق حتى وثب عليه اثنان من الباطنية فجرحاه فمات منها في حادي عشري رجب سنة ست وعشرين وخمسمائة وتولى مكانه ولده (شمس الملوك ابو الفتح اسمعيل بن بوري بن طغتكين) وكان مقداما مهابا استرد قلعة بانياس من ايدي الكفار في يومين ثم امتدت يده الى اخذ الاموال وعزم على المصادرات للكتاب والعمال فادخلت عليه امه زمرد غلمانها ليلا فقتلوه بين يديها وهو يستغيث اليها ولما انقضى نحبه جعلته في بساط ملفوف ثم امرت الامراء فدخلوا عليه فرأوه مقتولا فقالت انظروا الى سلطانكم وما حل به لظلمه للناس ثم احضرت اخاه (شهاب الدين محمود بن بوري) فعقدت له السلطنة وقامت امه بتدبير المملكة الى ان خطبها وتزوجها الاتابك ابن زنكي وكانت الامور على السداد الى ان وثب عليه جماعة من خدمه فقتلوه في رابع عشري شوال سنة ثلاث وستين وخمسمائة وتولى الملك بعده ابو المظفر

يمينه

فسمعوهم يقولون جاءنا القوم وهم كالون تعبون فتركاهم حتى استراحوا هذا والله سوء الرأى فدعاه زياد وقال له ما الذى نقمت على امير المؤمنين وعلينا حتى فارقتنا فقال لم أرض صاحبكم اماما ولا سيرتكم سيرة فرأيت ان اعتزل وأكون مع من يدعو الى الشورى فقال له زياد وهل يجتمع الناس على رجل يدانى صاحبك الذى فارقته علما بالله وسنته وكتابه مع قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم وسابقته فى الاسلام فقال له ذلك لا أقول لا فقال له زياد ففيما قتلت ذلك الرجل المسلم فقال له ما انا قتلته وانما قتله طائفة من أصحابى قال فادفعهم الينا قال مالى الى ذلك سبيل فدعا زياد اصحابه ودعا الخريت اصحابه فاقتتلوا قتالا شديدا تطاعنوا بالرماح حتى لم يبق رمح وتضاربوا بالسيوف حتى انحنت وعقرت عامة خيولهم وكثرت الجراحة فيهم وقتل من اصحاب زياد رجلان ومن أولئك خمسة وجاء الليل فحجز بينهما وقد كره بعضهم بعضا وجرح زياد فسار الخريت من الليل وسار زياد الى البصرة واتاهم خبر الخريت انه أتى الاهواز فنزل بجانب منها وتلاحق به ناس من اصحابهم فصاروا نحو مائتين فكتب زياد الى على يخبرهم وانه مقيم يداوى الجرحى وينتظر امره فلما قرأ على كتابه قام اليه معقل بن قيس فقال يا أمير المؤمنين كان ينبغى ان يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كل واحد منهم عشرة فاذا لحقوهم استأصلوهم وقطعوا دابرهم فأما ان يلقاهم عددهم فلعمرى ليصبرن لهم فان العدة تصبر للعدة فقال تجهز يا معقل اليهم وندب معه الفين من اهل الكوفة منهم يزيد بن المعقل الاسدى وكتب على الى ابن عباس يأمره ان يبعث من اهل البصرة رجلا شجاعا معروفا بالصلاح فى ألفى رجل الى معقل وهو امير اصحابه حتى يأتى معقلا فاذا لقيه كان معقل الامير وكتب الى زياد بن خصفة يشكره ويأمره بالعود واجتمع على الخريت الناجى علوج من اهل الاهواز كثير أرادوا كسر الخراج واصوص وطائفة أخرى من العرب ترى رأيه وطمع اهل الخراج فى كسره فكسروه واخرجوا سهل بن حنيف من فارس وكان عاملا لعلى عليها فى قول من يزعم انه لم يمت سنة سبع وثلاثين فقال ابن عباس لعلى انا اكفيك فارس بزياد يعنى ابن ابيه فأمره بارساله اليها وتعجيل تسييره فأرسل زيادا اليها فى جمع كثير فوطئ بلاد فارس فأدوا الخراج واستقاموا وسار معقل بن قيس ووصاه على فقال له اتق الله ما استطعت ولا تبغ على اهل القبلة ولا تظلم اهل الذمة ولا تتكبر فان الله لا يحب المتكبرين فقدم معقل الاهواز ينتظر مدد البصرة فابطأ عليه فسار عن الاهواز يطلب الخريت فلم يسر الا يوما حتى ادركه المدد مع خالد بن معدان الطائى فساروا جميعا فلحقوهم قريب جبل من جبال رامهرمز فصف معقل أصحابه فجعل على ميمنته يزيد بن المعقل وعلى ميسرته منجاب بن راشد الضبى من اهل البصرة وصف الخريت أصحابه فجعل من معه من العرب ميمنة ومن معه من اهل البلد والعلوج ميسرة ومعهم الاكراد وحرض كل واحد منهما أصحابه وحرك معقل رأسه مرتين ثم حمل فى الثالثة فصبروا ساعة ثم انهزموا فقتل أصحاب معقل منهم سبعين رجلا من بنى ناجية ومن معهم من العرب وقتلوا نحوا من ثلاثمائة من العلوج والاكراد وانهزم الخريت بن راشد فلحق باسياف البحر وبها جماعة كثيرة من قومه فما زال يسيرفيهم ويدعوهم الى خلاف على ويخبرهم ان الهدى فى حربه حتى اتبعه منهم ناس كثيرون واقام معقل بارض الاهواز وكتب الى على بالفتح فقرأ على الكتاب على أصحابه

(محمد بن بورى بن طغتكين) وكان ضعيف السيرة ولم تطل مدته فمات فى ثامن شعبان سنة اربع وثلاثين وخمسمائة واجلس ابنه (ابق) وكان صغيرا دون البلوغ فقام بتدبيره وتربيته اتابكه معين الدين وكان الاتابك ابن زنكى انما زوج ابنه بأم شهاب الدين المقدم ذكره طمعا فى الاستيلاء على دمشق ولم يظفر بما امله فقتل حمص وقلعتها ثم انه حاصر دمشق ولم ينل منها شيأ فلما أيس عن فتح دمشق احرق المرج والغوطة ونهب ما فيها ورحل عائدا الى بلاده فتوفى واستولى على الملك الاتابكية وانقرضت دولة السلجوقية من الشام والبلاد الفراتية اجمع والله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء من عباده

(الباب التاسع والثلاثون فى ذكر دولة بنى مرداس اهل الشدة والباس)

ذكر الجنانى فى تاريخه ان اول من تولى الملك بمدينة حلب وتوابعها من هذه الطائفة (صالح بن مرداس) الكلبى فى سنة أربع عشر واربعمائة استخلصه من يد امراء الحاكم بامر الله الفاطمى واستمر فى الملك مدة الى أن وصل العسكر من الديار المصرية فوقع الحرب بينهم وانجلى بقتل صالح وتولى مكانه ولده (محمود بن صالح) الى سنة تسع وعشرين واربعمائة فقتل على يد انوشتكين من أمراء مصر وتولى مكانه وفى سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة توفى أنوشتكين وتولى

واستشارهم فقالوا كلهم نرى أن تأمر معقلا أن يتبع آثار الفاسق حتى يقتله أو ينفيه فانا لا نأمن ان يفسد عليك الناس فكتب الى معقل يثني عليه وعلى من معه ويأمره باتباعه وقتله او نفيه فسأل معقل عنه فاخبر بمكانه بالاسياف وانه قد رد قومه عن طاعة علي وأفسد من عنده من عبد القيس وسائر العرب وكان قومه قد منعوا الصدقة عام صفين وذلك العام فسار اليهم معقل فاخذ على فارس وانتهى الى اسياف البحر فلما سمع الخريت بمسيره قال لمن معه من الخوارج أنا على رأيكم وان عليا لم ينبغ له أن يحكم وقال للآخرين من أصحابه ان عليا حكم ورضي بحكمه الذي ارتضاه وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من الكوفة واليه كان يذهب وقال سرا للعثمانية أنا والله على رأيكم قد والله قتل عثمان مظلوما فأرضى كل صنف منهم وقال لمن منع الصدقة شدوا أيديكم على صدقاتكم وصلوا بها أرحامكم وكان فيهم نصارى كثير قد أسلموا فلما اختلف الناس قالوا والله لديننا الذي خرجنا منه خير من دين هؤلاء لا ينهاهم دينهم عن سفك الدماء فقال لهم الخريت ويحكم لا ينجيكم من القتل الا قتال هؤلاء القوم والصبر ان حكمهم فيمن أسلم ثم ارتد أن يقتل ولا يقبلون منه توبة ولا عذرا فخدعهم جميعهم واتاه من كان من بني ناجية وغيرهم خلق كثير فلما انتهى معقل اليه نصب راية أمان وقال من أتاها من الناس فهو آمن الا الخريت واصحابه الذين حاربونا أول مرة فتفرق عن الخريت جل من كان معه من غير قومه وعبى معقل أصحابه وزحف نحو الخريت ومعه قومه مسلمهم ونصرانيهم ومانع الزكاة منهم فقال الخريت لمن معه قاتلوا عن حريمكم وأولادكم فوالله لئن ظهروا عليكم ليقتلنكم وليسبينكم فقال له رجل من قومه هذا والله ما جرته علينا يدك ولسانك فقال سبق السيف العذل وسار معقل في الناس يحرضهم ويقول أيها الناس ما تريدون أفضل مما سبق لكم من الاجر العظيم ان الله ساقكم الى قوم منعوا الصدقة وارتدوا عن الاسلام ونكثوا البيعة ظلما فأشهد لمن قتل منكم بالجنة ومن بقي منكم فان الله مقر عينه بالفتح ثم حمل معقل وجميع من معه فقاتلوا قتالا شديدا وصبروا له ثم ان النعمان بن صهبان الراسبي بصر بالخريت فحمل عليه فطعنه فصرع عن دابته ثم اختلفا ضربتين فقتله النعمان وقتل معه في المعركة سبعون ومائة رجل وذهب الباقون يمينا وشمالا وسبى معقل من ادرك من حريمهم وذراريهم وأخذ رجالا كثيرا فأما من كان مسلما فخلاه وأخذ بيعته وترك له عياله وأما من كان ارتد فعرض عليهم الاسلام فرجعوا فخلى سبيلهم وسبيل عيالهم الا شيخا كبيرا نصرانيا منهم يقال له الرماحس لم يسلم فقتله وجمع من منع الصدقة وأخذ منهم صدقة عامين وأما النصارى وعيالهم فاحتملهم مقبلا بهم واقبل المسلمون معهم يشيعونهم فلما ودعوهم بكى الرجال والنساء بعضهم الى بعض حتى رحمهم الناس وكتب معقل الى علي بالفتح ثم أقبل بهم حتى مر على مصقلة ابن هبيرة الشيباني وهو عامل علي على اردشيرخره وهم خمسمائة انسان فبكى النساء والصبيان وصاح الرجال يا أبا الفضل يا حامي الرجال ومأوى المعصب وفكاك العناة امنن علينا واشترنا وأعتقنا فقال مصقلة اقسم بالله لاتصدقن عليكم ان الله يجزي المتصدقين فبلغ قوله معقلا فقال والله لو اعلم انه قالها توجعا عليهم وازراء علينا لضربت عنقه ولو كان في ذلك تفاني تميم وبكر ثم ان مصقلة اشتراهم من معقل بخمسمائة ألف فقال له معقل عجل المال الى امير المؤمنين

مكانه بحلب (ثمال بن صالح بن مرداس) مدة ثم قتل ابن ملهم من أمراء مصر وحارب ثمالا واستولى على حلب وتولى مكانه (الظاهر نصر بن صالح) بعد حروب وقعت بينهما وعاد ثمال لحلب بالعساكر المصرية وكان شجاعا قويا فتولى مدة فلما توفي تولى مكانه أخوه (عطية بن صالح) فلم تطل مدته فهرب الى قيصرية فمات هناك وتولى مكانه (نصر ابن محمود) فلما توفي تولى مكانه (أحمد بن نصر بن صالح بن مرداس) الى حدود سنة اثنتين وسبعين واربعمائة ثم استولى على الديار الحلبية صاحب الموصل (شرف الدولة مسلم ابن قريش) وبه انقرضت دولة بني مرداس فكانت مدتهم ثمانيا وخمسين سنة

(الباب الاربعون في ذكر دولة آل براق ملوك كرمان اولي الافكار الثاقبة والاذهان)

ذكر اصحاب السير ان آل براق ملكوا كرمان من سنة احدى وعشرين وستمائة الى سنة ست وسبعمائة وكانوا تسعة انفار واول من تولى الملك منهم (براق) من صاحب كوخان سلطان الخطا وكان من أمره ان كوخان ارسله الى خوارزمشاه للصلح فاعجبه حسن تدبيره ورأيه وأبقاه عنده فولاه امارة كرمان فاستمر اميرا على بلاد كرمان اثنتي عشرة سنة وتوفي في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ... فقال

فقال انا ابعث الآن ببعضه ثم كذلك حتى لا يبقى منه شئ واقبل معقل الى علىّ فأخبره بما كان منه فاستحسنه وبلغ عليا ان مصقلة اعتق الاسرى ولم يسألهم ان يعينوه بشئ فقال ما اظن مصقلة الا قد تحمل حمالة ستروْنه عن قريب منها مبلدا وكتب اليه يطلب منه المال او يحضر عنده فحضر عنده وحمل من المال مائتى ألف قال ذهل بن الحرث فاستدعانى ليلة فطعمنا ثم قال ان امير المؤمنين يسألنى هذا المال ولا أقدر عليه فقلت والله لو شئت ما مضت جمعة حتى تحمله فقال والله ما كنت لاحملها قومى اما والله لو كان ابن هند ما طالبنى بها ولو كان ابن عفان لوهبها الى الم تره أطعم الاشعث بن قيس كل سنة من خراج أذربيجان مائة ألف قال فقلت ان هذا لا يرى ذلك الرأى ولا يترك منها شيأ فهرب مصقلة من ليلته فلحق بمعاوية وبلغ عليا ذلك فقال ماله ترحه الله فعل فعل السيد وفر فرار العبد وخان خيانة الفاجر أما انه لو أقام فعجز ما زدنا على حبسه فان وجدنا له شيأ أخذناه والا تركناه ثم سار علىّ الى داره فهدمها واجاز عتق السبى وقال اعتقهم مبتاعهم وصارت اثمانهم دينا على معتقهم وكان أخوه نعيم بن هبيرة شيعة لعلىّ فكتب اليه مصقلة من الشام مع رجل من نصارى تغلب اسمه حلوان يقول له ان معاوية قد وعدك الامارة والكرامة فاقبل ساعة يلقاك رسولى والسلام فأخذه مالك بن كعب الارحبى فسرحه الى علىّ فقطع يده فمات وكتب نعيم الى مصقلة يقول

لا ترمين هداك الله معترضا * بالظن منك فما بالى وحلوانا
ذاك الحريص على ما نال من طمع * وهو البعيد فلا يحزنك ان خانا
ماذا اردت الى ارساله سفها * ترجو سقاط امرئ لم يلف وسنانا
قد كنت فى منظر عن ذا ومستمع * تحمى العراق وتدعى خير شيبانا
حتى تقحمت امرا كنت تكرهه * للراكبين له سرا واعلانا
عرضته لعلىّ انه أسد * يمشى العرضنة من آساد خفانا
لو كنت أديت مال القوم مصطبرا * للحق أحييت أحيانا وموتانا
لكن لحقت باهل الشام ملتمسا * فضل ابن هند وذاك الرأى أشجانا
فاليوم تقرع سن العجز من ندم * ماذا تقول وقد كان الذى كانا
أصبحت تبغضك الاحياء قاطبة * لم يرفع الله بالبغضاء انسانا

فلما وقع الكتاب اليه علم أنه قد هلك وأتاه التغلبيون يطلبون امنه دية صاحبهم فوداهم وقال بعض الشعراء فى بنى ناجية

سما لكم وبالخيل قودا عوابسا * اخو ثقة ما يبرح الدهر غازيا
وصبحكم فى رجله وخيله * بضرب ترى منه المدجج هاويا
فأصبحتم من بعد كبر ونخوة * عبيد العصا لا تمنعون الذراريا

وقال مصقلة بن هبيرة

لعمرى لئن عاب أهل العراق * علىّ انتعاش بنى ناجيه
لاعظم من عتقهم رقهم * وكفى بعتقهم عاليه
وزايدت فيهم لاطلاقهم * وغاليت ان العلا غاليه

وتولى مكانه ولده السلطان (ركن الدين مبارك) مدة ثم عزله واستولى على الملك ابن عمه (السلطان قطب الدين) وهو اول من تسلطن من هذه الطائفة وكانوا أمراء من قبل كوخان وكان قطب الدين يميل الى فعل الخيرات والمبرات وكانت مدة ملكه ست سنين وتوفى فى سنة ست وخمسين وستمائة وتولى مكانه ولده (السلطان الحجاج بن قطب الدين) ثلاث عشرة سنة وسار سيرة حسنة وفى سنة تسع وستين وستمائة خاف على نفسه من الخازن وهرب الى السلطان حتى فالتجأ اليه واستمر عنده مقدار عشر سنين فأرسل معه عسكرا الى كرمان ففى اثناء الطريق توفى الحجاج وتولى مكانه اخوه (السلطان سيورغتمش بن قطب الدين) واستمر فى الملك الى سنة احدى وسبعين وستمائة فعزل وولى مكانه (زوجة قطب الدين) مدة ثم قتلها وولى مكانها (السلطان مظفر الدين محمد) فلم يزل فى الملك الى أن توفى فى سنة ثلاث وسبعمائة فتولى مكانه ابن عمه (السلطان قطب الدين شاهجهان) وكان ظالما غاشما جبارا سفاكا عديم الرأى والتدبير وهو آخر من ملك من هذه الطائفة

ذكر امر الخوارج بعد النهروان

لما قتل أهل النهروان خرج أشرس بن عوف الشيباني على علي بالدسكرة في مائتين ثم سار الى الانبار فوجه اليه علي الابرش بن حسان في ثلثمائة فواقعه فقتل أشرس في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ثم خرج هلال بن علفة من تيم الرباب ومعه أخوه مجالد فأتى ماسبذان فوجه اليه علي معقل بن قيس الرياحي فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين وكان قتلهم في جمادى الاولى سنة ثمان وثلاثين ثم خرج الاشهب بن بشر وقيل الاشعث وهو من بجيلة في مائة وثمانين رجلا فأتى المعركة التي أصيب فيها هلال وأصحابه فصلى عليهم ودفن من قدر عليه منهم فوجه اليهم علي جارية بن قدامة السعدي وقيل حجر بن عدي فأقبل اليهم الاشهب فاقتتلا بجرجرايا من أرض جوخى فقتل الاشهب وأصحابه في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين ثم خرج سعيد ابن قفل التيمي من تيم الله بن ثعلبة في رجب بالبندنيجين ومعه مائتا رجل فأتى درزنجان وهي من المدائن على فرسخين فخرج اليهم سعد بن مسعود فقتلهم في رجب سنة ثمان وثلاثين ثم خرج ابو مريم السعدي التميمي فأتى شهرزور وأكثر من معه من الموالي وقيل لم يكن معه من العرب غير ستة نفر هو أحدهم واجتمع معه مائتا رجل وقيل أربعمائة وعاد حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة فأرسل اليه علي يدعوه الى بيعته ودخول الكوفة فلم يفعل وقال ليس بيننا غير الحرب فبعث اليه علي شريح بن هانئ في سبعمائة فحمل الخوارج على شريح وأصحابه فانكشفوا وبقي شريح في مائتين فانحاز الى قرية فتراجع اليه بعض أصحابه ودخل الباقون الكوفة فخرج علي بنفسه وقدم بين يديه جارية بن قدامة السعدي فدعاهم جارية الى طاعة علي وحذرهم القتل فلم يجيبوا ولحقهم علي أيضا فدعاهم فأبوا عليه وعلى أصحابه فقتلهم أصحاب علي ولم يسلم منهم غير خمسين رجلا استأمنوا فأمنهم وكان في الخوارج أربعون رجلا جرحى فأمر علي بادخالهم الكوفة ومداواتهم حتى برؤا وكان قتلهم في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وكانوا من أشجع من قاتل من الخوارج وبجراءتهم قاربوا الكوفة

ذكر عدة حوادث

حج بالناس في هذه السنة قثم بن العباس من قبل علي وكان عامله على مكة وكان على اليمن عبيد الله بن عباس وعلى البصرة عبد الله بن عباس وعلى خراسان خليد بن قرة اليربوعي وقيل كان ابن أبزى وأما الشام ومصر فكان بهما معاوية وعماله وفي هذه السنة مات صهيب بن سنان في قول بعضهم وكان عمره سبعين سنة ودفن بالبقيع

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

ذكر سرايا أهل الشام الى بلاد أمير المؤمنين عليه السلام

وفي هذه السنة فرق معاوية جيوشه في العراق في أطراف علي فوجه النعمان بن بشير في ألف رجل الى عين التمر وفيها مالك بن كعب مسلحة لعلي في ألف رجل وكان مالك قد أذن لأصحابه فأتوا الكوفة ولم يبق معه الا مائة رجل فلما سمع بالنعمان كتب الى أمير المؤمنين يخبره ويستمده فخطب علي الناس وأمرهم بالخروج اليه فتثاقلوا وواقع مالك النعمان وجعل جدار القرية في ظهور أصحابه وكتب مالك الى مخنف بن سليم يستعينه وهو قريب منه واقتتل مالك والنعمان

أشد

وانقرضت دولتهم وسرى على الملك أمراء المغل

(الباب الحادي والاربعون في ذكر دولة غزنة من الغورية حسنى الخصائل والهمم العلية)

ذكر الجناني ان أصلهم من ترك الخطا سكنوا في جبال الغور فيما وراء النهر وكان ابتداء أمرهم في سنة خمس وأربعين وخمسمائة وانتهاء حالهم في سنة تسع وستمائة وأول من ملك منهم (سيف الدين محمد بن الحسين) تزوج بنت بهرام شاه الغزنوي فاتفق قصده لتحيل عليه الى ان أمسكه وقتله وتولى مكانه أخوه (سوري بن الحسين) فسار لغزنة لطلب ثأر أخيه فغلب عليه بهرام شاه وقتله وتولى مكانه أخوه (علاء الدين حسين بن الحسين جهانسوز) وكان ملكا قويا شجاعا فسار الى بهرام شاه لطلب ثأر أخويه فلم يقدر على المقاومة وانهزم الى بلاد الهند واستولى مكانه على غزنة (السلطان علاء الدين) واستناب أخاه سيف الدين مكانه وتوجه هو للغور فلما بلغ بهرام شاه ذلك عاد الى غزنة وتولى الملك فلما توفي تولى الملك بعده ولده (خسرو شاه) وبعده عاد (السلطان علاء الدين) وانتزع الملك من يد خسرو شاه

أشد قتال فوجه مخنف ابنه عبد الرحمن فى خمسين رجلا فانتهوا الى مالك وقد كسر وا جفون سيوفهم واستقتلوا فلما رآهم أهل الشام انهزموا عند المساء وظنوا ان لهم مددا وتبعهم مالك فقتل منهم ثلاثة نفر ولما تثاقل اهل الكوفة عن الخروج الى مالك صعد على المنبر فخطبهم ثم قال يا أهل الكوفة كلما سمعتم بجمع من أهل الشام أظلكم انجحر كل امرئ منكم فى بيته واغلق عليه بابه انجحار الضب فى جحره والضبع فى وجارها المغرور من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب لا احرار عند النداء ولا اخوان عند النجاء انا لله وانا اليه راجعون ماذا منيت به منكم عمى لا يبصرون وبكم لا ينطقون وصم لا يسمعون انا لله وانا اليه راجعون ووجه معاوية فى هذه السنة ايضا سفيان بن عوف فى ستة آلاف رجل وأمره ان يأتى هيت فيقطعها ثم يأتى الانبار والمدائن فيوقع بأهلها فأتى هيت فلم يجد بها احدا ثم اتى الانبار وفيها مسلحة لعلى تكون خمسمائة رجل وقد تفرقوا ولم يبق منهم الا مائتا رجل وكان سبب تفرقهم انه كان عليهم كميل بن زياد فبلغه ان قوما بقرقيسيا يريدون الغارة على هيت فسار اليهم بغير أمر على فأتى أصحاب سفيان وكميل غائب عنها فاغضب ذلك عليا على كميل فكتب اليه ينكر ذلك عليه وطمع سفيان فى اصحاب على لقلتهم فقاتلهم فصبر أصحاب على ثم قتل صاحبهم وهو أشرس بن حسان البكرى وثلاثون رجلا واحتملوا ما فى الانبار من اموال أهلها ورجعوا الى معاوية وبلغ الخبر عليا فأرسل فى طلبهم فلم يدركوا وفيها ايضا وجه معاوية عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر الفزارى فى ألف وسبعمائة رجل الى تيماء وأمره ان يصدق من مر به من أهل البوادى ويقتل من امتنع ففعل ذلك وبلغ مكة والمدينة وفعل ذلك واجتمع اليه بشر كثير من قومه وبلغ ذلك عليا فأرسل المسيب بن نجبة الفزارى فى ألفى رجل فلحق عبد الله بتيماء فاقتتلوا حين زالت الشمس قتالا شديدا وحمل المسيب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات لا يريد قتله ويقول له النجاء النجاء فدخل ابن مسعدة وجماعة معه الحصن وهرب الباقون نحو الشام وانتهب الاعراب ابل الصدقة التى كانت مع ابن مسعدة وحصره ومن معه ثلاثة ايام ثم القى الحطب فى الباب وحرقه فلما رأوا الهلاك اشرفوا عليه وقالوا يا مسيب قومك فرق لهم وأمر بالنار فأطفئت وقال لاصحابه قد جاءتنى عيونى فاخبرونى ان جندا قد أتاكم من الشام فقال له عبد الرحمن بن شبيب سرحنى فى طلبهم فأبى ذلك عليه فقال غششت أمير المؤمنين وداهنت فى أمرهم وفيها ايضا وجه معاوية الضحاك بن قيس وامره ان يمر بأسفل واقصة ويغير على كل من مر به ممن هو فى طاعة على من الاعراب وأرسل ثلاثة آلاف رجل معه فسار الناس وأخذ الاموال ومضى الى الثعلبية وقتل وأغار على مسلحة على وانتهى الى القطقطانة فلما بلغ ذلك عليا ارسل اليه حجر بن عدى فى أربعة آلاف واعطاهم خمسين درهما فلحق الضحاك بتدمر فقتل منهم تسعة عشر رجلا وقتل من أصحابه رجلان وحجز بينهما الليل فهرب الضحاك وأصحابه ورجع حجر ومن معه وفى هذه السنة سار معاوية بنفسه حتى شارف دجلة ثم نكص راجعا واختلف فيمن حج هذه السنة فقيل حج بالناس عبيد الله بن عباس من قبل على وقيل بل حج عبد الله أخوه وذلك باطل فان عبد الله بن عباس لم يحج فى خلافة على وانما كان هذه السنة على الحج عبيد الله بن عباس وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوى فاختلف عبيد الله ويزيد بن

وتلقب بالسلطان الاعظم وحمل على رأسه القبة والطير على قاعدة بنى سلجوق وكان شافعى المذهب وكان حسن الخط يكتب المصاحف بخطه ويوقفها على المساجد فلما توفى تولى مكانه أخوه (شهاب الدين أبو المظفر) واستولى على الهند والسند وخراسان والغور وكان دينا شجاعا وفى سنة احدى وستمائة توجه الى السند ففى اثناء الطريق دخل عليه جماعة فى خيمته وقتلوه وهو فى الصلاة وولوا مكانه ابن اخيه (بهاء الدين شاه) وكان حاكما فى بلاد باميان فتوفى قبل ان يصل مقر سلطنته واوصى بالملك لولديه (جلال الدين وعلاء الدين) فوقع بينهما حروب آلت الى استيلاء محمود بن غياث الدين على الملك وهو آخر من تولى من هذه الطائفة وانقرضت دولتهم فغلب على الملك خوارزمشاه وقتله

(الباب الثانى والاربعون فى ذكر جنكيزخان كيف فسد وخان)

اتفق اهل التاريخ ان الترك أكثر اجناس العالم وهم امم لا يحصيهم الا خالقهم ولم يزالوا ببلاد الشرق من أول الخليقة لا يعلم احد مبتدأها وهم رجال يسكنون الخيام المتخذة من اللبود لشدة البرد

شجرة واتفقتا على ان يحج بالناس شيبة بن عثمان وقيل ان الذى حج من جانب على قثم بن العباس وكان عمال على على البلاد من تقدم ذكرهم

(ذكر مسير يزيد بن شجرة الى مكة)

وفى هذه السنة دعا معاوية يزيد بن شجرة الرهاوى وهو من أصحابه فقال له انى أريد ان أوجهك الى مكة لتقيم للناس الحج وتأخذ لى البيعة بمكة وتنفى عنها عامل على فأجابه الى ذلك وسار الى مكة فى ثلاثة آلاف فارس وبها قثم بن العباس عامل على فلما سمع به قثم خطب اهل مكة واعلمهم بمسير الشاميين ودعاهم الى حربهم فلم يجيبوه بشئ وأجابه شيبة بن عثمان العبدرى بالسمع والطاعة فعزم قثم على مفارقة مكة واللحاق ببعض شعابها ومكاتبة أمير المؤمنين بالخبر فان امده بالجيوش قاتل الشاميين فنهاه ابو سعيد الخدرى عن مفارقة مكة وقال له اقم فان رأيت منهم القتال وبك قوة فاعمل برأيك والا فالمسير عنها أمامك فأقام وقدم الشاميون ولم يعرضوا للقتال أحدا وأرسل قثم الى امير المؤمنين يخبره فسير جيشا فيهم الريان بن ضمرة بن هوذة بن على الحنفى وابو الطفيل أول ذى الحجة وكان قدوم ابن شجرة قبل التروية بيومين فنادى فى الناس أنتم آمنون الا من قاتلنا ونازعنا واستدعى أبا سعيد الخدرى وقال له انى اريد الالحاد فى الحرم ولو شئت لفعلت لما فيه اميركم من الضعف فقل له يعتزل الصلاة بالناس واعتزلها أنا ويختار الناس رجلا يصلى بهم فقال أبو سعيد لقثم ذلك فاعتزل الصلاة واختار الناس شيبة بن عثمان فصلى بهم وحج بهم فلما قضى الناس حجهم رجع يزيد الى الشام واقبل خيل على فأخبروا بعود اهل الشام فتبعوهم وعليهم معقل بن قيس فادركوهم وقد رحلوا عن وادى القرى فظفروا بنفر منهم فأخذوهم اسارى وأخذوا ما معهم ورجعوا بهم الى امير المؤمنين ففادى بهم اسارى كانت له عند معاوية (الرهاوى منسوب الى الرها قبيلة من العرب وقد ضبطه عبد الغنى بن سعيد بفتح الراء قبيلة مشهورة واما المدينة فبضم الراء)

(ذكر غارة أهل الشام على اهل الجزيرة)

وفيها سير معاوية عبد الرحمن بن قباث بن أشيم الى بلاد الجزيرة وفيها شبيب بن عامر جد الكرمانى الذى كان بخراسان وكان شبيب بنصيبين فكتب الى كميل بن زياد وهو بهيت يعلمه خبرهم فسار كميل اليه نجدة له فى ستمائة فارس فأدركوا عبد الرحمن ومعه معن بن يزيد السلمى فقاتلهما كميل وهزمهما وغلب على عسكرهما وأكثر القتل فى أهل الشام وأمر ان لا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح وقتل من أصحاب كميل رجلان وكتب الى على بالفتح فجزاه خيرا وأجابه جوابا حسنا ورضى عنه وكان ساخطا عليه لما تقدم ذكره وأقبل شبيب بن عامر من نصيبين فرأى كميلا قد أوقع بالقوم فهنأه بالظفر واتبع الشاميين فلم يلحقهم فعبر الفرات وبث خيله فأغارت على أهل الشام حتى بلغ بعلبك فوجه معاوية اليه حبيب بن مسلمة فلم يدركه ورجع شبيب فأغار على نواحى الرقة فلم يدع للعثمانية بها ماشية الا استاقها ولا خيلا ولا سلاحا الا أخذه وعاد الى نصيبين وكتب الى على فكتب اليه على ينهاه عن أخذ أموال الناس الا الخيل والسلاح الذى يقاتلون به وقال رحم الله شبيبا لقد أبعد الغارة وعجل الانتصار

(ذكر غارة الحرث بن نمر التنوخى)

ولما

فى بلادهم وأكثر دوابهم الخيل وأقواتهم الارز وألبان الخيل ولحومها وتعرف ملوكهم بالخان وهى سمة ملوكهم وهم من بقايا يأجوج ومأجوج سموا بالترك لانهم تركوا عن دخول السد وكانوا مبددين فى دشت قبچاق فى حدود تلك الخطا والصين مسيرة أماكنهم شرقا بغرب غاية أشهر ونحوها الا بجنوب مثله يتوالدون فى ذلك البر ويتدارجون فى ذلك السهل والوعر كالحيوانات السائبة لا حاكم يردعهم ولا دين ولا اعتقاد يجمعهم وهم قبائل وشعوب وأصناف وضروب وكل طائفة تغير غارتها وتقصد جهتها ولا يعرفون الحلال والحرام ويعبدون الاوثان والاصنام ويسجدون للشمس اذا بزغت من الظلام ويعلمون النجوم ويعبدونها وتخاطبهم الجن ويرصدونها ولكن ملابسهم جلود الكلاب والفئران ويأكلون الكلاب والفار وما وجدوا من صيد القفار فهم متمكنون فى ذلك المكان حتى بلغ ذو القرنين بين السدين وسار على يأجوج ومأجوج بين الصدفين حتى نبع منهم هذا اللعين الطاغية تمرجين الذى يسمى

ولما قدم يزيد بن شجرة على معاوية وجه الحرث بن نمر التنوخى الى الجزيرة ليأتيه بمن كان فى طاعة على فأخذ من أهل دارا سبعة نفر من بنى تغلب وكان جماعة من بنى تغلب قد فارقوا عليا الى معاوية فسألوه فى اطلاق أصحابهم فلم يفعل فاعتزلوه أيضا وكتب معاوية الى على ليفاديه بمن أسر معقل بن قيس من أصحاب يزيد بن شجرة فسيرهم على الى معاوية واطلق معاوية هؤلاء وبعث على رجلا من خثعم يقال له عبد الرحمن الى ناحية الموصل ليسكن الناس فلقيه أولئك التغلبيون الذين اعتزلوا معاوية وعليهم قريع بن الحرث التغلبى فتشاتموا ثم اقتتلوا فقتلوه فأراد على ان يوجه اليهم جيشا فكلمته ربيعة وقالوا هم معتزلون لعدوك داخلون فى طاعتك وانما قتلوه خطأ فأمسك عنهم

﴿ ذكر أمر ابن العشبة ﴾

بعث معاوية زهير بن مكحول العامرى من عامر الاجدار الى السماوة وأمره ان يأخذ صدقات الناس وبلغ ذلك عليا فبعث ثلاثة نفر جعفر بن عبد الله الاشجعى وعروة بن العشبة والجلاس بن عمير الكلبيين ليصدقوا من فى طاعته من كلب وبكر بن وائل فوافوا زهيرا فاقتتلوا فانهزم أصحاب على وقتل جعفر بن عبد الله ولحق ابن العشبة بعلى فعنفه وعلاه بالدرة فغضب ولحق بمعاوية وكان زهير قد حمل ابن العشبة على فرس فلذلك اتهمه واما الجلاس فانه مر براع فأخذ جبته واعطاه جبة خز فأدركته الخيل فقالوا اين أخذ هؤلاء الترابيون فأشار اليهم أخذوا ههنا ثم اقبل الى الكوفة

﴿ ذكر أمر مسلم بن عقبة بدومة الجندل ﴾

وبعث معاوية مسلم بن عقبة المرى الى دومة الجندل وكان اهلها قد امتنعوا من بيعة على ومعاوية جميعا فدعاهم الى طاعة معاوية وبيعته فامتنعوا وبلغ ذلك عليا فسير مالك بن كعب الهمدانى فى جمع الى دومة الجندل فلم يشعر مسلم الا وقد وافاه مالك فاقتتلوا يوما ثم انصرف مسلم منهزما واقام مالك أياما يدعو أهل دومة الجندل الى البيعة لعلى فلم يفعلوا فقالوا لا نبايع حتى يجتمع الناس على امام فانصرف وتركهم وفيها توجه الحرث بن مرة العبدى الى بلاد السند غازيا متطوعا بأمر أمير المؤمنين على فغنم وأصاب غنائم وسبيا كثيرا وقسم فى يوم واحد ألف رأس وبقى غازيا الى ان قتل بأرض القيقان هو ومن معه الا قليلا سنة اثنتين وأربعين أيام معاوية

﴿ ذكر ولاية زياد بن امية بلاد فارس ﴾

وفى هذه السنة ولى على زيادا كرمان وفارس وسبب ذلك انه لما قتل ابن الحضرمى واختلاف الناس على على طمع أهل فارس وكرمان فى كسر الخراج فطمع اهل كل ناحية واخرجوا عمالهم واخرج اهل فارس سهل بن حنيف فاستشار على الناس فقال له جارية بن قدامة ألا أدلك يا امير المؤمنين على رجل صلب الرأى عالم بالسياسة كاف لما ولى قال من هو قال زياد فأمر على ابن عباس ان يولى زيادا فسيره اليها فى جمع كثير فوطئ بهم اهل فارس وكانت قد اضطربت فلم يزل يبعث الى رؤسهم يعد من ينصره ويمنيه ويخوف من امتنع عليه وضرب بعضهم ببعض فدل بعضهم على عورة بعض وهربت طائفة

جنكيزخان وساعده قضاء الديان لامر يريده الرحمن وكان أصله من قبيلة من تلك التاتار وتسمى قتات ظلمة وعتاة (وفى مسالك الابصار) ان جدة جنكيزخان امرأة اسمها الان قوا وانها ولدت تود بحر من غيراب قالوا وكانت متزوجة ثم مات زوجها وجاءت وهى ايم فتنكر عليها اقاربها فذكرت انها بعض الايام رأت نورا دخل فى فرجها ثلاث مرات وطرأ عليها الحمل بعده وقالت لهم ان حملى ثلاثة ذكور فان صدق ذلك عند الوضع والا فافعلوا ما بدا لكم فوضعت ثلاثة توائم من ذلك الحمل وظهرت براءتها بزعمهم اسم احدهم بوقن والآخر قوناعى والثالث تود بحر وهو جد جنكيزخان وكان من ابتداء حاله وأمره خدم عند ملك الخطا المسمى باونك خان فقربه الملك وادناه فحسده الوزراء وعملوا له المكائد ونصبوا له المصائد حتى أثر كلامهم عند الملك فقصده ولا زال يتبعه حتى كبسه وكان معه الخبر فأعانه الله ونصره وكسر الخان وعسكره وقبض عليه فقتله واستولى على امواله وذخائره وكان ذلك فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة ثم بعد ذلك تقوى

وأقامت طائفة تقتل بعضهم بعضا وصفت له فارس ولم يلق منهم جمعا ولا حربا وفعل مثل ذلك
بكرمان ثم رجع الى فارس وسكن الناس واستقامت له ونزل اصطخر وحصن قلعة تسمى قلعة
زياد قريب اصطخر ثم تحصن فيها بعد ذلك منصور اليشكرى فهى تسمى قلعة منصور وقيل ابن
عباس اشار بولايته وقد تقدم ذكره وفيها مات أبو مسعود الانصارى البدرى وقيل فى أول
خلافة معاوية وقيل غير ذلك ولم يشهد بدرا وانما قيل له بدرى لانه نزل ماء بدر وانقرض عقبه

﴿ ثم دخلت سنة أربعين ﴾

﴿ ذكر سرية بسر بن أبى ارطاة الى الحجاز واليمن ﴾

فى هذه السنة بعث معاوية بسر بن أبى ارطاة وهو من عامر بن لؤى فى ثلاثة آلاف فارس حتى
قدم المدينة وبها ابو ايوب الانصارى عامل على عليها فهرب أبو ايوب فأتى عليا بالكوفة
ودخل بسر المدينة ولم يقاتله احد فصعد منبرها فنادى عليه يا دينار يا نجار يا زريق شيخى
من الانصار شيخى عهدته ههنا بالامس فاين هو يعنى عثمان ثم قال والله لولا ما عهد الى
معاوية ما تركت بها محتلما الا قتلته ثم بايع أهل المدينة وأرسل الى بنى سلمة فقال والله ما لكم عندى امان حتى تأتونى بجابر
ابن عبد الله فانطلق جابر الى ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها ماذا ترين ان هذه
بيعة ضلالة وقد خشيت ان اقتل قالت أرى ان تبايع فانى قد امرت ابنى عمر وختنى ابن زمعة
ان يبايعا وكانت ابنتها زينب تحت ابن زمعة فأتاه جابر فبايعه وهدم بالمدينة دورا ثم سار الى مكة
فخاف ابو موسى الاشعرى ان يقتله فهرب منه واكره الناس على البيعة ثم سار الى اليمن وكان
عليها عبيد الله بن عباس عاملا لعلى فهرب منه الى على بالكوفة واستخلف على على اليمن عبد الله
ابن عبد المدان الحارثى فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه وأخذ ابنين لعبيد الله بن عباس صغيرين هما
عبد الرحمن وقثم فقتلهما وكانا عند رجل من كنانة بالبادية فلما أراد قتلهما قال له الكنانى لم تقتل
هذين ولا ذنب لهما فان كنت قاتلهما فاقتلنى معهما فقتله وقتلهما بعده وقيل ان الكنانى أخذ
سيفه وقاتل عن الغلامين وهو يقول

الليث من يمنع حافات الدار ❊ ولا يزال مصلتا دون الجار

وقاتل حتى قتل وأخذ الغلامين فذبحهما فخرج نسوة من بنى كنانة فقالت امرأة منهن يا هذا
قتلت الرجال فعلام تقتل هذين والله ما كانوا يقتلون فى الجاهلية والاسلام والله يا ابن أبى
ارطاة ان سلطانا لا يقوم الا بقتل الصبى الصغير والشيخ الكبير ونزع الرحمة وعقوق الارحام
لسلطان سوء وقتل بسر فى مسيره ذلك جماعة من شيعة على باليمن وبلغ عليا الخبر فأرسل جارية
ابن قدامة السعدى فى ألفين ووهب بن مسعود فى ألفين فسار جارية حتى اتى نجران فقتل بها
ناسا من شيعة عثمان وهرب بسر وأصحابه منه واتبعه جارية حتى اتى مكة فقال بايعوا امير
المؤمنين فقالوا قد هلك فلمن نبايع قال لمن بايع له أصحاب على فبايعوا خوفا منه ثم سار حتى اتى
المدينة وأبو هريرة يصلى بالناس فهرب منه فقال جارية لو وجدت ابا سنور لقتلته ثم قال لاهل
المدينة بايعوا الحسن بن على فبايعوه واقام يومه ثم عاد الى الكوفة ورجع أبو هريرة يصلى
بهم وكانت ام ابنى عبيد الله ام الحكم جويرية بنت خويلد بن قارظ وقيل عائشة بنت عبد الله
بن عبد المدان فلما قتل ولداها ولهت عليهما فكانت لا تعقل ولا تصغى ولا تزال تنشدهما

وقد سالطان الخطا والصين والتوشان بعدد كالرمال ومدد كالجبال فقبض عليه وأباده واستصفى ولايته وبلاده وكانت هذه الكسرة والنصرة فى سنة احدى وستمائة من الهجرة وكان اميا لا يقرأ ولا يكتب أعجميا عجزا بالحسب ولا نسب لا اطلع على الاخبار ولا اقتفى الآثار بل أسس بفكره قواعد لو أدركها الاسكندر ودارا لما وسعهما الا اقتفاء أثره كسر بعد مائة الاكاسرة وقهر بسطوته القياصرة واما عسكره فكانوا ما بين مسلمين ومشركين وبين ودوبى لا يدين لمعبود فلم يتعرض لاحد فى دينه واعتقاده ويقينه واما هو فلم يتقيد بدين بل يعظم علماء كل طائفة واخترع هو لنفسه فى الملك قواعد سلك فيها المقارب والمباعد ثم لم يكن لهم كتاب ولا خط ولا لهم قلم يعرفون به قط فأمر عقلاء مملكته وأذكياء قبيلته ان يضعوا له خطا وقلما يكون لهم علما فوضعوا القلم المغلى ورتبوا له كتابا سماه الياسق الكبير ذكر فيه ما اقتضاه رأيه التعيس وفكره الخسيس لكل حسنة مثوبة ولكل سيئة عقوبة فمن أحكامها المخلة صلب السارق وخنق الزانى وان

في المواسم فنقول

يامن أحس بابنيّ اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يامن احس بابنيّ اللذين هما * مخ العظام فمخي اليوم مزدهف

يامن أحس بابنيّ اللذين هما * قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف

من ذل والهة حيرى مدلهة * على صبيين ذلا اذ غدا السالف

نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا * من افكهم ومن القول الذي اقترفوا

احنى على ودجي ابنيّ مرهفة * من الشفار كذلك الاثم يعترف

وهي أبيات مشهورة فلما سمع امير المؤمنين بقتلهما جزع جزعا شديدا ودعا على بسر فقال اللهم اسلبه دينه وعقله فأصابه ذلك وفقد عقله فكان يهذي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ فلا يزال يضرب به ولم يزل كذلك حتى مات ولما استقر الامر لمعاوية دخل عليه عبيد الله بن عباس وعنده بسر فقال لبسر وددت ان الارض أنبتتني عندك حين قتلت ولدي فقال هاك سيفي فاهوى عبيد الله ليتناوله فأخذه معاوية وقال لبسر اخزاك الله شيخا قد خرفت والله لو تمكن منه لبدأ بي قال عبيد الله أجل ثم ثنيت به (سلمة بكسر اللام بطن من الانصار) وقيل ان مسير بسر الى الحجاز كان سنة اثنتين وأربعين فأقام بالمدينة شهرا يستعرض الناس لا يقال له عن احد انه شرك في دم عثمان الا قتله وفيها جرت مهادنة بين علي ومعاوية بعد مكاتبات طويلة على وضع الحرب ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام لا يدخل احدهما بلد الآخر بغارة (بسر بضم الباء الموحدة والسين المهملة زريق بالزاي والراء قبيلة من الانصار ايضا وجارية بالجيم والراء)

(ذكر فراق ابن عباس البصرة)

في هذه السنة خرج عبد الله بن عباس من البصرة ولحق بمكة في قول اكثر اهل السير وقد انكر ذلك بعضهم وقال لم يزل عاملا لعلي حتى قتل علي وشهد صلح الحسن مع معاوية ثم خرج الى مكة والاول أصح وانما كان الذي شهد صلح الحسن عبيد الله ابن عباس وكان سبب خروجه انه مر بأبي الاسود فقال لو كنت من البهائم لكنت جملا ولو كنت راعيا لما بلغت المرعى فكتب ابو الاسود الى علي اما بعد فان الله عز وجل جعلك واليا مؤتمنا وراعيا مستوليا وقد بلوناك فوجدناك عظيم الامانة ناصحا للرعية توفر لهم فيئهم وتكف نفسك عن دنياهم ولا تأكل اموالهم ولا ترتشي في أحكامهم وان ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك ولم يسعني كتمانك رحمك الله فانظر فيما هناك واكتب الي برأيك فيما أحببت والسلام فكتب اليه علي اما بعد فمثلك نصح الامام والامة ووالى على الحق وقد كتبت الى صاحبك فيما كتبت الي ولم أعلمه بكتابك فلا تدع اعلامي بما يكون بحضرتك مما النظر فيه صلاح للامة فانك بذلك جدير وهو حق واجب عليك والسلام وكتب الى ابن عباس في ذلك فكتب اليه ابن عباس اما بعد فان الذي بلغك باطل واني لما تحت يدي لضابط وله حافظ فلا تصدق الظنين والسلام فكتب اليه علي اما بعد فاعلمني ما أخذت من الجزية ومن اين أخذت وفيما وضعت فكتب اليه ابن عباس اما بعد فقد فهمت تعظيمك مرزاة ما بلغك اني رزئته من أهل هذه البلاد فابعث الى عملك من أحببت

شهد بذلك واحد فلا يحتاج الى ثان ومنها حقية من سبق سواء كذب او صدق ومنها استعباد الاحرار وتوارث الفلاح والاكار ومنها توريث نكاح الزوجة لاقارب الزوج وتداولهم فوجا بعد فوج ومنها عدم العدة وحصر الزوجات في عدة ومنها الاخذ بقول الجواري والصبيان ومنها مطالبة الجار بالجار ومعاقبة البريء بجر تكب الاوزار ومنها منع عفو الحاكم وان عفا المظلوم ونحو هذه الخرافات الباطلة والهذيانات العاطلة من القواعد الملعونة على خلاف الشريعة الميمونة وكان كرسي مملكته مدينة قراقروم وسبب تحركه الى ممالك الاسلام وتوجهه عنان مخططه الى طلب الانتقام هو انه لما استقر أمره وانتشر بالظلم والجور ذكره وقع بينه وبين السلطان خوارزمشاه من قبل أصحابه وفتح سد الثغر وبابه الى ان قتل السلطان وكان من أمره ما كان ثم نهض نهضة انام فيها الانام وقام قومة اقام بها ساعات القيام فتوجه من مشركي التاتار وعساكر الكفار بالصوارم الطامية وجبال النيران الحامية في سنة خمس عشرة وستمائة ومشوا على

ما في ظاعن عنه والسلام واستدعى أخواله من بني هلال بن عامر فاجتمعت معه قيس كلها فحمل
مالا وقال هذه أرزاقنا اجتمعت فتبعه أهل البصرة فلحقوه بالطف يريدون أخذ المال فقالت
قيس والله لا يوصل إليه وفينا عين تطرف فقال صبرة بن شيمان الحداني يا معشر الأزد إن قيسا
إخواننا وجيراننا وأعواننا على العدو وإن الذي يصيبكم من هذا المال لقليل وهم لكم خير
من المال فأطاعوه فانصرفوا وانصرفت معهم بكر وعبد القيس وقاتلهم بنو تميم فنهاهم
الأحنف فلم يسمعوا منه فاعتزلهم وحجز الناس بينهم ومضى ابن عباس إلى مكة

﴿ ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ﴾

وفي هذه السنة قتل علي في شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه وقيل لإحدى عشرة وقيل لثلاث
عشرة بقيت منه وقيل في شهر ربيع الآخر سنة أربعين والأول أصح قال أنس بن مالك
مرض علي فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر فجلست عنده فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فنظر
في وجهه فقال له أبو بكر وعمر يا نبي الله ما نراه إلا ميتا فقال لن يموت هذا الآن ولن يموت حتى
يملأ غيظا ولن يموت إلا مقتولا وقيل من غير وجه أن عليا كان يقول ما يمنع أشقاها أن يخضب
هذه من هذه يعني لحيته من دم رأسه وقال عثمان بن المغيرة كان علي لما دخل رمضان يتعشى ليلة
عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند أبي جعفر لا يزيد على ثلاث لقم يقول أحب أن يأتيني
أمر الله وأنا خميص وإنما هي ليلة أو ليلتان فلم تمض ليلة حتى قتل وقال الحسن بن كثير عن أبيه
قال خرج علي من الفجر فأقبل الإوز يصحن في وجهه فطردوهن عنه فقال ذروهن فإنهن نوائح
فضربه ابن ملجم في ليلته وقال الحسن بن علي يوم قتل علي خرجت البارحة وأبي يصلي في مسجد
داره فقال لي يا بني إني بت أوقظ أهلي لأنها ليلة الجمعة صبيحة بدر فملكتني عيناي فنمت فسنح
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد فقال
والأود العوج واللدد الخصومات فقال لي ادع عليهم فقلت اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم
وأبدلهم بي من هو شر مني فجاء ابن النباح فآذنه بالصلاة فخرج وخرجت خلفه فضربه ابن
ملجم فقتله وكان عليه السلام إذا رأى ابن ملجم قال

أريد حياته ويريد قتلي … عذيرك من خليلك من مراد

وكان سبب قتله أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي وقيل اسم
البرك الحجاج وعمرو بن بكر التميمي السعدي وهم من الخوارج اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس
وعابوا عمل ولاتهم ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا
أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وأرحنا منهم البلاد فقال ابن ملجم أنا أكفيكم عليا وكان من أهل
مصر وقال البرك بن عبد الله أنا أكفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر أنا أكفيكم عمرو بن
العاص فتعاهدوا أن لا ينكص أحدهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه
وأخذوا أسيافهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان وقصد كل رجل منهم الجهة التي
يريد فأتى ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه بالكوفة وكتمهم أمره ورأى يوما أصحابا له من تيم الرباب
وكان علي قد قتل منهم يوم النهر عدة فتذاكروا قتلى النهر ولقي معهم امرأة من تيم الرباب اسمها
قطام وقد قتل أبوها وأخوها يوم النهر وكانت فائقة الجمال فلما رآها أخذت قلبه فخطبها فقالت

عمالك الإسلام وأرادوا
إطفاء نور الإيمان من
إشراكهم بظلام فوصلوا
إلى البلاد وهي جنة المرتاد
فاحتووا على جنديسابور
وقراها وولايتها وما والاها
وأظهروا فيها علامات الحشر
فأدهشوا وعلها وسبوا
أهلها وشملوا الخاص والعام
ومدوا إلى ذخائرها النهب
العام ثم تنقلوا عن جنديسابور
إلى ولايات أندكان وقتا كث
وخجند ومرغينان وكانت
دار ملك ايلكخان ثم إلى
أطراف تركستان ثم إلى
نسف واترار وسغناق وهما
من أمهات البلاد في تلك
الآفاق فأخذوا وقتلوا
ونهبوا أهلها ودكوا جبالها
وسهلها وساووا الجبال
والسهول وتلي وأحاطوا بها
فعم البلا
تمشوا إلى سهل الجبال ووعرها
مشي الجراد على القصيل
الأخضر
مكانهم وهي على شعر مشى
زمجل فوق المصيد الأصفر
وشعلة نار الهوى قد علت
فوق الصعيد على الهشيم
الأغبر
ثم إن الدواهي الصعبة في
رابع المحرم سنة سبع عشرة
وستمائة وصلوا إلى بخارا
بلدة تضاهيها الإيجاري قبة
الإيمان وكرسي ملوك بني
سامان بجمع العلماء والصلحاء

لا أتزوجك حتى تشتفي لي فقال وما تريدين قالت ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وقتل علي فقال اما
قتل علي فما اراك ذكرتيه وانت تريدينني قالت بلى التمس غرته فان اصبته شفيت نفسك
ونفسي ونفعك العيش معي وان قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قال والله ما جاء بي الا
قتل علي فلك ما سألت قالت سأطلب لك من يشد ظهرك ويساعدك وبعثت الى رجل من قومها
اسمه وردان وكلمته فأجابها وأتى ابن ملجم رجلا من اشجع اسمه شبيب بن بجرة فقال له هل لك
في شرف الدنيا والآخرة قال وماذا قال قتل علي قال شبيب ثكلتك امك لقد جئت شيأ اذا
كيف تقدر على قتله قال اكمن له في المسجد فاذا خرج الى صلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه فان
نجونا فقد شفينا أنفسنا وان قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قال ويحك لو كان غير علي
كان اهون قد عرفت سابقته وفضله وبلاءه في الاسلام وما أجدني انشرح لقتله قال اما تعلمه
قتل اهل النهر العباد الصالحين قال بلى قال فنقتله بمن قتل من اصحابنا فأجابه فلما كان
ليلة الجمعة وهي الليلة التي واعد ابن ملجم أصحابه على قتل علي وقتل معاوية وعمرو فأخذ
سيفه ومعه شبيب ووردان وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي للصلاة فلما خرج علي
نادى أيها الناس الصلاة الصلاة فضربه شبيب بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب وضربه ابن
ملجم على قرنه بالسيف وقال الحكم لله لا لك يا علي ولا لاصحابك وهرب وردان فدخل منزله فأتاه
رجل من أهله فأخبره وردان بما كان فانصرف عنه وجاء بسيفه فضرب به وردان حتى قتله
وهرب شبيب في الغلس وصاح الناس فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر وفي يد شبيب
السيف فاخذه وجلس عليه فلما رأى الحضرمي الناس قد أقبلوا في طلبه وسيف شبيب في يده
خشي على نفسه فتركه ونجا وهرب شبيب في غمار الناس ولما ضرب ابن ملجم عليا قال
لا يفوتنكم الرجل فشد الناس عليه فأخذوه وتأخر علي وقدم جعدة بن هبيرة وهو ابن اخته
أم هانئ يصلي بالناس الغداة وقال علي أحضروا الرجل عندي فأدخل عليه فقال أي عدو
الله ألم أحسن اليك قال بلى قال فما حملك على هذا قال شحذته أربعين صباحا وسألت الله ان
يقتل به شر خلقه فقال علي لا أراك الا مقتولا به ولا أراك الا من شر خلق الله ثم قال النفس
بالنفس ان هلكت فاقتلوه كما قتلني وان بقيت رأيت فيه رأيي يا بني عبد المطلب لا الفينكم
تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن الا قاتلي انظر يا حسن ان أنا
مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثلن بالرجل فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور وهذا كله وابن ملجم مكتوف فقالت له أم
كلثوم ابنة علي أي عدو الله لا بأس على أبي والله مخزيك قال فعلى من تبكين والله ان سيفي
اشتريته بألف وسممته بألف ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقي منهم أحد ودخل جندب
ابن عبد الله على علي فقال ان فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن قال ما آمركم ولا أنهاكم أنتم
أبصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تبكيا
على شيء زوي عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضائع واصنعا للآخرة وكونا للظالم
خصما وللمظلوم ناصرا واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم ثم نظر الى محمد بن
الحنفية فقال هل حفظت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال فاني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير

والعباد والكبراء فدخل
جنكيزخان الى المدينة
وطاف بها على هيبة وسكينة
حتى انتهى الى باب الجامع
فرأى محلا شريفا ومعبدا
واسعا لطيفا فقال هذا بيت
السلطان فقالوا بل بيت
الرحمن فقال ان أولى ما القنا
افراسنا في بيت من خلق
أرواحنا ورزق اشباحنا
فنزل عن دابته ودخل الجامع
مع جماعته ثم استدعى
بالخمور والطبول والزمور
فتصدر في مجالس العلم
والاذكار ومحاريب الصلاة
الكفرة والفجار من المغل
والتاتار ثم أحضر العلماء
والاشراف والكبراء وانزلوا
بهم الثبور والويل
واستحفظوهم الخيل ومن
جملة الاعيان شخص ولي
يدعى السيد الشريف
جلال الدين علي وهو اعلى
سادات ماوراء النهر قد
قبض عليه وربطوا الى عنقه
يديه ثم استنظروه مراكبهم
وانشبوا فيه مخالبهم وهو
واقف بباب الجامع في هيئة
الذليل الخاضع فرأى الامام
الهمام علم العلماء الاعلام
الشيخ ركن الدين ابن الامام
وهو في مثل حاله فقال أيها
الامام المفضال ما هذه
الاحوال فأنشد معنى هذا
المقال
أرى حالة تبدي لساني
فليس لي

أخو يك العظيم حقهما عليك وتزين أمرهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم قال أوصيكما به فانه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما ان أباكما كان يحبه وقال للحسن أوصيك أى بنى بتقوى الله واقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء فانه لا صلاة الا بطهور وأوصيك بغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الارحام والحلم عن الجاهل والتفقه فى الدين والتثبت فى الامر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجتناب الفواحش ثم كتب وصيته ولم ينطق الا بلا اله الا الله حتى مات رضى الله عنه وأرضاه وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وكبر عليه الحسن سبع تكبيرات فلما قبض بعث الحسن الى ابن ملجم فأحضره فقال للحسن هل لك فى خصلة انى والله قد أعطيت الله عهدا أن لا أعاهد عهدا الا وفيت به وانى عاهدت الله عند الحطيم ان أقتل عليا ومعاوية أو أموت دونهما فان شئت خليت بينى وبينه فلك الله على ان لم أقتله ثم بقيت أن آتيك حتى أضع يدى فى يدك فقال له الحسن لا والله حتى تعاين النار ثم قدمه فقتله واخذه الناس فادرجوه فى بوارى وأحرقوه بالنار قال عمرو بن الاصم قلت للحسن بن على ان هذه الشيعة تزعم ان عليا مبعوث قبل القيامة فقال كذب والله هؤلاء الشيعة لو علمنا انه مبعوث قبل القيامة ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله اما قوله هذه الشيعة فلا شك انه يعنى طائفة منها فان كل شيعة لا تقول هذا انما تقوله طائفة يسيرة منهم ومن مشهورى هذه الطائفة جابر بن يزيد الجعفى الكوفى وقد انقرض القائلون بهذه المقالة فيما نعلم (بجرة بفتح الباء والجيم والبرك بضم الباء الموحدة وفتح الراء وآخره كاف) واما البرك بن عبد الله فانه قعد لمعاوية فى تلك الليلة التى ضرب فيها على فلما خرج معاوية ليصلى الغداة شد عليه بالسيف فوقع السيف فى أليته واخذ فقال ان عندى خبرا أسرك به فان أخبرتك فنافعى ذلك قال نعم قال ان أخا لى قد قتل عليا هذه الليلة قال فلعله لم يقدر على ذلك قال بلى ان عليا ليس معه أحد يحرسه فامر به معاوية فقتل وبعث معاوية الى الساعدى وكان طبيبا فلما نظر اليه قال اختر اما أن احمى حديدة فاضعها موضع السيف واما أن اسقيك شربة تقطع منك الولد وتبرأ منها فان ضربتك مسمومة فقال معاوية أما النار فلا صبر لى عليها واما الولد فان فى يزيد وعبد الله ما تقر به عينى فسقاه شربة فبرئ ولم يولد له بعدها وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرط على رأسه اذا سجد وهو اول من عملها فى الاسلام وقيل ان معاوية لم يقتل البرك وانما أمر فقطعت يده ورجله وبقى الى ان ولى زياد البصرة وكان البرك قد صار اليها وولد له فقال له زياد يولد لك وتركت أمير المؤمنين لا يولد له فقتله وصلبه وأما عمرو بن بكر فانه جلس لعمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج وكان اشتكى بطنه فأمر خارجة بن أبى حبيبة وكان صاحب شرطته وهو من بنى عامر بن لؤى فخرج ليصلى بالناس فشد عليه وهو يرى انه عمرو بن العاص فضربه فقتله فأخذه الناس الى عمرو فسلموا عليه بالامرة فقال من هذا قالوا عمرو قال فمن قتلت قالوا خارجة قال اما والله يا فاسق ما ظننته غيرك فقال عمرو أردتنى وأراد الله خارجة فقدمه عمرو فقتله قال ولما بلغ عائشة قتل على قالت

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

ثم قالت من قتله فقيل رجل من مراد فقالت

طاريق الى الى اثره بلفظة اعض بها كفى واهلك مقلتى انى الذى هذا الم تر اسقيلتى فاجاب الامام ما هذا محل الكلام كن عبد الارادة واتبع ما اراده واستمروا يشربون الخمور على صوت الزمور ثم ادخلوا الخيل الى الجامع وطلبوا لها مرابط ومواضع ثم أفرغوا خزائن المصاحف والختمات وظروف الكتب واوعية الربعات وصبوا فيها الشعير واطعموا فيها الخيل والبغال والحمير فبددت الربعات المعظمة والمصاحف المكرمة تحت السنابك والحوافر ومواطئ اقدام كل كافر فاستخلص ما عندهم من الاموال أمر بقتل الرجال واسر النساء والاطفال ثم امر بالنهب وهدم البلد والاحراق واعدام عينها على الاطلاق فهم ما قال فلم يبق منهم ديار ولا نافخ نار وقيل انه تخلص من هذه الواقعة رجل واحد فوصل الى خراسان فسألوه عن هذا الشأن كيف كان فقال لهم بذلك اللسان وصورته هذه امدند وكندند وسوختند وكشتند وبردند ورفتند أى جاءوا وهدموا وأحرقوا وارهقوا ونهبوا وذهبوا ثم توجهوا الى سمرقند [illegible]

فان يك نائيا فلقد نعاه * نعى ليس فى فيه التراب

فقالت زينب بنت أبى سلمة اتقولين هذا فى على فقالت انى أنسى فاذا نسيت فذكرونى وقال ابن أبى مياس المرادى

فنحن ضربنا يالك الخير حيدرا * أبا حسن مأمومة فتفطرا
ونحن خلعنا ملكه من نظامه * بضربة سيف اذ علا وتجبرا
ونحن كرام فى الصباح أعزة * اذا المرء بالموت ارتدى وتأزرا

وقال أيضا

ولم ار مهرا ساقه ذو سماحة * كمهر قطام بين عرب ومعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من على وان غلا * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

وقال أبو الاسود الدئلى فى قتل على

الا أبلغ معاوية بن حرب * فلا قرت عيون الشامتينا
أفى شهر الصيام فجعتمونا * بخير الناس طرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا * ورحلها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها * ومن قرأ المثانى والمبينا
اذا استقبلت وجه أبى حسين * رأيت البدر راع الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت * بأنك خيرها حسبا ودينا

وقال بكر بن حسان الباهرى

قل لابن ملجم والاقدار غالبة * هدمت للدين والاسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشى على قدم * وأعظم الناس اسلاما وايمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما * سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبى ومولاه وناصره * أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له * مكان هرون من موسى بن عمرانا
قد كان يخبرهم هو يقتله * قبل المنية أزمانا فازمانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر * فقلت سبحان رب العرش سبحانا
انى لاحسبه ما كان من انس * كلا ولكنه قد كان شيطانا
فلا عفا الله عنه سوء فعلته * ولا سقى قبر عمران بن حطانا
يا ضربة من شقى ما أراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
بل ضربة من غوى أوردته لظى * وسوف يلقى بها الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصدا بضربته * الا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

﴿ ذكر مدة خلافته ومقدار عمره ﴾

وقد قال بعضهم كانت خلافته خمس سنين الا ثلاثة أشهر وكان عمره ثلاثا وستين سنة وقيل كان عمره تسعا وخمسين وقيل خمسا وستين وقيل ثمانيا وخمسين والاول أصح ولما قتل دفن عند مسجد

باهلها ما فعلوا بتجار اودرز أسوارها مقدار اثنى عشر فرسخا فقس ما فى ذلك من الخلائق والامم فالكل براهم سيف القلم كما يبرى البارى القلم ثم غاروا على جميع عراق العجم ولم يبقوا على ذى روح وقد ذا عمت من الوجود أمهات الامصار وشملها البوار وأما القرى والقصبات والرساتيق والمزدرعات فاكثر من ان يحصر ويضبط بحساب ودفتر فابيد كله وابير فالحكم لله العلى الكبير كل ذلك فى أدنى مده واوهى رقده وماذ كرذرة من طور وقطرة من بحور ثم ان جنكيزخان لما وصل الى بلاد خراسان مرض ورجع الى سرة ملكه المشؤم ايميل وقوفاق وقراقروم ولم يزل على ذلك حتى تسلم روحه الخبيثة مالك فى رابع رمضان عام اربعة وعشرين وستمائة فكانت مدة ملكه تزيد على ثلاث وعشرين سنة وفى مسالك الابصار ان جنكيزخان لما أيس من الحياة وقنط من رحمة الله جمع جميع اولاده المشاركين له فى فساده وهم (جغتاى واوكتاى وجوجان وكاكان واورخان وتولى خان) واوصاهم بوصايا وطرائق فى سياسة الرعايا وعين لكل من هؤلاء مملكة من الممالك

الجماعة وقيل في القصر وقيل غير ذلك والاصح ان قبره هو الموضع الذي يزار ويتبرك به

(ذكر نسبه وصفته ونسائه وأولاده)

كان آدم شديد الادمة ثقيل العينين عظيمهما ذا بطن أصلع عظيم اللحية كثير شعر الصدر وهو الى القصر أقرب وقيل كان فوق الربعة وكان ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها وكان من أحسن الناس وجها ولا يغير شيبه كثير التبسم وأما نسبه فهو علي بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم وأمه فاطمة بنت أسد ابن هاشم بن عبد مناف وهو أول خليفة أبواه هاشميان ولم يل الخلافة الى وقتنا هذا من أبواه هاشميان غيره وغير الحسن ولده ومحمد الامين فان أباه هرون الرشيد وامه زبيدة بنت جعفر بن المنصور وأما أزواجه فأول زوجة تزوجها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج عليها حتى توفيت عنده وكان له منها الحسن والحسين وقد ذكر انه كان له منها ابن آخر يقال له محسن وانه توفي صغيرا وزينب الكبرى وام كلثوم الكبرى ثم تزوج بعدها أم البنين بنت حزام الكلابية فولدت له العباس وجعفرا وعبد الله وعثمان قتلوا مع الحسين بالطف ولا بقية لهم غير العباس وتزوج ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلية التميمية فولدت له عبيد الله وأبا بكر قتلا مع الحسين وقيل ان عبيد الله قتله المختار بالمذار وقيل لا بقية لهما وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له محمدا الاصغر ويحيى ولا عقب لهما وقيل ان محمدا لام ولد وقتل مع الحسين وقيل انها ولدت له عونا وله من الصهباء بنت ربيعة التغلبية وهي من السبي الذين أغار عليهم خالد ابن الوليد بعين التمر وولدت له عمر بن علي ورقية بنت علي فعمر عمر حتى بلغ خمسا وثمانين سنة حاز نصف ميراث علي ومات بينبع وتزوج علي امامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى ابن عبد شمس وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له محمدا الاوسط وله محمد بن علي الاكبر الذي يقال له ابن الحنفية أمه خولة بنت جعفر من بني حنيفة وتزوج علي أيضا أم سعيد ابنة عروة بن مسعود الثقفية فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى وأم كلثوم وكان له بنات من أمهات شتى لم يذكرن لنا منهن أم هانئ وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وامامة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجمانة ونفيسة كلهن من أمهات أولاد وتزوج أيضا محياة بنت امرئ القيس بن عدي الكلبية فولدت له جارية هلكت صغيرة كانت تخرج الى المسجد فيقال لها من أخوالك فتقول وه وه تعني كلبا فجميع ولده أربعة عشر ذكرا وسبع عشرة امرأة وكان النسل منهم للحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس بن الكلابية وعمر بن التغلبية

(ذكر عماله)

وكان عامله على البصرة هذه السنة عبد الله بن عباس وقد ذكرنا الاختلاف في أمره وكان اليه الصدقات والجند والمعاون أيام ولايته كلها وكان على قضائها من قبل علي أبو الاسود الدؤلي وكان على فارس زياد وقد ذكرنا مسيره اليها وكان على اليمن عبيد الله بن عباس حتى كان من أمره وأمر بسر بن أبي ارطاة ما ذكر وكان على الطائف ومكة وما اتصل بذلك قثم بن عباس وكان على المدينة أبو أيوب الانصاري وقيل سهل بن حنيف وكان عنده قدوم بسر عليه من أمره

ما

واوصى بالتخت لولده الصغير تولى خان واستمرت بعده الفتن والشرور والمحن واعاد تولى خان على بقية ممالك الاسلام وغير شرائع خير الانام فلما هلك ملك مكانه ولده

(هلاكو بن تولي خان)

والعامة يقولون هلاوون على وزن قلاوون وهو من أعاظم ملوك التتار وكان حازما شجاعا ذا سطوة عظيمة وهو على قاعدة أسلافه في عدم التقيد بدين واما كانت زوجته طقز خاتون قد تنصرت واستولى هلاكو المذكور على عراق العرب والعجم والموصل والجزيرة وديار بكر والروم والشام وغيرها واباد ملوكها كما ذكر الذهبي في تاريخه ان هلاكو سفك دم ألف ألف أو يزيدون فهل يقدر المؤرخون ان يجمعوا ويستوفوا سوء أفعاله ومع هذا فان الله تعالى قد وفقه للاسلام لان الكفار المغولية مالوا الى دين المجوسية فانقاد اليهم وقصد الممالك الاسلامية بالسوء ذكر البيضاوي في تاريخه ان الله تبارك وتعالى ألهم الى بعض أوليائه بفيض فضله ان يظهروا من كرامات المحمدية عند هلاكو منهم أبو يعقوب ومحمد خواجا دربندي قدس الله سرهما فحضروا عند هلاكو

ما كان وذكر

(ذكر بعض سيرته)

كان أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خازنا لعلى على بيت المال فدخل على يوما وقد زينت ابنته فرأى عليها لؤلؤة كان عرفها لبيت المال فقال من أين لها هذه لأقطعن يدها فلما رأى ابو رافع جده فى ذلك قال انا والله يا أمير المؤمنين زينتها بها فقال على لقد تزوجت بفاطمة ومالى فراش الا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار ومالى خادم غيرها قال ابن عباس قسم علم الناس خمسة أجزاء فكان لعلى منها أربعة أجزاء ولسائر الناس جزء شاركهم على فيه فكان أعلمهم به وقال احمد بن حنبل ما جاء لاحد من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ما جاء لعلى وقال عمرو بن ميمون لما ضرب عمر بن الخطاب وجعل الخلافة فى الستة من الصحابة فلما خرجوا من عنده قال ان يولوها الاجلح يسلك بهم الطريق فقال له ابنه عبد الله فما يمنعك يا أمير المؤمنين من توليته قال اكره ان أتحملها حيا وميتا وقال عاصم بن كليب عن أبيه قدم على على مال من أصبهان فقسمه على سبعة أسهم فوجد فيه رغيفا فقسمه على سبعة ودعا امراء الاسباع فأقرع بينهم لينظر أيهم يعطى أولا وقال هرون بن عنترة عن أبيه دخلت على على بالخورنق وهو فصل شتاء وعليه خلق قطيفة وهو يرعد فيه فقلت يا أمير المؤمنين ان الله قد جعل لك ولاهلك فى هذا المال نصيبا وأنت تفعل هذا بنفسك فقال والله ما ارزأكم شيأ وما هى الا قطيفتى التى اخرجتها من المدينة وقال يحيى بن سلمة استعمل على عمرو بن سلمة على اصبهان فقدم ومعه مال وزقاق فيها عسل وسمن فأرسلت ام كلثوم بنت على الى عمرو تطلب منه سمنا وعسلا فأرسل اليها ظرف عسل وظرف سمن فلما كان الغد خرج على واحضر المال والعسل والسمن ليقسم فعد الزقاق فنقصت زقين فسأله عنهما فكتمه وقال نحن نحضرهما فعزم عليه الا ذكرهما له فأخبره فأرسل الى ام كلثوم فأخذ الزقين منها فرآهما قد نقصا فأمر التجار بتقويم ما نقص منهما فكان ثلاثة دراهم فأرسل اليها فاخذها منها ثم قسم الجميع قيل وخرج من همذان فرأى رجلين يقتتلان ففرق بينهما ثم مضى فسمع صوتا يا غوثاه بالله فخرج يحضر نحوه وهو يقول اتاك الغوث فاذا رجل يلازم رجلا فقال يا امير المؤمنين بعت هذا ثوبا بسبعة دراهم وشرطت أن لا يعطينى مغموزا ولا مقطوعا وكان شرطهم يومئذ فأتانى بهذه الدراهم فأبيت ولزمته فلطمنى فقال للاطم ما تقول فقال صدق يا أمير المؤمنين فقال اعطه شرطه فاعطاه وقال للملطوم اقتص قال او اعفو يا امير المؤمنين قال ذلك اليك ثم قال يا معشر المسلمين خذوه فأخذوه فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب ثم ضربه خمس عشرة درة وقال هذا نكال لما انتهكت من حرمته ولما قتل على عليه السلام قام ابنه الحسن خطيبا فقال لقد قتلتم الليلة رجلا فى ليلة نزل فيها القرآن وفيها رفع عيسى وفيها قتل يوشع بن نون والله ما سبقه احد كان قبله ولا يدركه احد يكون بعده والله ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فى السرية وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره والله ما ترك صفراء ولا بيضاء الا ثمانمائة أو سبعمائة أرصدها لجارية وقال سفيان ان عليا لم يبن آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وان كان ليؤتى بحبوبه من المدينة فى جراب وقيل انه اخرج سيفا له الى السوق فباعه وقال لو كان عندى أربعة دراهم ثمن ازار لم أبعه وكان لا يشترى

ودشلوا النار وشربوا السموم والنحاس المذاب فلما عاين هلاكو رجع عن الكفر والزندقة وخاف من الاولياء وعظم ملة الاسلامية وأشاعها وكان سبب هلاكه بعلة الصرع فكان يعتريه فى اليوم الواحد مرارا فمرض ولم يزل ضعيفا نحو شهرين وكانت وفاته فى سابع ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وستمائة فى بلد مراغة ونقل الى قلعة تلة من اعمال سلماس فدفن بها وبنى عليه قبة وكان عمره نحو ستين سنة وخلف من الاولاد سبعة عشر ذكرا وتولى الملك بعده ولده (ابغا) وقيل أخوه (قبلاى) فامتدت أيامه الى أن توفى ببلاد همذان سنة خمس وتسعين وستمائة وكان كرسى مملكته مدينة مالبق أم بلاد الخطا وكان مدة ملك قبلاى اثنتين وثلاثين سنة وملك بعده أخوه (احمد بن هلاكو) وكان اسمه تكدار فأظهر دين الاسلام وتسمى بأحمد فقتل فى جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين وستمائة وملك بعده (أرغون ابن ابغا) وكانت مدة ملكه نحو سبع سنين ولما هلك ملك بعده اخوه (كيختو ابن ابغا) وكان ينسب الى الفواحش من اللواط والفسق واستمر حتى قتل فى ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وستمائة وملك بعده (بيدو بن طوغاى بن هلاكو) فلما بلغ غازان وهو بخراسان جلوس بيدو على سرير الملك جمع من اطاعه وسار الى قتال بيدو وكان

عن يعرفه واذا اشترى قميصا قدر كمه على طول يده وقطع الباقي وكان يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل منه ويقول لا أحب أن يدخل بطني الا ما اعلم وقال الشعبي وجد علي درعا له عند نصراني فاقبل به الى شريح وجلس الى جنبه وقال لو كان خصمي مسلما لساويته وقال هذه درعي فقال النصراني ماهي الا درعي ولم يكذب أمير المؤمنين فقال شريح لعلي ألك بينة قال لا وهو يضحك فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيرا ثم عاد وقال أشهد ان هذه أحكام الانبياء أمير المؤمنين قدمني الى قاضيه وقاضيه يقضي عليه ثم أسلم واعترف ان الدرع سقطت من علي عند مسيره الى صفين ففرح علي باسلامه ووهب له الدرع وفرسا وشهد معه قتال الخوارج وقيل ان عليا رؤي وهو يحمل في ملحفته تمرا قد اشتراه بدرهم فقيل له يا امير المؤمنين الا نحمله عنك فقال أبو العيال احق بحمله وقال الحسن بن صالح تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال عمر ازهد الناس في الدنيا علي بن ابي طالب وقال المدائني نظر علي الى قوم ببابه فقال لقنبر من هؤلاء قال شيعتك يا أمير المؤمنين قال ومالي لا ارى فيهم سيما الشيعة قال وما سيماهم قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظما عمش العيون من البكاء ومناقبه لا تحصى قد جمعت قضاياه في كتاب مفرد

(ذكر بيعة الحسن بن علي)

وفي هذه السنة أعني سنة أربعين بويع الحسن بن علي بعد قتل أبيه وأول من بايعه قيس بن سعد الانصاري وقال له ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وقتال المحلين فقال الحسن على كتاب الله وسنة رسوله فانهما يأتيان على كل شرط فبايعه الناس وكان الحسن يشترط عليهم انكم مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت فارتابوا بذلك وقالوا ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا الا القتال

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة المغيرة بن شعبة وافتعل كتابا على لسان معاوية فيقال انه عرف يوم التروية ونحر يوم عرفة خوفا ان يفطن لفعله وقيل فعل ذلك لانه بلغه ان عتبة بن أبي سفيان مصبحه واليا على الموسم وفيها بويع معاوية بالخلافة ببيت المقدس وكان قبل ذلك يدعى بالامير في بلاد الشام فلما قتل علي دعي بأمير المؤمنين هكذا قال بعضهم وقد تقدم انه بويع بالخلافة بعد اجتماع الحكمين والله أعلم وكانت خلافة الحسن ستة أشهر وفيها مات الاشعث بن قيس الكندي بعد قتل علي بأربعين ليلة وصلى عليه الحسن بن علي وفيها مات حسان بن ثابت وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من الصحابة وفيها مات شرحبيل بن السمط الكندي وهو من أصحاب معاوية قيل له صحبة وقيل لا صحبة له وفي أول خلافة علي مات جهجاه الغفاري له صحبة * وفيها مات الحرث بن خزيمة الانصاري شهد بدرا وأحدا وغيرهما * وفيها مات خوات بن جبير الانصاري بالمدينة وكان قد خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر فرجع لعذر فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وهو صاحب ذات النحيين وفي خلافة علي مات قرظة بن كعب الانصاري بالكوفة وقيل بل مات في امارة المغيرة على الكوفة لمعاوية شهد أحدا وغيرها وشهد سائر المشاهد مع علي ومات معاذ بن عفراء الانصاري في أول خلافة علي وهو

بدري

مع غازان اتابكه نيروز وهو الذي جمع الناس على طاعة غازان فلما تقارب الجمعان علم غازان انه لا طاقة له ببيدو فتراسلا واصطلحا ورجع غازان الى خراسان وأقام نيروز عند بيدو وأخذ في استمالات قلوب المغل الى غازان فلما استوثق نيروز من المغل كتب الى غازان وأمره بالحركة فتحرك غازان ثانيا وبلغ بيدو حركته فقال لنيروز في ذلك فقال نيروز أرسلني لاربط غازان وأرسله اليك فحلفه بيدو على ذلك فحلف نيروز وسار الى غازان وعمد نيروز الى قدر والقدر اسمها بالتركي غازان فوضع قدرا في جوالق وربطه وأرسله الى بيدو وفاء بيمينه والتقى الجمعان بنواحي همذان فقتل بيدو وهالك وكان مقتله في ذي الحجة سنة أربع وتسعين وستمائة فكانت مدة ملك بيدو نحو ثمانية أشهر وولي مكانه (غازان بن ارغون بن ابغا ابن هلاكو) وقتل اتابكه نيروز وأقام موضعه قطلوشاه وفي سنة تسع وتسعين وستمائة سار غازان المذكور الى الشام وملكها ولم يملك قلعتها وكر راجعا الى بلاده وأقام نوابه بالشام ثم خرجت العساكر المصرية لقتال التاتار فلما بلغهم ذلك تركوا المدينة وساروا الى بلادهم فلما بلغ غازان ذلك ارسل اتابكه قطلوشاه مع عساكر التاتار الى الشام وكانت الوقعة بين الصفين والكسوة فنصر الله تعالى المسلمين وولت التاتار [illegible]

بدري شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه سلم وفى خلافته مات أبولبابة بن عبد المنذر الانصارى وكان نقيبا شهد بدرا وقيل بل استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ورده من طريق بدر وضرب له بسهمه وفيها توفى معيقيب بن أبي فاطمة الدوسى له صحبة قديم الاسلام هاجر الى الحبشة الهجرة الثانية وكان على خاتم النبى صلى الله عليه وسلم وكان مجذوما واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال وكان معه الخاتم أيام عثمان فن يده وقع الخاتم وقيل انه توفى آخر خلافة عثمان

ثم دخلت سنة احدى واربعين

(ذكر تسليم الحسن بن على الخلافة الى معاوية)

كان أمير المؤمنين على قد بايعه اربعون ألفا من عسكره على الموت لما ظهر ما كان يخبرهم به عن اهل الشأم فبينما هو يتجهز للمسير قتل عليه السلام واذا أراد الله أمرا فلا مرد له فلما قتل وبايع الناس ولده الحسن بلغه مسير معاوية فى أهل الشأم اليه فتجهز هو والجيش الذين كانوا بايعوا عليا وسار عن الكوفة الى لقاء معاوية وكان قد نزل مسكن فوصل الحسن الى المدائن وجعل قيس بن سعد بن عبادة الانصارى على مقدمته فى اثنى عشر ألفا وقيل بل كان الحسن قد جعل على مقدمته عبد الله بن عباس فجعل عبد الله على مقدمته فى الطلائع قيس بن سعد بن عبادة فلما نزل الحسن المدائن نادى مناد فى العسكر الا ان قيس بن سعد قتل فانفروا فنفروا بسرادق الحسن فنهبوا متاعه حتى نازعوه بساطا كان تحته فازداد لهم بغضا ومنهم ذعرا ودخل المقصورة البيضاء بالمدائن وكان الامير على المدائن سعد بن مسعود الثقفى عم المختار بن ابي عبيد فقال له المختار وهو شاب هل لك فى الغنى والشرف قال وماذاك قال تستوثق من الحسن وتستأمن به الى معاوية فقال له عمه عليك لعنة الله اثب على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوثقه بئس الرجل أنت فلما رأى الحسن تفرق الامر عنه كتب الى معاوية وذكر شروطا وقال له ان انت اعطيتنى هذا فأنا سميع مطيع وعليك ان تفى لى به وقال لاخيه الحسين وعبد الله بن جعفر انى قد راسلت معاوية فى الصلح فقال له الحسين انشدك الله أن لا تصدق احدوثة معاوية وتكذب احدوثة ابيك فقال له الحسن اسكت أنا اعلم بالامر منك فلما انتهى كتاب الحسن الى معاوية امسكه وكان قد ارسل عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس الى الحسن قبل وصول الكتاب ومعهما صحيفة بيضاء مختوم على اسفلها وكتب اليه أن اشترط فى هذه الصحيفة التى ختمت اسفلها ما شئت فهو لك فلما اتت الصحيفة الى الحسن اشترط اضعاف الشروط التى سأل معاوية قبل ذلك وامسكها عنده فلما سلم الحسن الامر الى معاوية طلب أن يعطيه الشروط التى فى الصحيفة التى ختم عليها معاوية فأبى ذلك معاوية وقال له قد اعطيتك ما كنت تطلب فلما اصطلحا قام الحسن فى اهل العراق فقال يا أهل العراق انه سخى بنفسى عنكم ثلاث قتلكم ابى وطعنكم اياى وانتهابكم متاعى وكان الذى طلب الحسن من معاوية أن يعطيه ما فى بيت مال الكوفة ومبلغه خمسة آلاف ألف وخراج دارابجرد من فارس وان لا يشتم عليا فلم يجبه الى الكف عن شتم على فطلب أن لا يشتم وهو يسمع فأجابه الى ذلك ثم لم يف له به أيضا وأما خراج دارابجرد فان أهل البصرة منعوه منه وقالوا هو فيئنا لا نعطيه أحدا وكان

بعد ذلك حتى هلك فى سنة ثلاث وسبعمائة بنواحى الرى فكانت مدة ملكه ثمانى سنين وعشرة أشهر وملك بعده اخوه (خدابنده) ابن ارغون بن ابغا بن هلاكو الى ان هلك فى سابع عشرى رمضان سنة ست عشرة وسبعمائة وتولى بعده (أبو سعيد) وعمره اذ ذاك فوق عشر سنين وبقى الحكم لاتابكه واستمر ذلك الى سنة سبع وعشرين وسبعمائة ولم يصل الينا خبر من تولى بعده أتفق المؤرخون على انه لم يبق من بنى هلاكو من تحقق نسبه لكثرة ما وقع فيهم من القتل غيرة على الملك ومن تحاطب الاختفاء بشخصه خفى نسبه واستمرت بحار الفتن منهم تمور وتمور الى ان نبغ الاعرج تيمور فأهلك الحرث والنسل واختلط المليح بالبسل وحل بالعالم البأس وفسدت احوال الناس

(الباب الثالث والاربعون فى ذكر تيمور وما فعله من مفاسد الامور)

وهو أحد الدجالين الموعودين فى الاخبار النبوية ان يخرج على جميع البلاد الاسلامية ذكر صاحب المنتخب له نسبا يصل به الى جنكزخان من جهة النساء وكان رجلا ذا قامة شاهقة كأنه من بقايا العمالقة عظيم الجبهة والراس شديد القوة والبأس

منعهم بأمر معاوية أيضا وتسلم معاوية الامر لخمس بقين من ربيع الاول من هذه السنة وقيل في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى وقيل انما سلم الحسن الامر الى معاوية لانه لما راسله معاوية في تسليم الخلافة اليه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال انا والله ما يثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم وانما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع وكنتم في مسيركم الى صفين ودينكم امام دنياكم وأصبحتم اليوم ودنياكم امام دينكم الا وقد أصبحتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون له وقتيل بالنهروان تطلبون بثاره وأما الباقي فخاذل وأما الباكي فثائر الا وان معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة فان أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه الى الله عز وجل بظبا السيوف وان أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا فناداه الناس من كل جانب البقية البقية وأمض الصلح فلما عزم على تسليم الامر الى معاوية خطب الناس فقال أيها الناس انما نحن امراؤكم وضيفانكم ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وكرر ذلك حتى ما بقي في المجلس الا من بكى حتى سمع نشيجه فلما ساروا الى معاوية في الصلح فاصطلحا على ما ذكرناه وسلم اليه الحسن الامر وكانت خلافة الحسن على قول من يقول انه سلم الامر في ربيع الاول خمسة أشهر ونحو نصف شهر وعلى قول من يقول في ربيع الآخر يكون ستة أشهر وشيئا وعلى قول من يقول في جمادى الاولى يكون سبعة أشهر وشيئا والله تعالى أعلم ولما اصطلحا وبايع الحسن معاوية دخل معاوية الكوفة وبايعه الناس وكتب الحسن الى قيس بن سعد وهو على مقدمته في اثني عشر ألفا يأمره بالدخول في طاعة معاوية فقام قيس في الناس فقال أيها الناس اختاروا الدخول في طاعة امام ضلالة أو القتال مع غير امام فقال بعضهم بل نختار الدخول في طاعة امام ضلالة فبايعوا معاوية أيضا فانصرف قيس فيمن تبعه على ما نذكره ولما دخل معاوية الكوفة قال له عمرو بن العاص ليأمر الحسن ان يقوم فيخطب الناس ليظهر لهم عيه فخطب معاوية الناس ثم أمر الحسن أن يخطبهم فقام فحمد الله بديهة ثم قال أيها الناس ان الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول وان الله عز وجل قال لنبيه وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين فلما قاله قال له معاوية اجلس وحقدها على عمرو وقال هذا من رأيك ولحق الحسن بالمدينة وأهل بيته وحشمهم وجعل الناس يبكون عند مسيرهم من الكوفة وقيل للحسن ما حملك على ما فعلت فقال كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوما لا يثق بهم أحد أبدا الا غلب ليس أحد منهم يوافق آخر في رأي ولا هوى مختلفين لا نية لهم في خير ولا شر لقد لقي أبي منهم أمورا عظاما فليت شعري ان يصلحون بعدي وهي أسرع البلاد خرابا ولما سار الحسن من الكوفة عرض له رجل فقال له يا مسود وجوه المسلمين فقال لا تعذلني فان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام بني أمية ينزون على منبره رجلا فرجلا فساءه ذلك فأنزل الله عز وجل انا أعطيناك الكوثر وهو نهر في الجنة وانا أنزلناه في ليلة القدر الى قوله تعالى خير من ألف شهر يملكها بعدك بنو أمية

﴿ ذكر صلح معاوية وقيس بن سعد ﴾

وفيها جرى الصلح بين معاوية وقيس بن سعد وكان قيس امتنع من ذلك وسبب امتناعه ان

أبيض اللون مشربا بحمرة عظيم الأطراف عريض ١٧٦ الأكتاف مستكمل البنية مسترسل اللحية أعرج اليمنى وعيناه كشمعتين جهير الصوت لا يهاب الموت وكان من أبهته وعظمته ان ملوك الأطراف وسلاطين الأكناف مع استقلالهم بالسلطنة والسكة كانوا اذا قدموا عليه وتوجهوا بالهدايا والتقادم اليه يجلسون على أعتاب العبودية والخدمة نحوا من مد البصر مسافة واذا أراد منهم واحدا أرسل من الخدمة نحوه قاصدا فينادي ذلك الواحد باسمه فينهض في الحال ويعدو نحوه وكان بدو أمره وخروجه في حدود الستين وسبعمائة وهو من قرية تسمى خواجه ايلغار من اعمال الكش وهي مدينة من مدائن ما وراء النهر عن سمرقند نحو من ثلاثة عشر فرسخا ذكر انه لما ولد سقط على الارض ذلك السقيط كانت كفاه ملأى من الدم العبيط فقال بعضهم يكون شرطيا وقال بعض ينشأ لصا سفاحا وقال قوم يكون قصابا سفاكا وقال آخرون بل يصير جلادا بتاكا وكان أبوه رجلا فقيرا اسكافا ونشأ شابا جلدا لكنه من القلة كان يتصرم ففي بعض الليالي سرق غنمة واحتملها فشعر به الراعي فضربه بسهمين أصاب بأحدهما فخذه فأخطلها وبالأخرى كتفه فأبطلها فازداد كسرا على فقره وزما على شره ولم يلق سوى ثوب قطن فباعه واشترى بثمنه رأس ماعز وقصد الشيخ شمس الدين عبيد

عبيد الله بن عباس لما علم بما يريده الحسن من تسليم الامر الى معاوية كتب الى معاوية يسأله الامان لنفسه على ما أصاب من مال وغيره فأجابه الى ذلك وأرسل عبد الله بن عامر في جيش كثيف فخرج اليهم عبيد الله ليلا وترك جنده الذين هو عليهم بغير امير وفيهم قيس بن سعد فأمر ذلك الجند عليهم قيس بن سعد وتعاقدهو وهم على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة على ولمن كان معه على دمائهم وأموالهم وقيل ان قيسا كان هو الامير على ذلك الجيش في المقدمة على ما ذكرنا وكان شديد الكراهة لامارة معاوية بن أبي سفيان فلما بلغه ان الحسن بن على صالح معاوية اجتمع معه جمع كثير وبايعوه على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة على على دمائهم وأموالهم وما كانوا اصابوا في الفتنة فراسله معاوية يدعوه الى طاعته وأرسل اليه بسجل وختم على اسفله وقال له اكتب في هذا ما شئت فهو لك فقال عمرو لمعاوية لا تعطه هذا وقاتله فقال معاوية على رسلك فانا لا نخلص الى قتلهم حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام فما خير العيش بعد ذلك فانى والله لا أقاتله ابدا حتى لا اجد من قتاله بدا فلما بعث اليه معاوية ذلك السجل اشترط قيس له وللشيعة على الامان على ما اصابوا من الدماء والاموال ولم يسأل في سجله ذلك مالا واعطاه معاوية ما سأل ودخل قيس ومن معه في طاعته وكانوا يعدون دهاة الناس حين ثارت الفتنة خمسة يقال انهم ذوو رأى العرب ومكيدتهم معاوية وعمرو والمغيرة بن شعبة وقيس بن سعد وعبد الله بن بديل الخزاعي وكان قيس وابن بديل مع على وكان المغيرة معتزلا بالطائف ولما استقر الامر لمعاوية دخل عليه سعد بن ابي وقاص فقال السلام عليك أيها الملك فضحك معاوية وقال ما كان عليك يا أبا اسحق لو قلت يا امير المؤمنين فقال اتقولها جذلان ضاحكا والله ما أحب انى وليتها بما وليتها به

﴿ ذكر خروج الخوارج على معاوية ﴾

قد ذكرنا فيما تقدم اعتزال فروة بن نوفل الاشجعي في خمسمائة من الخوارج ومسيرهم الى شهرزور وتركوا قتال على والحسن فلما سلم الحسن الامر الى معاوية قالوا قد جاء الآن ما لا شك فيه فسيروا الى معاوية فجاهدوه فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى حلوا بالنخيلة عند الكوفة وكان الحسن بن على قد سار يريد المدينة فكتب اليه معاوية يدعوه الى قتال فروة فلحقه رسوله بالقادسية او قريبا منها فلم يرجع وكتب الى معاوية لو آثرت ان اقاتل أحدا من أهل القبلة لبدأت بقتالك فانى تركتك لصلاح الامة وحقن دمائها فأرسل اليهم معاوية جمعا من أهل الشام فقاتلوهم فانهزم أهل الشام فقال معاوية لاهل الكوفة والله لا امان لكم عندى حتى تكفوهم فخرج أهل الكوفة فقاتلوهم فقالت لهم الخوارج اليس معاوية عدونا وعدوكم دعونا حتى نقاتله فان أصبناه كنا قد كفينا كم عدوكم وان أصابنا كنتم قد كفيتمونا فقالوا لابد لنا من قتالكم فأخذت أشجع صاحبهم فروة فحادثوه ووعظوه فلم يرجع فأخذوه قهرا وادخلوه الكوفة فاستعمل الخوارج عليهم عبد الله بن أبي الحوساء رجلا من طيء فقاتلهم أهل الكوفة فقتلوهم في ربيع الاول وقيل في ربيع الآخر وقتل ابن أبي الحوساء وكان ابن أبي الحوساء حين ولى امر الخوارج قد خوف من السلطان ان يصلبه فقال

ما ان أبالى اذا أرواحنا قبضت * ماذا فعلتم بأوصال وأبشار

الفاخورى في مدينة كش وقد ربط بطرف حبل عنق الماعز وربط عنقه بالطرف الآخر وجعل يتشحط على عصا من جريد حتى دخل كما يدخل على الشيخ المريد فصادفه هو والفقراء مشغولين بالذكر ومستغرقين فيما هم فيه من الوجد والفكر فلا زال قائما في صف النعال حتى أفاقوا من حالهم وسكنوا عن قالهم فلما وقع نظر الشيخ عليه سارع الى تقبيل يديه وانكب على رجليه فتفكر الشيخ ساعة ثم رفع رأسه الى الجماعة وقال كان هذا الرجل بذل عرضه وعروضه واستمدنا في طلب ما لا يساوى عند الله جناح بعوضة فترى ان نمده ولا نحرمه ولا نرده فأمدوه بالدعاء اسعافا لما طلبه فاشبهت قصته قصة ثعلبة ورجع من عند الشيخ وخرج وعرج بعد ما عرج الى ما عرج ولما قدم خراسان اجتمع مع الشيخ زين الدين ابى بكر الخوافى وانكب على رجليه فوضع الشيخ على ظهره يديه فقال تيمور لولا ان الشيخ رفع يديه عن ظهرى بسرعة لتحطمت ارتض ولقد تصورت ان السماء قد وقعت على الارض وأنا بينهما رضضت أشد رض ثم انه جاس بين يديه وقال يا مولانا

تجرى المجرة والنسران عن قدر * والشمس والقمر السارى بمقدار
وقد علمت وخير القول انفعه * ان السعيد الذى ينجو من النار

﴿ذكر خروج حوثرة بن وداع﴾

ولما قتل ابن ابى الحوساء اجتمع الخوارج فولوا امرهم حوثرة بن وداع بن مسعود الاسدى فقام فيهم وعاب فروة بن نوفل لشكه فى قتال على ودعا الخوارج وسار من براز الروز وكان بها حتى قدم النخيلة فى مائة وخمسين وانضم اليه فل ابن ابى الحوساء وهم قليل فدعا معاوية أبا حوثرة فقال له اخرج الى ابنك فلعله يرق اذا رآك فخرج اليه وكلمه وناشده وقال الا أجيئك بابنك فلعلك اذا رأيته كرهت فراقه فقال انا الى طعنة من يد كافر برمح اتقلب فيه ساعة اشوق منى الى ابنى فرجع أبوه فاخبر معاوية بقوله فسير معاوية اليهم عبد الله بن عوف الاحمر فى ألفين وخرج أبو حوثرة فيمن خرج فدعا ابنه الى البراز فقال يا أبت لك فى غيرى سعة وقاتلهم ابن عوف وصبروا وبارز حوثرة عبد الله بن عوف فطعنه ابن عوف فقتله وقتل أصحابه الا خمسين رجلا دخلوا الكوفة وذلك فى جمادى الآخرة سنة احدى وأربعين ورأى ابن عوف بوجه حوثرة أثر السجود وكان صاحب عبادة فندم على قتله وقال

قتلت أخا بنى أسد سفاها * لعمر أبى فما لقيت رشدى
قتلت مصليا محيا الليل * طويل الحزن ذا بر وقصد
قتلت أخا تقى لانال دنيا * وذاك لشقوتى وعثار جدى
فهب لى توبة يارب واغفر * لما قارفت من خطا وعمد

﴿ذكر خروج فروة بن نوفل ومقتله﴾

ثم ان فروة بن نوفل الاشجعى خرج على المغيرة بن شعبة بعد مسير معاوية فوجه اليه المغيرة خيلا عليها شبث بن ربعى ويقال معقل بن قيس فلقيه بشهرزور فقتله وقيل قتل بعض السواد

﴿ذكر شبيب بن بجرة﴾

كان شبيب مع ابن ملجم حين قتل عليا فلما دخل معاوية الكوفة أتاه شبيب كالمتقرب اليه فقال انا وابن ملجم قتلنا عليا فوثب معاوية من مجلسه مذعورا حتى دخل منزله وبعث الى أشجع وقال لئن رأيت شبيبا أو بلغنى انه ببابى لاهلكنكم أخرجوه عن بلدكم وكان شبيب اذا جن عليه الليل خرج فلم يلق أحدا الا قتله فلما ولى المغيرة الكوفة خرج عليه بالطف قريب الكوفة فبعث اليه المغيرة خيلا عليها خالد بن عرفطة وقيل معقل بن قيس فاقتتلوا فقتل شبيب وأصحابه

﴿ذكر معين الخارجى﴾

وبلغ المغيرة ان معين بن عبد الله يريد الخروج وهو رجل من محارب وكان اسمه معنا فصغر فارسل اليه وعنده جماعة فأخذ وحبس وبعث المغيرة الى معاوية يخبره امره فكتب اليه ان شهد انى خليفة فخل سبيله فأحضره المغيرة وقال له اتشهد ان معاوية خليفة وانه امير المؤمنين فقال أشهد ان الله عز وجل حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور فأمر به فقتل قتله قبيصة الهلالى فلما كان أيام بشر بن مروان جلس رجل من الخوارج على باب قبيصة حتى خرج فقتله ولم يعرف قاتله حتى خرج قاتله مع شبيب بن يزيد فلما قدم الكوفة

قال

الشيخ لا تأمرون ملوككم بالعدل والانصاف وان لا يميلوا الى الجور والاعتساف فقال له الشيخ أمرناهم بذلك فلم يأتمروا فسلطك عليهم فخرج من فوره من عند الشيخ وقد قامت منه العدية وهو قائل ملكت الدنيا ورب الكعبة فانه كان يقول جميع ما نلته بدعوة الشيخ شمس الدين الباخرزى وهمة الشيخ زين الدين الخوافى والسيد محمد بركة وكان من أمره انه هو ورفقاؤه كانوا يتحرمون فى بلاد ماوراء النهر حتى شعر بهم السلطان حسين صاحب هراة فظفر به فبعد ضربه امر بصلبه وكان للسلطان ولد رآه غير متين يدعى الملك غياث الدين فشفع فيه واستوهبه من أبيه فقال له أبوه هذا يفتاى حراى مادة الفساد لئن أبقى ليملكن البلاد والعباد فقال له ابنه وما عسى ان يصدر من نصف آدمى وقد أصيب بالدواهى ورمى فوهبه اياه فوكل به من داواه الى ان اندمل جرحه وبرى قرحه فكان فى خدمته فقربه وزوجه بشقيقته ثم انه غاضبها فى بعض الايام فقتلها ثم لم يسعه الا الخروج والعصيان والتمرد والطغيان الى ان كان من أمره ما كان

قال يا أعداء الله أنا قاتل قبيصة

﴿ذكر خروج أبي مريم﴾

ثم خرج أبو مريم مولى بني الحرث بن كعب ومعه امرأتان قطام وكحيلة وكان أول من أخرج معه النساء فعاب ذلك عليه أبو بلال بن أدية فقال قد قاتل النساء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين بالشام وسأردهما فردهما فوجه اليه المغيرة جابرا البجلي فقاتله فقتل أبو مريم وأصحابه ببادوريا

﴿ذكر خروج أبي ليلى﴾

وكان أبو ليلى رجلا اسود طويلا فأخذ بعضادتي باب المسجد بالكوفة وفيه عدة من الاشراف وحكم بصوت عال فلم يعرض له أحد فخرج وتبعه ثلاثون رجلا من الموالي فبعث فيه المغيرة معقل بن قيس الرياحي فقتله بسواد الكوفة سنة اثنتين وأربعين

﴿ذكر استعمال المغيرة بن شعبة على الكوفة﴾

وفيها استعمل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة فأتاه المغيرة بن شعبة فقال له استعملت عبد الله على الكوفة وأباه على مصر فتكون امير ابين نابي الاسد فعزله عنها واستعمل المغيرة على الكوفة وبلغ عمرا ما قال المغيرة فدخل على معاوية فقال استعملت المغيرة على الخراج فيغتال المال ولا تستطيع ان تأخذه منه استعمل على الخراج رجلا يخافك ويتقيك فعزله عن الخراج واستعمله على الصلاة ولما ولي المغيرة الكوفة استعمل كثير بن شهاب على الري وكان يكثر سب علي على منبر الري وبقي عليها الى ان ولي زياد الكوفة فأقره عليها وغزا الديلم ومعه عبد الله بن الحجاج التغلبي وقتل ديلميا وأخذ سلبه فأخذه منه كثير فناشده الله في رده عليه فلم يفعل فاختفى له وضربه على وجهه بالسيف أو بعصا هشم وجهه فقال

من مبلغ ابناء خندف انني * ادركت طائلتي من ابن شهاب
أدركته ليلا بعقوة داره * فضربته قدما على الانياب
هلا خشيت وأنت عاد ظالم * بقصور أبهر أسرتي وعقابي

﴿ذكر ولاية بسر على البصرة﴾

في هذه السنة ولي بسر بن ابي ارطاة البصرة وكان السبب في ذلك ان الحسن لما صالح معاوية أول سنة احدى وأربعين وثب حمران بن ابان على البصرة فأخذها وغلب عليها فبعث اليه معاوية بسر بن ابي ارطاة وأمره بقتل بني زياد بن ابيه وكان زياد على فارس قد أرسله اليها علي ابن ابي طالب فلما قدم بسر البصرة خطب على منبرها وشتم عليا ثم قال نشدت الله رجلا يعلم اني صادق الاصدقني أو كاذب الا كذبني فقال ابو بكرة اللهم انا لا نعلمك الا كاذبا قال فأمر به فخنق فقام ابو لؤلؤة الضبي فرمى بنفسه عليه فمنعه واقطعه ابو بكرة مائة جريب وقيل لابي بكرة ما حملك على ذلك فقال يناشدنا بالله ثم لا نصدقه وأرسل معاوية الى زياد ان في يدك مالا من مال الله فأد ما عندك منه فكتب اليه زياد انه لم يبق عندي شئ ولقد صرفت ما كان عندي في وجهه واستودعت بعضه لنازلة ان نزلت وحملت ما فضل الى أمير المؤمنين رحمة الله عليه فكتب اليه معاوية أن اقبل ننظر فيما وليت فان استقام بيننا امر والا رجعت الى مأمنك فامتنع فأخذ

حتى استصفى ممالك ما وراء النهر وذلك لاوامره جوامع الدهر وشرع في استخلاص البلاد واسترقاق العباد فكان يجري في جسد العالم مجرى الشيطان من بني آدم ويدب في البلاد دبيب السم في الاجساد ومن رأيه انه صاهر المغل وصافاهم وهادنهم وهاداهم وتزوج بنت ملكهم قمر الدين خان فامن شرهم وكفي ضرهم ثم أرسل الى مخدومه سلطان هراة الملك غياث الدين الذي كان مغيثه عملا بقوله كتب الله على كل نفس خبيثة ان لا تخرج من الدنيا حتى تسيء الى من أحسن اليها وطلب منه الدخول في طاعته فأرسل غياث الدين يقول صحبة الرسول اما كنت خادما لي وأحسنت اليك وأسبلت ذيل نعمتي عليك وذلك بعد ان نجيتك من الضرب والصلب فان لم تكن انسانا يعرف الاحسان فكن كالكلب فدبر جيحون وتوجه اليه فلم يكن لغياث الدين قوة الى الوقوف بين يديه فحصن نفسه في القلعة فحسب ان يكون له بذلك منعة فأمنه وقبض عليه واحتاط على ملك يديه وكان حلف ان لا يريق له دما ولكن قتله في الحبس جوعا وظما ثم عاد

بسر أولاد زياد الاكابر منهم عبد الرحمن وعبد الله وعباد وكتب الى زياد لتقدمن على أمير المؤمنين أو لاقتلن بنيك فكتب اليه زياد لست بارح من مكاني حتى يحكم الله بيني وبين صاحبك وان قتلت ولدي فالمصير الى الله ومن ورائنا الحساب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فأراد بسر قتلهم فأتاه أبو بكرة فقال قد أخذت ولد أخي بلا ذنب وقد صالح الحسن معاوية على ما أصاب أصحاب علي حيث كانوا فليس عليهم ولا على أبيهم سبيل وأجله اياما حتى يأتيه بكتاب معاوية فركب ابو بكرة الى معاوية وهو بالكوفة فلما أتاه قال له يا معاوية ان الناس لم يعطوك بيعتهم على قتل الاطفال قال وما ذاك يا ابا بكرة قال بسر يريد قتل بني اخي زياد فكتب له بتخليتهم فأخذ كتابه الى بسر بالكف عن اولاد زياد وعاد فوصل البصرة يوم الميعاد وقد اخرج بسر أولاد زياد مع طلوع الشمس ينتظر بهم الغروب ليقتلهم واجتمع الناس لذلك وهم ينتظرون ابا بكرة اذ رفع لهم على نجيب او برذون يكده فوقف عليه ونزل عنه والاح بثوبه وكبر وكبر الناس معه فاقبل يسعى على رجليه فأدرك بسرا قبل ان يقتلهم فدفع اليه كتاب معاوية فأطلقهم وقد كان معاوية كتب الى زياد حين قتل علي يتهدده فقام خطيبا فقال العجب من ابن آكلة الاكباد وكهف النفاق ورئيس الاحزاب يتهددني وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس والحسن بن علي في سبعين ألفا واضعي سيوفهم على عواتقهم اما والله لئن خاص الي ليجدني أحمز ضرابا بالسيف فلما صالح الحسن معاوية وقدم معاوية الكوفة تحصن زياد في القلعة التي يقال لها قلعة زياد (قول من قال في هذا ان زيادا عني ابن عباس وهم لان ابن عباس فارق عليا في حياته وقيل ان معاوية أرسل هذا الى زياد في حياة علي فقال زياد هذه المقالة وعني بها عليا وكتب زياد الى علي يخبره بما كتب اليه معاوية فأجابه بما هو مشهور وقد ذكرناه في استلحاق معاوية زيادا (كل ما في هذا الخبر بسر فهو بضم الباء الموحدة والسين المهملة الساكنة)

﴿ذكر ولاية ابن عامر البصرة لمعاوية﴾

ثم اراد معاوية ان يولي عتبة بن أبي سفيان البصرة فكلمه ابن عامر وقال له ان لي بالبصرة ودائع وأموالا فان لم توليني عليها ذهبت فولاه البصرة فقدمها في آخر سنة احدى واربعين وجعل اليه خراسان وسجستان فجعل على شرطته حبيب بن شهاب وعلى القضاء عميرة بن يثربي اخا عمرو وقد تقدم في وقعة الجمل ان عميرة قتل فيها وقيل عمرو وهو المقتول والله سبحانه اعلم بالصواب

﴿ذكر ولاية قيس بن الهيثم خراسان﴾

وفي هذه السنة استعمل ابن عامر قيس بن الهيثم السلمي على خراسان وكان أهل باذغيس وهراة وبوشنج قد نكثوا فسار الى بلخ فأخرب نوبهارها وكان الذي تولى ذلك عطاء بن السائب مولى بني ليث وهو الخشك وانما سمي عطاء الخشك لانه اول من دخل مدينة هراة من المسلمين من باب خشك واتخذ قناطر على ثلاثة انهار من بلخ على فرسخ فقيل قناطر عطاء ثم ان اهل بلخ سألوا الصلح ومراجعة الطاعة فصالحهم قيس وقيل انما صالحهم الربيع بن زياد سنة احدى وخمسين وسيرد ذكره ثم قدم قيس على ابن عامر فضربه وحبسه واستعمل عبد الله بن خازم فأرسل اليه أهل هراة وباذغيس وبوشنج يطلبون الامان والصلح فصالحهم وحمل الى ابن عامر مالا (عبد الله بن خازم بالخاء المعجمة)

الى خراسان ونوى الانتقام من اهل سجستان فوضع السيف فيهم وافناهم عن بكرة أبيهم ثم خرب المدينة فلم يبق بها شجر ولا مدر ولا عين ولا أثر ورحل عنها وليس بها داع ولا مجيب وما فعل ذلك بهم الا لانه اولا منهم أصيب ذكر الشيخ عبد اللطيف الكرماني ان الذين تخلصوا من القتل من اهل سجستان هزيمة لما تراجعوا اليها بعد رجوع تيمور عنها أرادوا ان يعمروها فاضلوا يوم الجمعة وما اهتدوا اليه حتى أرسلوا الى كرمان من دلهم عليه ولما خلص لجميع ممالك العجم ودانت له ملوكهم والامم بلغه ان فيروزشاه سلطان الهند انتقل الى رحمة الله ولم يكن له ولد خليفة فعسى ان يتولى تلك الوظيفة فوصل اليها وقتل اقيالها وتسلم اذيالها وقد وفد عليه المبشر بان أحمد حاكم سيواس والملك الظاهر برقوق حاكم مصر والشام انتقلا الى دار السلام فسر بذلك صدره وانشرح وكاد ان يطير لموتهما من الفرح فأقام في الهند ناقبا وتوجه نحو مدينة سيواس وكان بعد وفاة واليها استولى عليها الامير سليمان بن السلطان بايزيد يلدرم خان ابن مراد خان بن عثمان خان

ذكر خروج سهم بن غالب

وفي هذه السنة خرج سهم بن غالب الهجيمي على ابن عامر في سبعين رجلا منهم الخطيم الباهلي وهو يزيد بن مالك وانما قيل له الخطيم لضربة ضربها على وجهه فنزلوا بين الجسرين والبصرة فمر بهم عبادة بن فرص الليثي من الغزو ومعه ابنه وابن أخيه فقال لهم الخوارج من أنتم قالوا قوم مسلمون قالوا كذبتم قال عبادة سبحان الله اقبلوا منا ما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم مني فاني كذبته وقاتلته ثم اتيته فأسلمت فقبل ذلك مني قالوا أنت كافر وقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه فخرج اليهم ابن عامر بنفسه وقاتلهم فقتل منهم عدة وانحاز بقيتهم الى اجمة وفيهم سهم والخطيم فعرض عليهم ابن عامر الامان فقبلوه فأمنهم فرجعوا فكتب اليه معاوية يأمره بقتلهم فكتب اليه ابن عامر اني قد جعلت لهم ذمتك فلما أتى زياد البصرة سنة خمس وأربعين هرب سهم والخطيم فخرجا الى الاهواز فاجتمع الى سهم جماعة فأقبل بهم الى البصرة فأخذ قوما فقالوا نحن يهود فخلاهم وقتل سعدا مولى قدامة بن مظعون فلما وصل الى البصرة تفرق عنه أصحابه فاختفى سهم وقيل انهم تفرقوا عند استخفائه فطلب الامان وظن انه يسوغ له عند زياد ما ساغ له عند ابن عامر فلم يؤمنه زياد وبحث عنه فدل عليه فأخذه وقتله وصلبه في داره وقيل لم يزل مستخفيا الى ان مات زياد فأخذه عبيد الله بن زياد فصلبه سنة أربع وخمسين وقيل قبل ذلك فقال رجل من الخوارج

فان تكن الاحزاب باؤا بصلبه * فلا يبعدن الله سهم بن غالب

وأما الخطيم فانه سأله زياد عن قتله عبادة فأنكره فسيره الى البحرين ثم أعاده بعد ذلك

ذكر عدة حوادث

قيل وفي هذه السنة ولد علي بن عبد الله بن عباس وقيل ولد سنة أربعين قبل ان يقتل علي والاول أصح وباسم علي سماه وقال سميته باسم أحب الناس الي وحج بالناس هذه السنة عتبة ابن ابي سفيان وقيل عنبسة بن ابي سفيان وفي هذه السنة استعمل عمرو بن العاص عقبة بن نافع ابن عبد قيس وهو ابن خالة عمرو على افريقية فانتهى الى لواتة ومزاتة فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سنته فقتل وسبى ثم افتتح في سنة اثنتين واربعين غدامس فقتل وسبى وفتح في سنة ثلاث واربعين كورا من كور السودان وافتتح ودان وهي من برقة وافتتح عامة بلاد بربر وهو الذي اختط القيروان سنة خمسين وسيذكر ان شاء الله تعالى وفيها مات لبيد بن ربيعة الشاعر وقيل مات يوم دخل معاوية الكوفة وعمره مائة سنة وسبع وخمسون سنة وقيل مات في خلافة عثمان وله صحبة وترك الشعر مذ أسلم

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين

في هذه السنة غزا المسلمون اللان وغزوا الروم ايضا فهزموهم هزيمة منكرة وقتلوا جماعة من بطارقتهم وفيها ولد الحجاج بن يوسف في قول وفيها ولى معاوية مروان بن الحكم المدينة وولى خالد بن العاص بن هشام مكة فاستقضى مروان عبد الله بن الحرث بن نوفل وكان على الكوفة المغيرة بن شعبة وعلى قضائها شريح وعلى خراسان قيس بن الهيثم استعمله ابن عامر وقيل استعمله معاوية لما استقامت له الامور فلما ولى ابن عامر البصرة أقره عليها

فوصل اليها تيمور بتلك السيول الهامية فقال انا فاتح هذه المدينة والقلعة في ثمانية عشر يوما وكانوا قد حصنوا المدينة والقلعة فأقام في محاصرتها وفتحها في اليوم الثامن عشر وذلك بعد ان حلف لاهل البلدان لا يريق دمهم وانه يرعى ذممهم ويحفظ حرمتهم وحرمهم فلما دخل المدينة ربطهم في الرباق سربا وحفر لهم في الارض سربا والقاهم احياء في تلك الاخاديد وعدد من أتى في تلك الحفر كان ثلاثة آلاف نفر ثم اطلق النهب للنهاب واتبع الاسر والخراب وانمحت مراسم نقوشها فهي خاوية على عروشها ولما استوفى سيواس حصدا ورعيا فوق سهام الانتقام الى نحو الممالك الشامية كالجراد المنتشر فوصل اليها وختل وقتل وفعل فعلته التي فعل وقد ذكرت تفصيله في ذكر فرج ابن برقوق ولم يتعدهم احد جسر يعقوب فرجع الى طريقه العوجا حتى وصل الى الموصل وهو يمحو آثار الاسلام ثم توجه الى مدينة بغداد فلما سمع السلطان أحمد ذلك استناب مكانه نائبا ولحق هو الى سلطان الروم بايزيدخان فاخذها عنوة يوم عيد

(ذكر الخبر عن تحرك الخوارج)

وفي هذه السنة تحركت الخوارج الذين كانوا انحازوا عمن قتل في النهر ومن كان ارتثمن جراحته في النهر فبرؤا وعفا علي عنهم وكان سبب خروجهم ان حيان بن ظبيان السلمي كان خارجيا وكان قد ارتث يوم النهر فلما برأ لحق بالري في رجال معه فأقاموا بها حتى بلغهم مقتل علي فدعا أصحابه وكانوا بضعة عشر أحدهم سالم بن ربيعة العبسي فاعلمهم بقتل علي فقال سالم لا شلت يمين علت قذاله بالسيف وحمدوا الله على قتله رضي الله عنه ولا رضي عنهم ثم ان سالما رجع عن رأي الخوارج بعد ذلك وصلح ودعاهم حيان الى الخروج ومقاتلة اهل القبلة فاقبلوا الى الكوفة فأقاموا بها حتى قدمها معاوية واستعمل على الكوفة المغيرة ابن شعبة فأحب العافية واحسن السيرة وكان يؤتى فيقال له ان فلانا يرى رأي الشيعة وفلانا يرى رأي الخوارج فيقول قضى الله ان لا يزالوا مختلفين وسيحكم الله بين عباده فأمنه الناس وكان الخوارج يلقى بعضهم بعضا ويتذاكرون مكان اخوانهم بالنهر فاجتمعوا على ثلاثة نفر على المستورد بن علفة التيمي من تيم الرباب وعلى معاذ بن جوين الطائي وهو ابن عم زيد بن حصين الذي قتل يوم النهر وعلى حيان بن ظبيان السلمي واجتمعوا في أربعمائة فتشاوروا فيمن يولون عليهم فكلهم دفع الامارة عن نفسه ثم اتفقوا فولوا المستورد وبايعوه وذلك في جمادى الآخرة واتعدوا للخروج واستعدوا وكان خروجهم غرة شعبان سنة ثلاث وأربعين (علفة بضم العين المهملة وتشديد اللام المكسورة وفتح الفاء)

(ذكر قدوم زياد على معاوية)

وفي هذه السنة قدم زياد على معاوية وكان سبب ذلك ان زيادا كان قد استودع ماله عبد الرحمن ابن أبي بكرة وكان عبد الرحمن يلي ماله بالبصرة وبلغ معاوية ذلك فبعث المغيرة بن شعبة لينظر في أموال زياد فأخذ عبد الرحمن فقال له ان كان أبوك قد اساء الي لقد أحسن عمك يعني زيادا وكتب الى معاوية اني لم أجد في يد عبد الرحمن مالا يحل لي أخذه فكتب اليه معاويه أن عذب عبد الرحمن فاراد ان يعذره وبلغ ذلك معاوية فقال لعبد الرحمن احتفظ بما في يديك والق على وجهه حريرة ونضحها بالماء فغشي عليه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم خلاه وكتب الى معاوية اني عذبته فلم أصب عنده شيأ وحفظ لزياد يده عنده ثم دخل المغيرة على معاوية فقال معاوية حين رآه

اغما موضع سر المرء ان • باح بالسر اخوه المنتصح

فاذا بحت بسر فالى • ناصح يستره اولا تبح

فقال المغيرة يا امير المؤمنين ان تستودعني تستودع ناصحا مشفقا وما ذلك فقال له معاوية ذكرت زيادا واعتصامه بفارس فلم أنم ليلتي فقال المغيرة ما زياد هناك فقال معاوية داهية العرب معه أموال فارس يدبر الحيل ما يؤمنني ان يبايع لرجل من اهل هذا البيت فاذا هو قد اعاد الحرب جذعة فقال المغيرة أتأذن لي يا امير المؤمنين في اتيانه قال نعم وتلطف له فأتاه المغيرة وقال له ان معاوية استخفه الوجل حتى بعثني اليك ولم يكن احد يمد يده الى هذا الامر غير الحسن وقد بايع فخذ لنفسك قبل التوطين فيستغني معاوية عنك قال اشر علي وارم الغرض الاقصى فان المستشار مؤتمن فقال له المغيرة أرى ان تصل حبلك بحبله وتشخص اليه ويقضي الله وكتب

الاقصى تتقرب على زعمه بان جعل السلطان قرابين ثم امر عسكره بان يأتيه كل واحد من أهل بغداد برأسين ثم اتوا بهم وطرحوا ابدانهم في تلك الميادين وجمع رؤسهم فبنى بها مباذين وعجز بعض الجند عن رؤس الرجال فقطع رؤس النساء والاطفال ثم ان تيمور خرب المدينة بعد ان اخذ ما بها من الاموال والخزينة وابقاها عشش البوم والغراب في أماكنهم فأصبحوا الاترى الامساكنهم ثم الوى بتلك الاتراك ناحية قراباغ ونوى السير نحو ممالك الروم فراسل سلطانها بايزيد المجاهد الغازي وجعل السلطان أحمد حاكم بغداد وقره يوسف حاكم اذربيجان سببا وذكر انهما من سطوات سيوفه هربا فتوجه نحوه فكان لا يدخل قرية الا أفسدها ولا ينزل على مدينة الا عاثها وبددها فلما بلغ السلطان بايزيد يحيى ذلك العمد توجه الى ملاقاته فاجتمع العسكران على نحو ميل من مدينة انقرة واشتغل الحرب بين الفريقين من الضحى الى العصر فآلت الى أسر ابن عثمان وكان من أمره ما كان وقتل غالب عسكره من العطش لانه كان ثامن عشر تموز وكان نهار الاربعاء سابع عشر ذي الحجة

اليه معاوية بامانه بعد عود المغيرة عنه فخرج زياد من فارس نحو معاوية ومعه المنجاب بن راشد الضبي وحارثة بن بدر الغداني وسرح عبد الله بن عامر عبد الله بن خازم في جماعة الى فارس وقال لعلك تلقى زيادا في طريقك فتأخذه فسار ابن خازم فلقي زيادا بارجان فأخذ بعنانه وقال انزل يا زياد فقال له المنجاب تنح يا ابن السوداء والا علقت يدك بالعنان وكانت بينهم منازعة فقال له زياد قد أتاني كتاب معاوية وامانه فتركه ابن خازم وقدم زياد على معاوية وسأله عن أموال فارس فأخبره بما حمل منها الى علي وبما أنفق منها في الوجوه التي تحتاج الى النفقة وما بقي عنده وانه مودع للمسلمين فصدقه معاوية فيما انفق وفيما بقي عنده وقبضه منه وقيل ان زيادا لما قال لمعاوية قد بقيت بقية من المال وقد أودعتها امكث معاوية يردده فكتب زياد كتبا الى قوم اودعهم المال وقال لهم قد علمتم ما لي عندكم من الامانة فتدبروا كتاب الله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية فاحتفظوا بما قبلكم وسمى في الكتب المال الذي اقر به لمعاوية وأمر رسوله ان يتعرض لبعض من يبلغ ذلك معاوية ففعل رسوله وانتشر ذلك فقال معاوية لزياد حين وقف على الكتب اخاف ان تكون مكرت بي فصالحني على ما شئت فصالحه على شيء حمله اليه ومبلغه ألف ألف درهم واستأذنه في نزول الكوفة فأذن له فكان المغيرة يكرمه ويعظمه فكتب معاوية الى المغيرة ليلزم زيادا وحجر بن عدي وسليمان بن صرد وشبث بن ربعي وابن الكوا ابن الحمق بالصلاة في الجماعة فكانوا يحضرون معه الصلاة وانما ألزمهم ذلك لانهم كانوا من شيعة علي)

(ذكر عدة حوادث)

و حج هذه السنة بالناس عنبسة بن أبي سفيان وفيها مات حبيب بن مسلمة الفهري بارمينية وكان أميرا لمعاوية عليها وكان قد شهد معه حروبه كلها وفيها مات عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري له صحبة وفيها مات ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب وهو الذي صارع النبي صلى الله عليه وسلم وصفوان بن امية بن خلف الجمحي وله صحبة وفيها مات هانئ بن نيار بن عمرو الانصاري وهو خال البراء بن عازب وقيل سنة خمس وأربعين وكان بدريا عقبيا (نيار بكسر النون وفتح الياء تحتها نقطتان وآخره راء)

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

في هذه السنة غزا بسر بن ابي ارطاة الروم وشتى بارضهم حتى بلغ القسطنطينية فيما زعم الواقدي وانكر ذلك قوم من أهل الاخبار وقالوا لم يشت بسر بأرض الروم قط وفيها مات عمرو ابن العاص بمصر يوم الفطر وكان عمل عليها لعمر أربع سنين ولعثمان أربع سنين الا شهرين ولمعاوية سنتين الا شهرا وفيها ولى معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص مصر فوليها نحوا من سنتين وفيها مات محمد بن مسلمة بالمدينة في صفر وصلى عليه مروان بن الحكم وعمره سبع وسبعون سنة

(ذكر مقتل المستورد الخارجي)

وفيها قتل المستورد بن علفة التيمي تيم الرباب وقد ذكرنا سنة اثنتين وأربعين حركة الخوارج و بيعتهم له ومخاطبته بأمير المؤمنين فلما كان هذه السنة اخبر المغيرة بن شعبة بأنهم اجتمعوا في

سنة أربع وثمانمائة وما حصل لرأس مملكة الروم هذه الوعكة واندعكت اجسام عساكره اقوى دعكة ووقع السلطان في حبالة وعلم انه غير ناج من مطالبه قال لتيمور ولي اليك ثلاث نصائح هن تطهير الدنيا والآخرة لوائح أولاهن ان لا تقتل رجال الاروام فانهم ردء الاسلام وأنت أولى بنصرة الدين لانك تزعم انك من المسلمين ثانيتهن ان لا تترك التاتار بهذه الديار ولا تذر على أرض الروم منهم ديارا فانك ان تذرهم يملؤها من قبائلهم نارا وهم على المسلمين أضر من النصارى ثالثتهن ان لا تمدد يدك بالتخريب في قلاع المسلمين وحصونهم ولا تجليهم عن مواطن حركتهم وسكونهم فانها معاقل الدين وملجأ الغزاة المجاهدين هذه امانة حملتكها و ولاية قلدتكها فقبلها منه بأحسن قبول وحمل هذه الامانة ذلك الجهول ولما صفا لتيمور شرب ممالك الروم من الكدر وقضى جيشه من القارة الوطر واندرج الى رحمة ربه السلطان بايزيد وكان معه مكبلا في قفص من حديد و بعد ما سبكوا الاشباح وسلبوا الارواح ولم يخلص من شرهم من رعايا الروم الا الثلث أو الربع بعد ان جعل أهلها بين المحترقة والمختنقة والموقوذة والنطيحة وما أكل السبع قرر كل أمير من امراء الروم على ولايته وزاد في رعايته وأمرهم بأن يخطبوا له وان يضربوا السكة باسمه فامتثلوا اوامره واجتنبوا زواجره ثم ان تيمور رجع الى

منزل حيان بن ظبيان السلمي واتعدوا الخروج غرة شعبان فارسل المغيرة صاحب شرطته وهو قبيصة بن الدمون فاحاط بدار حيان هو ومن معه واذا عنده معاذ بن جوين ونحو عشرين رجلا وثارت امرأته وهي ام ولد كانت له كارهة فاخذت سيوفهم فالقتها تحت الفراش وقاموا لياخذوا سيوفهم فلم يجدوها فاستسلموا فانطلق بهم الى المغيرة فحبسهم بعد ان قررهم فلم يعترفوا بشئ وذكروا انهم اجتمعوا للقراءة القرآن ولم يزالوا في السجن نحو سنة وسمع اخوانهم فحذروا وخرج صاحبهم المستورد فنزل الحيرة واختلفت الخوارج اليه فرآهم حجار بن أبجر فسألوه ان يكتم عليهم ليلتهم تلك فقال لهم سأكتم عليكم الدهر فخادوه ان يذكر حالهم للمغيرة فتحولوا الى دار سليم بن محدوج العبدي وكان صهرا للمستورد ولم يذكر حجار من أخبارهم شيأ وبلغ المغيرة خبرهم وانهم عازمون على الخروج تلك الايام فقام في الناس فحمد الله ثم قال لقد علمتم اني لم أزل احب لجماعتكم العافية واكف عنكم الاذى وخشيت ان يكون ذلك ادب سوء لسفهائكم وقد خشيت من ان لانجد بدا من ان لا يؤخذ الحليم التقي بذنب الجاهل السفيه فكفوا عنا سفهائكم قبل ان يشمل البلاء عوامكم وقد بلغنا ان رجالا يريدون ان يظاهروا في المصر بالشقاق والنفاق والخلاف وايم الله لا يخرجون في حي من احياء العرب الا أهلكتهم وجعلتهم نكالا لمن بعدهم فقام اليه معقل بن قيس الرياحي فقال أيها الامير اعلمنا هؤلاء القوم فان كانوا منا كفيناكهم وان كانوا غيرنا امرت اهل الطاعة فأتتك كل قبيلة بسفهائهم فقال ما منهم لي احد باسمه فقال معقل أنا أكفيك قومي فليكفك كل رئيس قومه فاحضر المغيرة الرؤساء وقال لهم ليكفني كل رجل منكم قومه والا فوالله لاتحولن عما تعرفون الى ما تنكرون وعما تحبون الى ما تكرهون فرجعوا الى قومهم فناشدوهم الله والاسلام الا دلوهم على كل من يريد ان يهيج الفتنة وجاء صعصعة بن صوحان الى عبد القيس وكان قد علم بمنزل حيان في دار سليم ولكنه كره ان يؤخذ من عشيرته على فراقه لاهل الشام وبغضه لرأيهم وكره مساءة أهل بيت من قومه فقام فيهم فقال ايها الناس ان الله وله الحمد لما قسم الفضل خصكم باحسن القسم فأجبتم الى دين الله الذي اختاره لنفسه وارتضاه لملائكته ورسله ثم أقمتم حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم ثم اختلف الناس بعده فثبتت طائفة وارتدت طائفة وادهنت طائفة وتربصت طائفة فلزمتم دين الله ايمانا به وبرسوله وقاتلتم المرتدين حتى قام الدين واهلك الله الظالمين ولم يزل الله يزيدكم بذلك خيرا حتى اختلفت الامة بينهم فقالت طائفة نريد طلحة والزبير وعائشة وقالت طائفة نريد اهل المغرب وقالت طائفة نريد عبد الله بن وهب الراسبي وقلتم أنتم لا نريد الا اهل بيت نبينا الذين ابتدأنا الله عز وجل من قبلهم بالكرامة تسديدا من الله عز وجل لكم وتوفيقا فلم تزالوا على الحق لازمين له آخذين به حتى أهلك الله بكم وبمن كان على مثل هديكم الناكثين يوم الجمل والمارقين يوم النهر وسكت عن ذكر أهل الشام لان السلطان لهم فلا قوم أعدى لله ولكم ولاهل بيت نبيكم من هذه المارقة الخاطئة الذين فارقوا امامنا واستحلوا دماءنا وشهدوا علينا بالكفر فاياكم ان تؤووهم في دوركم او تكتموا عليهم شيأ فانه لا ينبغي لحي من احياء العرب ان يكون أعداء لهذه المارقة منكم وقد ذكر لي ان بعضهم في جانب من الحي وانا باحث عن ذلك فان يك حقا تقربت الى الله بدمائهم فان دماءهم حلال وقال يا معشر عبد القيس ان ولاة هؤلاء اعرف شئ بكم وبرأيكم

بلاده وقد بلغ من دنياه المرام وانتهى ١٨٤ أمله الى الكمال والتمام ووصل الى مدينة ترار وضعف وانقطع ثلاث ليال وعلم اجمال الانتقال الى دار الخزي والنكال وأبى الله ان يخرج تلك الروح الخبيثة الا على صفات ما اخترعه من الظلم واستعجل يتناول من عرق الحرحتى تفتت كبده ولم ينفعه ماله وولده وصار يتقيأ دما ويأكل يديه حسرة وندما فانتقل الى لعنة الله وعقابه واستقر في اليم زجرة وعذابه وذلك في ليلة الاربعاء سابع عشر شعبان سنة سبع وثمانمائة بنواحي مدينة ترار وحملوا عظامه الى سمرقند وعمره قد جاوز الثمانين ومدة ملكه واستيلائه مستقلا ست وثلاثون سنة وذلك خارج عن مدة خروجه وتجربه رفع الله تعالى برجسه عن البلاد والعباد العذاب المهين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ما كان ذلك العيش الا سكرة لذاتها راحت وحل خمارها فلما انقضى تيمور نحبه وكشف الله عن العالم كربه خلف ولديه أحدهما أميرشاه والآخر شاه رخ ولم يكن معه احد من اولاده واحفاده سوى ولد ولده (خليل بن اميرشاه) حفيده فجلس على سرير الملك وكان أبوه اميرشاه متولي ممالك تبريز قتله قره يوسف حاكم اذربيجان فلما توفي خليل تولى الملك (شاه رخ) واستولى على ممالك ماوراء النهر وخراسان وجميع عراق العجم وخلف تيمور بنتا تدعى سلطان بخت كانت مترجلة لا تحب الرجال وذلك لما افسدتها فلا

فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلا فانهم أسرع شئ اليكم والى منازلكم ثم جلس وكل قوم قال لعنهم الله وبرئ منهم لا نؤويهم ولئن علمنا بمكانهم لنطلعنك عليهم غير سليم بن محدوج فانه لم يقل شيأ ورجع كئيبا يكره أن يخرج اصحابه من داره فيلوموه ويكره أن يؤخذوا في داره فيهلكوا ويهلك معهم وجاء أصحاب المستورد اليه فاعلموه بما قام به المغيرة في الناس وبما قام به رؤسهم فيهم فسأل ابن محدوج عما قام به صعصعة في عبد القيس فأخبره وقال كرهت أن اعلمكم فتظنوا انه ثقل على مكانكم فقال له قد اكرمت المثوى وأحسنت ونحن مرتحلون عنك وبلغ الخبر الذين في محبس المغيرة من الخوارج فقال معاذ بن جوين ابن حصين في ذلك

الا أيها الشارون قد حان لامرئ * شرى نفسه لله أن يترحلا
أقمتم بدار الخاطئين جهالة * وكل امرئ منكم يصاد ليقتلا
فشدوا على القوم العداة فانما * اقامتكم للذبح رأيا مضللا
الا فاقصدوا ياقوم للغاية التى * اذا ذكرت كانت أبر واعدلا
فياليتنى فيكم على ظهر سابح * شديد القصيرى دارعا غير اعزلا
ويا ليتنى فيكم أعادى عدوكم * فيسقينى كأس المنية اولا
يعز على أن تخافوا وتطردوا * ولما اجرد في المحلين منصلا
ولما يفرق جمعهم كل ماجد * اذا قلت قد ولى وأدبر اقبلا
مشيحا بنصل السيف في حمس الوغى * يرى الصبر في بعض المواطن امثلا
وعز على أن تصابوا وتنقصوا * وأصبح ذا بث أسيرا مكبلا
ولو اننى فيكم وقد قصدوا اليكم * أثرت اذا بين الفريقين قسطلا
فيارب جمع قد فللت وغارة * شهدت وقرن قد تركت مجدلا

وأرسل المستورد الى أصحابه فقال لهم اخرجوا من هذه القبيلة واتعدوا سوراء فخرجوا اليها متقطعين فاجتمعوا بها ثلاثمائة رجل وساروا الى الصراة فسمع المغيرة بن شعبة خبرهم فدعا رؤساء الناس فاستشارهم فيمن يرسله اليهم فقال له عدى بن حاتم كلنا لهم عدو ولرأيهم مبغض وبطاعتك مستمسك فاينا شئت سار اليهم وقال له معقل بن قيس انك لا تبعث اليهم احدا ممن ترى حولك الا رأيته سامعا مطيعا ولهم مفارقا ولهلاكهم محبا ولا ارى أن تبعث اليهم احدا من الناس أعدى لهم منى فابعثنى اليهم فانا اكفيكهم باذن الله تعالى فقال اخرج على اسم الله فجهز معه ثلاثة آلاف وقال المغيرة لصاحب شرطته الصق بمعقل شيعة على فانه كان من رؤساء أصحابه فاذا اجتمعوا استأنس بعضهم ببعض وهم أشد استحلالا لدماء هذه المارقة وأجرأ عليهم من غيرهم فقد قاتلوهم قبل هذه المرة وقال له صعصعة بن صوحان نحوا من قول معقل فقال له المغيرة اجلس فانما انت خطيب فأحفظه ذلك وانما قال له ذلك لانه بلغه انه يعيب عثمان بن عفان ويكثر ذكر على ويفضله وكان المغيرة دعاه وقال له اياك أن يبلغنى عنك انك تعيب عثمان واياك أن يبلغنى انك تظهر شيأ من فضل على فانا أعلم بذلك منك ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أخذنا باظهار عيبه للناس فنحن ندع شيأ كثيرا مما أمرنا به ونذكر الشئ

ملوك الروم القاتلين بسيفهم كل جبار ظلوم)● ذكر المولى الجيانى في تاريخه عن بدو أمرهم ان الذى اشتهر عن البطال الغازى هو ابو محمد جعفر ابن السلطان حسين بن ربيع بن على بن عباس سكن بقرية المسيحية الموسومة بمدينة سيد غازى وبها قبره يزار ويتبرك به زوج اخته لعمر بن زياد بن عمرو بن معد فولدت له بنت اسمها نظير الجمال زوجها لعلى بن مضراب أمير التركمان بالديار الرومية فولد منها ولد سماه احمد ولقبه (دانشمند الغازى) وهو اول من ملك من هذه الطائفة وكان عالما فاضلا كاملا وعاشر السلطان طورسان بن على بن جعفر البطال بمدينة ملطية وسار سيرة جده من الجهاد في سبيل الله وطلبا من الخليفة الاذن في الجهاد فاذن لهما وولاهما على البلاد التى تفتح لهما فجمعا من العساكر نحو أربعين الفا وتوجها بنية الجهاد في شهر رجب سنة ستين واربعمائة من مدينة ملطية فعزم السلطان طورسان بنصف العساكر على ساحل البحر الاسود وهو يغزو الكفار الى أن وصل بقرب القسطنطينية فبنى بالجبل الموسوم علم

الذى لا نجد منه بدا ندفع به هؤلاء القوم عن انفسنا فان كنت ذاكرا فاذكر فيمن لك وتفرق
أصحابك فى منازلكم سرا وائتنا على الاثنين فى المسجد فان هذا الامر يعلمه الخليفة لنا فكان يقول له ثم
ثم يبلغه عنه انه فعل ذلك فجمده عليه المغيرة فأجابه بهذا الجواب فقال له صعصعة وما انا
الا خطيب فقط قال أجل فقال والله انى لخطيب الصلب الرئيس أما والله لو شهدتنى يوم الجمل
حيث اختلفت القنا فشؤون تفرى وهامة تختلى لعلمت انى الليث النهد فقال حسبك لعمري
لقد أوتيت لسانا فصيحا وخرج معقل ومعه ثلاثة آلاف فارس نقاوة الشيعة وسار الى سوراء
ولقيه أصحابه واما الخوارج فانهم ساروا الى بهرسير وأرادوا العبور الى المدينة العتيقة
التى فيها منازل كسرى فمنعهم سماك بن عبيد الازدى العبسى وكان عاملا عليها فكتب اليه
المستورد يدعوه الى البراءة من عثمان وعلى وان يتولاه واصحابه فقال سماك بئس الشيخ انا اذا واعاد
الجواب على المستورد يدعوه الى الجماعة وان يأخذ له الامان فلم يجب وأقام بالمدائن ثلاثة ايام
ثم بلغه مسير معقل اليهم فجمعهم المستورد وقال لهم ان المغيرة قد بعث اليكم معقل بن قيس وهو
من السبائية المفترين الكاذبين فاشيروا على برأيكم فقال بعضهم خرجنا نريد الله والجهاد
وقد جاؤنا فأين نذهب بل نقيم حتى يحكم الله بيننا وقال بعضهم بل نتنحى ندعو الناس ونحتج
عليهم بالدعاء فقال لهم لا أرى ان نقيم حتى يأتونا وهم متريحون بل أرى ان نسير بين أيديهم
فيخرجوا فى طلبنا فيتقطعوا ويتبددوا فنلقاهم على تلك الحال فساروا فعبروا جراجرايا
ومضوا الى أرض جوخى ثم بلغوا المذار فأقاموا بها وبلغ ابن عامر بالبصرة خبرهم فسأل كيف
صنع المغيرة فأخبر بفعله فاستدعى شريك بن الاعور الحارثى وكان من شيعة على فقال له اخرج
الى هذه المارقة فقتل وانتخب معه ثلاثة آلاف فارس من الشيعة وكان اكثرهم من ربيعة
وسار بهم الى المذار وأما معقل بن قيس فسار الى المدائن حتى بلغها فبلغه رحيلهم فشق ذلك
على الناس فقال لهم معقل انهم ساروا اتبعوهم وتبددوا وتقطعوا فتلحقوهم وقد تعبتم
وانه لا يصيبكم شئ من ذلك الا وقد أصابهم مثل ذلك وسار فى آثارهم وقدم بين يديه أبا الرواغ
الشاكرى فى ثلاثمائة فارس فتبعهم أبو الرواغ حتى لحقهم بالمذار فاستشار أصحابه فى قتالهم
قبل قدوم معقل فقال بعضهم لا تفعل وقال بعضهم بل نقاتلهم فقال لهم ان معقلا أمرنى
أن لا أقاتلهم فقالوا له ينبغى أن نكون قريبا منهم حتى يأتى معقل وكان ذلك عند المساء فساروا
يتحارسون حتى اصبحوا فلما ارتفع النهار خرجت الخوارج اليهم وكانوا أيضا ثلاثمائة وحملوا
عليهم فانهزم أصحاب ابى الرواغ ساعة ثم صاح بهم أبو الرواغ الكرة الكرة وحمل ومعه اصحابه
فلما دنوا من الخوارج عادوا منهزمين الا انهم لم يقتل منهم أحد فصاح بهم ابو الرواغ أيضا
ثكلتكم امهاتكم ارجعوا بنا نكن قريبا منهم لا نفارقهم حتى يقدم علينا أميرنا وما اقبح بنا
أن نرجع الى الجيش منهزمين من عدونا فقال له بعض اصحابه ان الله لا يستحيى من الحق قد والله
هزمونا فقال له لا اكثر الله فينا مثلك انا ما لم نفارق المعركة لم نهزم ومتى عطفنا عليهم وكنا قريبا
منهم فنحن على حال حسنة فتنحوا قريبا منهم فان أتوكم وعجزتم عنهم فتأخروا والمساء فاذا حملوا
عليكم وعجزتم عن قتالهم فانحازوا على حامية فاذا رجعوا عنكم فاعطفوا عليهم وكونوا قريبا
منهم فان الجيش يأتيكم عن ساعة فجعلت الخوارج كلما حملت عليهم انحازوا عنهم فاذا عا-

يقال ان الدعاء هناك مستجاب
والملك دانشمند سار بمن
معه من العساكر حتى
وصل الى مدينة سيواس
فبناها وجعلها مقر سلطنته
وكان جعفر البطال استخلص
سيواس من يد الكفار
وجعلها دار الاسلام وكان
الامير عثمان جد السلاطين
العثمانية اول ما وصل من
بلاد الشرق لتلك الاماكن
مع والده ارطغرل قاصدا
للسلطان علاء الدين
كيقباد السلجوقى فأرسل
الملك دانشمند الغازى من
خدمه رجلا اسمه عثمان
ومعه خمسة آلاف رجل لفتح
مدينة قسطمونى ففتحها
واستولى على معدن الفضة
وضرب دراهم باسم السلطان
دانشمند وعزم دانشمند
المذكور بنفسه افتح قلعة
نيكسار فأصابه سهم فقتل
وتولى مكانه ولده (الملك
الغازى محمد) وكان عالما
فاضلا دينا مجاهدا فى سبيل
الله وفى سنة ثمان وعشرين
وخمسمائة هجم الفرنج على
البلاد الشامية وأخربوا
غالبها فوصل اليهم السلطان
المذكور وأبادهم بالقتل
والسبى وفى سنة سبع
وثلاثين وخمسمائة توفى
الملك المذكور وتولى مكانه
ولده (نظام الدين أبو المظفر ياغى بصان) مدة الى أن توفى فى سنة اثنتين وستين وخمسمائة ودفن بمدينة نيكسار

الخوارج رجع أبو الرواغ فى آثارهم فلم يزالوا كذلك الى وقت الظهر فنزل الطائفتان يصلون ثم أقاموا الى العصر وكان اهل القرى والسيارة قد اخبروا معقلا بالتقاء الخوارج وأصحابه وان الخوارج تطرد أصحابه بين ايديهم فاذا رجعوا اعاد اصحابه خلفهم فقال معقل ان كان ظنى فى أبى الرواغ صادقا لا يأتيكم منهزما أبدا ثم أسرع السير فى سبعمائة من أهل القوة واستخلف محرز بن شهاب التميمى على ضعفة الناس فلما اشرفوا على ابى الرواغ قال لأصحابه هذه غبرة فتقدموا بنا الى عدونا حتى لا يرانا اصحابنا أنا تنحينا عنهم وهبناهم فتقدم حتى وقف مقابل الخوارج ولحقهم معقل فلما دنا منهم غربت الشمس فصلى باصحابه وصلى ابو الرواغ باصحابه وصلى الخوارج ايضا وقال أبو الرواغ لمعقل ان لهم شدات منكرات فلا تلقاها بنفسك ولكن قف وراء الناس تكون ردأ لهم فقال نعم ما رأيت فبينما هو يخاطبه حملت الخوارج عليهم فانهزم عامة أصحاب معقل وثبت هو فنزل الى الارض ومعه أبو الرواغ فى نحو مائتى رجل فلما غشيهم المستورد استقبلوه بالرماح والسيوف فانهزمت خيل معقل ساعة ثم ناداهم مسكين ابن عامر وكان شجاعا أين الفرار وقد نزل اميركم ألا تستحيون ثم رجع ورجعت معه خيل عظيمة ومعقل بن قيس يقاتل الخوارج بمن معه فلم يزل يقاتلهم حتى ردهم الى البيوت ثم لم يلبثوا الا قليلا حتى جاءهم محرز بن شهاب فيمن معه فجعلهم معقل ميمنة وميسرة وقال لهم لا تبرحوا حتى تصبحوا وتثوروا اليهم ووقف الناس بعضهم مقابل بعض فبينما هم متواقفون أتى الخوارج عين لهم فاخبرهم ان شريك بن الاعور قد أقبل اليهم من البصرة فى ثلاثة آلاف فقال المستورد لاصحابه لا أرى ان نقيم لهؤلاء جميعا ولكنى أرى ان نرجع الى الوجه الذى جئنا منه فان اهل البصرة لا يتبعونا الى أرض الكوفة فيهون علينا قتال اهل الكوفة ثم أمرهم بالنزول ليريحوا دوابهم ساعة ففعلوا ثم دخلوا القرية وأخذوا منها من دلهم على الطريق الذى اقبلوا منه وعادوا راجعين واما معقل فانه بعث من يأتيه بخبرهم حين لم ير سوادهم فعاد اليه بالخبر انهم قد ساروا فخاف أن تكون مكيدة وخاف البيات فاحتاط هو وأصحابه وتحارسوا الى الصباح فلما اصبحوا أتاهم من اخبرهم بسيرهم وجاء شريك بن الاعور فيمن معه فالتقى معقلا فتساءلا ساعة وأخبره معقل بخبرهم فدعا شريك أصحابه الى المسير مع معقل فلم يجيبوه فاعتذر الى معقل بخلاف اصحابه وكان صديقا له فجمعهما رأى الشيعة ودعا معقل أبا الرواغ وأمره باتباعهم فقال له زدنى مثل الذين كانوا معى ليكون اقوى لى ان أرادوا مناجزتى فبعث معه ستمائة فارس فساروا سراعا حتى ادركوا الخوارج بجرجرايا وقد نزلوا فنزل بهم أبو الرواغ مع طلوع الشمس فلما رأوهم قالوا ان قتال هؤلاء أيسر من قتال من يأتى بعدهم فحملوا على أبى الرواغ وأصحابه حملة صادقة فانهزم اصحابه وثبت فى مائة فارس فقاتلهم طويلا وهو يقول

ان الفتى كل الفتى من لم يهل * اذا الجبان حاد عن وقع الاسل

قد علمت انى اذا البأس نزل * أروع يوم الهيج مقدام بطل

ثم عطف اصحابه من كل جانب فصدقوهم القتال حتى أعادوهم الى مكانهم فلما رأى المستورد ذلك علم انهم ان أتاهم معقل ومن معه هلكوا فمضى هو واصحابه فعبروا دجلة ووقعوا فى أرض بهرسير وتبعهم أبو الرواغ حتى نزل بهم بساباط فلما نزل بهم قال المستورد لاصحابه ان هؤلاء

نيكسار ودفن بها وتولى مكانه (ذو النون بن محمد) وهو آخر من ملك من هذه الطائفة واستولى على بلاده آل سلجوق وبه انقرضت دولتهم

(الباب الخامس والاربعون فى ذكر دولة آل قرمان القاطنين لاهل الشرك والطغيان)

كان يقال لجدهم نوره صوفى أصله ارمنى فاسلم وسكن بمدينة اماسية وصار من توابع بابا الياس ولما قتل الشيخ الياس المذكور انتقل لمدينة قونية وسكن بها واعتقده اناس كثير حتى السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقى وجعل ولده (قرمان) مقربا عنده وزوجه اخته وولاه امرة بلاد لارنده ففتح بلاد ما فكه ولما توفى السلطان علاء الدين استولى على جميع بلاده وسمى تلك البلاد باسمه واستمر فى السلطنة مدة فلما توفى تولى مكانه ولده (علاء الدين) وهو الذى حارب السلطان يلدرم بايزيد وظفر به السلطان يلدرم بايزيد وقتله وقبض على ولديه على ومحمد وحبسهما بمدينة بروسه واستقرا فى السجن اثنتى عشرة سنة

حتى اطلقهما تيمور ونصب (محمدا) مكان والده فى بلاد قرمان بعد ما حاله وكان أخوه على هرب والتجأ بسلطان مصر فانجده

ثم جاءه أصحاب معقل وفرسانه ولو علمت انى أسبقهم اليه بساعة لسرت اليه فواقعته ثم أمر من يسأل عن معقل فسألوا بعض من على الطريق فأخبروهم انه نزل ديلمايا بينهم ثلاثة فراسخ فلما أخبر المستورد بذلك ركب وركب أصحابه وأقبل حتى انتهى الى جسر ساباط وهو جسر نهر ملك وهو من جانبه الذى يلى الكوفة وأبو الرواغ من جانب المدائن فقطع المستورد الجسر ولما رآهم أبو الرواغ قد ركبوا عبى أصحابه واعتزل الى صحراء بين المدائن وساباط ليكون القتال بها ووقف ينتظرهم فلما قطع المستورد الجسر سار الى ديلمايا نحو معقل ليوقع به فانتهى اليه وأصحابه متفرقون عنه وهو يريد الرحيل وقد تقدم بعض أصحابه فلما رآهم معقل نصب رايته ونادى يا عباد الله الارض الارض فنزل معه نحو مائتى رجل فحملت الخوارج عليهم فاستقبلوهم بالرماح جثاة على الركب فلم يقدروا عليهم فتركوهم وعدلوا الى خيولهم فحالوا بينهم وبينها وقطعوا أعنتها فذهبت فى كل جانب ثم مالوا على المتفرقين من أصحاب معقل ففرقوا بينهم ثم رجعوا الى معقل وأصحابه وهم على الركب فحملوا عليهم فلم يتحلحلوا فحملوا أخرى فلم يقدروا عليهم فقال المستورد لاصحابه لينزل نصفكم ويبقى نصفكم على الخيل ففعلوا واشتد الحال على أصحاب معقل وأشرفوا على الهلاك فبينما هم كذلك اذ أقبل ابو الرواغ عليهم فيمن معه وكان سبب عوده اليهم انه أقام بمكانه ينتظرهم فلما أبطؤا عليه ارسل من يأتيه بخبرهم فرأوا الجسر مقطوعا ففرحوا وظنوا ان الخوارج فعلوا ذلك هيبة لهم فرجعوا الى أبى الرواغ فأخبروه انهم لم يروهم وان الجسر قد قطعوه هيبة لهم فقال لهم أبو الرواغ لعمرى ما فعلوا هذا الا مكيدة وما اراهم الا وقد سبقوكم الى معقل حيث رأوا فرسان اصحابه معى وقد قطعوا الجسر ليشغلوكم به عن لحاقهم فالنجاء النجاء فى الطلب ثم أمر اهل القرية فعقدوا الجسر وعبر عليه واتبع الخوارج فلقيه أوائل الناس منهزمين فصاح بهم الى الى فرجعوا اليه واخبروه الخبر وانهم تركوا معقلا يقاتلهم وما يظنونه الا قتيلا فجد فى السير وتبعه كل من لقيه من المنهزمين فانتهى الى العسكر فرأى راية معقل منصوبة والناس يقتتلون فحمل ابو الرواغ ومن معه على الخوارج فأزالوهم غير بعيد ووصل أبو الرواغ الى معقل فاذا هو متقدم يحرض أصحابه فشدوا على الخوارج شدة منكرة ونزل المستورد ومن معه من الخوارج ونزل اصحاب معقل ايضا ثم اقتتلوا طويلا من النهار بالسيوف أشد قتال ثم ان المستورد نادى معقلا ليبرز اليه فبرز اليه فمنعه اصحابه فلم يقبل منهم وكان معه سيفه ومع المستورد رمحه فقال اصحاب معقل خذ رمحك فأبى واقبل على المستورد فطعنه المستورد برمحه فخرج السنان من ظهره وتقدم معقل والرمح فيه الى المستورد فضربه بالسيف فخالط دماغه فوقع المستورد ميتا ومات معقل ايضا وكان معقل قد قال ان قتلت فأميركم عمرو بن محرز بن شهاب التميمى فلما قتل أخذ الراية عمرو وحمل فى الناس على الخوارج فقتلوهم ولم ينج منهم غير خمسة أو ستة وقال ابن الكلبى كان المستورد من تيم ثم من بنى رياح واحتج بقول جرير

ومنا فتى الفتيان والجود معقل * ومنا الذى لاقى بدجلة معقلا

يعنى هذه الوقعة

(ذكر عود عبد الرحمن الى ولاية سجستان)

محمد بك ابن قرمان ومسكه وارسله الى سلطان مصر فحبسه هنالك فلما توفى الملك المؤيد شيخ سلطان مصر وتولى السلطنة أمير ططر ارسل محمد المحبوس الى الروم واجلسه على سرير الملك وتوفى محمد وتولى مكانه ولده (ابراهيم) وكان اعدل هذه الطائفة وأحسنهم وزوج السلطان مراد خان أخته لابراهيم المذكور وصار بينهما اتحاد عظيم وفيما بعد وقع بينهما عداوة عظيمة آلت الى الحرب بينهما ووقع الصلح بينهما وتوفى ابراهيم فى سنة تسع وخمسين وثمانمائة وكانت مدة ملكه أربعين سنة وخلف ستة أولاد وتولى الملك بعده ولده (اسحق) وهرب بقية اخوته الى السلطان محمد خان بن عثمان فعين السلطان محمد خان بلاد قرمان لارشد تلك الاولاد الامير أحمد وارسل معه عسكرا فلم يقدر اسحق على المقاومة وهرب الى بلاد الشرق الى أوزون حسن سلطان العراق وفيما بعد غضب السلطان محمد على الامير احمد المذكور وقرر امرة قرمان لولده (السلطان مصطفى) واستمر بلاد قرمان فى يد بنى عثمان وبه انقرضت دولتهم

(الباب السادس والاربعون فى ذكر ملوك الروم من السلجوقية الكائنين لاهل الثغور والفروق)

فى هذه

في هذه السنة استعمل عبد الله بن عامر عبد الرحمن بن سمرة على سجستان فأتاها وعلى شرطته
عباد بن الحصين الحبطي ومعه من الاشراف عمرو بن عبيد الله بن معمر وغيره فكان يغزو البلد
قد كفر أهله فيفتحه حتى بلغ كابل فحصرها أشهرا ونصب عليها مجانيق فثلم سورها ثلمة عظيمة
فبات عليها عباد بن الحصين ليلة يطاعن المشركين حتى أصبح فلم يقدروا على سدها وخرجوا
من الغد يقاتلون فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوة ثم سار الى بست ففتحها عنوة وسار الى
زران فهرب أهلها وغلب عليها ثم سار الى خشك فصالحه أهلها ثم أتى الرخج فقاتلوه فظفر بهم
وفتحها ثم سار الى زابلستان وهي غزنة وأعمالها فقاتله اهلها وقد كانوا نكثوا ففتحها وعاد الى
كابل وقد نكث اهلها ففتحها

(ذكر غزوة السند)

استعمل عبد الله بن عامر على ثغر السند عبد الله بن سوار العبدي ويقال ولاه معاوية من قبله
فغزا القيقان فاصاب مغنما ووفد على معاوية واهدى له خيلا قيقانية ورجع فغزا القيقان
فاستنجدوا بالترك فقتلوه وفيه يقول الشاعر

وابن سوار على عداته * موقد النار وقتال السغب

وكان كريما لم يوقد احد في عسكره نارا فرأى ذات ليلة نارا فقال ما هذه قالوا امرأة نفساء
يعمل لها الخبيص فامر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثة ايام

(ذكر ولاية عبد الله بن خازم خراسان)

قيل وفي هذه السنة عزل عبد الله بن عامر قيس بن الهيثم القيسي ثم السلمي عن خراسان واستعمل
عبد الله بن خازم وسبب ذلك ان قيسا ابطأ بالخراج والهدية فقال عبد الله بن خازم لعبد الله بن
عامر ولني خراسان اكفكها فكتب له عهده فبلغ ذلك قيسا فخاف ابن خازم وشغبه فترك
خراسان واقبل فازداد ابن عامر غضبا لتضييعه الثغر فضربه وحبسه وبعث رجلا من يشكر
على خراسان وقيل بعث اسلم بن زرعة الكلابي ثم ابن خازم وقيل في عزله غير ذلك وهو ان ابن
خازم قال لابن عامر انك استعملت على خراسان قيسا وهو ضعيف واني اخاف ان لقي حربا أن
ينهزم بالناس فتهلك خراسان وتفتضح اخوالك يعني قيس عيلان قال ابن عامر فما الرأي قال
تكتب لي عهدا ان هو انصرف عن عدو قمت مقامه فكتب له وجاش جماعة من طخارستان
فشاور قيس فأشار عليه ابن خازم أن ينصرف حتى يجتمع اليه اطرافه فلما سار مرحلة أو ثنتين
اخرج ابن خازم عهده وقام بامر الناس ولقي العدو فهزمهم وبلغ الخبر الكوفة والبصرة
والشام فغضب القيسية وقالوا خدع قيسا وابن عامر وشكوا الى معاوية فاستقدمه فاعتذر
مما قيل فيه فقال معاوية قم غدا فاعتذر في الناس فرجع الى اصحابه وقال اني أمرت بالخطبة
ولست بصاحب كلام فاجلسوا حول المنبر فاذا قلت فصدقوني فقام من الغد فحمد الله واثنى
عليه ثم قال انما يتكلف الخطبة امام لا يجد منها بدا او احمق يهمر من راسه ولست بواحد منهما
وقد علم من عرفني اني بصير بالفرص وثاب اليها وقاف عند المهالك انفذ بالسرية واقسم
بالسوية انشد الله من عرف ذلك مني فليصدقني فقال اصحابه صدقت فقال يا أمير المؤمنين انك
فيمن نشدت فقل بما تعلم فقال صدقت

الى بلاد الروم وملك مدينة
قونية واقسراي ونواحيها
ثم انه توجه لبلاد الري ليملكها
فلم يقدر وهجم عليه العساكر
فانهزم هو وعسكره فوجد
مقتولا بين القتلى وذلك في
سنة خمس وستين واربعمائة
وقام بالامر بعده ابنه (سليمان
ابن قتلمش) واستولى على
ما كان بيد أبيه وافتتح مدينة
انطاكية من يد الروم سنة
سبع وسبعين واربعمائة
واستضافها الى بلاده وسار
لحصار حلب فامتنعت عليه
وسألوه الامهال حتى يكاتبوا
السلطان ملكشاه ودسوا
الى تتش صاحب الشام
يستدعونه فوصل واعترضه
سليمان على غير تعبية فانهزم
وطعن نفسه بخنجر ومات
ذلك بعده ابنه (قلج أرسلان
ابن سليمان) وأقام في سلطانه
وسار حتى استولى على الموصل
وديار بكر واعمالها ثم سار
الى الموصل لقتال جاولي
فوقع بينهما حروب آلت
الى قتل قلج ارسلان وضربه
جاولي بسيفه فقتله وانهزم
عساكره وتولى مكانه ابنه
(مسعود شاه بن قلج ارسلان)
فوقع بينه وبين الدانشمندية
من التركمان حروب كثيرة
ثم توفي مسعود سنة احدى
وخمسين وخمسمائة وملك
مكانه ابنه (عز الدين قلج ارسلان) واستولى على ما كان بيد أبيه من البلاد ثم قسمها بين اولاده فاعطى قونية باعمالها لغياث الدين

●(ذكر عدة حوادث)●

وحج هذه السنة مروان بن الحكم وكان على المدينة وكان على مكة خالد بن العاص بن هشام وعلى الكوفة المغيرة وعلى البصرة عبد الله بن عامر وفيها مات عبد الله بن سلام وله صحبة منهم ورؤية وهو من علماء أهل الكتاب وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة

(ثم دخلت سنة اربع وأربعين)

في هذه السنة دخل المسلمون مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم وشتوا بها وغزا بسر بن أبي ارطاة في البحر

●(ذكر عزل عبد الله بن عامر عن البصرة)●

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن عامر عن البصرة وسببه ان ابن عامر كان حليما كريما لينا لا يأخذ على ايدي السفهاء ففسدت البصرة في ايامه فشكى ذلك الى زياد فقال له جرد السيف فقال له اني اكره ان اصلحهم بفساد نفسي ثم ان ابن عامر أوفد وفدا من البصرة الى معاوية فوافقوا عنده وفد الكوفة وفيهم ابن الكواء واسمه عبد الله بن ابي أوفى اليشكري فسألهم معاوية عن اهل العراق وعن اهل البصرة خاصة فقال ابن الكواء يا أمير المؤمنين ان أهل البصرة قد اكلهم سفهاؤهم وضعف عنهم سلطانهم وعجز ابن عامر وضعفه فقال له معاوية تتكلم عن أهل البصرة وهم حضور فلما عاد اهل البصرة ابلغوا ابن عامر فغضب وقال أي اهل العراق اشد عداوة لابن الكواء فقيل عبد الله بن ابي شيخ اليشكري فولاه خراسان فبلغ ذلك ابن الكواء فقال ان ابن دجاجة يعني ابن عامر قليل العلم في ظن ان ولاية عبد الله خراسان تسوءني لوددت انه لم يبق يشكري الا عاداني وانه ولاه وقيل ان الذي ولاه ابن عامر خراسان طفيل بن عوف اليشكري فلما علم معاوية حال البصرة اراد عزل ابن عامر فارسل اليه يستزيره فجاء اليه فرده على عمله فلما ودعه قال اني سائلك ثلاثا فقل هن لك وانا ابن ام حكيم قال ترد على عملي ولا تغضب قال قد فعلت قال وتهب لي مالك بعرفة قال قد فعلت قال وتهب لي دورك بمكة قال قد فعلت قال وصلتك رحم فقال ابن عامر يا أمير المؤمنين اني سائلك ثلاثا فقل هن لك وانا ابن هند قال ترد علي مالي بعرفة قال قد فعلت قال ولا تحاسب لي عاملا ولا تتبع لي أثرا قال قد فعلت قال وتنكحني ابنتك هندا قال قد فعلت ويقال ان معاوية قال له اختر اما أن اتبع أثرك وأحاسبك بما صار اليك وارده واما أن أعزلك واسوغك ما اصبت فاختار العزل وان لا يتبعه ما أصاب فعزله وولى البصرة الحرث بن عبد الله الازدي

●(ذكر استلحاق معاوية زيادا)●

وفي هذه السنة استلحق معاوية زياد بن سمية فزعموا ان رجلا من عبد القيس كان مع زياد لما وفد على معاوية فقال لزياد ان لابن عامر عندي يدا فان أذنت لي أتيته قال على ان تحدثني بما يجري بينك وبينه قال نعم فاذن له فأتاه فقال له ابن عامر هيه هيه وابن سمية يقبح آثاري ويعترض عمالي لقد هممت ان آتي بقسامة من قريش يحلفون بالله ان أبا سفيان لم ير سمية فلما رجع سأله زياد فلم يخبره فألح عليه حتى اخبره فاخبر زياد بذلك معاوية فقال معاوية لحاجبه اذا جاء ابن عامر فاضرب وجه دابته عن أقصى الابواب ففعل ذلك به فأتى ابن عامر يزيد فشكا ذلك اليه

كيخسرو ومدينة اقسراي وسيواس لقطب الدين ومدينة توقات لركن الدين سليمان ومدينة انكورية لمحيي الدين ومدينة ملطية لمعز الدين وبلاد البستان لمغيث الدين ومدينة قيسارية لنور الدين محمود ومدينة نكسار واماسية لابن أخيه فوقع بينهم النزاع والمخاصمة وبقي السلطان قلج ارسلان يتنقل بين اولاده واولاد اخيه من واحد الى آخر وهم معرضون عنه ومتثقلون به حتى مرض وعاد الى قونية فتوفي بها وتولى مكانه ابنه (غياث الدين كيخسرو) في مدينة قونية وبقية بنيه على حالهم في ولاياتهم التي قسمها بينهم ابوهم لكن النزاع واقع بينهم واستفحل ملك غياث الدين وعظم شأنه الى أن قتله تكور لادقية سنة سبع وستمائة فلما توفي تولى بعده ابنه (كيكاوس) ولقبوه الغالب بالله وكان عمه طغرل شاه بن قلج ارسلان صاحب ارزن الروم يطلب الامر لنفسه فسار الى قتال كيكاوس ابن أخيه وحاصره في سيواس ثم أفرج عنه حتى ظفر به فقتله في سنة عشر وستمائة وملك بعده أخوه (علاء الدين كيقباد) وكان ملكا مهابا وقورا يحب الغزو وقد اتسعت رقعة ملكه ببلاد الروم وامتدت يده الى ما يجاوره من البلاد وخدم عند معسكر جلال الدين خوارزمشاه بعد مهلكه فاثبتهم في ديوانه واستخدمهم وزوج ابنته لصاحب مصر فركب

وقدمت عليه وفى خدمتها أمير ومعه خمسمائة فارس من الروم وحمل جهازها على ألف جمل ومحفتها بغطاء أطلس احمر

فركب معه حتى ادخله فلما نظر اليه معاوية قام فدخل فقال يزيد لابن عامر اجلس فكم عسى أن يقعد فى البيت عن غير مجلسه فلما طال الانتظار خرج معاوية وهو يتمثل

لنا سياق ولكم سباق * قد علمت ذلكم الرفاق

ثم قعد فقال يا ابن عامر انت القائل فى زياد ما قلت أما والله لقد علمت العرب انى كنت أعزها فى الجاهلية وان الاسلام لم يزدنى الا عزا وانى لم أتكثر بزياد من قلة ولم اتعزز به من ذلة ولكن عرفت حقا له فوضعته موضعه فقال يا أمير المؤمنين نرجع الى ما يحب زياد قال اذا نرجع الى ما تحب فخرج ابن عامر الى زياد فترضاه فلما قدم زياد الكوفة قال قد جئتكم فى أمر ما طلبته الا لكم قالوا ادعنا الى ما شئت قال تلحقون نسبى بمعاوية قالوا اما بشهادة الزور فلا فأتى البصرة فشهد له رجال هذا جميع ما ذكره أبو جعفر فى استلحاق معاوية نسب زياد ولم يذكر حقيقة الحال فى ذلك انما ذكر حكاية جرت بعد استلحاقه وأنا اذكر سبب ذلك وكيفيته فانه من الامور المشهورة الكبيرة فى الاسلام لا ينبغى اهمالها وكان ابتداء حاله ان سمية أم زياد كانت لدهقان زندورد بكسكر فمرض الدهقان فدعا الحرث بن كلدة الطبيب الثقفى فعالجه فبرأ فوهبه سمية فولدت عند الحرث أبا بكرة واسمه نفيع فلم يقر به ثم ولدت نافعا فلم يقر به ايضا فلما نزل ابو بكرة الى النبى صلى الله عليه وسلم حين حصر الطائف قال الحرث لنافع أنت ولدى وكان قد زوج سمية من غلام له اسمه عبيد وهو رومى فولدت له زيادا وكان أبو سفيان بن حرب سار فى الجاهلية الى الطائف فنزل على خمار يقال له أبو مريم السلولى واسلم ابو مريم بعد ذلك وصحب النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان لابى مريم قد اشتهيت النساء فالتمس لى بغيا فقال له هل لك فى سمية فقال هاتها على طول ثديها وذفر بطنها فأتاه بها فوقع عليها فعلقت بزياد ثم وضعته سنة احدى من الهجرة فلما كبر ونشأ استكتبه أبو موسى الاشعرى لما ولى البصرة ثم ان عمر بن الخطاب استكفى زيادا أمرا فقام فيه مقاما مرضيا فلما عاد اليه حضر وعند عمر المهاجرون والانصار فخطب خطبة لم يسمعوا بمثلها فقال عمرو بن العاص لله هذا الغلام لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه فقال ابو سفيان وهو حاضر والله انى لاعرف اباه ومن وضعه فى رحم أمه فقال على يا أبا سفيان اسكت فانك لتعلم ان عمر لو سمع هذا القول منك لكان اليك سريعا فلما ولى على الخلافة استعمل زيادا على فارس فضبطها وحمى قلاعها واتصل الخبر بمعاوية فساءه ذلك وكتب الى زياد يتهدده ويعرض له بولادة أبى سفيان اياه فلما قرأ زياد كتابه قام فى الناس وقال العجب كل العجب من ابن آكلة الاكباد ورأس النفاق يخوفنى بقصده اياى وبينى وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والانصار أما والله لو أذن لى فى لقائه لوجدنى أحمر مخشا ضرابا بالسيف وبلغ ذلك عليا فكتب اليه انى وليتك ما وليتك وانا أراك له اهلا وقد كانت من أبى سفيان فلتة من امانى الباطل وكذب النفس لا توجب له ميراثا ولا تحل له نسبا وان معاوية يأتى الانسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام فلما قتل على وكان من امر زياد ومصالحته معاوية ما ذكرناه وضع زياد مصقلة بن هبيرة الشيبانى وضمن له عشرين الف درهم ليقول لمعاوية ان زيادا قد اكل فارس برا وبحرا وصالحك على الفى الف درهم والله ما أرى الذى يقال الا حقا فاذا قال لك وما يقال فقل يقال

مكلل بالذهب وكان يوم وصولها اليه يوما مشهودا وعمل لها عرسا لم يسمع بمثله واول ما فتح مدينة علائية بساحل البحر وبنى حصار قونية وسيواس وفتح بلاد ارزنجان وجشكرك وكاخ مع نواحيها وله حروب كثيرة مع الكفار وطائفة التاتار بحيث يطول شرحها توفى فى سنة اربع وثلاثين وستمائة وكانت مدة ملكه اربعا وعشرين سنة وملك بعده ابنه (غياث الدين) وكان ظالما غاشما جبارا عسوفا وقارن استيلاؤه انقراض دولة السلجوقية ولم يزل يضمحل حاله ويكثر حروبه الى أن قتله مماليكه فى سنة اربع وخمسين وستمائة وترك ثلاثة أولادا كبرهم علاء الدين كيقباد وعز الدين كيكاوس وركن الدين وجعل علاء الدين ولى عهده وكان يخطب باسمهم جميعا وامرهم واحد وكان جنكيزخان قد هلك وولى مكانه ابنه طولو خان فلك اكثر بلاد الروم وكان ملوك الروم تحت حكم التاتار وآخر من تولى الملك من آل سلجوق بالديار الرومية (مسعود بن كيكاوس) الى سنة ثمانى عشرة وسبعمائة وأصابه

انه ابن أبي سفيان فقبل منه ذلك ورأى معاوية أن يستميل زيادا واستصفى مودته باستلحاقه فاتفقا على ذلك وأحضر الناس وحضر من يشهد لزياد وكان فيمن حضر أبو مريم السلولي فقال له معاوية بم تشهد يا أبا مريم فقال أنا أشهد أن أبا سفيان حضر عندي وطلب مني بغيا فقلت له ليس عندي الا سمية فقال ائتني بها على قذرها ووضرها فأتيته بها فخلا معها ثم خرجت من عنده وان اسكتيها ليقطران منيا فقال له زياد مهلا يا أبا مريم انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فاستلحقه معاوية وكان استلحاقه أول ما ردت به أحكام الشريعة علانية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالولد للفراش وللعاهر الحجر وكتب زياد الى عائشة من زياد بن أبي سفيان وهو يريد أن تكتب له الى زياد بن أبي سفيان فيحتج بذلك فكتبت من عائشة أم المؤمنين الى ابنها زياد وعظم ذلك على المسلمين عامة وعلى بني أمية خاصة وجرى أقاصيص يطول بذكرها الكتاب فأضربنا عنها ومن اعتذر لمعاوية قال انما استلحق معاوية زيادا لان أنكحة الجاهلية كانت أنواعا لا حاجة الى ذكر جميعها وكان منها أن الجماعة يجامعون البغي فاذا حملت وولدت ألحقت الولد لمن شاءت منهم فيلحقه فلما جاء الاسلام حرم هذا النكاح الا أنه أقر كل ولد كان ينسب الى أب من أي نكاح كان من أنكحتهم على نسبه ولم يفرق بين شئ منها فتوهم معاوية أن ذلك جائز له ولم يفرق بين استلحاق في الجاهلية والاسلام وهذا مردود لاتفاق المسلمين على انكاره ولانه لم يستلحق أحد في الاسلام مثله ليكون به حجة قيل أراد زياد أن يحج بعد أن استلحقه معاوية فسمع أخوه أبو بكرة وكان مهاجرا له من حين خالفه في الشهادة بالزنا على المغيرة بن شعبة فلما سمع بحجه جاء الى بيته وأخذ ابنا له وقال له يا بني قل لابيك انني سمعت انك تريد الحج ولابد من قدومك الى المدينة ولا شك أن تطلب الاجتماع بأم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم فان اذنت لك فأعظم به خزيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وان منعتك فأعظم به فضيحة في الدنيا وتكذيبا لاعدائك فترك زياد الحج وقال جزاك الله خيرا فقد أبلغت في النصح

(ذكر غزو المهلب السند)

وفيها غزا المهلب بن أبي صفرة ثغر السند فأتى بنة والاهواز وهما بين الملتان وكابل فلقيه العدو وقاتله ولقي المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارسا من الترك فقاتلوه فقتلوا جميعا فقال المهلب ما جعل هؤلاء الاعاجم أولى بالتشمير منا فحذف الخيل وكان أول من حذفها من المسلمين وفي يوم بنة يقول الازدي

ألم تر أن الازد ليلة بيتوا • ببنة كانوا خير جيش المهلب

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس في هذه السنة معاوية وفيها عمل مروان بن الحكم المقصورة بالمدينة وهو أول من عملها بها وكان معاوية قد عملها بالشام لما ضربه الخارجي وفيها توفيت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم وفيها قتل رفاعة العدوي من عدي رباب وهو بصري له صحبة

(ثم دخلت سنة خمس وأربعين)

فيها ولى معاوية الحرث بن عبد الله الازدي البصرة في أولها حين عزل ابن عامر وهو من أهل الشام فاستعمل الحرث على شرطته عبد الله بن عمرو الثقفي فبقي الحرث أميرا على البصرة

الفقر فاختل أمره واضمحل فعله وبقي الملك التاتار ثم قتل أمرهم واضمحلت دولتهم فاستولى على غالب بلادهم بنو عثمان وتولى على البعض آل قرمان وكانت مدينة سينوب وقسطموني بعد السلطان علاء الدين بيد أولاد قزل محمد أولهم (عادل بك) تولى تلك الديار مدة فلما توفي تولى مكانه ولده (بايزيد الزمن) وكان دينا خيرا ثم من بعده تولى مكانه ولده (اسفنديار) مدة وبعد وفاته (ابراهيم) وبعده (قزل احمد) وصار أخوه اسمعيل اتابكا له وفي ايام السلطان محمد خان العثماني ضبط تلك الديار وعين لاحمد المذكور امارة بلاد روم ايلي وهذه الطائفة يزعمون انهم من نسل خالد ابن الوليد رضي الله عنه واما ممالك أيدين فتولى عليها صاحبها (أيدين بك) بعد موت السلطان علاء الدين كيقباد واستقل بتلك البلاد وتولى بعده ولده (محمد بك) ثم بعد وفاته تولى ولده (عيسى بك) وكان كريم النفس وفي زمانه صنف حاجي باشا كتاب الشفاء في الطب فانتزع الملك منهم المرحوم السلطان مراد خان العثماني

اربعة اشهر ثم عزله وولاها زيادا

(ذكر ولاية زياد بن ابيه البصرة)

قدم زياد الكوفة فاقام ينتظر امارته عليها فقيل ذلك للمغيرة بن شعبة فسار الى معاوية فاستقاله الامارة وطلب منه ان يعطيه منازل بقرقيسيا بالكوفة بين قيس فخافه معاوية وقال له لترجعن الى عملك فابى فازداد معاوية تهمة له فرده على عمله فعاد الى الكوفة ليلا وأرسل الى زياد فاخرجه منها وقيل ان المغيرة لم يسر الى الشام وانما معاوية ارسل الى زياد وهو بالكوفة فامره بالمسير الى البصرة فولاه البصرة وخراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان فقدم البصرة آخر شهر ربيع الآخر سنة خمس واربعين والفسق ظاهر فاش فخطبهم خطبته البتراء لم يحمد الله فيها وقيل بل حمد الله فقال الحمد لله على افضاله واحسانه ونسأله مزيدا من نعمه اللهم كما زدتنا نعما فألهمنا شكرا على نعمك علينا أما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغي الموفد لاهله النار الباقي عليهم سعيرها ما يأتي سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الامور العظام فينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأن لم تسمعوا نبي الله ولم تقرؤا كتاب الله ولم تعلموا ما أعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته في الزمن السرمد الذي لا يزول أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون انكم أحدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم الدين يعتذرون بغير العذر وتغطون على المختلس كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يخشى معادا ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بهم ماترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالارض هدما واحراقا اني رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به أوله لين في غير ضعف وشدة في غير جبرية وعنف واني لاقسم بالله لآخذن الولي بالولي والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والصحيح منكم بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لي قناتكم ان كذبة المنبر مشهورة فاذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي من بيت منكم فأنا ضامن لما ذهب له اياي ودلج الليل فاني لا أوتى بمدلج الا سفكت دمه وقد أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع اليكم واياي ودعوى الجاهلية فاني لا أجد أحدا دعا بها الا قطعت لسانه وقد أحدثتم أحداثا لم تكن وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما غرقناه ومن حرق على قوم حرقناه ومن نقب بيتا نقبت عن قلبه ومن نبش قبرا دفنته فيه حيا فكفوا عني أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم لساني ويدي واياي لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه وقد كانت بيني وبين أقوام احن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي فمن كان منكم محسنا فليزدد احسانا ومن كان مسيئا فلينزع عن اساءته اني لو علمت ان أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته فاذا فعل لم أناظره فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا

(اسحق) فظفر به السلطان يلدرم بايزيد خان وأسره وأما ممالك كرميان فتولى عليها صاحبها (كرميان بك) مدة وبعده ولده (علم شاه) وبعده ولده (يعقوب بن علم شاه) وكان صالحا متورعا زاهدا في الدنيا سلم مفاتيح بلاده للسلطان مراد خان الغازي فعين له امرة ببلاد روم ايلي ولما توفي السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي كان الامير عثمان تغمده الله بالرحمة والرضوان جد السلاطين العثمانية اذ ذاك بمدينة قره حصار كما سنذكره ان شاء الله تعالى

(الباب السابع والاربعون في ذكر دولة بني عثمان أبقاهم الله الى آخر الدوران)

وهم من أعظم سلاطين الدنيا ابهة وجلالة وأشدهم قوة وآثارا وأول من ملك منهم في ممالك الروم الامير عثمان الغازي ابن الامير ارطغرل ابن سليمان شاه وله نسب يتصل الى يافث بن نوح عليه السلام وهو الجد الثالث عشر لحضرة سلطاننا الاعظم السلطان محمد خان لا زالت أعلام خلافته مرفوعة وألوية سلطنته منصوبة ولما كانت اسماؤهم بلغة الترك القديمة لم نذكرها لعسر ضبطها وهي مشهورة في التواريخ التركية مذكورة وكان سليمان شاه المذكور سلطانا في بلاد

سيئته أيها الناس انا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ونذود عنكم بفىء الله الذى خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم واعلموا انى مهما قصرت عنه فانى لا أقصر عن ثلاث لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتانى طارقا بليل ولا حابسا رزقا ولا عطاء عن ابانه ولا مجمرا لكم بعثا فادعوا الله بالصلاح لائمتكم فانهم ساستكم المؤدبون وكهفكم الذى اليه تأوون ومتى تصلحوا يصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا حاجتكم مع انه لو استجيب لكم لكان شرا لكم أسأل الله أن يعين كلا على كل فاذا رأيتمونى أنفذ فيكم الامر فانفذوه على أذلاله وايم الله ان لى فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاى فقام اليه عبد الله بن الاهتم فقال اشهد أيها الامير انك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب فقال كذبت ذاك نبى الله داود فقال الاحنف قد قلت فأحسنت ايها الامير والثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وانا لن نثنى حتى نبتلى فقال زياد صدقت فقام اليه أبو بلال مرداس بن أدية وهو من الخوارج وقال أنبأ الله بغير ما قلت قال الله تعالى وابراهيم الذى وفى الا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى فاوعدنا الله خيرا مما أوعدتنا يا زياد فقال زياد انا لا نجد الى ما تريد انت وأصحابك سبيلا حتى نخوض اليها الدماء واستعمل زياد على شرطته عبد الله بن حصن وأجل الناس حتى بلغ الخبر الكوفة وعاد اليه وصول الخبر وكان يؤخر العشاء الآخرة ثم يصلى فيأمر رجلا ان يقرأ سورة البقرة أو مثلها يرتل القرآن فاذا فرغ أمهل بقدر ما يرى ان انسانا يبلغ أقصى البصرة ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج فيخرج فلا يرى انسانا الا قتله فأخذ ذات ليلة اعرابيا فأتى به زيادا فقال هل سمعت النداء فقال لا والله قدمت بحلوبة لى وغشينى الليل فاضطررتها الى موضع وأقمت لاصبح ولا علم لى بما كان من الامر فقال أظنك والله صادقا ولكن فى قتلك صلاح الامة ثم امر به فضربت عنقه وكان زياد اول من شدد امر السلطان وأكد الملك لمعاوية وجرد سيفه وأخذ بالظنة وعاقب على الشبهة وخافه الناس خوفا شديدا حتى أمن بعضهم بعضا وحتى كان الشئ يسقط من يد الرجل او المرأة فلا يعرض له احد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه ولا يغلق احد بابه وادر العطاء وبنى مدينة الرزق وجعل الشرط اربعة آلاف وقيل له ان السبيل مخوفة فقال لا اعانى شيأ وراء المصر حتى اصلح المصر فان غلبنى فغيره اشد غلبة منه فلما ضبط المصر واصلحه تكلف ما وراء ذلك فاحكمه

﴿ذكر عمال زياد﴾

استعان زياد بعدة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم منهم عمران بن حصين الخزاعى ولاه قضاء البصرة وانس بن مالك وعبد الرحمن بن سمرة وسمرة بن جندب فاما عمران فاستعفى من القضاء فاعفاه واستقضى عبد الله بن فضالة الليثى ثم اخاه عاصما ثم زرارة بن اوفى وكانت اخته عند زياد وقيل ان زيادا اول من سير بين يديه بالحراب والعمد واتخذ الحرس رابطة خمسمائة لا يفارقون المسجد وجعل خراسان ارباعا واستعمل على مرو أمير بن احمر وعلى نيسابور خليد ابن عبد الله الحنفى وعلى مرو الروذ والفارياب والطالقان قيس بن الهيثم وعلى هراة وباذغيس وبوشنج نافع بن خالد الطاحى ثم غضب عليه فعزله وسبب تغيره عليه ان نافعا بعث بخوان باذزهر

ماهان قرب بلخ لما ظهر جنكيزخان واخرب بلاد بلخ واخرج منها السلطان علاء الدين خوارزمشاه وتفرقت اهلها فى سنة احدى عشرة وستمائة ترك البلاد مع من تركه من الملوك وغيرها وقصد بلاد الروم وكان قد سمع بدولة السلاجقة بالروم وعظم شوكتهم وكثرة غزوهم الى الكفار وتبعه فى ذلك خلق كثير فلما وصلوا الى اذربيجان تقاتلوا مع الكفار وغنموا منهم شيأ كثيرا ثم قصدوا دروب حلب من ناحية البستان فوصلوا الى نهر الفرات امام قلعة جعبر ولم يعلموا المعبر فعبروا النهر فغلب عليهم الماء فغرق سليمان شاه فاخرجوه ودفنوه عند قلعة جعبر وقبره اليوم هنالك يزار ويتبرك به وكان مع سليمان شاه المذكور أولاده الثلاثة وهم سنقور وكون طوغدى وارطغرل فلما وصلوا الى موضع يقال له باسين اومى رجع سنقور وكون طوغدى ابنا سليمان شاه الى بلاد العجم وتخلف ارطغرل جد الملوك العثمانية مع ابنائه الثلاثة وهم كوندز آلب وصاروبتى وعثمان ومكث فى ذلك الموضع يجاهد الكفار ثم ارسل ابنه صاروبتى الى صاحب قونية وسيواس السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقى يستأذنه فى الدخول الى بلاده ويطلب منه موضعا ينزل فيه فعين له جبال طومانيج وجبال ارمناك وما بينهما وصحاء سكود فاقبل ارطغرل مع اربعمائة الى

بن كان من قومه فتوطنوا فى قره جه طاغ وفى سنة خمس وثمانين وستمائة نازل السلطان علاء الدين بعساكر كثيرة

الى زياد قوائمه منه فأخذ نافع منها قائمة وعمل مكانها قائمة من ذهب وبعث الخوان مع غلام له اسمه زيد وكان يلى امور نافع كلها فسعى زيد بنافع الى زياد وقال انه خانك واخذ قائمة الخوان فعزله زياد وحبسه وكتب عليه كتابا بمائة الف وقيل بثمانمائة الف فشفع فيه رجال من وجوه الازد فأطلقه واستعمل الحكم بن عمرو الغفارى وكانت له صحبة وكان زياد قال لحاجبه ادع لى الحكم يريد الحكم بن ابى العاص الثقفى ليوليه خراسان فخرج حاجبه فرأى الحكم بن عمرو الغفارى فاستدعاه فحين رآه زياد قال له ما اردتك ولكن الله أراد لك فولاه خراسان وجعل معه رجالا على جباية الخراج منهم أسلم بن زرعة الكلابى وغيره وغزا الحكم طخارستان فغنم غنائم كثيرة ثم مات واستخلف انس بن ابى اناس بن زنيم فعزله زياد وكتب الى خليد بن عبد الله الحنفى بولاية خراسان ثم بعث الربيع بن زياد الحارثى فى خمسين ألفا من البصرة والكوفة

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة مروان بن الحكم وكان على المدينة وفيها مات زيد بن ثابت الانصارى وقيل سنة خمس وخمسين وعاصم بن عدى الانصارى البلوى وكان بدريا وقيل لم يشهدها بل رده رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وضرب له بسهمه وكان عمره مائة وعشرين سنة وفيها مات سلمة بن سلامة بن وقش الانصارى بالمدينة وشهد العقبة وبدرا وكان عمره سبعين سنة وفيها توفى ثابت بن الضحاك بن خليفة الكلابى وهو من أصحاب الشجرة وهو أخو أبى جبيرة بن الضحاك

(ثم دخلت سنة ست وأربعين)

فى هذه السنة كان مشتى مالك بن عبد الله بأرض الروم وقيل بل كان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وقيل بل كان مالك بن هبيرة السكونى وفيها انصرف عبد الرحمن بن خالد من بلاد الروم الى حمص ومات

(ذكر وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد)

وكان سبب موته انه كان قد عظم شأنه عند أهل الشام ومالوا اليه لما عندهم من آثار أبيه ولغنائه فى بلاد الروم ولشدة بأسه فخافه معاوية وخشى منه وأمر ابن أثال النصرانى أن يحتال فى قتله وضمن له ان يضع عنه خراجه ما عاش وان يوليه خراج حمص فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس اليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه فشربها فمات بحمص فوفى له معاوية بما ضمن له وقدم خالد بن عبد الرحمن بن خالد المدينة فجلس يوما الى عروة بن الزبير فقال له عروة ما فعل ابن أثال فقام من عنده وسار الى حمص فقتل ابن أثال فحمل الى معاوية فحبسه أياما ثم غرمه ديته ورجع خالد الى المدينة فأتى عروة فقال عروة ما فعل ابن أثال فقال قد كفيتك ابن أثال ولكن ما فعل ابن جرموز يعنى قاتل الزبير فسكت عروة

(ذكر خروج سهم والخطيم)

وفيها خرج الخطيم وهو يزيد بن مالك الباهلى وسهم بن غالب الهجيمى فحكما فأما سهم فانه خرج الى الاهواز فحكم بها ثم رجع فاختفى وطلب الامان فلم يؤمنه زياد وطلبه حتى أخذه وقتله وصلبه على بابه مدة وأما الخطيم فان زيادا سيره الى البحرين ثم أقدمه وقال لمسلم بن عمرو الباهلى والد قتيبة بن مسلم اضمنه فأبى وقال ان بات خارجا عن بيته أعلمتك ثم اتاه مسلم

ومعه الامير ارطغرل قلعة كوتاهية وهى يومئذ بيد الكفار ففوض أمر القلعة الى الامير ارطغرل وسار الى قتال التاتار بسبب تعرضهم لبعض بلاده ولم يزل الامير ارطغرل يجتهد حتى فتحها عنوة وغنم من الاموال أشياء كثيرة فازداد عند السلطان قربا ومنزلة ولم يزل الامير ارطغرل بعد هذا يقاتل ويجاهد فى سبيل الله عز وجل حتى توفى فى سبيل الله سنة سبع وثمانين وستمائة فلما سمع السلطان وفاته تأسف عليه وعين مكانه ولده

(السلطان عثمان خان الغازى ابن الامير ارطغرل)

وكان تفرس فى الغزاة فى سبيل الله منذ نشأ وكان مولده سنة ست وخمسين وستمائة فلما رأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده فى الجهاد وعلم نجابته فى فتح تلك البلاد أكرمه وامده بأنواع الاعانة والامداد وارسل اليه الراية السلطانية والخلع السنية والطبل والزمر فلما ضرب الطبل بين يدى السلطان عثمان نهض قائما على قدميه اعظاما للسلطان علاء الدين فما زال كذلك حتى فرغوا فمن ذلك اليوم كان بين العساكر العثمانية القيام على أرجلهم عند ضرب طبل السلطنة فى الاسفار والاعياد وكان يحب العلماء والصلحاء وكان كثير التردد الى الشيخ

وقال له لم يبت الطليم الا له فى بيته فامر به فقتل والقى فى باهله وقد تقدم ذلك أتم من هذا وانما
ذكرناه ههنا لانه قتل هذه السنة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وحج بالناس هذه السنة عتبة بن أبى سفيان وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها توفى صالح بن
كيسان مولى بنى غفار وقيل مولى بنى عامر وقيل الخزاعى

(ثم دخلت سنة سبع وأربعين)

فى هذه السنة كان مشتى مالك بن هبيرة بأرض الروم ومشتى عبد الرحمن القينى بانطاكية

﴿ذكر عزل عبد الله بن عمرو عن مصر وولاية ابن حديج﴾

وفيها عزل عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر ووليها معاوية بن حديج وكان عثمانيا فمر به عبد
الرحمن بن أبى بكر فقال له يا معاوية قد أخذت جزاءك من معاوية قد قتلت أخى محمد بن أبى بكر
لتلى مصر فقد وليتها فقال ما قتلت محمدا الا بما صنع بعثمان فقال عبد الرحمن فلو كنت انما
تطلب بدم عثمان ما شاركت معاوية فيما صنع حيث عمل عمرو بالاشعرى ما عمل فوثبت أول الناس
فبايعته (حديج بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبالجيم)

﴿ذكر غزوة الغور﴾

فى هذه السنة سار الحكم بن عمرو الى جبال الغور فغزا من بها وكانوا ارتدوا فأخذهم بالسيف
عنوة وفتحها وأصاب منهم مغانم كثيرة وسبايا ولما رجع الحكم من هذه الغزوة مات بمرو فى قول
بعضهم وكان الحكم قد قطع النهر فى ولايته ولم يفتح وكان أول المسلمين شرب من النهر مولى
للحكم اغترف بترسه فشرب وناول الحكم فشرب وتوضأ وصلى ركعتين وكان أول المسلمين فعل
ذلك ثم رجع

﴿ذكر مكيدة للمهلب﴾

وكان المهلب مع الحكم بن عمرو بخراسان وغزا معه بعض جبال الترك فغنموا وأخذ الترك
عليهم الشعاب والطرق فعيى الحكم بالامر فولى المهلب الحرب فلم يزل يحتال حتى أسر عظيما من
عظماء الترك فقال له اما ان تخرجنا من هذا الضيق او لاقتلنك فقال له أوقد النار حيال
طريق من هذه الطرق وسير الاثقال نحوه فانهم سيجتمعون فيه ويخلون ما سواه من الطرق
فبادرهم الى طريق اخرى فما يدركونكم حتى تخرجوا منه ففعل ذلك فسلم الناس بما معهم من
الغنائم وحج بالناس هذه السنة عتبة بن ابى سفيان وقيل عنبسة بن ابى سفيان وكان الولاة من
تقدم ذكرهم

(ثم دخلت سنة ثمان وأربعين)

فيها كان مشتى عبد الرحمن القينى بانطاكية وصائفة عبد الله بن قيس الفزارى وغزوة مالك بن
هبيرة السكونى البحر وغزوة عقبة بن عامر الجهنى بأهل مصر البحر وبأهل المدينة وفيها
استعمل زياد غالب بن فضالة الليثى على خراسان وكانت له صحبة وحج بالناس مروان وهو يتوقع
العزل لموجدة كانت من معاوية عليه وارتجع معاوية منه فدك وكان وهبها له وكان ولاة الامصار
من تقدم ذكرهم

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين)

فيها كان مشتى مالك بن هبيرة بارض الروم وفيها كانت غزوة فضالة بن عبيد جربة وشتى بها وفتحت

العارف اده بالى القرمانى وو عمايت فى زاويته فرأى ليلة فى منامه ان قمرا خرج من حضن الشيخ المذكور فدخل فى
حضنه وعند ذلك نبتت من
سرته شجرة عظيمة سدت
اغصانها الآفاق وتحتها
جبال راسيات ذات انهار
وعيون والناس ينتفعون
من تلك المياه فلما استيقظ
الامير عثمان وقص رؤياه للشيخ
فقال له الشيخ لك البشارة
بمنصب السلطنة وسيعلو
أمرك وينتفع الناس بك
وبأولادك وان زوجتك
ابنتى هذه فقبلها عثمان
وتزوجها فولد منها الاولاد من
جملتهم السلطان اورخان
ثم ان السلطان علاء الدين
علم بلاؤه من التاتار وقد
شاخ وكبر سنه وعجز عن
الحركة والمرض فاشتغل
بنفسه عن غيره فتسلطن
عثمان الغازى فى البلاد التى
افتتحها وخطب له فيها
بالسلطنة وخطب ختن
الشيخ اده بالى مولانا
طورسون الفقيه فى مدينة
قره جه حصار يوم الجمعة
سنة تسع وتسعين وستمائة
وهى أول خطبة خطبت فى
الدولة العثمانية باسم الامير
عثمان الغازى وقيل بل
أجازه فى ذلك السلطان
علاء الدين المذكور وهو
مجاز من الخلفاء العباسيين
ثم شرع الغازى عثمان شادى
الغزو والجهاد واستخلاص
البلاد ففتح قلعة بيله جك وراينه كول وبكى شهر وفى سنة سبعمائة توفى السلطان علاء الدين السلجوقى وتولى

على

على يده وأصاب فيها اشيا كثيرا وفيها كانت صائفة عبد الله بن كرز البجلي وفيها كانت غزوة يزيد بن شجرة الرهاوي في البحر فشتى باهل الشام وفيها كانت غزوة عقبة بن نافع البحر فشتى باهل مصر

(ذكر غزوة القسطنطينية)

في هذه السنة وقيل سنة خمسين سير معاوية جيشا كثيفا الى بلاد الروم للغزاة وجعل عليهم سفيان بن عوف وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم فتثاقل واعتل فأمسك عنه أبوه فأصاب الناس في غزاتهم جوع ومرض شديد فأنشأ يزيد يقول

ما ان ابالي بما لاقت جموعهم * بالفرقدونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الانماط مرتفقا * بدير مران عندي أم كلثوم

وأم كلثوم امرأته وهي ابنة عبد الله بن عامر فبلغ معاوية شعره فاقسم عليه ليلحقن بسفيان في ارض الروم ليصيبه ما اصاب الناس فسار ومعه جمع كثير اضافهم اليه أبوه وكان في هذا الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابو ايوب الانصاري وغيرهم وعبد العزيز بن زرارة الكلابي فاوغلوا في بلاد الروم حتى بلغوا القسطنطينية فاقتتل المسلمون والروم في بعض الايام واشتدت الحرب بينهم فلم يزل عبد العزيز يتعرض للشهادة فلم يقتل فأنشأ يقول

قد عشت في الدهر اطوارا على طرق * شتى فصادفت منها اللين والبشعا
كلا بلوت فلا النعماء تبطرني * ولا تخشعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الامر صدري قبل موقعه * ولا اضيق به ذرعا اذا وقعا

ثم حمل على من يليه فقتل فيهم وانغمس بينهم فشجره الروم برماحهم حتى قتلوه رحمه الله فبلغ خبر قتله معاوية فقال لابيه والله هلك فتى العرب فقال ابني أو ابنك قال ابنك فآجرك الله فقال

فان يكن الموت اودى به * واصبح مخ الكلابي زيرا
فكل فتى شارب كأسه * فاما صغيرا واما كبيرا

ثم رجع يزيد والجيش الى الشام وقد توفي ابو ايوب الانصاري عند القسطنطينية فدفن بالقرب من سورها فاهلها يستسقون به وكان قد شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد صفين مع علي وغيرها من حروبه

(ذكر عزل مروان عن المدينة وولاية سعيد)

وفيها عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة في ربيع الاول وامر سعيد بن العاص عليها في ربيع الآخر وقيل في ربيع الاول وكانت ولاية مروان كلها المدينة لمعاوية ثماني سنين وشهرين وكان على قضاء المدينة عبد الله بن الحرث بن نوفل فعزله سعيد حين ولي واستقضى ابا سلمة بن عبد الرحمن

(ذكر وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام)

في هذه السنة توفي الحسن بن علي سقته زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندي ووصى ان يدفن عند النبي صلى الله عليه وسلم الا أن تخاف فتنة فينقل الى مقابر المسلمين فاستأذن الحسين عائشة فأذنت له فلما توفي ارادوا دفنه عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرض اليهم سعيد بن العاص وهو الامير فقام مروان بن الحكم وجمع بني أمية وشيعتهم ومنع عن ذلك

مكانه ولده كامر وكثر الهرج والمرج في بلاده فلحق غالب عساكره بالسلطان الغازي عثمان وفي سنة سبع وسبعمائة فتح الامير عثمان ناحية مرمرة وكان الامير عثمان الغازي قسم البلاد بين اولاده واقطعهم اياها واستقر هو في بلدة يكي شهر وتمكن بها وجعلها دار الامارة واسكن فيها الجند وفي هذه السنة فتح السلطان الغازي عثمان خان حصن كته وحصن لفكه وحصن آق حصار وحصن قوج حصار وفي سنة اثنتي عشرة وسبعمائة افتتح المسلمون حصن كبوه وحصن يكيجه طراقلو وحصن تكور بيكاري وغيره وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة حاصر الغازي عثمان خان مدينة بروسه مدة ثم لما امتد امر الحصار امر ببناء قلعتين في طرفي المدينة واسكن فيهما الجند وامرهم بالتضييق على اهل البلد وقطع الميرة عنهم وعاد هو الى مكانه فلما امتد ذلك ارسل الملك عثمان ابنه أورخان وصحبته عساكر كثيرة لفتح بروسه وكان السلطان عثمان اذ ذاك مريضا من علة النقرس فتخلف عن الغزو وفي هذه الاثناء توفي الملك المذكور في سنة ست وعشرين وسبعمائة وقيل بل عاش بعد فتح بروسه بعض أيام ودفن في قرية سوكجك وله قبر هناك يزار ويتبرك به وكان رحمه الله ما كان عادلا شجاعا مرابطا مجاهدا

فاراد الحسين الامتناع فقيل له ان اخاك قال اذا خفتم الفتنة ففى مقابر المسلمين وهذه فتنة فسكت وصلى عليه سعيد بن العاص فقال له الحسين لولا انه سنة لما تركتك تصلى عليه

(ثم دخلت سنة خمسين)

فيها كانت غزوة بسر بن ارطاة وسفيان بن عوف الازدى ارض الروم وغزوة فضالة بن عبيد الانصارى فى البحر

(ذكر وفاة المغيرة بن شعبة وولاية زياد الكوفة)

فى هذه السنة فى شعبان كانت وفاة المغيرة بن شعبة فى قول بعضهم وهو الصحيح وكان الطاعون قد وقع بالكوفة فهرب المغيرة منه فلما ارتفع الطاعون عاد الى الكوفة فطعن فمات وكان طوالا اعور ذهبت عينه يوم اليرموك وتوفى وهو ابن سبعين سنة وقيل كان موته سنة احدى وخمسين وقيل سنة تسع واربعين فلما مات المغيرة استعمل معاوية زيادا على الكوفة وهو اول من جمعا له فلما وليهما سار اليها واستخلف على البصرة سمرة بن جندب وكان زياد يقيم بالكوفة ستة اشهر وبالبصرة ستة اشهر فلما وصل الكوفة خطبهم فحصب وهو على المنبر فجلس حتى امسكوا ثم دعا قوما من خاصته فامرهم فاخذوا ابواب المسجد ثم قال ليأخذ كل رجل منكم جليسه ولا يقولن لا ادرى من جليسى ثم امر بكرسى فوضع له على باب المسجد فدعاهم اربعة اربعة يحلفون ما منا من حصبك فمن حلف خلاه ومن لم يحلف حبسه حتى صار الى ثلاثين وقيل الى ثمانين فقطع ايديهم على المكان وكان اول قتيل قتله زياد بالكوفة أوفى بن حصن وكان بلغه عنه شئ فطلبه فهرب فعرض الناس فرأه فقال من هذا قال اوفى بن حصن فقال زياد اتتك بحائن رجلاه وقال له ما رأيك فى عثمان قال ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه قال فما تقول فى معاوية قال جواد حليم قال فما تقول فى قال بلغنى انك قلت بالبصرة والله لآخذن البرئ بالسقيم والمقبل بالمدبر قال قد قلت ذلك قال خبطتها خبط عشواء فقال زياد ليس النفاخ بشر الزمرة فقتله ولما قدم زياد الكوفة قال له عمارة بن عقبة بن أبى معيط ان عمرو بن الحمق يجمع اليه شيعة ابى تراب فارسل اليه زياد ما هذه الجماعات عندك من اردت كلامه ففى المسجد وقيل الذى سعى بعمرو يزيد بن رويم فقال له زياد قد ابطلت به ولو علمت ان مخ ساقه قد سال من بغضى ما هجته حتى يخرج على فاتخذ زياد المقصورة حين حصب فلما استخلف زياد سمرة على البصرة اكثر القتل فيها فقال ابن سيرين قتل سمرة فى غيبة زياد هذه ثمانية آلاف فقال له زياد اتخاف ان تكون قتلت بريأ فقال لو قتلت معهم مثلهم ما خشيت وقال ابو السوار العدوى قتل سمرة من قومى فى غداة واحدة سبعة واربعين كلهم قد جمع القرآن وركب سمرة يوما فاتى أوائل خيله رجلا فقتلوه فربه سمرة وهو يتشحط فى دمه فقال ما هذا فقيل اصابه أوائل خيلك فقال اذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا اسنتنا

(ذكر خروج قريب)

وفيها خرج قريب الازدى وزحاف الطائى بالبصرة وهما ابنا خالة وزياد بالكوفة وسمرة على البصرة فاتيا بنى ضبيعة وهم سبعون رجلا وقتلوا منهم شيخا وخرج على قريب وزحاف شباب من بنى على وبنى راسب فرموهم بالنبل وقتل عبد الله بن أوس الطاحى قريبا وجاء برأسه واشتد

زياد

ترى فى نواحى بروسه باسم السلاطين العثمانية من تلك الاغنام توفى رحمه الله وله من العمر تسع وستون سنة وكانت مدة ملكه ستا وعشرين سنة وتولى مكانه ولده

(السلطان المجاهد اورخان خان ابن السلطان عثمان خان) جلس على سرير الملك فى ابتداء سنة سبع وعشرين وسبعمائة وسنه ثمان واربعون سنة وكان مولده فى سنة ثمان وسبعين وستمائة ثم انه بالغ وبذل جهده فى فتح مدينة بروسه ففتحها بعد جهد جهيد واستولى على القلعة واسكنها المسلمين وجعلها دار الاسلام بعد ان كانت معقلا لاهل الاوثان والازلام وانتقل الملك اليها وجعلها دار السلطنة وبنى بها جامعا ومدرسة وتكية يطبخ فيها الطعام للفقراء والغرباء وهذه المدينة من الاقليم الخامس وهى من أعظم المدن الاسلامية واعمرها وهى مدينة كثيرة الثمار والعيون وفى جانب منها مياه سخنة بقدرة الله تعالى جعلوها حمامات ينتفع بها خلق كثير وهى من عجائب الدنيا وفى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة سار السلطان اورخان ففتح حصونا من بيوت حصار وفتح ازنكميد وفتح مدينة ازنيق

زيادا في أمر الخوارج فقتلهم وأمر سمرة بذلك فقتل منهم بشرا كثيرا وخطب زياد على المنبر فقال يا أهل البصرة والله لتكفنني هؤلاء أو لأبدأن بكم والله لئن أفلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطيائكم درهما فثار الناس بهم فقتلوهم

﴿ذكر ارادة معاوية نقل المنبر من المدينة﴾

وفي هذه السنة أمر معاوية بمنبر النبي صلى الله عليه وسلم ان يحمل من المدينة الى الشام وقال لا يترك هو وعصا النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهم قتلة عثمان وطلب العصا وهو عند سعد القرظ فحرك المنبر فكسفت الشمس حتى رؤيت النجوم بادية فأعظم الناس ذلك فتركه وقيل أتاه جابر وأبو هريرة وقالا له يا أمير المؤمنين لا يصلح ان تخرج منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع وضعه ولا تنقل عصاه الى الشام فانقل المسجد فتركه وزاد فيه ست درجات واعتذر مما صنع فلما ولي عبد الملك بن مروان هم بالمنبر فقال له قبيصة بن ذؤيب أذكرك الله ان تفعل ان معاوية حركه فكسفت الشمس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري فليتبوأ مقعده من النار وهو مقطع الحقوق عندهم بالمدينة فتركه عبد الملك فلما كان الوليد ابنه وحج هم بذلك فارسل سعيد بن المسيب الى عمر بن عبد العزيز فقال كلم صاحبك لا يتعرض للمسجد ولا لله والسخط له فكلمه عمر فتركه ولما حج سليمان بن عبد الملك اخبره عمر بما كان من الوليد فقال سليمان ما كنت احب ان يذكر عن أمير المؤمنين عبد الملك هذا ولا عن الوليد مالنا ولهذا أخذنا الدنيا فهي في أيدينا ونريد ان نعمد الى علم من أعلام الاسلام يوفد اليه فنحمله هذا ما لا يصلح وفيها عزل معاوية بن حديج السكوني عن مصر ووليها مسلمة بن مخلد مع افريقية وكان معاوية بن أبي سفيان بعث قبل ان يولي مسلمة افريقية ومصر عقبة بن نافع الى افريقية وكان اختط قيروانها وكان موضعه غيضة لا ترام من السباع والحيات وغيرها فدعا الله عليها فلم يبق منها شيء الا خرج هاربا حتى ان كانت السباع تحمل اولادها وبنى الجامع فلما عزل معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج السكوني عن مصر عزل عقبة عن افريقية وجمعها لمسلمة ابن مخلد فهو اول من جمع له المغرب مع مصر فولى مسلمة افريقية مولى له يقال له أبو المهاجر فلم يزل عليها حتى هلك معاوية بن ابي سفيان

﴿ذكر ولاية عقبة بن نافع افريقية وبناء مدينة القيروان﴾

قد ذكر أبو جعفر الطبري ان في هذه السنة ولي مسلمة بن مخلد افريقية وان عقبة ولي قبله افريقية وبنى القيروان والذي ذكره اهل التاريخ من المغاربة أن ولاية عقبة بن نافع افريقية كانت هذه السنة وبنى القيروان ثم بقي الى سنة خمس وخمسين ووليها مسلمة بن مخلد وهم اخبر ببلادهم * وانا اذكر ما اثبتوه في كتبهم قالوا ان معاوية بن ابي سفيان عزل معاوية بن حديج عن افريقية حسب واستعمل عليها عقبة بن نافع الفهري وكان مقيما ببرقة وزويلة مذ فتحها ايام عمرو بن العاص وله في تلك البلاد جهاد وفتوح فلما استعمله معاوية سير اليه عشرة آلاف فارس فدخل افريقية وانضاف اليه من أسلم من البربر فكثر جمعه ووضع السيف في أهل البلاد لانهم كانوا اذا دخل اليهم أمير أطاعوا واظهر بعضهم الاسلام فاذا عاد الامير عنهم نكثوا وارتد من أسلم ثم رأى ان يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين واهلهم واموالهم ليأمنوا

وكانت من معظم مدائن الكفار وجمع عظماؤهم فغنم المسلمون منها غنيمة لم يعهد مثلها وفتح حصونا كثيرة وفي سنة ثمان وخمسين وسبعمائة أمر السلطان اورخان لولده سليمان ان يجتاز البحر الابيض الى طرف روم ايلي للجهاد ولم يكونوا على كون السفن فعملوا الواحا شبه السفن فركبوا عليها بالليل من موضع يقال له كمر فوصلوا الى ذلك البر فصادفوا حصنا يسمى جمى فاستولوا عليه بما فيه ثم هجموا على قلاع أخر فاستولوا عليها قهرا وكان الامير سليمان ابن اورخان على جانب عظيم من الشهامة والعدالة فلما رأى الكفار حسن سيرته ونشر عدله وضبط جنده اطاعوه ورضوا به فصار أمر المسلمين ينمو وصيتهم يسمو فخرج لقتالهم تكور صاحب مدينة كليبولي في عسكر كثير وكان المسلمون في نفر قليل فتوكلوا على الله واستمدوا من روحانية رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقاتلوا قتالا شديدا فانتصر المسلمون واستولوا على عدة حصون منها مدينة كليبولي وهي مدينة جليلة على شاطئ البحر بينها وبين قسطنطينية ستة وثمانون ميلا ونصف ميل ومنها قلعة قره جلك وقلعة خيره بولي وهي بلاد متسعة ومنها قلعة دوكور ومنها تكور طاغي وغيره وأخرب الكنائس والبيع وبنى مكانها مساجد ومعابد وفي سنة ستين وسبعمائة خرج الامير سليمان المذكور للصيد فكبا به الفرس فمات من وقته وجزع عليه والده جزعا شديدا وفي هذه السنة عبر الامير مراد الغازي ابن

من نورة تتكون من أهل البلاد فقصد موضع القيروان وكان دحلة مشتبكة بها من انواع الحيوان من السباع والحيات وغير ذلك فدعا الله وكان مستجاب الدعوة ثم نادى ايتها الحيات والسباع انا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحلوا عنا فانا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه فنظر الناس ذلك اليوم الى الدواب تحمل اولادها وتنتقل فرآه قبيل كثير من البربر فاسلموا وقطع الاشجار وامر ببناء المدينة فبنيت وبنى المسجد الجامع وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم وكان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع وتم امرها سنة خمس وخمسين وسكنها الناس وكان في اثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا فتغير وتنهب ودخل كثير من البربر في الاسلام واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وامنوا واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام فيها

﴿ذكر ولاية مسلمة بن مخلد افريقية﴾

ثم ان معاوية بن ابى سفيان استعمل على مصر وافريقية مسلمة بن مخلد الانصارى فاستعمل مسلمة على افريقية مولى له يقال له ابو المهاجر فقدم افريقية وأساء عزل عقبة واستخف به وسار عقبة الى الشام وعاتب معاوية على مافعله به ابو المهاجر فاعتذر اليه ووعده باعادته الى عمله وتمادى الامر فتوفى معاوية وولى بعده ابنه يزيد فاستعمل عقبة بن نافع على البلاد سنة اثنتين وستين فسار اليها وقد ذكر الواقدى ان عقبة بن نافع ولى افريقية سنة ست واربعين واختط القيروان ولم يزل عقبة على افريقية الى سنة اثنتين وستين فعزله يزيد بن معاوية واستعمل أبا المهاجر مولى الانصار فحبس عقبة وضيق عليه فلما بلغ يزيد بن معاوية ما فعل بعقبة كتب اليه يامره باطلاقه وارساله اليه ففعل ذلك ووصل عقبة الى يزيد فاعاده الى افريقية والياً عليها فقبض على ابى المهاجر واوثقه وساق من خبره كمثل ما نذكره ان شاء الله تعالى سنة اثنتين وستين

﴿ذكر هرب الفرزدق من زياد﴾

وفيها طلب زياد الفرزدق استعدت عليه بنو نهشل وفقيم وسبب ذلك قال الفرزدق هاجيت الاشهب بن رميلة والبعيث فسقطا فاستعدى على بنو نهشل و بنو فقيم زياد ابن ابيه واستعدى على أيضاً يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك قال فلم يعرفنى زياد حتى قيل له الغلام الاعرابى الذى أنهب ماله وثيابه فعرفنى قال الفرزدق وكان ابى غالب قد ارسلنى فى جلب له ابيعه وأمتار له فبعت الجلب بالبصرة وجعلت ثمنه فى ثوبى فعرض لى رجل فقال لشد ما تستوثق منه اما لو كان مكانك رجل اعرفه ماصر عليها فقلت ومن هو قال غالب بن صعصعة وهو أبو الفرزدق فدعوت اهل المربد ونثرتها فقال لى قائل الق رداءك ففعلت فقال آخر ألق ثوبك ففعلت وقال آخر الق عمامتك ففعلت فقال آخر ألق ازارك فقلت لا القيه وامشى مجردا انى لست بمجنون وبلغ الخبر زيادا فقال هذا احمق يضرى الناس بالنهب فارسل خيلا الى المربد ليأتوه بى فأتانى رجل من بنى الهجيم على فرس له وقال النجاء النجاء وأردفنى خلفه وتغيبت فاخذ زياد عمين لى ذهيلا والزحاف ابنى صعصعة وكانا فى الديوان فحبسهما ايامائم كلم فيهما فاطلقهما وأتيت ابى فاخبرته خبرى فحقدها عليه زياد ثم وفد الاحنف بن قيس وجارية بن قدامة السعدى والجون بن قتادة

السلطان أورخان الى طرف روم ايلى من خليج كليبولى ففتح مدينة جورلى وهى من القسطنطينية مسيرة ثلاث مراحل ولم يزل مراد الغازى يحاصر البلاد ويقاتل الكفار العناد حتى فتح مدينة ديمتوقه وهى من كبار البلاد الاسلامية يومئذ وفى سنة احدى وستين وسبعمائة توفى السلطان اورخان الغازى وعمره ثلاث وثمانون سنة ودفن بمدينة بروسه وكانت مدة ملكه خمسا وثلاثين سنة وكان رحمه الله ملكا جليلا ذا صورة حسنة وسيرة مرضية وكرم وافر وعدل متكاثر بنى بازنيق جامعا ومدرسة وهى اول مدرسة بنيت فى الدولة العثمانية ومن العلماء فى زمانه داود القيصرى اشتغل فى بلاده ثم انتقل الى مصر وقرأ على علمائها وغيرهم ومن المشايخ فى زمانه كيكلو بابا كان يركب الغزلان وحضر فتح بروسه مع السلطان أورخان وهو راكب على غزال وله كرامات يعجز الانسان عن حصرها ومنهم الشيخ العارف بالله قرجه احمد اصله من بلاد العجم من أبناء الملوك ومنهم الشيخ المجذوب موسى باباو من كراماته انه أخذ جمرة فوضعها فى قطنة وارسلها الى الشيخ كيكلو بابا الذى كان يركب الغزلان فلما رآها الشيخ ارسل اليه قصعة فيها لبن فلما رآه تعجب فسئل عنه فقال انه ابن الغزال وتسخير الحيوان اصعب من تسخير الجمادات ومن المشايخ أيضا فى زمانه أخى اوران ودرة لو بابا وابدال مراد كلهم من اولياء الله تعالى ظهرت كراماتهم و بويع بالسلطنة

العثمانى

العبشمي والحتات بن يزيد ابو منازل المجاشعي الى معاوية بن ابي سفيان فاعطى كل رجل منهم
جائزة مائة الف واعطى الحتات سبعين الفا فلما كانوا في الطريق ذكر كل منهم جائزته فرجع
الحتات الى معاوية فقال ماردك قال فضحتني في بني تميم اما حسبي صحيح اولست ذا سن الست
مطاعا في عشيرتي قال بلى قال فما بالك خسست بي دون القوم واعطيت من كان عليك أكثر
ممن كان لك وكان حضر الجمل مع عائشة وكان الاحنف وجارية يريدان عليا وان كان
الاحنف وابلحون اعتزلا القتال مع علي لكنهما كانا يريدانه قال اني اشتريت من القوم دينهم
ووكلتك الى دينك ورايك في عثمان وكان عثمانيا فقال وانا فاشترمني ديني فامر له باتمام جائزته
ثم مات الحتات فحبسها معاوية فقال الفرزدق في ذلك

أبوك وعمي يامعاوي اورثا * تراثا فيحتاز التراث اقاربه
فما بال ميراث الحتات أخذته * وميراث صخر جامد لك ذائبه
فلو كان هذا الامر في جاهلية * علمت من المرء القليل حلائبه
ولو كان في دين سوى ذا شنئتم * لنا حقنا اوغص بالماء شاربه
الست اعز الناس قوما وأسرة * وامنعهم جارا اذا ضيم جانبه
وما ولدت بعد النبي وآله * كمثلي حصان في الرجال يقاربه
وبيتي الى جنب الثريا فناؤه * ومن دونه البدر المضيء كواكبه
أنا ابن الجبال الشم في عدد الحصى * وعرق الثرى عرقي فمن ذا يحاسبه
وكم من اب لي يامعاوي لم يزل * اغر يباري الريح ازور جانبه
نمته فروع المالكين ولم يكن * أبوك الذي من عبد شمس يقاربه
تراه كنصل السيف يهتز للندى * كريما يلاقي المجد ماطر شاربه
طويل نجاد السيف مذ كان لم يكن * قصي وعبد شمس ممن يخاطبه

يريد بالمالكين مالك بن حنظلة ومالك بن زيد مناة بن تميم وهما جداه لان الفرزدق ابن غالب بن
صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد
مناة بن تميم فلما بلغ معاوية شعره رد على أهله ثلاثين ألفا فأغضبت ايضا زيادا عليه فلما استعدت
عليه نهشل وفقيم ازداد عليه غضبا فطلبه فهرب وأتى عيسى بن خصيلة السلمي ليلا وقال له ان
هذا الرجل قد طلبني وقد لفظني الناس وقد أتيتك لتغيبني عندك فقال مرحبا بك فكان عنده
ثلاث ليال ثم قال له قد بدا لي ان آتي الشام فسيره وبلغ زيادا مسيره فأرسل في أثره فلم يدرك وأتى
الروحاء فنزل في بكر بن وائل فأمن ومدحهم بقصائد ثم كان زياد اذا نزل البصرة نزل الفرزدق
الكوفة واذا نزل الكوفة نزل الفرزدق البصرة فبلغ ذلك زيادا فكتب الى عامله على الكوفة
وهو عبد الرحمن بن عبيد يأمره بطلب الفرزدق ففارق الكوفة نحو الحجاز فاستجار بسعيد بن
العاص فأجاره فمدحه الفرزدق ولم يزل بالمدينة مرة وبمكة مرة حتى هلك زياد وقد قيل ان
الفرزدق انما قال هذا الشعر لان الحتات لما أسلم آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية
فلما مات الحتات بالشام ورثه معاوية بتلك الاخوة فقال الفرزدق هذا الشعر وهذا القول الذي
ليس بشيء لان معاوية لم يكن يجهل ان هذه الاخوة لايرث بها أحد (الحتات بضم الحاء وبتائين

بعد وفاة والده
(السلطان مجاهد الدين مراد
خان بن السلطان اورخان)
استقر على سرير الملك بمدينة
بروسة وكان عمره اذذاك
اربعا وثلاثين سنة ومولده
سنة سبع وعشرين وسبعمائة
وجلوسه على التخت سنة
احدى وستين وسبعمائة
فلما جلس على سرير الملك سار
وحاصر مدينة انكورية
ففتحها عنوة وكانت من امنع
الحصون وهي مدينة يجلب
منها الاصواف الى العالم فلما
سمع بخبره ابن قرمان صاحب
مدينة لارندة خشي على بلاده
فجمع خمسة من القبائل
والعشائر وهم التاتار وورسق
وطورغود والتركمان وغيرهم
جماعة لاتحصى فنهض كل
من الملكين الى قتال الآخر
فجرى بينهما قتال شديد وحرب
اكيد ثم انجلى الامر عن
هزيمة ابن قرمان وانتصار
السلطان مرادخان بن
عثمان وفي سنة احدى وستين
وسبعمائة ارسل السلطان
مرادخان الغازي شاهين
لالا الاتابك الى فتح مدينة
ادرنه في جيش كثيف فاقتتلوا
قتالا شديدا وعجزوا عن اخذها
وسألوا السلطان ان يقدم
اليهم بنفسه فسار السلطان
مع جيوش الموحدين وغزاة
المجاهدين فاجتاز البحر فلما
سمع الكفار بقدومه تزلزلت

مثناتين من فوقها ما بينهما ألف)

(ذكر وفاة الحكم بن عمرو الغفاري)

في هذه السنة توفي الحكم بن عمرو الغفاري بمرو بعد انصرافه من غزوة جبل الاشل في قول وقد تقدم ذكر وفاته في قول آخر وكان زياد قد كتب اليه ان أمير المؤمنين معاوية أمرني ان اصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة فكتب اليه الحكم بلغني ما أمر به أمير المؤمنين واني وجدت كتاب الله قبل كتابه وانه والله لو ان السموات والارض كانتا رتقا على عبد ثم اتقى الله لجعل له مخرجا والسلام ثم قال للناس اغدوا على اعطياتكم ومالكم فقسمه بينهم ثم قال اللهم ان كان لي عندك خير فاقبضني اليك فتوفي بمرو وله صحبة

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة معاوية وقيل بل حج ابنه يزيد وكان العمال على البلاد من تقدم ذكرهم وفيها توفي سعد بن أبي وقاص بالعقيق فحمل على الرقاب الى المدينة فدفن بها وقيل توفي سنة أربع وخمسين وقيل سنة خمس وخمسين وعمره أربع وسبعون وقيل ثلاث وثمانون سنة وهو أحد العشرة وكان قصيرا دحداحا وفيها توفيت صفية بنت حيي زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقيل توفيت أيام عمر وفيها توفي عثمان بن ابي العاص الثقفي وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس توفي بالبصرة وأبو موسى الاشعري وقيل توفي سنة اثنتين وخمسين وفيها توفي زيد بن خالد الجهني وقيل توفي سنة ثمان وستين وقيل ثمان وسبعين وفيها توفي مدلاج بن عمرو السلمي وكان قد شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم لهم صحبة

(ثم دخلت سنة احدى وخمسين)

وفيها كان مشتى فضالة بن عبيد بأرض الروم وغزوة بسر بن ابي أرطاة الصائفة

(ذكر قتل حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وأصحابهما)

في هذه السنة قتل حجر بن عدي وأصحابه وسبب ذلك ان معاوية استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة احدى وأربعين فلما امره عليها دعاه وقال له أما بعد فان لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم وقد أردت ايصاءك بأشياء كثيرة انا تاركها اعتمادا على بصرك ولست تاركا ايصاءك بخصلة لا تترك شتم علي وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب لاصحاب علي والاقصاء لهم والاطراء بشيعة عثمان والادناء لهم فقال له المغيرة قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك فلم يذممني وستبلو فتحمد أو تذم فقال بل نحمد ان شاء الله فأقام المغيرة عاملا على الكوفة وهو أحسن شئ سيرة غير انه لا يدع شتم علي والوقوع فيه والدعاء لعثمان والاستغفار له فاذا سمع ذلك حجر بن عدي قال بل اياكم فذم الله ولعن ثم قام وقال أنا اشهد ان من تذمون أحق بالفضل ومن تزكون أولى بالذم فيقول له المغيرة يا حجر اتق هذا السلطان وغضبه وسطوته فان غضب السلطان يهلك أمثالك ثم يكف عنه ويصفح فلما كان آخر امارته قال في علي وعثمان ما كان يقوله فقام حجر فصاح صيحة بالمغيرة سمعها كل من بالمسجد وقال له مر لنا ايها الانسان بأرزاقنا فقد حبستها عنا وليس ذلك لك وقد أصبحت مولعا بذم امير المؤمنين فقام أكثر من ثلثي الناس يقولون صدق حجر وبر مر لنا بأرزاقنا فان ما أنت

أركانهم وهرب سلطانهم فلما سمع المسلمون بذلك هجموا على المدينة فأخذوها وأرسلوا اعلموا السلطان فحمد الله وأثنى عليه وجاء فدخل المدينة وهي من اعظم مدن الدنيا وهي مدينة كثيرة البساتين تجري من تحتها الانهار الثلاثة وهي توتجه واربله وصريج وهي من الاقليم الخامس بينها وبين قسطنطينية خمسة وتسعون ميلا ثم ان السلطان الجليل عامله الله بالجميل ارسل لالاشاهين الاتابك بعد ان نصبه امير الامراء بروم ايلي فسار وفتح مدينة فلبه وهي مدينة عظيمة ثم فتح زغره بنواحيها وعاد الى مدينة بروسه وفي سنة ثلاث وستين وسبعمائة اشار قره خليل باشا على السلطان بان يأخذ خمس الاسارى من الغانمين على زقاق كليبولي وكان الغزو والجهاد في بلاد روم ايلي فكانت تسبي الاسارى كالسيل الهامي والبحر الطامي فاجتمع منهم عند السلطان طائفة كثيرة فأمر لهم السلطان بتعليم علم المكاحل فتعلموا ثم ميزهم بان أرسلهم الى خدمة الشيخ العارف بالله الحاج بكتاش ليعلمهم بعلامة ويسميهم باسم ويدعو لهم بالخير والظفر فلما اجتمعوا بالشيخ قطع كم قبائه وكان من لبد فالبسه

عليه

عليه لايجدى علينا نفعا وأكثر وامن هذا القول وأمثاله فنزل المغيرة فاستأذن عليه قومه ودخلوا وقالوا على م تترك هذا الرجل يجترئ عليك فى سلطانك ويقول لك هذه المقالة فيوهن سلطانك ويسخط عليك أمير المؤمنين معاوية فقال لهم المغيرة انى قد قتلته سيأتى من بعدى امير يحسبه مثلى فيصنع به ماترونه يصنع بى فيأخذه ويقتله انى قد قرب أجلى ولا أحب ان أقتل خيار أهل هذا المصر فيسعدون واشقى ويعز فى الدنيا معاوية ويشقى فى الآخرة المغيرة ثم توفى المغيرة وولى زياد فقام فى الناس فخطبهم عند قدومه ثم ترحم على عثمان وأثنى على أصحابه ولعن قاتليه فقام حجر ففعل كما كان يفعل بالمغيرة ورجع زياد الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو ابن حريث فبلغه ان حجرا يجتمع اليه شيعة على ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه وانهم حصبوا عمرو بن حريث فشخص زياد الى الكوفة حتى دخلها فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وحجر جالس ثم قال اما بعد فان غب البغى والغى وخيم ان هؤلاء جموا فأشروا وامنونى فاجترؤا على الله لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم واست بشئ ان لم امنع الكوفة من حجر وادعه نكالا لمن بعده ويل امك يا حجر سقط العشاء بك على سرحان وأرسل الى حجر يدعوه وهو بالمسجد فلما أتاه رسول زياد يدعوه قال أصحابه لاتأته ولا كرامة فرجع الرسول فأخبر زيادا فأمر صاحب شرطته وهو شداد بن الهيثم الهلالى ان يبعث اليه جماعة ففعل فسبهم أصحاب حجر فرجعوا وأخبروا زياد فجمع اهل الكوفة وقال تشجون بيد وتأسون بأخرى أبدانكم معى وقلوبكم مع حجر الاحمق هذا والله من دحسكم والله ليظهرن لى براءتكم أو لآتينكم بقوم أقيم بهم أودكم وصعركم فقالوا معاذ الله ان يكون لنا رأى الا طاعتك ومافيه رضاك قال فليقم كل رجل منكم فليدع من عند حجر من عشيرته وأهله ففعلوا وأقاموا اكثر أصحابه عنه وقال زياد لصاحب شرطته انطلق الى حجر فان تبعك فأتنى به والا فشدوا عليهم بالسيوف حتى تأتونى به فأتاه صاحب الشرطة يدعوه فمنعه أصحابه من اجابته فحمل عليهم فقال ابو العمرطة الكندى لحجر انه ليس معك من معه سيف غيرى ومايغنى عنك سيفى قم فالحق بأهلك يمنعك قومك وزياد ينظر اليهم وهو على المنبر وغشيهم أصحاب زياد وضرب رجل من الحمراء رأس عمرو بن الحمق بعمود فوقع وحمله أصحابه الى الازد فاختفى عندهم حتى خرج وانحاز أصحاب حجر الى أبواب كندة وضرب بعض الشرطة يد عائذ بن حملة التميمى وكسر نابه وأخذ عمودا من بعض الشرط فقاتل به وحمى حجرا وأصحابه حتى خرجوا من أبواب كندة وأتى حجر بغلته فقال له أبو العمرطة اركب فقد قتلتنا ونفسك وحمله حتى اركبه وركب ابو العمرطة فرسه ولحقه يزيد بن طريف المسلى فضرب أبا العمرطة على فخذه بالعمود وأخذ ابو العمرطة سيفه فضرب به رأسه فسقط ثم برأ وله يقول عبد الله بن همام السلولى

الوم ابن لؤم ماعدا بك حاسرا ✽ الى بطل ذى جراءة وشكيم
معاود ضرب الدارعين بسيفه ✽ على الهام عند الروع غير لئيم
الى فارس الغارين يوم تلاقيا ✽ بصفين قرم خير نجل قروم
حسبت ابن برصاء الحتار قتاله ✽ قتالك زيدا يوم دار حكيم

وكان ذلك السيف أول سيف ضرب به فى الكوفة فى اختلاف بين الناس ومضى حجر وأبو

رأس رئيسهم ودعالهم بالبركة والظفر وسماهم ينكجرى معناه العسكر الجديد وفى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة اشترى السلطان مراد خان من صاحب بلاد حميد خمس قلاع وهى يلواج ويكى شهر وآق شهر وقره اغاج وسيدى شهر وفى سنة احدى وتسعين وسبعمائة خرج السلطان المذكور الى قتال رئيس الكفار ابن لازفاته فوافاه بعسكر الكفار بموضع يقال له قوص أوايه لادروم ايلى فالتحم بين الفريقين القتال وضرب السيوف والمكاحل ورشق النبال الى ان هبت رياح النصر من طرف المسلمين وانقلب الكفار على أدبارهم صاغرين ثم انه لما انهزم الكفار اقبل من أمرائهم امير يقال له وبلوش مع خيله ورجله مظهرا الطاعة فلما هم بتقبيل يد السلطان ضربه بخنجر كان فى كمه فمن ذلك سن العثمانية عند قدوم الوافد وتقبيل يد السلطان ان يمسك واحد من طرف كمه وآخر من كمه الآخر احترازا من ذلك فلما قتل دفنوا امعاءه هنالك وحملوا جسده ودفنوه بمدينة بروسه وقبره اليوم يزار ويتبرك به وكان رحمه الله ملكا جليلا عادلا عارفا وكان أفنى عمره فى الجهاد وكان شجيعا مقداما

الشرطة الى دار حجر واجتمع اليه ناس كثير ولم يأته من كندة كثير أحد فأرسل زياد وهو على المنبر
مذحج وهمدان الى جبانة كندة وأمرهم ان يأتوه بحجر وأرسل سائر أهل اليمن الى جبانة
الصائدين وأمرهم ان يمضوا الى صاحبهم حجر فيأتوه به ففعلوا فدخل مذحج وهمدان الى جبانة
كندة فأخذوا كل من وجدوا فأثنى عليهم زياد فلما رأى حجر قلة من معه أمرهم بالانصراف
وقال لهم لا طاقة لكم بمن قد اجتمع عليكم وما أحب ان تهلكوا فخرجوا فأدركهم مذحج
وهمدان فقاتلوهم واسروا قيس بن يزيد ونجا الباقون فأخذ حجر طريقا الى بني حوت فدخل
دار رجل منهم يقال له سليم بن يزيد وادركه الطلب فأخذ سليم سيفه ليقاتل فبكى بناته فقال حجر
بئسما أدخلت على بناتك اذا قال والله لا تؤخذ من داري اسيرا ولا قتيلا وانا حي فخرج حجر
من خوخة في داره فأتى النخع فنزل دار عبد الله بن الحرث أخي الاشتر فأحسن لقاءه فبينما هو
عنده اذ قيل له ان الشرط تسأل عنك في النخع وسبب ذلك ان أمة سوداء لقيتهم فقالت من
تطلبون فقالوا حجر بن عدي فقالت هو في النخع فخرج حجر من عنده فأتى الازد فاختفى عند
ربيعة بن ناجد فلما اعياهم طلبه دعا زياد محمد بن الاشعث وقال له والله لتأتيني به او لاقطعن
كل نخلة لك واهدم دورك ثم لا تسلم مني حتى اقطعك اربا اربا فاستمهله فامهله ثلاثا وأحضر
قيس بن يزيد أسيرا فقال له زياد لا بأس عليك قد عرفت رأيك في عثمان و بلاءك مع معاوية
بصفين وانك انما قاتلت مع حجر حمية وقد غفرتها لك ولكن ائتني بأخيك عمير فاستأمن له منه على
ماله ودمه فامنه فأتاه به وهو جريح فأثقله حديدا وأمر الرجال ان يرفعوه ويلقوه ففعلوا به ذلك
مرارا فقال قيس بن يزيد لزياد الم تؤمنه قال بلى قد أمنته على دمه ولست أهريق له دما ثم ضمنه
وخلى سبيله ومكث حجر بن عدي في بيت ربيعة يوما وليلة فأرسل الى محمد بن الاشعث يقول له
ليأخذ له من زياد امانا حتى يبعث به الى معاوية فجمع محمد جماعة منهم جرير بن عبد الله وحجر بن
يزيد وعبد الله بن الحرث أخو الاشتر فدخلوا على زياد فاستأمنوا له على ان يرسله الى معاوية
فأجابهم فأرسلوا الى حجر بن عدي فحضر عند زياد فلما رآه قال مرحبا بك أبا عبد الرحمن حرب
ايام الحرب وحرب وقد سالم الناس على اهلها تجني براقش فقال حجر ما خلعت طاعة ولا فارقت
جماعة واني على بيعتي فأمر به الى السجن فلما ولى قال زياد والله لاحرصن على قطع خيط رقبته
وطلب أصحابه فخرج عمرو بن الحمق حتى أتى الموصل ومعه رفاعة بن شداد فاختفيا بجبل هناك
فرفع خبرهما الى عامل الموصل فسار اليهما فخرجا اليه فأما عمرو فكان قد استسقى بطنه ولم يكن
عنده امتناع وأما رفاعة فكان شابا قويا فركب فرسه ليقاتل عن عمرو فقال له عمرو ما ينفعني
قتالك عني انج بنفسك فحمل عليهم فافرجوا له فنجا وأخذ عمرو اسيرا فسألوه من أنت فقال
من ان تركتموه كان أسلم لكم وان قتلتموه كان أضر عليكم ولم يخبرهم فبعثوه الى عامل الموصل
وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفي الذي يعرف بابن ام الحكم وهو ابن أخت معاوية فعرفه
فكتب فيه الى معاوية فكتب اليه انه زعم انه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه
فاطعنه كما طعن عثمان فأخرج وطعن فمات في الاولى منهن أو الثانية وجد زياد في
طلب أصحاب حجر فهربوا وأخذ من قدر عليه منهم فأتى بقبيصة بن ضبيعة العبسي بامان فحبسه
وجاء قيس بن عباد الشيباني الى زياد فقال له ان امرأ منا يقال له صيفي من رؤس أصحاب حجر

فبعث

على الهمة توفي وعمره خمس
وستون سنة ومدة سلطنته
احدى وثلاثون سنة وتولى
الملك بعده ولده

(السلطان السعيد يلدرم
بايزيدخان الغازي ابن
السلطان مرادخان)

وكان السلطان يلدرم بايزيد
واخوه يعقوب مع أبيهما
في السفر فلما قضى نحبه اتفق
رأي أركان الملك على تولية
بايزيد فدعوه الى الوطاق
فأعلموه بوفاة والده فعزوه
وهنوه بالسلطنة واجلسوه على
سرير الملك ودعوا أخاه
يعقوب فقالوا له ان السلطان
قد ضعف ويريد حضورك
اليه فلما دخل الوطاق قبضوا
عليه وخنقوه وكان ذلك في
رمضان سنة اثنين وتسعين
وسبعمائة ثم بعد ذلك فتح
السلطان المذكور قرطوه
وهي معدن الفضة الخالصة
التي لا نظير لها وفتح بلاد
اسكوب وهي من اجل البلاد
الاسلامية وفي هذه السنة
فتح قلعة ودين وفيها خاف ابن
آيدين من السلطان وسلم
مفاتيح قلاعه الى السلطان
وفيها اطاع السلطان اهالي
بلاد قسره سي وصاروخان
وفيها هرب صاحب قسطموني
وهو ابن منتشا فأرسل
السلطان من يضبط تلك
البلاد جميعا ولما نقض العهد
علاء الدين صاحب بلاد

فبعث زياد فأتى به فقال يا عدو الله ما تقول في أبي تراب قال ما أعرف أبا تراب فقال ما أعرفك به أتعرف علي بن أبي طالب قال نعم قال فذاك أبو تراب قال كلا ذاك أبو الحسن والحسين فقال له صاحب الشرطة يقول الامير هو أبو تراب وتقول لا قال فان كذب الامير أكذب أنا وأشهد على باطل كما شهد فقال له زياد وهذا أيضا علي بالعصا فأتي بها فقال ما تقول في علي قال احسن قول قال اضربوه فضربوه حتى لصق بالارض ثم قال أقلعوا عنه ما قولك في علي قال والله لو شرحتني بالمواسي ما قلت فيه الا ما سمعت مني قال لتلعننه او لاضربن عنقك قال لا أفعل فاوثقوه حديدا وحبسوه قيل وعاش قيس بن عباد حتى قاتل مع ابن الاشعث في مواطنه ثم دخل الكوفة فجلس في بيته فقال حوشب للحجاج ان هنا امرأ صاحب فتن لم تكن فتنة بالعراق الا وثب فيها وهو ترابي يلعن عثمان وقد خرج مع ابن الاشعث حتى هلك وقد جاء فجلس في بيته فبعث اليه الحجاج فقتله فقال بنو أبيه لآل حوشب سعيتم بصاحبنا فقالوا وأنتم أيضا سعيتم بصاحبنا يعني صيفيا الشيباني وأرسل زياد الى عبد الله بن خليفة الطائي فتوارى فبعث اليه الشرط فأخذوه فخرجت اخته النوار فحرضت طيأ فثاروا وابا الشرط وخلصوه فرجعوا الى زياد فاخبروه فأخذ عدي بن حاتم وهو في المسجد فقال ائتني بعبد الله قال وما حاله فاخبره فقال لا علم لي بهذا قال لتأتيني به قال لا آتيك به ابدا آتيك بابن عمي تقتله والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه فأمر به الى السجن فلم يبق بالكوفة يمني ولا ربعي الا كلم زيادا وقالوا اتفعل هذا بعدي بن حاتم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فاني أخرجه على شرط ان يخرج ابن عمه عني فلا يدخل الكوفة ما دام لي سلطان فأجابوه الى ذلك وأرسل عدي الى عبد الله يعرفه ما كان وأمره ان يلحق بجبلي طي فخرج اليهما وكان يكتب الى عدي ليشفع فيه ليعود الى الكوفة وعدي يمنيه فما كتب اليه يعاتبه ويرثي حجرا وأصحابه قوله

تذكرت ليلى والشبيبة اعصرا * وذكر الصبا برح على من تذكرا
وولى الشباب فافتقدت غصونه * فيالك من وجد به حين ادبرا
فدع عنك تذكار الشباب وفقده * وأسبابه اذبان عنك فاجرا
وبك على الخلان لما تخرموا * ولم يجدوا عن منهل الموت مصدرا
دعتهم مناياهم ومن حان يومه * من الناس فاعلم انه لن يؤخرا
أولئك كانوا شيعة لي وموئلا * اذا اليوم ألفى ذا احتدام مذكرا
وما كنت اهوى بعدهم متعللا * بشئ من الدنيا ولا ان أعمرا
اقول ولا والله انسى اذكارهم * سجيس الليالي اوأموت فأقبرا
على أهل عذراء السلام مضاعفا * من الله وليسق الغمام الكنهورا
ولاقى بها حجر من الله رحمة * فقد كان أرضى الله حجر وأعذرا
ولا زال تهطال ملث وديمة * على قبر حجر أو ينادى فيحشرا
فيا حجر من للخيل تدمى نحورها * وللملك المغرى اذا ما تغشمرا
ومن صادق بالحق بعدك ناطق * بتقوى ومن ان قيل بالجور غيرا
فنعم أخو الاسلام كنت وانني * لاطمع ان تؤتى الخلود وتحبرا

قرمان وبلغ السلطان انه اغار على بعض بلاد اناطولي هجم عليها السلطان فانهزم فلحقه بموضع يقال له آق جاي فاسر هو وابناه محمد وعلي نمازل السلطان مدينة قونيه وهي كرسي مملكته وحاصرها وكان وقت ادراك الغلال فرسم السلطان بأن لا يتعرض أحد لشئ من الغلال وان لا يظلموا احدا وأذن لاهل القلعة بأن يخرجوا ويشتغلوا ويبيعوا على مقدار ما شاؤا فخرج اهل القلعة واصلحوا شأن غلالهم وحصادهم وباعوها من العسكر على أبلغ وجه أرادوا فلما شاهدوا ذلك رجعوا الى أنفسهم فقالوا ان ملكا بلغ هذا المبلغ لا ينبغي ان نعصيه ونخرج عن طاعته فحضروا برمتهم طائعين ولحكم الملك السعيد راضين وسلموه مفاتيح القلعة وقالوا أنت احق بها واهلها فلما رأى اهل سائر القلاع ما فعل اهل قونية وهي عمدة بلاد قرمان رغبوا في المتابعة فجاؤا بمفاتيح قلاعهم وهي بلدة آقشهر اي وبكده وقيصرية ودولي قره حصار وسلموها الى الملك السعيد بالدروم بايزيد ثم رجع السلطان الى مقر مملكته بروسة بعد ما قتل علاء الدين بن قرمان وحبس ولديه بمدينة بروسة الى ان أطلقهما الخارجي تيمورخان قدم الروم وفي سنة

وقد كنت أمضى السيف في الحرب حقه • وأعرف معروفا وأنكر منكرا

فيا أخوتا من هميم عصمتما • وبشرتما بالصالحات فأبشرا

ويا أخوى الخندفيين ابشرا • بما معنا حييتما ان تحبرا

ويا أخوتا من حضرموت وغالب • وشيبان لقيتم جنانا مبشرا

سعدتم فلم أسمع بأصوب منكم • حجابا لدى الموت الجليل واصبرا

سأبكيكم مالاح نجم وغرد الحمام ببطن الواد يبين وقرقرا

فقلت ولم أظلم أغوث بن طيئ • متى كنت أخشى بينكم ان أسيرا

هبلتم ألا قاتلتم عن أخيكم • وقد ذب حتى مال ثم تجورا

تفرجتم عنى فغودرت مسلما • كأنى غريب من اياد واعصرا

فمن لكم مثلى لدى كل غارة • ومن لكم مثلى اذا البأس أصحرا

ومن لكم مثلى اذا الحرب قلصت • وأوضع فيها المستميت وشمرا

فها انا ذا آوى بأجبال طيئ • طريدا فلو شاء الاله لغيرا

نفانى عدوى ظالما عن مهاجرى • رضيت بما شاء الاله وقدرا

وأسلمنى قومى بغير جناية • كأن لم يكونوا لى قبيلا ومعشرا

فان ألف فى دار بأجبال طيئ • وكان معانا من عصير ومحضرا

فما كنت أخشى ان أرى متغربا • لحا الله من لاحى عليه وكثرا

لحا الله قيس الحضرميين والا • ولاقى القنانى بالسنان الموقرا

ولاقى الردى القوم الذين تحزبوا • علينا وقالوا قول زور ومنكرا

فلا يدعنى قوم من لعوث وماق • اذا دهرهم اشقى بهم وتغيرا

فلم أغزهم فى المغازين ولم أثر • عليهم عجاجا بالكويفة اكدرا

فبلغ خليلى ان رحلت مشرقا • جديلة والحيين معنا وبحترا

ونبهان والأفناء من جذم طيئ • ولم ألف منكم ذا العناء المشترا

ألم تذكروا يوم العذيب أليتى • امامكم أن لا أرى الدهر مدبرا

وكرى على مهران والجمع حابس • وقتلى الهمام المستميت المسورا

ويوم جلولاء الوقيعة لم ألم • ويوم نهاوند الفتوح وتسترا

وبالسوق يوم الشريعة والقنا • بصفين فى اكتافهم قد تكسرا

جزى ربه عنى عدى بن حاتم • برفضى وخذلانى جزاء موفرا

أتنسى بلائى سادرا يا ابن حاتم • عشية ما اغنت عديك حزمرا

فدافعت عنك القوم حتى تخاذلوا • وكنت أنا الخصم الألد العذورا

فولوا وما قاموا مقامى كأنما • رأونى ليثا بالاباءة مخدرا

وقد تقدم ما فعله عبد الله مع عدى فى وقعة صفين فلهذا لم نذكره هنا

نصرتك اذ خان القريب وأبعد البعيد وقد افردت نصرا موزرا

فكان جزائى أن أجر بينكم • سجيبا وأن أولى الهوان وأوسرا

خمس وتسعين وسبعمائة استولى السلطان المذكور على سيواس واماسية ومدينة توقات ونيكسار وجانيك وصامسون وفى آخر هذه السنة بلغه ان بايزيد الوزير صاحب قسطمونى اغار على بعض البلاد التى بيد السلطان وعاث فيها نهبا وتخريبا فلما بلغه ذلك وكان قد جاز البحر لغزو الكفار الى طرف روم ايلى تركه ورجع قاصدا لقتال بايزيد فاتفق انه مات وتولى مكانه ولده اسفنديار فلما وصل السلطان استولى منها على بلدة طرقلو بولى ومدينة قسطمونى وقلعة عثمانجق وكان قصده ان يستولى على جميع البلاد التى كان يملكها بايزيد بك كما سبق فارسل اسفنديار الى الملك وافدا ومعه هدية يستعطفه ويسترضيه ويقول ان أبى حق وقد مات وانا مطيع لاوامر مولانا السلطان ومن جملة ممالكه فالمناسب لعدله ان لا يؤاخذ احدا بذنب غيره وارجو من مكارمه ان يترك لى مدينة سينوب وهى مدينة أبى ومسقط رأسى وجعلها فى قبضتى ثابتا من قبله فأجاب السلطان الى مسؤله واعطاه وعاد الى مدينة بروسة وأرسل الى تكور صاحب القسطنطينية

وكم عدة لى منك انك راجعى * فلم تغن بالميعاد عنى حبترا
فأصبحت أرعى النيب طوراوتارة * أهرهران راعى الشويهات هرهرا
كانى لم أركب جواد الغارة * ولم أترك القرن الكمى مقطرا
ولم أعترض بالسيف منكم مغيرة * اذا النكس مشى القهقرا ثم جرجرا
ولم استحث الركض فى اثرعصبة * ميممة عليا سجاس وأبهرا
ولم أذعر الابلام منى بغارة * كوردالقطا ثم انحدرت مظفرا
ولم أر فى خيل تطاعن مثلها * بقزوين اوشروين اوأغز كيدرا
فذلك دهر زال عنى حمده * واصبح لى معشر وفيه فتنة تنكرا
فلا يبعدن قومى وان كنت غائبا * وكنت المضاع فيهم والمكفرا
ولا خير فى الدنيا ولا العيش بعدهم * وان كنت عنهم نائى الدار محصرا

فمات عبد الله بالجبلين قبل موت زياد ثم أتى زياد بكريم بن عفيف الخثعمى من أصحاب حجر بن عدى فقال ما اسمك قال كريم بن عفيف قال ما احسن اسمك واسم ابيك واسوأ عملك ورأيك فقال له اما والله ان عهدك برأيى منذ قريب قال وجمع زياد من أصحاب عدى اثنى عشر رجلا فى السجن ثم دعا رؤساء الارباع يومئذ وهم عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة وخالد بن عرفطة على ربع تميم وهمدان وقيس بن الوليد على ربع ربيعة وكندة وأبا بردة بن أبى موسى على ربع مذحج واسد فشهد هؤلاء ان حجرا جمع اليه الجموع واظهر شتم الخليفة ودعا الى حرب أمير المؤمنين وزعم ان هذا الامر لا يصلح الا فى آل ابى طالب ووثب بالمصر وأخرج عامل أمير المؤمنين واظهر عذر أبى تراب والترحم عليه والبراءة من عدوه وأهل حربه وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤس أصحابه على مثل رأيه وأمره ونظر زياد فى شهادة الشهود وقال انى لاحب ان يكونوا أكثر من أربعة فدعا الناس ليشهدوا عليه فشهد اسحق وموسى ابنا طلحة بن عبيد الله والمنذر بن الزبير وعمارة بن عقبة بن أبى معيط وعمرو بن سعد بن أبى وقاص وغيرهم وكتب فى الشهود شريح بن الحرث القاضى وشريح بن هانئ فاما شريح بن هانئ فكان يقول ما شهدت ولقد لمته ثم دفع زياد حجر بن عدى وأصحابه الى وائل بن حجر الحضرمى وكثير بن شهاب وأمرهما ان يسيرا بهم الى الشام فخرجوا عشية فلما بلغوا الغريين لحقهم شريح بن هانئ واعطى وائلا كتابا وقال ابلغه أمير المؤمنين فأخذه وساروا حتى انتهوا بهم الى مرج عذراء عند دمشق وكانوا حجر بن عدى الكندى والارقم بن عبد الله الكندى وشريك بن شداد الحضرمى وصيفى بن فسيل الشيبانى وقبيصة بن ضبيعة العبسى وكريم بن عفيف الخثعمى وعاصم بن عوف البجلى وورقاء بن سمى البجلى وكدام بن حيان وعبد الرحمن بن حسان العنزيان ومحرز بن شهاب التميمى وعبد الله بن حوية السعدى التميمى فهؤلاء اثنا عشر رجلا واتبعهم زياد برجلين وهما عتبة بن الاخنس من سعد بن بكر وسعد بن غران الهمدانى فتموا اربعة عشر رجلا فبعث معاوية الى وائل بن حجر وكثير بن شهاب فأدخلهما واخذ كتابهما فقرأه ودفع اليه وائل كتاب شريح بن هانئ فاذا فيه بلغنى ان زيادا كتب شهادتى وان شهادتى على حجر انه ممن يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويديم الحج والعمرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حرام الدم

يقول له اما ان تخرج من البلاد وتسلمها الى وأما سرت اليك فأتيتك فى أعزاما كنت اليك فخاف منه والتزم له بالخراج فى كل سنة عشرة آلاف ذهب وان يبنى للمسلمين فى داخل المدينة محلة يسكنون فيها ويكون لهم فيها مسجد وجامع وقاض يفصل الخصومات فرضى بذلك ولم يتعرض له السلطان فاستمرت هذه الحالة الى زمان وقعة تيمور فعند ذلك نقض العهد واخرب الجامع واخرج المسلمين من البلد وساقهم الى الروم قال الحافظ ابن حجر فى كتابه أنباء الغمر فى ابناء العمر واشتهر يلدرم بايزيد بالجهاد فى الكفار حتى بعد صيته وكاتبه الملك الظاهر برقوق وهاداه وأرسل اليه أميرا بعد امير ولم يبق أحد من ملوك الارض حتى كاتبه وهاداه حتى كان يقول الظاهر برقوق انا لا اخاف من الكفار فان كل أحد يساعدنى عليهم وانما اخاف من ابن عثمان وفى سنة اثنتين وثمانمائة سار ملوك الطوائف ببلاد الروم الذين اقتلعهم يلدرم بايزيد خان من ممالكهم مثل ابن كرميان وابن منتشا وابن ايدين وابن اسفنديار وغيرهم الى تيمور صاحب الشرق يشكون اليه من السلطان

والمال فان شئت فاقتله وان شئت فدعه فقال معاوية ما أرى هذا الا قد أخرج نفسه من
شهادتكم وحبس القوم بمرج عذراء فوصل اليهم الرجلان اللذان الحقهما زياد بحجر وأصحابه
فلما وصلا سار عامر بن الاسود العجلى الى معاوية ليعلمه بهما فقام اليه حجر بن عدى في قيوده
فقال له ابلغ معاوية ان دماءنا عليه حرام واخبره انا قد أومنا وصالحناه وصالحنا وانا لم نقتل
احدا من اهل القبلة فيحل له دماؤنا فدخل عامر على معاوية فاخبره بالرجلين فقام يزيد بن اسد
البجلى فاستوهبه ابني عمه وهما عاصم وورقاء وكان جرير بن عبد الله البجلى قد كتب فيهما
يزكيهما ويشهد لهما بالبراءة مما شهد عليهما فأطلقهما معاوية وشفع وائل بن حجر في الارقم
فتركه له وشفع أبو الاعور السلمى في عتبة بن الاخنس فتركه وشفع حمزة بن مالك الهمدانى في سعد
ابن نمران فوهبه له وشفع حبيب بن مسلمة في ابن حوية فتركه له وقام مالك بن هبيرة السكونى
فقال دع لى ابن عمى حجرا فقال له هو رأس القوم واخاف ان خليت سبيله أن يفسد على مصره
فيحتاج ان نشخصك اليه بالعراق فقال والله ما انصفتنى يا معاوية قاتلت معك ابن عمك يوم
صفين حتى ظفرت وعلا كعبك ولم تخف الدوائر ثم سألتك ابن عمى فمنعتنى ثم انصرف فجلس في
بيته فبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعى والحصين بن عبد الله الكلابى وأبا شريف البدى
الى حجر وأصحابه ليقتلوا من أمروا بقتله منهم فأتوه عند المساء فلما رأى الخثعمى احدهم اعور
قال يقتل نصفنا ويترك نصفنا فتركوا ستة وقتلوا ثمانية وقالوا لهم قبل القتل انا قد أمرنا ان
نعرض عليكم البراءة من على واللعن له فان فعلتم تركناكم وان أبيتم قتلناكم فقالوا لسنا فاعلى
ذلك فأمر فحفرت القبور وأحضرت الاكفان وقام حجر وأصحابه يصلون عامة الليل فلما كان
الغد قدموهم ليقتلوهم فقال لهم حجر بن عدى اتركونى اتوضأ واصلى فانى ما توضأت الا صليت
فتركوه فصلى ثم انصرف منها وقال والله ما صليت صلاة قط أخف منها ولولا ان تظنوا فى جزعا من
الموت لاستكثرت منها ثم قال اللهم انا نستعديك على امتنا فان أهل الكوفة شهدوا علينا وان
أهل الشام يقتلوننا اما والله لئن قتلتمونى بها فانى لاول فارس من المسلمين هلك فى واديها واول
رجل من المسلمين نبحته كلابها ثم مشى اليه هدبة بن فياض بالسيف فارتعد فقالوا له زعمت انك
لا تجزع من الموت فابرأ من صاحبك وندعك فقال ومالى لا أجزع وأرى قبرا محفورا وكفنا
منشورا وسيفا مشهورا وانى والله ان جزعت من القتل لا اقول ما يسخط الرب فقتلوه وقتلوا
ستة فقال عبد الرحمن بن حسان العنزى وكريم الخثعمى ابعثوا بنا الى امير المؤمنين فنحن نقول
فى هذا الرجل مثل مقالته فاستأذنوا معاوية فيهما فاذن باحضارهما فلما دخلا عليه قال الخثعمى
الله الله يا معاوية فانك منقول من هذه الدار الزائلة الى الدار الآخرة الدائمة ثم مسؤل عما
اردت بسفك دمائنا فقال له ما تقول فى على قال أقول فيه قولك قال اتبرأ من دين على الذى
يدين الله به فسكت وقام شمر بن عبد الله من بنى قحافة بن خثعم فاستوهبه فوهبه له على ان لا يدخل
الكوفة فاختار الموصل فكان يقول لو مات معاوية قدمت الكوفة فمات قبل معاوية بشهر ثم
قال لعبد الرحمن بن حسان يا اخا ربيعة ما تقول فى على قال دعنى ولا تسألنى فهو خير لك قال
والله لا أدعك قال اشهد انه كان من الذاكرين الله تعالى كثيرا من الآمرين بالحق والقائمين
بالقسط والعافين عن الناس قال فما قولك فى عثمان قال هو أول من فتح ابواب الظلم واغلق

بايزيد ويرغبونه الى الروم
ويستنجدون به عليه فى رد
ممالكهم فأجاب تيمور الى
سؤالهم بعد ان رجع من
البلاد الشامية وبغداد
ودخل حدود الروم فى أواخر
سنة أربع وثمانمائة وأرسل
تيمور الى الملك السعيد بايزيد
فى الصلح على عادته من المكر
والدهاء وقال انك رجل
مجاهد فى سبيل الله وأنا لا
أحب قتالك ولكن انظر
الى البلاد التى كانت معك
من ابيك وجدك فاقنع بها
وسلم الى البلاد التى كانت مع
ارتنا وكان عند السلطان
بايزيد حدة وشجاعة ولم يكن
عنده صبر ساعة وكان اذا
تكلم وهو فى صدره كان فلا
يزال فى حركة واضطراب
حتى يصل الى طرف الايوان
فلما وقف على كتابه وفهم
فحوى خطابه قال ايخوفنى
بهذه الترهات ويستفزنى
بهذه الخزعبلات او يحسب
انى مثل ملوك الاعاجم
أو تاتار الدشت الاغنام
أو ما يعلم ان أخباره عندى
ان اول امره حرامى
سفاك الدماء هتاك الحرم
نقاض العهود والذمم
وكيف ختل الملوك

ابواب الحق قال قتلت نفسك قال بل اياك قتلت ولا ربيعة بالوادي يعني ليشفعوا فيه فرده معاوية الى زياد وامره ان يقتله شر قتلة فدفنه حيا فكان الذين قتلوا حجر بن عدي وشريك بن شداد الحضرمي وصيفي بن فسيل الشيباني وقبيصة بن ضبيعة العبسي ومحرز بن شهاب السعدي التميمي وكدام بن حيان العنزي وعبد الرحمن بن حسان العنزي الذي دفنه زياد حيا فهؤلاء السبعة قتلوا ودفنوا وصلى عليهم قيل ولما بلغ الحسن البصري قتل حجر وأصحابه قال صلوا عليهم وكفنوهم ودفنوهم واستقبلوا بهم القبلة قالوا نعم قال حجوهم ورب الكعبة وأما مالك بن هبيرة السكوني حين لم يشفعه معاوية في حجر فجمع قومه وسار بهم الى عذراء ليخلص حجرا وأصحابه فلقيته قتلتهم فلما رأوه علموا انه جاء ليخلص حجرا فقال لهم ما وراءكم قالوا قد تاب القوم وجئنا لنخبر أمير المؤمنين فسكت وسار الى عذراء فلقيه بعض من جاء منها فأخبره بقتل القوم فأرسل الخيل في اثر قتلتهم فلم يدركوهم ودخلوا على معاوية فأخبروه فقال لهم انما هي حرارة يجدها في نفسه وكأنها اطفئت وعاد مالك الى بيته ولم يأت معاوية فلما كان الليل أرسل اليه معاوية بمائة ألف درهم وقال ما منعني ان أشفعك الا خوفا ان يعيدوا الناس حربا فيكون في ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر فأخذها وطابت نفسه ولما بلغ خبر حجر عائشة أرسلت عبد الرحمن بن الحرث الى معاوية فيه وفي أصحابه فقدم عليه وقد قتلهم فقال له عبد الرحمن أين غاب عنك حلم أبي سفيان قال حين غاب عني مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سمية فاحتملت وقالت عائشة لولا انا لم نغير شيأ الا صارت بنا الامور الى ما هو أشد منه لغيرنا قتل حجر أما والله ان كان ما علمت لمسلما حجاجا معتمرا وقال الحسن البصري أربع خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه الا واحدة لكانت موبقة انتزاؤه على هذه الامة بالسيف حتى أخذ الامر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة واستخلافه بعده ابنه سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير وادعاؤه زيادا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر وقتله حجرا وأصحاب حجر فيا ويلا له من حجر ويا ويلا له من حجر وأصحاب حجر قيل وكان الناس يقولون أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن علي وقتل حجر ودعوة زياد وقالت هند بنت زيد الانصارية ترثي حجرا وكانت تتشيع

ترفع أيها القمر المنير * تبصر هل ترى حجرا يسير
يسير الى معاوية بن حرب * ليقتله كما زعم الامير
تجبرت الجبابر بعد حجر * وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد له محولا * كأن لم يحيها مزن مطير
الا يا حجر حجر بني عدي * تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عديا * وشيخا في دمشق له زئير
فان تهلك فكل زعيم قوم * من الدنيا الى هلك يصير

وقد قيل في قتله غير ما تقدم وهو ان زيادا خطب يوم جمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة فقال له حجر بن عدي الصلاة فمضى في خطبته فقال له الصلاة فمضى في خطبته فلما خشي حجر بن عدي فوت الصلاة ضرب بيده الى كف من حصى وقام الى الصلاة وقام الناس معه فلما رأى زياد ذلك

وختر وكيف تولى وكفروا أين للتاتار الطغام الضرب بالبتار الحسام ومالهم رشق سوى النبال والسهام بخلاف ضراغم الاروام وأما نحن فالحرب دأبنا والضرب طلابنا والجهاد صنعتنا رجالنا باعوا انفسهم وأموالهم من الله بأن لهم الجنة فكم لضرباتهم في آذان الكفار من طنة ولسيوفهم في قلانس الفوارس من رنة وأنا أعلم ان هذا الكلام يبعثك الى بلادنا انبعاثا فان لم تأت تكن زوجتك طالقا ثلاثا وان قصدت بلادي وفررت عنك ولم أقابلك البتة فزوجاتي اذ ذاك طوالق ثلاثا البتة ثم أنهى خطابه ورد على هذه الطريق جوابه فلما وقف تيمور على جوابه استقبحها ختم بالنساء الكتابة وكان السلطان يلدرم بايزيد على مدينة استانبول محاصرها وقد قارب ان يفتحها وتضع الحرب أوزارها فتركها وتوجه لقتاله واستعد لاستقباله وخاف من الهجوم على بلاد الروم فأجرى من عساكره السيول الهامرة وأخذ بهم على قفار غامرة حذرا على رعاياه من مواطئ مطاياه فانه كان على الضعيف من رعيته شفوقا

نزل فصلى بالناس وكتب الى معاوية وكثر عليه فكتب اليه معاوية ليشده فى الحديد ويرسله اليه فلما أراد أخذه قام قومه ليمنعوه فقال حجر لا ولكن سمعا وطاعة فشد فى الحديد وحمل الى معاوية فلما دخل عليه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال معاوية امير المؤمنين أنا والله لا أقيلك ولا استقيلك أخرجوه فاضربوا عنقه فقال حجر للذين يلون أمره دعونى حتى اصلى ركعتين فقالوا صل فصلى ركعتين خفف فيهما ثم قال لولا ان تظنوا بى غير الذى اردت لاطلتهما وقال لمن حضره من قومه لاتطلقوا عنى حديدا ولا تغسلوا عنى دما فانى لاقى معاوية غدا على الجادة وضربت عنقه قال فلقيت عائشة معاوية فقالت له أين كان حلمك عن حجر فقال لم يحضرنى رشيد قال ابن سيرين بلغنا ان معاوية لما حضرته الوفاة جعل يقول يومى منك يا حجر طويل (عباد بضم العين وفتح الباء الموحدة وتخفيفها)

(ذكر استعمال الربيع على خراسان)

وفى هذه السنة وجه زياد ربيع بن زياد الحارثى أميرا على خراسان وكان الحكم بن عمرو الغفارى قد استخلف عند موته أنس بن أبى أناس فعزله زياد وولى خليد بن عبد الله الحنفى ثم عزله وولى الربيع بن زياد أول سنة احدى وخمسين وسير معه خمسين الفا بعيالاتهم من اهل الكوفة والبصرة منهم بريدة بن الحصيب وأبو برزة واسلمة وسكنوا خراسان فلما قدمها غزا بلخ ففتحها صلحا وكانت قد أغلقت بعد ما صالحهم الأحنف بن قيس فى قول بعضهم وفتح قهستان عنوة وقتل من بناحيتها من الاتراك وبقى منهم نيزك طرخان فقتله قتيبة بن مسلم فى ولايته

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة مات جرير بن عبد الله البجلى وقيل سنة أربع وخمسين وكان اسلامه فى السنة التى توفى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها مات سعيد بن زيد وقيل سنة اثنتين وقيل ثمان وخمسين ودفن بالمدينة وهو أحد العشرة وأبو بكرة نفيع بن الحرث له صحبة وهو أخو زياد لامه وفيها ماتت ميمونة بنت الحرث زوج النبى صلى الله عليه وسلم بسرف وفيه دخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ماتت سنة ثلاث وستين وقيل ست وستين وحج بالناس هذه السنة يزيد ابن معاوية وكان العمال بهذه السنة من تقدم ذكرهم (بريدة بضم الباء الموحدة وفتح الراء المهملة والحصيب بضم الحاء المهملة وفتح الصاد المهملتين وآخره باء موحدة)

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين)

فيها كانت غزوة سفيان بن عوف الازدى الروم وشتى بارضهم وتوفى بها فى قول فاستخلف عبد الله بن مسعدة الفزارى وقيل ان الذى شتى هذه السنة بارض الروم بسر بن أبى ارطاة ومعه سفيان بن عوف وغزا الصائفة هذه السنة محمد بن عبد الله الثقفى

(ذكر خروج زياد بن خراش العجلى)

وفى هذه السنة خرج زياد بن خراش العجلى فى ثلاثمائة فارس فأتى أرض مسكن من السواد فسير اليه زياد خيلا عليها سعد بن حذيفة أو غيره فقتلوهم وقد صاروا الى ماه

(ذكر خروج معاذ الطائى)

وبالفقير من حشمه وخدمه رفيقا وكان غالب عسكر التاتار قوم ذوو تمييز ويسار فارسل تيمور الى زعمائهم والاكابر من رؤسائهم وأمرائهم يستميلهم ويذكرهم الجنسية ويعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا فوعدوه بالمداومة والمساعدة وكان تيمور قد نازل انكورية فلم يشعر السلطان من رقاده الا وتيمور قد مر على جميع بلاده فقامت عليه القيامة واكل يديه حسرة وندامة ولما تدانت الجموع من الجيوش واضطربت الوحوش وامتلأت منهم الصحارى والقفار وتقابلت اليسار باليمين واليمين باليسار اندفعت من عساكر العثمانية التاتار واتصلت بعساكر تيمور كما رسم أولا وأشار وكانوا هم صلب العسكر والاوفر والاكثر بل قيل ان ذلك الجمهور كانوا ضعوا من جند تيمور وكان مع السلطان من اولاده اكبرهم الامير سليمان فلما رأى ما فعله التاتار علم انه قد حل بأبيه البوار فاخذ باقى العسكر وقهقر عن ميدان المصاف وتأخر وترك أباه فى شدة البأس ورجع عن معه الى جهة بروسا فلم يقع مع

وخرج على زياد أيضا رجل من طيء يقال له معاذ فأتى نهر عبد الرحمن بن أم الحكم فى ثلاثين رجلا هذه السنة فبعث اليه زياد من قتله وأصحابه وقيل بل حل لواءه واستأمن ويقال لهم أصحاب نهر عبد الرحمن

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وحج بالناس سعيد بن العاص وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها مات عمران بن الحصين الخزاعى بالبصرة وأبو أيوب الانصارى واسمه خالد بن زيد شهد العقبة وبدرا وقد تقدم انه توفى سنة تسع وأربعين عند القسطنطينية وكعب بن عجرة وله خمس وسبعون سنة

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ﴾

فيها كان مشتى عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفى بارض الروم وفيها افتتحت رودس جزيرة فى البحر فتحها جنادة بن أبى أمية الازدى ونزلها المسلمون وهم على حذر من الروم وكانوا أشد شئ على الروم يعترضونهم فى البحر فيأخذون سفنهم وكان معاوية يدر لهم العطاء وكان العدو قد خافهم فلما توفى معاوية أقفلهم ابنه يزيد وقيل فتحت سنة ستين

﴿ ذكر وفاة زياد ﴾

وفى هذه السنة توفى زياد بن أبيه بالكوفة فى شهر رمضان وكان سبب موته انه كتب الى معاوية انى قد ضبطت العراق بشمالى ويمينى فارغة فاشغلها بالحجاز فكتب له عهده على الحجاز فبلغ اهل الحجاز فأتى نفر منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب فذكروا ذلك فقال ادعوا الله عليه ثم استقبل القبلة ودعا ودعوا معه وكان من دعائه ان قال اللهم اكفناه شر زياد فخرجت طاعونة على اصبع يمينه فمات منها فلما حضرته الوفاة دعا شريحا القاضى فقال له قد حدث ماترى وقد امرت بقطعها فأشر على فقال له شريح انى أخشى ان يكون الاجل قد دنا فتلقى الله أجذم وقد قطعت يدك كراهية لقائه أو ان يكون فى الاجل تأخير فتعيش أجذم وتعير ولدك فقال لا أبيت والطاعون فى لحاف واحد فخرج شريح من عنده فسأله الناس فأخبرهم فلاموه وقالوا هلا أشرت بقطعها فقال المستشار مؤتمن وأراد زياد قطعها فلما نظر الى النار والمكاوى جزع وتركه وقيل بل تركه لما أشار عليه شريح بتركه ولما حضرته الوفاة قال له ابنه قد هيأت لك ستين ثوبا أكفنك بها فقال له يابنى قد دنا من أبيك لباس هو خير من لباسه أو سلب سريع فمات ودفن بالثوية الى جانب الكوفة فلما بلغ موته ابن عمر قال اذهب ابن سمية لا الآخرة أدركت ولا الدنيا بقيت عليك وكان مولده سنة احدى من الهجرة قال مسكين الدارمى يرثيه

رأيت زيادة الاسلام ولت ✻ جهارا حين ودعنا زياد

فقال الفرزدق يجيبه ولم يكن هجا زيادا حتى مات

أمسكين أبكى الله عينك انما ✻ جرى فى ضلال دمعها فتحدرا

بكيت امرأ من أهل ميسان كافرا ✻ ككسرى على عدانه أو كقيصرا

أقول له لما أتانى نعيه ✻ به لا بظبى بالصريمة أعفرا

وكان زياد فيه حمرة وفى عينه اليمنى انكسار أبيض اللحية مخروطها عليه قميص ربما رقعه

﴿ ذكر وفاة الربيع ﴾

السلطان الا المشاة ومن داناهم وبعض من السكاة وقليل ماهم فثبت للمجاولة بمن معه من الرفاق وخاف ان فرار يقع عليه الطلاق فصبر لحادثات الدهر وما انهزم وأراد أن يبقى على مذهب الامام مالك بما التزم فأحاطت به اساورة الجنود أحاطة الاساورة بالزنود ووقع السلطان فى القنص وصار مقيدا كالطير فى القفص وكانت هذه المعركة على نحو ميل من مدينة انقرة يوم الاربعاء سابع عشر ذى الحجة سنة اربع وثمانمائة ووصل ولده الامير سليمان الى بروسه معقل بنى عثمان فاحتاط على مافيها من الخزائن والاموال والحريم والاولاد ونفائس الاثقال واشتغل بنقل ذلك الى برادنه وكان للسلطان المذكور من الاولاد المذكور الامير سليمان هذا وهو اكبرهم وعيسى وموسى ومصطفى ومحمد وهو أصغرهم وكل طالب لنفسه مهربا وانحاز اليه من العسكر طائفة نجبا فكان محمد وموسى فى قلعة اماسيه وهى حرشنة شاهقة عاصية وأما عيسى فانه لجأ الى بعض الحصون واستكان الى أن قتله أخوه الامير سليمان وموسى فيما بعد قتل الامير

وفيها مات الربيع بن زياد الحارثى عامل خراسان من قبل زياد وكان سبب موته انه سخط قتل حجر ابن عدى حتى انه قال لا تزال العرب تقتل صبرا بعده ولو نفرت عند قتله لم يقتل رجل منهم صبرا ولكنها اقرت فذلت ثم مكث بعد هذا الكلام جمعة ثم خرج يوم الجمعة فقال أيها الناس انى قد مللت الحياة وانى داع بدعوة فأمنوا ثم رفع يديه بعد الصلاة فقال اللهم ان كان لى عندك خير فاقبضنى اليك عاجلا وامن الناس ثم خرج فما توارت ثيابه حتى سقط فحمل الى بيته واستخلف ابنه عبد الله ومات من يومه ثم مات ابنه بعده بشهرين واستخلف خليد بن يربوع الحنفى فأقره زياد ولما مات زياد كان على البصرة سمرة بن جندب وكان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد فأقر سمرة على البصرة ثمانية عشر شهرا وقيل ستة أشهر ثم عزله معاوية فقال سمرة لعن الله معاوية والله لو أطعت الله كما أطعته ما عذبنى أبدا ومر رجل الى سمرة فأدى زكاة ماله ثم دخل المسجد فصلى فأمر سمرة بقتله فقتل فمر به أبو بكرة فقال يقول الله تعالى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى قال وما مات سمرة حتى أخذه الزمهرير فمات شر ميتة (الثوية بضم الثاء المثلثة وفتح الواو والياء تحتها نقطتان موضع فيه مقبرة)

﴿ذكر عدة حوادث﴾

حج بالناس هذه السنة سعيد بن العاص وكان عامل المدينة وتوجهت هذه السنة وعلى الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى البصرة سمرة وعلى خراسان خليد بن يربوع الحنفى (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة وسكون الياء المعجمة باثنتين من تحتها) وفيها مات عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق بطريق مكة فى نومة نامها وقيل توفى بعد ذلك وفيها توفى فيروز الديلمى وكانت له صحبة وكان معاوية قد استعمله على صنعاء وفيها مات عمرو بن حزم الانصارى وفيها مات فضالة ابن عبيد الانصارى بدمشق وكان قاضيها لمعاوية وقيل مات آخر أيام معاوية وقيل غير ذلك شهد أحدا وما بعدها

﴿ثم دخلت سنة أربع وخمسين﴾

﴿ذكر غزوة الروم وفتح جزيرة أرواد﴾

فيها كان مشتى محمد بن مالك بأرض الروم وصائفة معن بن يزيد السلمى وفيها فتح المسلمون ومقدمهم جنادة بن أبى أمية جزيرة أرواد قرب القسطنطينية فأقاموا بها سبع سنين وكان معهم مجاهد بن جبر فلما مات معاوية وولى ابنه يزيد أمرهم بالعود فعادوا

﴿ذكر عزل سعيد عن المدينة واستعمال مروان﴾

وفيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة واستعمل مروان وكان سبب ذلك ان معاوية كتب الى سعيد بن العاص ان يهدم دار مروان ويقبض أمواله كلها ليجعلها صافية ويقبض منه فدك وكان وهبها له فراجعه سعيد بن العاص فى ذلك فأعاد معاوية الكتاب بذلك فلم يفعل سعيد ووضع الكتابين عنده فعزله معاوية وولى مروان وكتب اليه يأمره بقبض اموال سعيد بن العاص وهدم داره فأخذ الفعلة وسار الى دار سعيد ليهدمها فقال له سعيد يا أبا عبد الملك أتهدم دارى قال نعم كتب الى أمير المؤمنين ولو كتب اليك فى هدم دارى لفعلت فقال ما كنت لأفعل قال بلى والله قال كلا وقال لغلامه ائتنى بكتاب معاوية فجاء بالكتابين فلما رآهما مروان قال

سليمان بعيسى ثم بعد الكل
ثم قتل موسى وأما مصطفى
فانه فقد وقتل نحو من
ثلاثين بسببه ثم انه لم يزل
السلطان فى أسر تيمور
وقصده ان يطلقه اذا وصل
الى حدود تبريز فمرض فلم
يصبح حتى توفى فى مدينة
آقشهر يوم الخميس رابع
شعبان سنة خمس وثمانمائة
من علة الخناق وضيق
النفس ودفن فى المدينة
المذكورة بطريق الامانة
ثم نقله ولده موسى چلبى
بمعرفة تيمور الى تربته بمدينة
بروسه فلما سمع تيمور بوفاته
تأسف وحزن وبكى ثم ان
تيمور قسم بلاد الروم على
زعمه للملوك الذين خلعهم
الملك السعيد بايزيد كما كان
لهم وأطلق تيمور ابن قرمان
من الحبس وسلم اليه مملكة البلد
ابيه ما وفوض بلاد اناطولى
على زعمه الى عيسى وموسى
ابنى السلطان يلدرم خان ثم
مضى الى سبيله بعد ما خان
وافسد العباد واخرب البلاد
وهتك الستور واباح البكور
ولم يسلم من شره من رعايا
الروم لا الثلث ولا الربع
وصارت جماعتهم فيهم ما بين
منخنقة وموقوذة ومتردية
ونطيحة وما اكل السبع
وكان السلطان السعيد
يلدرم بايزيد من خياره لوله

كتب اليك فلم تفعل ولم تعلني فقال سعيد ما كنت لآمن عليك وانما أراد معاوية ان يحرض بيننا فقال مروان أنت والله خير مني وعاد ولم يهدم دار سعيد وكتب سعيد الى معاوية العجب مما صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا انه يضغن بعضنا على بعض فأمير المؤمنين في حلمه وصبره على ما يكره من الاخبثين وعفوه وادخاله القطيعة بيننا والشحناء وتوارث الاولاد ذلك فوالله لو لم نكن أولاد أب واحد لما جمعنا الله عليه من نصرة أمير المؤمنين الخليفة المظلوم وباجتماع كلمتنا لكان حقا على أمير المؤمنين ان يرعى ذلك فكتب اليه معاوية يعتذر من ذلك ويتنصل وانه عائد الى أحسن ما يعهده وقدم سعيد على معاوية فسأله عن مروان فأثنى عليه خيرا فقال له معاوية ما باعد بينه وبينك قال خافني على شرفه وخفته على شرفي قال فماذا له عندك قال أسره شاهدا وغائبا

(ذكر استعمال عبيد الله بن زياد على خراسان)

وفي هذه السنة عزل معاوية سمرة بن جندب واستعمل على البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان ستة اشهر وفيها استعمل معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان وكان سبب ولايته انه قدم عليه بعد موت أبيه فقال له معاوية من استعمل أبوك على الكوفة والبصرة فأخبره فقال لو استعملك أبوك لاستعملتك فقال عبيد الله انشدك الله ان يقولها الى أحد بعدك لو استعملك أبوك وعمك لاستعملتك فولاه خراسان وقال له اتق الله ولا تؤثرن على تقواه شيأ فان في تقواه عوضا ووفر عرضك من ان تدنسه واذا أعطيت عهدا فف به ولا تبيعن كثيرا بقليل ولا يخرجن منك أمر حتى تبرمه فاذا خرج فلا يردن عليك واذا لقيت عدوك فغلبوك على ظاهر الارض فلا يغلبوك على بطنها ولا تطمعن أحدا في غير حقه ولا تؤيسن أحدا من حق هو له ثم ودعه وكان عمر عبيد الله خمسا وعشرين سنة وسار الى خراسان فقطع النهر الى جبال بخارا على الابل فكان أول من قطع جبال بخارا في جيش ففتح رامني ونسف وبيكند وهي من بخارا فمن ثم أصاب البخارية وغنم منهم غنائم كثيرة ولما لقي الترك وهزمهم كان مع ملكهم زوجته فعجلوها عن لبس خفيها فلبست أحدهما وبقي الآخر فأخذه المسلمون فقوم بمائتي ألف درهم وكان قتاله الترك من زحوف خراسان التي تذكر فظهر منه بأس شديد وأقام بخراسان سنتين

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة مروان بن الحكم وهو أمير المدينة وكان على الكوفة عبد الله بن خالد وقيل الضحاك بن قيس وعلى البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان وفي هذه السنة توفي أبو قتادة الانصاري وعمره سبعون سنة وقيل مات سنة أربعين وصلى عليه علي وكبر عليه سبعا وشهد مع علي حروبه كلها وهو بدري وفيها توفي حويطب بن عبد العزى وله مائة وعشرون سنة وفيها توفي ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسامة بن زيد وقيل توفي أسامة سنة ثمان وخمسين وفيها توفي سعيد بن يربوع بن عنكثة وكان عمره مائة وأربعا وعشرين سنة وله صحبة ومخرمة بن نوفل وهو من مسلمة الفتح وعمره مائة سنة وخمس عشرة سنة وعبد الله بن أنيس الجهني وفيها اقتتل زيد بن شجرة الرهاوي في غزوة غزاها وقيل سنة ثمان وخمسين

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين)

الارض وكان مجاهدا مرابطا وقد فتح من بلاد الكفار ومدنهم الكبار ما لم يطأها من المسلمين خف ولا حافر وكان قوي النفس شديد البطش عالي الهمة ذكر الحافظ ابن حجر في تاريخه بعد ما اثنى عليه ان الحوض الذي يغتسل منه كان فضة وكذا كانت أوانيه التي كان يأكل فيها ويشرب ويستعملها وكان الامن في زمانه بحيث يمر الرجل بالحمل مطروحا بالبضاعة فلا يتعرض له احد وكانت مدة ملكه اربعة عشر عاما وثلاثة أشهر وعمره ثمان وخمسون سنة وخلف خمسة أولاد ذكور وهم عيسى وموسى وسليمان وقاسم ومحمد كما سبق وصار بينهم النزاع والقتال نحو اثنتي عشرة سنة الى أن استقل بالملك

(السلطان محمد خان الغازي ابن السلطان يلدرم بايزيد خان)

جلس على سرير الملك بمدينة بروسه في سنة ست عشرة وثمانمائة وعمره اذ ذاك تسع وثلاثون سنة لان مولده في سنة سبع وسبعين وسبعمائة وكان دأبه الاشتغال بالحروب وكان من جملة من خرج عليه وحاربه قره دولتشاه من التاتار في نواحي اماسية فسار

في هذه السنة كان مشتى سفيان بن عوف الازدى فى قول وقيل بل الذى شتى هذه السنة عمرو بن محرز وقيل بل عبد الله بن قيس الفزارى وقيل بل مالك بن عبد الله

﴿ ذكر ولاية ابن زياد البصرة ﴾

في هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان عن البصرة وولاها عبيد الله بن زياد وكان سبب ذلك ان عبد الله خطب على منبر البصرة فحصبه رجل من بنى ضبة فقطع يده فأتاه بنو ضبة وقالوا ان صاحبنا جنى ما جنى وقد عاقبته ولا نأمن أن يبلغ خبرنا أمير المؤمنين فيعاقب عقوبة تعم فاكتب لنا كتابا الى امير المؤمنين يخرج به أحدنا اليه يخبره انك قطعت على شبهة وأمر لم يتضح فكتب لهم فلما كان رأس السنة توجه عبد الله الى معاوية ووافاه الضبيون بالكتاب وادعوا انه قطع صاحبهم ظلما فلما رأى معاوية الكتاب قال أما القود من عمالى فلا سبيل اليه ولكن أدى صاحبكم من بيت المال وعزل عبد الله عن البصرة واستعمل ابن زياد عليها فولى ابن زياد على خراسان أسلم بن زرعة الكلابى فلم يغز ولم يفتح بها شيأ

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

وفيها عزل معاوية عبد الله بن خالد عن الكوفة وولاها الضحاك بن قيس وقيل ما تقدم وفيها مات الارقم بن أبى الارقم المخزومى وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختفى فى داره بمكة وكان عمره ثمانين سنة وزيادة وقيل مات يوم مات أبو بكرة وفيها توفى أبو اليسر كعب بن عمرو الانصارى وهو بدرى وشهد صفين مع على وقيل توفى قبل وحج بالناس هذه السنة مروان ابن الحكم

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين ﴾

فيها كان مشتى جنادة بن أبى أمية بأرض الروم وقيل عبد الرحمن بن مسعود وقيل غزا فيها فى البحر يزيد بن شجرة وفى البر عياض بن الحرث واعتمر معاوية فيها فى رجب وحج بالناس الوليد بن عتبة بن أبى سفيان

﴿ ذكر البيعة ليزيد بولاية العهد ﴾

وفى هذه السنة بايع الناس يزيد بن معاوية بولاية عهد أبيه وكان ابتداء ذلك وأوله من المغيرة ابن شعبة فان معاوية أراد ان يعزله عن الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص فبلغه ذلك فقال الرأى ان أشخص الى معاوية فأستعفيه ليظهر للناس كراهتى للولاية فسار الى معاوية وقال لاصحابه حين وصل اليه ان لم أكسبكم الآن ولاية وامارة لا أفعل ذلك أبدا ومضى حتى دخل على يزيد وقال له انه قد ذهب اعيان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وآله وكبراء قريش وذووا اسنانهم وانما بقى أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيا وأعلمهم بالسنة والسياسة ولا أدرى ما يمنع أمير المؤمنين ان يعقد لك البيعة قال أوترى ذلك يتم قال نعم فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة فأحضر المغيرة وقال له ما يقول يزيد فقال يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان وفى يزيد منك خلف فاعقد له فان حدث بك حادث كان كهفا للناس وخلفا منك ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة قال ومن لى بهذا قال أنا أكفيك أهل الكوفة ويكفيك زياد أهل البصرة وليس بعد هذين المصرين احد يخالفك قال فارجع الى

عليه وهزمه وتبدد شمله ثم قصد قتال اسفنديار بيك صاحب سينوب وجرى بين الفريقين قتال شديدا نتصر فيه السلطان محمد وانهزم اسفنديار أقبح هزيمة واستولى السلطان محمد على جميع ما علكه ثم بعد ذلك صفا له الدهر وانتظم له الامر ولم يبق من ينازعه فى ملكه ثم انه بلغه ان ابن قرمان نقض العهد وتعرض لاخذ بعض البلاد فسار اليه بجيش كثير فقاتله وهزمه فتبعه حتى أسره وأسر ولديه محمد ومصطفى فأحضر بين يدى السلطان فعاتبه على سوء صنعه ثم عفا عنه وعن ولديه وأطلقهما وعين لهما بعض بلادهما وأخذ عليهما العهد والميثاق بأن لا يعودا بعد ذلك واستولى على عدة قلاع لابن قرمان منها قلعة سورى حصار وقلعة نيرشهرى وقلعة نيكده وقلعة آق شهر وقلعة سيدى شهرى وقلعة ارغارى وقلعة بكشهرى وقلعة سعيد ايلى ثم سار واستولى على قلعة صامسون وغالب هذه البلاد كان افتتحها السلطان بايزيد ثم لما قدم تيمور الى بلاد الروم ردها الى اصحابها وفى سنة أربع وعشرين وثمانمائة مرض السلطان محمد خان من الاسهال وهو يومئذ

عملك وتحدث مع من تثق اليه في ذلك وترى ونرى فودعه ورجع الى اصحابه فقالوا له مه قال لقد
وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على امة محمد وفتقت عليهم فتقا لا يرتق ابدا وتمثل

بمثلي شاهدي النجوى وغالي * بي الاعداء والخصم الغضابا

وسار المغيرة حتى قدم الكوفة وذاكر من يثق اليه ومن يعلم انه شيعة لبني امية امر يزيد فاجابوا
الى بيعته فأوفد منهم عشرة ويقال اكثر من عشرة واعطاهم ثلاثين الف درهم وجعل عليهم
ابنه موسى بن المغيرة وقدموا على معاوية فزينوا له بيعة يزيد ودعوه الى عقدها فقال معاوية
لا تعجلوا باظهار هذا وكونوا على رأيكم ثم قال لموسى بكم اشترى ابوك من هؤلاء دينهم قال
بثلاثين الفا قال لقد هان عليهم دينهم وقيل ارسل اربعين رجلا وجعل عليهم ابنه عروة فلما
دخلوا على معاوية قاموا خطباء فقالوا انما اشخصهم اليه النظر لامة محمد صلى الله عليه وسلم
وقالوا يا امير المؤمنين كبرت سنك وخفنا انتشار الحبل فانصب لنا علما وحد لنا حدا ننتهي اليه
فقال اشيروا علي فقالوا نشير بيزيد بن امير المؤمنين فقال اوقد رضيتموه قالوا نعم قال وذلك رأيكم
قالوا نعم ورأي من وراءنا فقال معاوية لعروة سرا عنهم بكم اشترى ابوك من هؤلاء دينهم قال
بأربعمائة دينار قال لقد وجد دينهم عندهم رخيصا وقال لهم ننظر ما قدمتم له ويقضي الله
ما أراد والاناة خير من العجلة فرجعوا وقوي عزم معاوية على البيعة ليزيد فأرسل الى زياد
يستشيره فأحضر زياد عبيد بن كعب النميري وقال له ان لكل مستشير ثقة ولكل سر مستودع
وان الناس قد أبدع بهم خصلتان اذاعة السر واخراج النصيحة الى غير أهلها وليس موضع
السر الا أحد رجلين رجل آخرة يرجو ثوابها ورجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون حسبه
وقد خبرتهما منك وقد دعوتك لامر اتهمت عليه بطون الصحف ان أمير المؤمنين كتب
يستشيرني في كذا وكذا وانه يتخوف نفرة الناس ويرجو طاعتهم وعلاقة أمر الاسلام وضمانه
عظيم ويزيد صاحب رسلة وتهاون مع ما قد أولع به من الصيد فالق أمير المؤمنين وأد اليه فعلات
يزيد وقل له رويدك بالامر فأحرى لك ان يتم لك لا تعجل فان دركا في تأخير خير من فوت في عجلة
فقال له عبيد أفلا غير هذا قال وما هو قال لا تفسد على معاوية رأيه ولا تمقت اليه ابنه وألقى انا
يزيد فأخبره ان أمير المؤمنين كتب اليك يستشيرك في البيعة له وانك تتخوف خلاف الناس
عليه لهنات ينقمونها عليه وانك ترى له ترك ما ينقم عليه لتستحكم له الحجة على الناس ويتم
ما تريد فتكون قد نصحت أمير المؤمنين وسلمت مما تخاف من أمر الامة فقال زياد لقد رميت
الامر بحجره اشخص على بركة الله فان أصبت فما لا ينكر وان يكن خطأ فغير مستغش وتقول
بما ترى ويقضي الله بغيب ما يعلم فقدم على يزيد فذكر ذلك له فكف عن كثير مما كان يصنع
وكتب زياد معه الى معاوية يشير بالتؤدة وان لا يعجل فقبل منه فلما مات زياد عزم معاوية على
البيعة لابنه يزيد فأرسل الى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم فقبلها فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن
عمر هذا أراد ان ديني عندي اذن لرخيص وامتنع ثم كتب معاوية بعد ذلك الى مروان بن
الحكم اني قد كبرت سني ودق عظمي وخشيت الاختلاف على الامة بعدي وقد رأيت ان أتخير
لهم من يقوم بعدي وكرهت ان أقطع امرا دون مشورة من عندك فاعرض ذلك عليهم واعلمني
بالذي يردون عليك فقام مروان في الناس فأخبرهم به فقال الناس اصاب ووفق وقد احببنا ان

بمدينة ادرنه ولم يزل يثقل مرضه حتى مات وكان قد عهد في حياته بالملك لولده مراد خان وسبب ذلك انه رأى رؤيا انه جالس في محل لطيف قدّ واله سماطا فتناول منه شيأ يسيرا ولم ينل منه غرضه فرفعوه ووضعوه بين يدي ولده العادل مراد خان وهو في بيت غير البيت الذي هو فيه فلما انتبه علم انه لا يدوم في الملك وان ولده سيلي الملك بعده وامر ببناء الجامع والمدرسة والعمارة بمدينة بروسه وكان ولده مراد خان يوم وفاة ابيه في اقصى بلاد روم ايلي في الغزو فأخفى الوزراء موت السلطان مدة احد واربعين يوما حتى وصل السلطان مراد خان الى مدينة بروسه واستقر على التخت بها ثم بعد ذلك اظهروا موت السلطان وشيعوه الى مدينة بروسه ودفنوه قبالة جامعه الذي انشاه بالمدينة المذكورة وكانت مدة ملكه ثمانية أعوام وعشرة أشهر وعاش ثمانية واربعين عاما وكان رحمه الله ملكا جليلا مهابا محبا للعلماء والصلحاء وهو أول من عين الصرة من محصول اوقافه لاهل الحرمين من سلاطين بني عثمان وتولى السلطنة بعده ولده

(الملك العادل السلطان مراد خان بن السلطان محمد خان)

جلس على سرير الملك بعد وفاة والده بعهد منه اليه في أواخر سنة اربع وعشرين وثمانمائة وعمره ثماني عشرة سنة وفي سنة خمس وعشرين وثمانمائة ظهر رجل يدعى مصطفى

يضيرلنا قلا يأتوفكتب مروان الى معاوية بذلك فأعاد اليه الجواب بذكر يزيد فقام مروان ثم
وقال ان امير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل وقد استخلف ابنه يزيد بعده فقام عبد الرحمن بن ابى
بكر فقال كذبت والله يامروان وكذب معاوية ماالخيار أردتما لامة محمد ولكنكم تريدون
ان تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل فقال مروان هذا الذى أنزل الله فيه والذى قال
لوالديه أف لكما الآية فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء الحجاب وقالت يامروان
يامروان فانصت الناس وأقبل مروان بوجهه فقالت أنت القائل لعبد الرحمن انه نزل فيه
القرآن كذبت والله ماهو به ولكنه فلان بن فلان ولكنك أنت فضض من لعنة نبى الله وقام
الحسين بن على فأنكر ذلك وفعل مثله ابن عمر وابن الزبير فكتب مروان بذلك الى معاوية
وكان معاوية قد كتب الى عماله بتقريظ يزيد ووصفه وان يوفدوا اليه الوفود من الامصار
فكان فيمن أتاه محمد بن عمرو بن حزم من المدينة والاحنف بن قيس فى وفد اهل البصرة فقال محمد
ابن عمرو لمعاوية ان كل راع مسؤل عن رعيته فانظر من تولى أمر أمة محمد فأخذ معاوية بهر
حتى جعل يتنفس فى يوم شات ثم وصله وصرفه وأمر الاحنف ان يدخل على يزيد فدخل عليه
فلما خرج من عنده قال له كيف رأيت ابن أخيك قال رأيت شبابا ونشاطا وجلدا ومزاحا ثم ان
معاوية قال للضحاك بن قيس الفهرى لما اجتمع الوفود عنده انى متكلم فاذا سكت فكن أنت
الذى تدعو الى بيعة يزيد وتحثنى عليها فلما جلس معاوية للناس تكلم فعظم أمر الاسلام
وحرمة الخلافة وحقها وما امر الله به من طاعة ولاة الامر ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة
وعرض ببيعته فعارضه الضحاك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ياأمير المؤمنين انه لابد للناس من
وال بعدك وقد بلونا الجماعة والالفة فوجدناهما أحقن للدماء وأصلح للدهماء وآمن للسبل
وخيرا فى العاقبة والايام عوج رواجع والله كل يوم هو فى شأن ويزيد ابن أمير المؤمنين فى
حسن هديه وقصد سيرته على ماعلمت وهو من أفضلنا علما وحلما وأبعدنا رأيا فوله عهدك واجعله
لنا علما بعدك ومفزعا نلجأ اليه ونسكن فى ظله وتكلم عمرو بن سعيد الاشدق بنحو من ذلك ثم قام
يزيد بن المقنع العذرى فقال هذا أمير المؤمنين وأشار الى معاوية فان هلك فهذا وأشار الى
يزيد ومن أبى فهذا وأشار الى سيفه فقال معاوية اجلس فأنت سيد الخطباء وتكلم من حضر
من الوفود فقال معاوية للاحنف ماتقول ياأبا بحر فقال نخافكم ان صدقنا ونخاف الله ان
كذبنا وأنت ياامير المؤمنين اعلم بيزيد فى ليله ونهاره وسره وعلانيته ومدخله ومخرجه فان
كنت تعلمه لله تعالى وللامة رضا فلا تشاور فيه وان كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوده الدنيا
وأنت صائر الى الآخرة وانما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا وقام رجل من أهل الشام فقال
ماندرى ماتقول هذه المعدية العراقية وانما عندنا سمع وطاعة وضرب وازدلاف فتفرق الناس
يحكون قول الاحنف وكان معاوية يعطى المقارب ويدارى المباعد ويلطف به حتى استوثق
له أكثر الناس وبايعه فلما بايعه أهل العراق والشام سار الى الحجاز فى ألف فارس فلما دنا من
المدينة لقيه الحسين بن على أول الناس فلما نظر اليه قال لامرحبا ولا أهلا بدنة يترقرق دمها
والله مهريقه قال مهلا فانى والله لست بأهل لهذه المقالة قال بلى واشر منها ولقيه ابن الزبير
فقال لامرحبا ولا أهلا خب ضب تلعة يدخل رأسه ويضرب بذنبه ويوشك والله ان يؤخذ بذنبه

فى نواحى سلانيك وادعى انه الامير مصطفى ابن الملك السعيد يلدرم بايزيد الذى فقد فى وقعة تيمور ولم يعلم له خبر فاجتمع عليه
خلق كثير فاستفحل أمره
جدا حتى قام واستولى على
جميع بلاد روم ايلى وعلى
مدينة ادرنه ثم اجتاز البحر
الى طرف اناطولى لقتال
السلطان مراد وكان
السلطان مراد بعث قبل
وزيره بايزيد باشا وصحبته
عساكر كثيرة الى قتال
الخارجى المذكور فقاتلوه
بقرب أدرنه فانتصر الخارجى
وانهزم عسكر مراد خان
واسروا الوزير بايزيد باشا
وقتله الخارجى فلما بلغ ذلك
السلطان مراد خان اندهش
فقام وتضرع الى الله تعالى
والتجأ الى قطب العارفين
مولانا السيد محمد البخارى
وكان الشيخ اذذاك فى قيد
الحياة واستمده فوعده
الشيخ بالنصر (حكى) عن
الشيخ المذكور انه قال
توجهت فى هذا الامر
توجها تاما فرأيت النبى
صلى الله عليه وسلم فقبلت
قدمه المباركة وسألته
النصر فلم يقل شيأ ثم
توجهت ثانى مرة فرأيته
صلى الله عليه وسلم فقبلت
رجليه وتضرعت فلم يقل
شيأ ثم توجهت ثالث مرة
فرأيته صلى الله عليه وسلم
فقبلت رجليه وتضرعت
وقلت ياملاذ الملهوفين
يارسول رب العالمين أتتك

ويدق ظهره فحياه على فضرب وجه راحلته ثم لقيه عبد الرحمن بن أبي بكر فقال له معاوية لا أهلا ولا مرحبا شيخ قد خرف وذهب عقله ثم أمر فضرب وجه راحلته ثم فعل بابن عمر نحو ذلك فأقبلوا معه لا يلتفت اليهم حتى دخل المدينة فحضروا بابه فلم يؤذن لهم على منازلهم ولم يروا منه ما يحبون فخرجوا الى مكة فأقاموا بها وخطب معاوية بالمدينة فذكر يزيد فمدحه وقال من أحق منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه وما أظن قوما بمنتهين حتى تصيبهم بوائق تجتث أصولهم وقد أنذرت ان اغنت النذر ثم انشد متمثلا

قد كنت حذرتك آل المصطلق * وقلت يا عمرو أطعني وانطلق

انك ان كلفتني مالم أطق * ساءك ما سرك مني من خلق

دونك ما استسقيته فاحس وذق

ثم دخل على عائشة وقد بلغها انه ذكر الحسين واصحابه فقال لاقتلنهم ان لم يبايعوا فشكاهم اليها فوعظته وقالت له بلغني انك تتهددهم بالقتل فقال يا ام المؤمنين هم أعز من ذلك ولكني بايعت ليزيد وبايعه غيرهم افترين ان أنقض بيعة قد تمت قالت فارفق بهم فانهم يصيرون الى ما تحب ان شاء الله قال افعل وكان في قولها له ما يؤمنك ان أقعد لك رجلا يقتلك وقد فعلت بأخي ما فعلت تعني أخاها محمدا فقال لها كلا يا ام المؤمنين اني في بيت أمن قالت أجل ومكث بالمدينة ما شاء الله ثم خرج الى مكة فلقيه الناس فقال أولئك النفر نتلقاه فلعله قد ندم على ما كان منه فلقوه ببطن مر فكان أول من لقيه الحسين فقال له معاوية مرحبا وأهلا يا ابن رسول الله وسيد شباب المسلمين فأمر له بدابة فركب وسايره ثم فعل بالباقين مثل ذلك وأقبل يسايرهم لا يسير معه غيرهم حتى دخل مكة فكانوا أول داخل وآخر خارج ولا يمضي يوم الا ولهم صلة ولا يذكر لهم شيأ حتى قضى نسكه وحمل اثقاله وقرب مسيره فقال بعض اولئك النفر لبعض لا تخدعوا فما صنع بكم هذا لحبكم وما صنعه الا لما يريد فأعدوا له جوابا فاتفقوا على ان يكون المخاطب له ابن الزبير فأحضرهم معاوية وقال قد علمتم سيرتي فيكم وصلتي لارحامكم وحلمي على ما كان منكم ويزيد أخوكم وابن عمكم وأردت ان تقدموه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تعزلون وتؤمرون وتجبون المال وتقسمونه لا يعارضكم في شئ من ذلك فسكتوا فقال الا تجيبون مرتين ثم اقبل على ابن الزبير فقال هات لعمري انك خطيبهم فقال نعم نخيرك بين ثلاث خصال قال اعرضهن قال تصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم او كما صنع أبو بكر او كما صنع عمر قال معاوية ما صنعوا قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستخلف أحدا فارتضى الناس أبا بكر قال ليس فيكم مثل ابي بكر واخاف الاختلاف قالوا صدقت فاصنع كما صنع ابو بكر فانه عهد الى رجل من قاصية قريش ليس من بني أبيه فاستخلفه وان شئت فاصنع كما صنع عمر جعل الامر شورى في ستة نفر ليس فيهم احد من ولده ولا من بني أبيه قال معاوية هل عندك غير هذا قال لا ثم قال فأنتم قالوا قولنا قوله قال فاني قد أحببت ان أتقدم اليكم انه قد اعذر من انذر اني كنت اخطب منكم فيقوم الى القائم منكم فيكذبني على رؤس الناس فأحمل ذلك وأصفح واني قائم بمقالة فاقسم بالله لئن ردّ على احدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف الى رأسه فلا يبقين رجل الا على نفسه ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع

العون في حق مراد فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم النصر له ان شاء الله تعالى ولما أصبح بعث الشيخ الى السلطان مراد وبشره بالنصر وقلده بيده السيف وقال مر باذن الله في حفظ الله فانك منصور فشكر له السلطان ذلك وقبل يده المباركة فسار بعساكره ونزل نهرا ولو باد وهو نهر كبير من عجائب الدنيا لانه يجري ستة أشهر الى الشرق وستة أشهر الى الغرب لامر اقتضته قدرته فأمر برفع الجسر الراكب على النهر المذكور فرفعوه ثم قدم الخارجي فنزل في شط النهر الى الجانب الآخر واستمر العسكران هناك زمانا من

كل واحد سيف فان ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق او تكذيب فليضربا بسيفيهما ثم خرج وخرجوا معه حتى رقي المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يبتز امر دونهم ولا يقضى الا عن مشورتهم وانهم قد رضوا وبايعوا ليزيد فبايعوا على اسم الله فبايع الناس وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر ثم ركب رواحله وانصرف الى المدينة فلقي الناس اولئك النفر فقالوا لهم زعمتم انكم لا تبايعون فلم رضيتم واعطيتم وبايعتم قالوا والله ما فعلنا فقالوا اما منعكم ان تردوا على الرجل قالوا كادنا وخفنا القتل وبايعه اهل المدينة ثم انصرف الى الشام وجفا بني هاشم فأتاه ابن عباس فقال له ما بالك جفوتنا قال ان صاحبكم لم يبايع ليزيد فلم تنكروا ذلك عليه فقال يا معاوية اني لخليق ان انحاز الى بعض السواحل فأقيم به ثم انطق بما تعلم حتى ادع الناس كلهم خوارج عليك قال يا ابا العباس تعطون وترضون وترادون وقيل ان ابن عمر قال لمعاوية ابايعك على اني ادخل فيما يجتمع عليه الامة فوالله لو اجتمعت على حبشي لدخلت معها ثم عاد الى منزله فاغلق بابه ولم يأذن لاحد قلت ذكر عبد الرحمن بن ابي بكر لا يستقيم على قول من يجعل وفاته سنة ثلاث وخمسين وانما يصح على قول من يجعلها بعد ذلك الوقت

(ذكر عزل ابن زياد عن خراسان واستعمال سعيد بن عثمان بن عفان)

في هذه السنة استعمل معاوية سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان وعزل ابن زياد وسبب ذلك انه سأل معاوية ان يستعمله على خراسان فقال ان بها عبيد الله بن زياد فقال والله لقد اصطنعك ابي حتى بلغت باصطناعه المدى الذي لا تجارى اليه ولا تسامى فما شكرت بلاءه ولا جازيته وقدمت هذا يعني يزيد وبايعت له والله لانا خير منه ابا واما ونفسا فقال معاوية اما بلاء ابيك فقد يحق علينا الجزاء به وقد كان من شكري لذلك اني قد طلبت بدمه واما فضل ابيك على ابيه فهو والله خير مني واما فضل امك على امه فلعمري امرأة من قريش خير من امرأة من كلب واما فضلك عليه فوالله ما احب ان الغوطة ملئت رجالا مثلك فقال له يزيد يا امير المؤمنين ابن عمك وانت احق من نظر في امره قد عتب عليك فاعتبه فولاه حرب خراسان وولى اسحق ابن طلحة خراجها وكان اسحق ابن خالة معاوية امه ام ابان بنت عتبة بن ربيعة فلما صار بالري مات اسحق فولي سعيد حربها وخراجها فلما قدم خراسان قطع النهر الى سمرقند فخرج اليه الصغد فتواقفوا يوما الى الليل ولم يقتتلوا فقال مالك بن الريب

ما زلت يوم الصغد ترعد واقفا * من الجبن حتى خفت ان تتنصرا

فلما كان من الغد اقتتلوا فهزمهم سعيد وحصرهم في مدينتهم فصالحوه واعطوه رهنا منهم خمسين غلاما من ابناء عظمائهم فسار الى ترمذ ففتحها صلحا ولم يف لاهل سمرقند وجاء بالغلمان معه الى المدينة وكان ممن قتل معه قثم بن عباس بن عبد المطلب وفي هذه ماتت جويرية بنت الحرث زوج النبي صلى الله عليه وسلم

ثم دخلت سنة سبع وخمسين

فيها كان مشتى عبد الله بن قيس بأرض الروم وفيها عزل مروان بن الحكم عن المدينة

غدران يجري بينهما قتال ثم ان الله تبارك وتعالى وهو الواحد القهار ينصر من يشاء من عباده سلط على الخارجي الرعاف فاستمر به ذلك ثلاثة أيام حتى ضعف جدا وجعل يخلط في الكلام واختل عقله فلما تحقق ذلك أركان دولته ورجوه عسكره تفرقوا بجد لانه قد اخذهم الخوف فتفرقوا اشذر مذر وهرب الخارجي مع ضعفه الى طرف روم ايلي فلما شاهد ذلك عسكر السلطان مراد اجتازوا المعرف ولحقوا خلف المنهزمين فاسروا منهم خلقا كثيرا وقتلوا غالبهم وغنموا منهم اموالا ودواب كثيرة ثم امر السلطان بعض امرائه حتى لحقوا الخارجي بقرب ادرنة فظفروا به فقتله وفي سنة تسع واربعين وثمانمائة نزل السلطان مراد خان عن السلطنة لولده

واستعمل عليها الوليد بن عتبة بن ابى سفيان وقيل لم يعزل مروان هذه السنة وحج بالناس
الوليد بن عتبة وكان العامل على الكوفة الضحاك بن قيس وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى
خراسان سعيد بن عثمان وفى هذه السنة مات عبد الله بن عامر وقيل سنة تسع وخمسين وعبد الله
ابن قدامة السعدى وله صحبة وقيل هو عبد الله بن عمرو بن وقدان السعدى وانما قيل له
السعدى لان أباه استرضع فى بنى سعد بن بكر وهو من بنى عامر بن لؤى وعثمان بن شيبة بن أبى
طلحة العبدرى وهو جد بنى شيبة سدنة الكعبة ومفتاحها معهم الى الآن واسلم يوم الفتح
وقيل يوم حنين وجبير بن مطعم بن نوفل القرشى له صحبة وام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم
وقيل بقيت الى قتل الحسين

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين

فى هذه السنة غزا مالك بن عبد الله الخثعمى ارض الروم وعمرو بن يزيد الجهنى فى البحر وقيل
جنادة بن ابى امية

ذكر عزل الضحاك عن الكوفة واستعمال ابن ام الحكم

وفى هذه السنة عزل معاوية الضحاك بن قيس عن الكوفة واستعمل عبد الرحمن بن عبد الله بن
عثمان الثقفى وهو ابن ام الحكم وهو ابن اخت معاوية وفى عمله هذه السنة خرجت الخوارج
الذين كان المغيرة بن شعبة حبسهم فجمعهم حيان بن ظبيان السلمى ومعاذ بن جوين الطائى
فخطباهم وحثاهم على الجهاد فبايعوا حيان بن ظبيان وخرجوا الى بانقيا فسار اليهم الجيش
من الكوفة فقتلوهم جميعا ثم ان عبد الرحمن ابن ام الحكم طرده أهل الكوفة لسوء سيرته فلحق
بخاله معاوية فولاه مصر فاستقبله معاوية بن حديج على مرحلتين من مصر فقال له ارجع الى
خالك فلعمرى لا تسير فينا سيرتك فى اخواننا من أهل الكوفة فرجع الى معاوية ثم ان معاوية
ابن حديج وفد الى معاوية وكان اذا قدم الى معاوية زينت له الطرق بقباب الريحان تعظيما
لشأنه فدخل على معاوية وعنده اخته ام الحكم فقالت من هذا يا أمير المؤمنين قال بخ بخ هذا
معاوية بن حديج قالت لا مرحبا تسمع بالمعيدى خير من ان تراه فسمعها معاوية بن حديج فقال
على رسلك يا ام الحكم والله لقد تزوجت فما أكرمت وولدت فما أنجبت اردت ان يلى ابنك
الفاسق علينا فيسير فينا كما سار فى اخواننا من أهل الكوفة وما كان الله ليريه ذلك ولو فعل
ذلك لضربناه ضربا يطأطئ منه ولو كره هذا القاعد يعنى خاله معاوية فالتفت اليها معاوية
وقال كفى فسكتت

ذكر خروج طواف بن غلاق

كان قوم من الخوارج بالبصرة يجتمعون الى رجل اسمه جدار فيتحدثون عنده ويعيبون
السلطان فأخذهم ابن زياد فحبسهم ثم دعا بهم وعرض عليهم ان يقتل بعضهم بعضا ويخلى سبيل
القاتلين ففعلوا فأطلقهم وكان ممن قتل طواف فعذلهم أصحابهم وقالوا قتلتم اخوانكم قالوا
أكرهنا وقد يكره الرجل على الكفر وهو مطمئن بالايمان وندم طواف وأصحابه فقال طواف
اما من توبة فكانوا يبكون وعرضوا على أولياء من قتلوا الدية فأبوا وعرضوا عليهم القود فأبوا

السلطان محمد خان وخلع
نفسه عن السلطنة واختار
لنفسه مدينة مغنيسا
فاعتزل بها عن الملك وشاع
هذا الخبر فى الآفاق وقال
ملوك الكفار بعضهم
لبعض ان ملك المسلمين قد
صار شيخا كبيرا فاعتزل عن
الملك وجعل منصبه لولده
وهو صبى صغير لا يخشى منه
فاتفق قرال انكروس
وقرال المان وقرال جه
وقرال له واميرلاطين واميز
بوسنه وصاحب افلاق
وبغدان وطائفة الافرنج
على قتال المسلمين وان
لا يدعوا من بلاد الاسلام حجرا
على حجر فلما بلغ ذلك أركان الملك
خافوا واسترهبوا واستصوبوا
ان يدعوا السلطان مراد
من مغنيسا ليكون معهم
لانه سلطان شاع بذكره
الاخبار وطال ما انكى

ولقي طواف الهثهاث بن ثور السدوسي فقال له أما ترى لنا من توبة فقال ما أجد لك الا آية في
كتاب الله عز وجل قوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من
بعدها لغفور رحيم فدعا طواف أصحابه الى الخروج والى ان يفتكوا بابن زياد فبايعوه في سنة
ثمان وخمسين وكانوا سبعين رجلا من بني عبد القيس بالبصرة فسعى بهم رجل من أصحابهم الى
ابن زياد فبلغ ذلك طوافا فعجل الخروج فخرجوا من ليلتهم فقتلوا رجلا ومضوا الى الجلحاء
فندب ابن زياد الشرط البخارية فقاتلوهم فانهزم الشرط حتى دخلوا البصرة واتبعوهم وذلك
يوم عيد الفطر وكثرهم الناس فقاتلوا فقتلوا وبقي طواف في ستة نفر وعطش فرسه فأقحمه الماء
فرماه البخارية بالنشاب حتى قتلوه وصلبوه ثم دفنه أهله فقال شاعرهم

يا رب هب لي التقى والصدق في ثبت * واكف المهم فأنت الرازق الكافي
حتى أبيع التي تفنى بآخرة * تبقى على دين مرداس وطواف
وكهمس وأبي الشعثاء اذ نفروا * الى الاله ذوي اخبات زحاف

﴿ ذكر قتل عروة ابن أدية وغيره من الخوارج ﴾

في هذه السنة اشتد عبيد الله بن زياد على الخوارج فقتل منهم جماعة كثيرة منهم عروة ابن أدية
أخو أبي بلال مرداس ابن أدية وأدية أمهما وأبوهما حدير وهو تميمي وكان سبب قتله ان ابن زياد
كان قد خرج في رهان له فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع اليه الناس وفيهم عروة فأقبل على ابن
زياد يعظه وكان مما قال له أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا
بطشتم بطشتم جبارين فلما قال ذلك ظن ابن زياد انه لم يقل ذلك الا ومعه جماعة فقام وركب
وترك رهانه فقيل لعروة ليقتلنك فاختفى فطلبه ابن زياد فهرب وأتى الكوفة فأخذ وقدم به
على ابن زياد فقطع يديه ورجليه وقتله وقتل ابنته وأما أخوه أبو بلال مرداس فكان عابدا
مجتهدا عظيم القدر في الخوارج وشهد صفين مع علي فأنكر التحكيم وشهد النهروان مع
الخوارج وكانت الخوارج كلها تتولاه ورأى على ابن عامر قباء أنكره فقال هذا لباس
الفساق فقال أبو بكرة لا تقل هذا للسلطان فان من أبغض السلطان أبغضه الله وكان لا يدين
بالاستعراض ويحرم خروج النساء ويقول لا نقاتل الا من قاتلنا ولا نجبي الا من حمينا وكانت
البلجاء امرأة من بني يربوع تحرض على ابن زياد وتذكر تجبره وسوء سيرته وكانت من المجتهدات
فذكرها ابن زياد فقال لها أبو بلال ان التقية لا بأس بها فتغيبي فان هذا الجبار قد ذكرك قالت
أخشى ان يلقى أحد بسببي مكروها فأخذها ابن زياد فقطع يديها ورجليها فمر بها أبو بلال في
السوق فعض على لحيته وقال أهذه أطيب نفسا بالموت منك يا مرداس ما ميتة أموتها أحب الي
من ميتة البلجاء ومر أبو بلال ببعير قد طلي بقطران فغشي عليه ثم أفاق فتلا سرابيلهم من
قطران وتغشى وجوههم النار ثم ان ابن زياد ألح في طلب الخوارج فملأ منهم السجن وأخذ
الناس بسببهم وحبس أبا بلال قبل ان يقتل أخاه عروة فرأى السجان عبادته فأذن له كل ليلة
في اتيان أهله فكان يأتيهم ليلا ويعود مع الصبح وكان صديق لمرداس يسامر ابن زياد فذكر ابن
زياد الخوارج ليلة فعزم على قتلهم فانطلق صديق مرداس اليه فأعلمه الخبر وبات السجان بليلة

الكفار وأرسلوا يطلبونه فامتنع وقال سلطانكم دونكم فخذوه وخلوني فلم يزالوا يلحون عليه حتى رضي وسار مع ولده السلطان محمد الى طرف العدو فلما تصاف الطائفتان والتقى الجمعان تكاثر كل من الفريقين على الآخر واتفق ان انهزم المسلمون وجعل الكفار يطردونهم ويقتلونهم ولم يبق الا السلطان مرادخان في القلب فلما شاهد ذلك الحال رفع يديه الى الله تعالى وسأله النصر والعون واستغاث بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلم تمض ساعة حتى أغتر قرال انكروس وهو كبيرهم فبرز من بين عسكره وانفرد وجعل يدعو السلطان مراد الى المبارزة ثم هجم على

سوطه فان يعلم مرداس فلا يرجع فلما كان الوقت الذي كان يعود فيه اذا به قد أتى فقال له السجان أما بلغك ما عزم عليه الامير قال بلى قال ثم جئت قال نعم لم يكن جزاؤك مني مع احسانك الى ان تعاقب واصبح عبيد الله فقتل الخوارج فلما أحضر مرداس قام السجان وكان ظئرا لعبيد الله فشفع فيه وقص عليه قصته فوهبه له وخلى سبيله ثم انه خاف ابن زياد فخرج في أربعين رجلا الى الاهواز فكان اذا اجتاز به مال لبيت المال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ثم يرد الباقي فلما سمع ابن زياد خبرهم بعث اليهم جيشا عليهم أسلم بن زرعة الكلابي سنة ستين وقيل ابو حصين التميمي وكان الجيش الفي رجل فلما وصلوا الى ابي بلال ناشدهم الله ان لا يقاتلوه فلم يفعلوا ودعاهم اسلم الى معاودة الجماعة فقالوا أتردونا الى ابن زياد الفاسق فرمى أصحاب أسلم رجلا من أصحاب أبي بلال فقتلوه فقال ابو بلال قد بدؤكم بالقتال فشد الخوارج على أسلم وأصحابه شدة رجل واحد فهزموهم فقدموا البصرة فلام ابن زياد أسلم وقال هزمك اربعون وانت في الفين لاخير فيك فقال لأن تلومني وانا حي خير من ان تثني علي وانا ميت فكان الصبيان اذا رأوا اسلم صاحوا به أما أبو بلال وراءك فشكا ذلك الى ابن زياد فنهاهم فانتهوا وقال رجل من الخوارج

أألفا مؤمن منكم زعمتم * ويقتلهم بآسك اربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم * ولكن الخوارج مؤمنونا

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس الوليد بن عتبة في هذه السنة وفيها مات عقبة بن عامر الجهني وله صحبة وشهد صفين مع معاوية وفيها توفيت عائشة عليها السلام وسمرة بن جندب وله صحبة ومالك بن عبادة الغافقي وله صحبة وعميرة بن يثربي قاضي البصرة فاستقضى مكانه هشام بن هبيرة

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين)

في هذه السنة كان مشتى عمرو بن مرة الجهني بأرض الروم في البر وغزا في البحر جنادة بن أبي امية وقيل لم يكن في البحر غزوة هذه السنة وفي هذه السنة عزل عبد الرحمن ابن أم الحكم عن الكوفة واستعمل عليها النعمان بن بشير الانصاري وقد تقدم سبب عزله وقيل كان عزله سنة ثمان وخمسين

(ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان)

وفيها استعمل معاوية عبد الرحمن بن زياد على خراسان وقدم بين يديه قيس بن الهيثم السلمي وأخذ اسلم بن زرعة فحبسه وأخذ منه ثلثمائة ألف درهم ثم قدم عبد الرحمن وكان كريما حريصا ضعيفا لم يغز غزوة واحدة وبقي بخراسان الى ان قتل الحسين فقدم على يزيد ومعه عشرون ألف ألف درهم فقال ان شئت حاسبناك وأخذنا ما معك ورددناك الى عملك وان شئت أعطيناك ما معك وعزلناك وتعطي عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم قال بل تعطيني ما معي وتعزلني ففعل فأرسل عبد الرحمن الى ابن جعفر بألف ألف وقال هذه خمسمائة ألف من يزيد وخمسمائة ألف مني

المسلمين فاتفق ان تنفطر به فرسه فتسارع اليه المسلمون فحزوا رأسه ورفعوه على رمح وجعلوا يصيحون هذا رأس قرال الملعون فلما رأى الكفار ذلك انهزموا عن آخرهم وساق المسلمون خلفهم وقتلوهم قتلا ذريعا وكان يوم غم وسرور والعاقبة للمتقين وأما الغنائم والاسارى فلا تحصى ولا تحصر ثم ان السلطان لما عاد من الغزو امضى سلطنة ابنه السلطان محمد خان على ما كان عليه وسار هو الى طرف مغنيسا واستمر الحال على هذا المنوال الى ان تحركت طائفة الينكجرية وعاثوا وكبسوا بيوت الامراء والوزراء ونهبوها وكان ذلك في سنة خمسين وثمانمائة فعند ذلك

(ذكر عزل ابن زياد عن البصرة وعوده اليها)

وفي هذه السنة عزل معاوية عبيد الله بن زياد عن البصرة واعاده اليها وسبب ذلك ان ابن زياد وفد على معاوية في وجوه أهل البصرة وفيهم الاحنف وكان سيئ المنزلة من عبيد الله فلما دخلوا رحب معاوية بالاحنف وأجلسه معه على سريره فاحسن القوم الثناء على ابن زياد والاحنف ساكت فقال له معاوية مالك يا ابا بحر لا تتكلم فقال ان تكلمت خالفت القوم فقال معاوية انهضوا فقد عزلته عنكم واطلبوا واليا ترضونه فلم يبق احد الا اتى رجلا من بني امية او من اهل الشام والاحنف لم يبرح من منزله لم يأت احدا فلبثوا أياما ثم جمعهم معاوية وقال لهم من اخترتم فاختلفت كلمتهم والاحنف ساكت فقال مالك لا تتكلم فقال ان وليت علينا احدا من اهل بيتك لم نعدل بعبيد الله احدا وان وليت من غيرهم فانظر في ذلك فرده معاوية عليهم واوصاه بالاحنف وقبح رأيه في مباعدته فلما هاجت الفتنة لم يف له غير الاحنف

(ذكر هجاء يزيد بن مفرغ الحميري بني زياد وما كان منه)

كان يزيد بن مفرغ الحميري مع عباد بن زياد بسجستان فاشتغل عنه بحرب الترك فاستبطأه ابن مفرغ واصاب الجند الذين مع عباد ضيق في علوفات دوابهم فقال ابن مفرغ

الا ليت اللحى كانت حشيشا * فنعلفها دواب المسلمين

وكان عباد بن زياد عظيم اللحية فقيل ما اراد غيرك فطلبه فهرب منه وهجاه بقصائد وكان مما هجاه به قوله

اذا أودى معاوية بن حرب * فبشر شعب رحلك بانصداع
وأشهد ان امك لم تباشر * ابا سفيان واضعة القناع
ولكن كان امرا فيه لبس * على وجل شديد وارتياع

وقال ايضا

الا ابلغ معاوية بن حرب * مغلغلة من الرجل اليماني
أتغضب ان يقال أبوك عف * وترضى أن يقال ابوك زان
فاشهد ان رحمك من زياد * كرحم الفيل من ولد الاتان

وقدم يزيد بن مفرغ البصرة وعبيد الله بن زياد بالشام عند معاوية فكتب اليه أخوه عباد بما كان منه فاعلم عبيد الله معاوية به وانشده الشعر واستأذنه في قتل ابن مفرغ فلم يأذن له وأمره بتأديبه ولما قدم ابن مفرغ البصرة استجار بالاحنف وغيره من الرؤساء فلم يجره احد فاستجار بالمنذر بن الجارود فأجاره وأدخله داره وكانت ابنته عند عبيد الله بن زياد فلما قدم عبيد الله البصرة أخبره بمكان ابن مفرغ واتى المنذر عبيد الله مسلما فأرسل عبيد الله الشرط الى دار المنذر فأخذوا ابن مفرغ وأتوه به والمنذر عنده فقال له المنذر أيها الامير اني قد اجرته فقال يا منذر يمدحك وأباك ويهجوني وابي وتجيره علي ثم امر به فسقي دواء ثم حمل على حمار وطيف به وهو يسلح في ثيابه فقال يهجو المنذر

تركت قريشا ان اجاور فيهم * وجاورت عبد القيس اهل المشقر

رأى الوزراء وسائر أركان الملك ان يعيدوا السلطان مراد خان الى الملك ليستر هيبته فطلبوه واجلسوه على سرير الملك وعاد ابنه السلطان محمد خان الى مكان ابيه مغنيسا واستقر السلطان مراد بها وغزا بلاد الروم واستولى على معظم بلاد الكفار وفي سابع المحرم سنة خمس وخمسين وثمانمائة نهار الاربعاء توفي السلطان مراد خان وكان ملكا عاقلا عادلا شجاعا وكان

اناس اجارونا فكان جوارهم * اعاصير من فسو العراق المبذر
فاصبح جارى من جذيمة نائما * ولا يمنع الجيران غير المشمر

فقال لعبيد الله

يغسل الماء ما صنعت وقولى * راسخ منك فى العظام البوالى

ثم سيره عبيد الله الى أخيه عباد بسجستان فكلمت اليمانية بالشام معاوية فيه فأرسل الى عباد فأخذه من عنده فقدم على معاوية وقال فى طريقه

عدس ما لعباد عليك امارة * امنت وهذا تحملين طليق
لعمرى لقد نجاك من هوة الردى * امام وحبل للامام وثيق
ساشكر ما اوليت من حسن نعمة * ومثلى بشكر المنعمين حقيق

فلما دخل على معاوية بكى وقال ركب منى مالم يرتكب من مسلم مثله على غير حدث قال اولست القائل * الا ابلغ معاوية بن حرب * القصيدة فقال لا والله الذى عظم حق امير المؤمنين ماقلت هذا وانما قاله عبد الرحمن بن الحكم اخو مروان واتخذنى ذريعة الى هجاء زياد قال الست القائل * فاشهد ان امك لم تباشر * اباسفيان فى أشعار كثيرة هجوت بها ابن زياد اذهب فقد عفونا عنك فانزل اى أرض الله شئت فنزل الموصل وتزوج بها فلما كان ليلة بنائه بامرأته خرج حين أصبح الى الصيد فلقى انسانا على حمار فقال من أين أقبلت فقال من الاهواز قال فافعل ما مسرقان ٣ قال على حاله فارتاح الى البصرة فقدمها ودخل على عبيد الله فآمنه وغضب معاوية على عبد الرحمن بن الحكم فكلم فيه فقال لا أرضى عنه حتى يرضى عنه ابن زياد فقدم البصرة على عبيد الله وقال له

لانت زيادة فى آل حرب * أحب الى من احدى بنانى
اراك أخا وعما وابن عم * فلا أدرى بغيب ماترانى

فقال أراك شاعر سوء ورضى عنه

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة عثمان بن محمد بن أبى سفيان وكان الوالى على الكوفة النعمان بن بشير وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى المدينة الوليد بن عتبة وعلى خراسان عبد الرحمن بن زياد وعلى سجستان عباد بن زياد وعلى كرمان شريك بن الاعور وفيها مات قيس بن سعد بن عبادة الانصارى بالمدينة وقيل سنة ستين وكان قد شهد مع على مشاهده كلها وفيها مات سعيد بن العاص وولد عام الهجرة وقتل ابوه يوم بدر كافرا وفيها مات مرة بن كعب البهزى السلمى وله صحبة وفيها مات أبو محذورة الجمحى مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يزل يؤذن بها حتى مات وولده من بعده وقيل مات سنة تسع وستين وفيها مات عبد الله بن عامر بن كريز بمكة فدفن بعرفات وفيها مات أبو هريرة فحمل جنازته ولد عثمان بن عفان اهواه كان فى عثمان وفيها غزا المسلمون حصن كخ ومعهم عمير بن الحباب السلمى فصعد عمير السور ولم يزل يقاتل عليه وحده حتى كشف

يرسل لاهالى الحرمين الشريفين وبيت المقدس من خاصة ماله فى كل عام ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار وكان يعتنى بشأن العلم والعلماء والمشايخ والصلحاء مهد الممالك وامن المسالك واقام الشرع والدين واذل الكفار والمفسدين وكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة وله من العمر تسع وأربعون سنة

الروم نصه عند السلطان نقضه بمصر

وبذلك كان يفتخر

ويفتخر له بذلك

تم

※ تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله ثم دخلت سنة ستين ※